قبيلة هوازن

نسبها ودورها السياسي والاجتماعي حتى نهاية العصر الأموي

تأليف

د. عباس غالب بجران العصيمي

تقديم الشيخ

أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

يوجد ملحق حول مسمى قبيلة عتيبة

جامعة أم درمان الإسلامية

معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي

قسم الدراسات النظرية

قبيلة هوازن نسبها ودورها السياسي والإجتماعي حتي نهاية العصر الاموي

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في التاريخ الإسلامي

إعداد الدارس :

عباس بن غالب بجران العصيمي

إشراف:

الاستاذ الدكتور/ عبدالقادر عثمان محمد جاد الرب

فبراير / ٢٠١٠م

قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[١].

يقول الأصفهاني: "إني قد رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً من يومه إلا قال في غده لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر".

[١] سورة الحجرات آية ١٣.

أ ـــ الإهداء:

إلى جدي (غالب) الذي يعتبر والدي بعد والدي، حيث أضاف اسمي إلى اسمه مباشرة واحتضنني منذ وفاة والدي (ناصر) رحمه الله، وأنا مازلـــت في شـــهوري الأولى، وتعب في تربيتي وتعليمي رغم عوزه وقلة ذات يده، وهو الـــذي زرع فيّ حب معرفة الأنساب منذ نعومة أظفاري، حيث كان من العارفين بهـــا بشـــهادة المحيطين به، وقد أمد الله في عمره حتى قارب المائة، فاستفدت منه الشيء الكثير، فجزاه الله عني خير الجزاء، وقد فضلت الاستمرار على هذه التسمية بعـــد وفاتـــه عرفاناً بفضله بعد أن تأكدت أن ليس فيها محظور شرعي، وهذا أقل ما أستطيع أن أقدمه له، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

ب ــ شكر وعرفان:

بداية لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل لجامعة أم درمان الإسلامية ممثلة في "معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي" التي أحسنت الظن بنا وأتاحت لنا فرصة مواصلة دراساتنا العليا، ويسرت السبل أمامنا لكي نضع لبنة جديدة في بناء المكتبة التاريخية العربية، فلها ولجميع القائمين على هذا المعهد من إداريين وأعضاء هيئة تدريس أوفر الشكر والتقدير.

كما نتقدم بالشكر الجزيل لأستاذنا البروفيسور عبد القادر عثمان جاد الرب أولاً: على قبوله الإشراف على هذه الرسالة، وثانياً: على ما بذله من جهد ووقت طيلة إشرافه؛ فقد كان المرشد الناصح بأمانته، والناقد القاسي بمرحه، وقد تعلمنا منه روح الصبر والمثابرة وأيضاً معنى التزام المنهج العلمي الدقيق، والكتابة بأسلوب وفكر حديث، فلم يترك أيّ ملاحظة صغيرة أو كبيرة إلا أرشدنا إليها، ومع أن لتوجيهاته أثراً كبيراً في تشكيل ملامح هذه الرسالة، إلا أنّ بُعدنا الجغرافي عنه وصعوبة التواصل معه قد قللا من استفادتنا منه أولاً بأول، فما حدث في هذه الرسالة من قصور فمردّه إلى الظروف الخارجة عن إرادتنا وإرادته، ونحن نتحمل ذلك وحدنا وليس عليه ملامة في ذلك.

كما يسعدنا أن نتقدم مسبقاً بالشكر والتقدير للجنة المناقشة على تفضل أعضائها بقبول دراسة هذه الرسالة وتقويمها ومناقشتنا فيها، وإننا على يقين بأننا سنفيد من خبرتهم وسعة اطلاعهم في مجال البحث العلمي الشيء الكثير، وليس لنا قبل أن ندخل في الموضوع إلا أن نحمد الله ونشكره على توفيقه ونسأله العون والسداد في الدنيا والأخرة.

جـــ ـــ الاختصارات العربية:

ط: طبعة، جـــ: جزء، ص:صفحة، هـــ:هجري، م: ميلادي.

د ـــ الاختصارات الأجنبية:

P:page.

هـــ ـــ المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لم يزل تاريخ العرب في الجاهلية يستقطب اهتمام الكثير من الباحثين رغم قلة المصادر التي تتحدث عنه، وذلك لما يتميز به هذا العصر التاريخي من تراث عــربي أصيل تتجسد فيه الكثير من القيم العليا التي يتحلى بها أجــدادنا مــن الشــجاعة والفروسية ومكارم الأخلاق، رغم جهلهم ووثنيتهم، ولكن معظم هذه الدراسات تناولت تاريخ العرب بشكل عام، كما هو الحال لدى الدكتور جــواد علــي في كتابه "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، وجرجي زيدان في كتابه "العرب قبل الإسلام"، وكذلك توفيق برّو في كتابه "تاريخ العرب القديم"... وغــيرهم أمــا الدراسات التي تعنى بالقبائل العربية وأنسابها وتاريخها السياسي، فقد اطلعنا علــى بعض القبائل التي حظيت باهتمام بعض الباحثين كقبيلــة عبــدالقيس وغطفــان وتميم... وغيرها، أما قبيلة هوازن فعلى حد علمنا لم يتطرق لها أحد من البــاحثين رغم حرصنا الشديد على متابعة ما يكتب عنها. ولقد بدأت علاقتنا بهذه القبيلــة ومطالعاتنا حولها منذ دراستنا في المرحلة الجامعية؛ لأن بعض النسابين يرجع أصول قبيلتنا إليها، وقد كنّا نريد تقديمها كرسالة لنيل درجة الماجستير، ولكن أســتاذي المشرف نصحني بعدم البحث في مجال الأنساب، لأنني مازلت صغير السن ومبتدئاً في عالم البحث، ومجال الأنساب من المجالات الشائكة التي تحتــاج إلى باحــث متمرس، وعندما أردنا تسجيلها لنيل درجة الدكتوراه لم يحالفنا الحظ في التسجيل

بحكم عملنا الذي لم يسمح لنا بالتفرغ، ولكن عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، فمن فضل الله علينا أن تأخر بنا الوقت حتى قام شيخنا العلامة حمد الجاسر رحمه الله بنشر كتاب "التعليقات والنوادر" للهجري، الذي يشتمل على معلومات قيّمة حول الأنساب لا توجد عند غيره ، وقد كان لفروع هذه القبيلة النصيب الأوفر من اهتمامه ولكنها تحتاج إلى جهد كبير للربط فيما بينها، وهو ما أرجو أن يعيننا الله على تحقيقه.

أسباب اختيار الموضوع:

ومما شجعنا على اختيار هذا الموضوع ليكون عنواناً لرسالتنا مايلي:

١ـ قلة اهتمام الدارسين الأكاديميين بالبحث في تاريخ القبائل كموضوع متكامل يشمل أنسابها وأدوارها السياسية والاجتماعية، فهم وإن تعرضوا للتاريخ السياسي لبعض القبائل -كالتي أشرنا إليها آنفاً- إلا أنهم لم يهتموا بأدوارها الاجتماعية، وكذلك أنسابها من حيث أصولها وتفرعاتها، مما دعا بعض الكتّاب من غير المتخصصين لطرق هذا المجال، بغرض إرواء عطش القراء المتشوقين لمعرفة هذه الأنساب، ولكن للأسف الشديد أن معظم هذه الكتب لا تعتمد على منهج بحث علمي دقيق يتوخى التوثيق، علاوة على أنها مليئة بالمغالطات، سواء من ناحية التفسير الخاطئ لبعض النصوص أو التلاعب ببعض النصوص وتفسيرها حسب الأهواء، أو الحكم بصحة النسب لمجرد تشابه الأسماء.

٢ـ إن هذا الموضوع يتطرق لأنساب قبيلة تعدّ من أكبر القبائل العربية التي انتشرت فروعها في جميع البلدان العربية، علاوة على أنها تمتلك سجلاً حافلاً بالأحداث التاريخية سواء في العصر الجاهلي أو صدر الإسلام، كما أنه يلقي الضوء على كيفية تحوّل هذه القبيلة من قبيلة تحاول أن تقضي على الدعوة الإسلامية في

مهدها إلى قبيلة مناصرة للدعوة، حيث اعتمد عليها الخلفاء الراشدون والأمويون بشكل كبير، وآثروا زعماءها بقيادة بعض الجيوش وولاية بعض البلدان.

٣ـ إن من ضمن الأهداف التي نرمي إليها من وراء هذه الدراسة هو تأسيس مدرسة منهجية حديثة للتأليف في الأنساب، تعتمد على التفصيل الدقيق لفروع القبائل القديمة كتابة وتشجيراً، ومحاولة الربط بينها حسب ما تجود به المصادر التاريخية، وهذا ما لم نجده في الدراسات السابقة التي تعرضت لتاريخ هذه القبائل، حيث ركزت على التاريخ السياسي مع التطرق لذكر بعض الأعلام، وأحياناً تشير إلى بعض الفروع المشهورة، فأرجو أن يوفقنا الله في ما نطمح إليه، لعل هذه المنهجية يستفيد منها من تنال قناعته.

٤ـ أما ما يخص الدراسات السابقة حول هذه القبيلة فعلى حد علمنا أنه لم يسبق التطرق لها كقبيلة مستقلة، وإن كان هناك بعض الجوانب من تاريخها الإسلامي الذي تطرق له الكثير من الباحثين كمعركة حنين وحصار الطائف، وقد اطلعنا مؤخراً على محاضرة طُبعت على شكل كتيب بعنوان "قبيلة هوازن ودورها في الفتوح الإسلامية" بقلم هزاع عيد الشمري، وهي عبارة عن سرد لأعلام هذه القبيلة ومصاهراتها مع قبيلة قريش. فنرجو أن يكون هذا البحث شاملاً لجميع الجوانب المتعلقة بهذه القبيلة، مع التركيز على الجوانب التي لم يسبق التطرق لها وخاصة فيما يتعلق بالأنساب والتفصيل فيها.

الإشكالية المحورية للموضوع وتحديده:

ومن أهم المشكلات التي يعالجها هذا البحث أن هناك بعض القبائل العربية القديمة التي تلاشت أسماؤها في عصرنا الحاضر كهوازن وغطفان وتغلب... وغيرها، وفي المقابل ظهرت قبائل حديثة انقطعت أصولها بالقبيلة الأم كمطير وعتيبة

وسبيع... الخ، فلعل في تتبع الفروع القديمة لهذه القبائل التي تلاشت أسماؤها وحصرها وإبرازها، مع ما يستجد من نشر مخطوطات جديدة ما يكون عاملاً مشجعاً يساعد الباحثين المهتمين بالأنساب في ربط هذه القبائل الحديثة بأصولها القديمة بطريقة منهجية سليمة.

أما بالنسبة لنطاق البحث الذي يعد من الأسس التي تعطي معنى الدراسة، فقد حددنا مجاله في قبيلة هوازن نسبها ودورها السياسي والاجتماعي، أما زمانه فقد حصرناه في دور هذه القبيلة خلال العصرين الجاهلي وصدر الإسلام، أي منذ نشوئها وحتى نهاية العصر الأموي سنة اثنتين وثلاثين ومائة من الهجرة، أما مايخص النطاق المكاني فهو بطبيعة الحال مقصور على الأماكن التي يتواجد فيها أفراد هذه القبيلة.

أسئلة البحث:

عندما قمنا بوضع أسئلة البحث كان أمامنا عدد من التساؤلات وهي كيف استطاعت قبيلة هوازن التي كانت في بداية أمرها من القبائل القيسية المستضعفة التابعة لزهير بن جذيمة العبسي أن تتخلص منه، وتصبح من القبائل القوية التي يشار إليها بالبنان؟، ثم كيف تحولت من قبيلة معادية للدعوة الإسلامية تريد القضاء عليها في مهدها إلى قبيلة مناصرة للدعوة في أحلك الظروف التي مرت بها أثناء حروب الردة؟، وأيضا كيف استطاع الخلفاء الراشدون والأمويون استغلال قدرات أبناء هذه القبيلة وتوظيفها في قيادة الجيوش وولاية البلدان؟.

أما المجال الذي تغطيه هذه الدراسة، فهو التطرق لأنساب هذه القبيلة ودورها السياسي والاجتماعي منذ نشوئها وحتى نهاية العصر الأموي.

أهمية البحث:

وبعد هذا العرض يتضح لنا أهمية دراسة هذا الموضوع دراسة علمية تقوم على الاستقراء والتحليل والاستنباط. ولا شك أن تتبع فروع هذه القبيلة وربط بعضها ببعض مهمة شاقة، ولا سيما إذا ما عرفنا قلة المؤرخين الذين ألّفوا في الأنساب، وأغلبهم يعد عالة على ابن الكلبي ، لذا سوف نحاول تعويض هذا القصور بتتبع أنساب المشاهير من أبناء هذه القبيلة من صحابة وعلماء وفرسان وشعراء، ومحاولة الاستفادة منها في ربط بعض الفروع ببعضها الآخر، وأملنا كبير في أن يوفقنا الله فيما سعينا إليه لنضيف لبنة جديدة في بناء المكتبة التاريخية العربية، ونثريها بدراسة علمية أكاديمية حديثة تبرز من خلالها شخصية الباحث، وهو ما ينص عليه منهج البحث التاريخي.

المصادر:

وبما أنه لا توجد مصادر أصلية معاصرة لفترة البحث، فقد حاولنا الاعتماد على المصادر القريبة من فترة البحث، وقد تنوعت هذه المصادر، فمنها مصادر تهتم بالأنساب، وأخرى تهتم بالأحداث السياسية، ومصادر تهتم بالنواحي الاجتماعية، وأخرى تعنى بالتراجم ككتب الطبقات والوفيات، ومصادر اهتمت بالنواحي الجغرافية مثل معاجم البلدان والرحلات، ومصادر ذات صبغة موسوعية "كالعقد الفريد" لابن عبد ربه، و"نهاية الأرب" للنويري.

أما المراجع الحديثة فقد انصب اهتمامنا بطبيعة الحال على المتخصص منها فيما أورده أصحابها من آراء وتحليلات، وقليل من المراجع الأجنبية في حدود ما استطعنا أن نرجع إليه بمعرفتنا وبمساعدة بعض الأساتذة الأفاضل، ويسرنا بهذه المناسبة أن نتقدم بالشكر الجزيل لزميلنا الأستاذ محمد الزهراني، مدرس اللغة

الإنجليزية، الذي يحمل درجة الماجستير في هذا المجال، على ما بذله من جهد في مساعدتنا في الأمور التي تتعلق بالترجمة.

أما أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة فقد كان لكل فصل أو موضوع مصادره التي تعنى به، ففي مجال الأنساب اعتمدنا على أربعة مصادر أساسية، وهي: "جمهرة النسب" لابن الكلبي، و"التعليقات والنوادر" للهجري، و"جمهرة أنساب العرب" لابن حزم، و"نهاية الأرب" للقلقشندي. وأما ما يخص العلاقات السياسية في العصر الجاهلي فقد اعتمدنا على ثلاثة مصادر أساسية، وهي: "الأغاني" لأبي الفرج الأصبهاني، و"النقائض" لأبي عبيدة، و"العقد الفريد" لابن عبدربه. أما الأحداث السياسية في العصر الإسلامي فقد اعتمدنا أيضاً على ثلاثة مصادر أساسية، وهي "المغازي" للواقدي، و"تاريخ الرسل والملوك" للطبري، و"الكامل في التاريخ" لابن الأثير. أما ما يتعلق بالتعريف بالأماكن فقد اعتمدنا كذلك على ثلاثة مصادر، وهي "معجم البلدان" لياقوت الحموي، و"معجم ما استعجم" للبكري، و"صفة جزيرة العرب" للهمداني. وهناك مصادر أصلية اعتمدنا عليها في مواضيع معينة، "كالطبقات الكبرى" لابن سعد في ما يتعلق بوفود القبيلة على النبي ﷺ ، و"المحبر" لابن حبيب، و"الكامل" للمبرد فيما يتعلق بالنواحي الاجتماعية، و"القاموس المحيط" للفيروزآبادي، و"النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير الجزري فيما يخص معاني بعض الكلمات المهجورة. و"الأصنام" لابن الكلبي و"تاريخ اليعقوبي" فيما يخص المعتقدات الدينية في العصر الجاهلي.

منهج الأطروحة:

أما فيما يتعلق بالمنهج العلمي في كتابة البحث فسنعتمد بمشيئة الله على المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي، والمصادر التاريخية الأصلية المطبوعة والمخطوطة،

بالإضافة إلى الآراء الواردة في بعض المراجع الحديثة، بما في ذلك الكتب والمقالات المنشورة في مختلف الدوريات.

أما ما يخص تقسيم هذا المبحث فقد قسمناه إلى ستة فصول، يسبقها تمهيد عن أحوال القبائل العربية في الجاهلية والقوى السياسية المحيطة بها، وقد حاولنا بقدر الإمكان تحقيق التوازن بين هذه الفصول، مع محاولة مراعاة التسلسل الزمني ووحدة الموضوع، وهي كالتالي:

الفصل الاول: بعنوان "أنساب القبيلة ومنازلها"، وقد تطرقنا فيه إلى أهمية علم الأنساب وبعض الأمور التي يجب التنبه لها عند البحث فيه، ثم تطرقنا لأصول القبيلة وفروعها الرئيسة، ومن ثم التفصيل فيها، ثم ختمنا هذا الفصل بالتطرق لمنازل القبيلة في فترة البحث.

الفصل الثاني: بعنوان "العلاقات السياسية بين قبيلة هوازن والقبائل المجاورة لها في الجاهلية"، وقد تطرقنا فيه لعلاقة قبيلة هوازن مع هذه القبائل، وهي في الغالب علاقات عدائية اقتضتها طبيعة التنافس القبلي لأسباب مختلفة.

الفصل الثالث: بعنوان "موقف قبيلة هوازن من الدعوة الإسلامية"، وقد قسمنا هذا الموقف إلى أربع مراحل: مرحلة الرفض والمناوشات، ثم غزوة حنين والمواجهة الحقيقية، ثم مرحلة التسليم وقدوم الوفود، وأخيرا مرحلة الثبات والنصرة في حروب الردة.

الفصل الرابع: بعنوان "الدور السياسي لقبيلة هوازن في الأحداث الداخلية خلال العهدين الراشدي والأموي"، وقد تطرقنا فيه إلى موقف قبيلة هوازن من فتنة مقتل الخليفة عثمان ﵁ والأحداث المترتبة عليها، ومن ثم تطرقنا لجهود الولاة الهوازنيين في تثبيت دعائم الحكم الأموي، الذي يتمثل في القضاء على المنافسين لهم

في الخلافة كالحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وكذلك ضبط الأمور في العراق والقضاء على حركات الخوارج هناك، ومن ثم ختمنا الفصل بموقف قبيلة هوازن من الصراع بين الأمويين والعباسيين حول السلطة.

الفصل الخامس: بعنوان "دور قبيلة هوازن في الفتوح الإسلامية"، وقد تطرقنا فيه إلى مساهمات القبيلة في فتوح الشام، وكذلك مساهماتهم في فتوح بلاد فارس وإفريقية.

الفصل السادس: بعنوان "الدور الاجتماعي"، وقد تطرقنا فيه إلى المجتمع الهوازني وبعض العادات والتقاليد التي كانت موجودة آنذاك، ومن ثم تطرقنا للأنشطة الاقتصادية لهذه القبيلة بقسميها المجتمع المدني وسكان البوادي، ومن ثم تناولنا النظم السياسية الموجودة لدى القبائل العربية في العصر الجاهلي، ومن ثم عرجنا على إسهامات هذه القبيلة في المجالات العلمية والإصلاحات الإدارية، ثم ختمنا الفصل بالتطرق للمعتقدات الدينية لأفراد هذه القبيلة في العصر الجاهلي.

هذا وقد أنهينا الرسالة بخاتمة وضحنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا المبحث، كما ذيلنا الرسالة بمقال حاولنا فيه أن نربط قبيلة عتيبة الحالية بأصولها الهوازنية، لأن من ضمن الأهداف التي نرمي إليها من خلال البحث في علم الأنساب هو ربط القبائل الحديثة بأصولها القديمة. وكذلك زودنا الرسالة ببعض الخرائط التي توضح بعض المواقع التي مرت معنا أثناء البحث.

ونود أن ننبه القارئ الكريم أننا قد التزمنا التواريخ الهجرية مكتوبة بالحروف تبعاً لطريقة السلف من مؤرخينا، وقابلناها بالتواريخ الميلادية مكتوبة بالأرقام. ولابد

أن نذكر أننا قد استعنّا في هذه المقابلات بجداول تحويل السنين الهجرية إلى مـــا يقابلها من التواريخ الميلادية التي أعدها الدكتور إبراهيم جمعة.

تمهيد:

أحوال القبائل العربية في الجاهلية والقوى السياسية المحيطة بهم

لقد درجنا على إطلاق كلمة الجاهلية والعصر الجاهلي على الفترة التي سبقت ظهور الإسلام، ولكن ماذا نقصد بهذه التسمية؟ ومن أين أخذناها؟ ومتى بدأ ظهورها لدينا؟ يقول جواد علي: هو اصطلاح مستحدث ظهر بظهور الإسلام وأطلقه المؤرخون على الفترة التي سبقت ظهور الإسلام للتفريق والتمييز بينها وبين الحالة التي أصبحوا عليها بعد البعثة، وقد تطرق لمناقشة مدلول كلمة الجهل وماذا يقصد بها؟ هل المقصود بها المعنى المتبادر إلى الذهن الذي هو مقابل العلم كالجهل بالقراءة والكتابة؟، أو الجهل بالشرائع السماوية تحديداً؟، أم المقصود بها التيه والكبر والتفاخر بالأحساب والأنساب؟، أو أنها تعني السفه والتعدي على حقوق الآخرين وسلبها من غير وجه مشروع؟[1].

وما نراه حول هذه التسمية هو أن المسلمين أنفسهم هم من أطلقوا هذه التسمية على عصرهم الذي كان قبل النبوة بعدما انتشرت فيهم التعاليم الإسلامية وعرفوا ما فيها من الحق، وماكانوا عليه من الجهل والضلال قبل ذلك، فكان أحدهم يأتي إلى النبي ﷺ ويقول: يا رسول الله، كنت امرءاً في الجاهلية، ويا رسول الله كنا في الجاهلية نفعل كذا وكذا، ثم جاء القرآن الكريم مؤيداً لهذه التسمية التي أطلقوها على عصرهم في عدة آيات كقوله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ}[2]، وقوله {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ }[3]. وقد وردت هذه التسمية

---

[1] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٧٠م. جـ ١ ص٣٧– ٣٨.

[2] سورة المائدة، آية٥٠.

[3] سورة الأحزاب، آية ٣٣.

على لسان النبي ﷺ كقوله لأحد أصحابه:"إنك امرؤ فيك جاهلية"[1]. أي فيك بعض السلوكيات التي هي من طبائع الجاهلية، ومما يدل على أن المقصود بالجاهلية عند الأولين الفترة التي قبل الإسلام قوله ﷺ: "إن قريشاً حديثو عهد بجاهلية"[2] وقوله ﷺ لعائشة: "لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية...الخ"[3].

ويذكر جواد علي أن النصارى كانوا يطلقون على الفترة التي سبقت مولد المسيح اسم الجاهلية أيضاً، استهجاناً منهم لتلك الفترة وماكان عليه أهلها من الجهل وعبادة الأوثان[4]. لذا نستطيع القول بأن كل جيل عاش في ظل فترة ساد فيها الجهل الشرعي والانفلات الأمني، ثم عادت أموره إلى الوضع الطبيعي من الأمن والاستقرار، يطلق هذا المسمى على فترته السابقة التي عاشها، ومن الشواهد التي تؤيد ذلك أننا عندما نتحدث مع آبائنا وأجدادنا نجدهم يصفون الفترة التي عاشوها قبل توحيد المملكة العربية السعودية بالجاهلية وهناك من أشعارهم الشعبية مايؤكد إطلاقهم هذا المسمى على تلك الفترة.

وعلى أية حال فقدكانت حياة القبائل العربية في الجاهلية تفتقد إلى الاستقرار، فهم في حروب دائمة سواء أكانت هذه الحروب لأسباب وجيهة أو تافهة، فنجد حرباً ضروساً كحرب البسوس تمتد لأربعين سنة لأجل قتل ناقة، وأخرى كحرب داحس والغبراء تمتد زمناً طويلاً من أجل سباق فرسين؛ لأن الإنسان العربي حاد بطبعه ولا يقبل الإهانة أو الظلم مهما تكن قوة الطرف المقابل. وعلى الرغم من أن هذه الحروب قد ساهمت إلى حد كبير في إضعاف

---

[1] الزبيدي، مختصر صحيح البخاري المسمى (التجريد الصحيح). ط٤. تحقيق إبراهيم بركة ومراجعة أحمد راتب عرموش. دار النفائس. بيروت ١٤١١هـ. جـ ١ ص٣٠.

[2] الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير). ط٢. أشرف على طبعه زهير الشاويش. المكتب الإسلامي. بيروت ١٤٠٦هـ. جـ ١ ص٤٢٩.

[3] المصدر نفسه جـ٢ ص٩٤.

[4] جواد علي، المفصل جـ ١ ص٣٧.

العرب وتفتيت وحدتهم السياسية، إلا أنه كان لها بعض الإيجابيات وخاصة في ما يتعلق بتعلم فنون الفروسية والمهارة في القتال، وأيضاً ما يتعلق بالأدب والشعر ومكارم الأخلاق، فقد أسهمت هذه الحروب في بروز العديد من الشعراء الذين أسهموا بشكل كبير في إثراء الأدب وحفظوا لنا كثيراً من تاريخ هذه الحقبة التاريخية، وقد كانت أشعارهم شاهداً على ما يتحلون به من الصفات الحميدة كالشجاعة في المعارك والإقدام على مقارعة الخصوم، وكذلك كانت تعكس مدى ما يتحلّون به من مكارم الأخلاق كالوفاء بالعهود والعفو عند المقدرة وحفظ حق الجوار... الخ. يقول عنترة بن شداد العبسي:

يخبرك من شهد الوقيعة أنني   أغشى الوغى وأعف عند المغنم[١]

ويقول في بيت آخر:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي   حتى يواري جارتي مأواها[٢]

ومن الأسباب التي أدت إلى عدم الاستقرار الجفاف الذي تعانيه شبه الجزيرة العربية بوجه عام، ووسطها بشكل خاص، فهم في تنقل دائم للبحث عن الماء والكلأ؛ وكثيراً ما تقع بينهم الحروب على مواقع القطر، فكل قبيلة تريد أن تستأثر به دون سواها، والقبيلة التي تخسر الرهان في هذه المعركة تتربص الفرص بتلك القبيلة المنتصرة لكي تأخذ بثأرها وتمحو العار الذي لحق بها[٣]. ومن أهم الأسباب كذلك التي أدت إلى الصراع بين هذه القبائل، أن هذه القبائل تعتبر الغزو والاستيلاء على ممتلكات الآخرين وسيلة من وسائل الكسب المشروعة المؤدية إلى

---

[١] محمد مولوي، ديوان عنترة. تحقيق ودراسة. المكتب الإسلامي. القاهرة ١٩٦٤م. ص٧٤.

[٢] المصدر نفسه ص٣٠٨.

[٣] ابن الأثير، الكامل في التاريخ. دار صادر. بيروت ١٣٨٥هـ. جـ١ ص٥٨٣.

الثراء السريع، فكان الجميع دائماً على أهبة الاستعداد لصد أي غارة محتملة مـــن القبائل المعادية[1].

أما القوى السياسية المحيطة بجزيرة العرب قبل البعثة المحمدية، ففي الشمال الشرقي كانت هناك دولة الفرس المتمركزة في بلاد العراق وإيـــران، وفي أقصـــى الشمال دولة الروم المتمركزة في بلاد الشام، وكانت هناك دولتان عربيتان إحداهما دولة المناذرة في جنوبي العراق، وهي خاضعة للدولة الفارسية، والأخـــرى دولـــة الغساسنة في جنوبي سورية جهات حوران، وكانت خاضعة للدولة البيزنطية. وقد أدى اختلاف الولاء بين هاتين الدولتين العربيتين إلى وقوع الكثير مـــن الحـــروب بينهما، وما زالت تلك هي حالتهما حتى اجتاحتهما الجيوش الإسلامية فدخلتا في عداد الجيوش العربية الإسلامية[2].

أما بلاد اليمن فكانت هناك الدولة الحميرية. وفي مطلـــع القـــرن الســـادس الميلادي احتل الأحباش اليمن[3] ومكثوا فيها إلى أن تمكن الفرس من إجلائهم بعد استجابتهم العاجلة لاستنجاد سيف بن ذي يزن بهم[4]؛ ذلك لأن الأحباش يعتبرون من الموالين للدولة البيزنطية، العدّوة اللدود للفرس، ولكن الفرس ما لبثوا أن استولوا على اليمن بعد وفاة سيف بن ذي يزن، بيد أن نفـــوذهم بـــدأ يضـــعف نظـــراً للاضطرابات الداخلية في الدولة الفارسية حتى جاءت الجيوش الإسلامية ودخلـــت اليمن فأصبحت منذ ذلك العهد ولاية إسلامية[5].

---

[1] أبو عبيدة، النقائض (نقائض جرير والفرزدق). ط٢. وضع حواشيه محمد أحمد عبد العزيز سالم. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٢٨هـ. جـ١ ص٢٠.

[2] Henri Masse: L´lslam. paris .p.13-14.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ جـ١ ص٤٣١.

[4] المصدر نفسه، جـ١ ص٤٤٧.

[5] الطبري، تاريخ الرسل والملوك. ط٤. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة ١٣٨٧هـ. جـ٣ ص١٣١.

مدخل إلى علم الأنساب

أهمية علم الأنساب

مما لا شك فيه أن معرفة الأنساب من الأمور المطلوبة والمعارف المندوبة لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية كالعلم بنسب النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، ولا يعذر المسلم في عدم معرفة ذلك[١]. ومنها التعارف بين الناس كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}[٢] لما فيه من التواصل وصلة الرحم، فقد ورد عن النبي ﷺ "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر"[٣]. وأيضاً لما يترتب عليه من تقسيم المواريث كمعرفة أقارب المتوفى، ومن هو الأحق بعصبته حسب أحكام الشريعة الإسلامية، ومن هو الأقرب في حالة الولاية على القُصَّر، ومن هو الأولى في عقد النكاح في حالة فقدان الولي. ومنها أيضاً اعتبار الكفاءة في النسب عند المصاهرة، فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قوله: (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها... الخ الحديث)[٤]. وورد في الحديث أيضاً: "العرب بعضهم لبعض أكفاء والموالي بعضهم لبعض أكفاء"[٥].

وأيضاً ما يتعلق بالإمامة السياسية، فقد ثبت عنه ﷺ قوله: (قدموا قريشاً ولا تَقدَّموها...)[٦] وهو الحديث الذي حسم به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حديث

---

[١] القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب. دار الكتب العلمية. بيروت. بدون تاريخ. ص١٣.

[٢] سورة الحجرات، آية ١٣.

[٣] الألباني، الجامع الصغير جـ١ ص٥٧٠.

[٤] القرطبي، تلخيص صحيح مسلم. تحقيق رفعت فوزي وأحمد الخولي.دار السلام. القاهرة ١٤٠٩هـ. جـ١ ص٦٦٧.

[٥] محمد عثمان القاضي، منهاج الطلب عن مشاهير العرب. ط٢. المطابع الوطنية للأوفست. عنيزة ١٤٠٨هـ. ص١١.

[٦] الألباني، المصدر السابق جـ٢ ص٨٠٨.

السقيفة بين المهاجرين والأنصار[١]، وأيضاً ما يتعلق بأحكام العاقلة[٢] في الديـــة، حيث تضرب على البعض دون البعض الآخر، وأيضاً ما يخصصه بعض المتوفين من أوقاف لبعض الأقارب ولاسيما إذا خص بعض الطبقات دون بعض[٣].

أضف إلى ذلك أن معرفة الرجل بالقبيلة التي ينتسب إليها يحمله على البعـــد عن رذائل الأمور وسفاسفها حتى لا يجلب المسبّة للقبيلة التي ينتمي إليها. وكذلك ما يحدث من الاستماتة في القتال عند اشتداد المعارك، وخير دليل على ذلك ما فعله خالد بن الوليد عندما استعصت عليه حديقة اليمامة حيث دعا زعماء القبائل وعقد لهم الألوية على قبائلهم وكلفهم بمواقع معيّنة، وذلك لبث روح الحماس والتنـــافس بينهم، وبهذه الخطة الحكيمة حقق الله على أيديهم النصر[٤].

ومن الأمور التي تدل على أهمية علم الأنساب ما ذكره ابن الكلـــبي حيـــث يذكر أن أبناء قيس بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة انقرضوا جميعاً، وآخر من هلك منهم رجل بالعراق أيام ولاية خالد بن عبد الله القسري في خلافة هشام بن عبد الملك، فبقي ميراثه لا يدرون من الأحق به[٥]، وأيضاً ما ذكره بـــن حزم حيث قال: وفي عام اثنين وعشرين وأربعمائة من الهجرة /١٠٣٠م توفي محمد ابن عبيد الله بن عبد الله بن عبد الله بن مروان بن عبد الله بن مسلمة بن عبدالرحمن (الداخل) بن معاوية فأخذت ميراثه، وورثته محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن سعيد الخير بن عبد الرحمن بن معاوية، ولم يكن لديه

---

[١] القلقشندي، نهاية الأرب ص١٤.

[٢] العاقلة: عاقلة الرجل عصبته وهم القرابة من قبل الأب الذين يدفعون دية من قتله خطأ (الرازي، مختار الصحاح. عني بترتيبه محمود خاطر. دار الحديث. القاهرة. بدون تاريخ. ص٤٤٧.

[٣] القلقشندي، المصدر السابق ص١٣.

[٤] ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٣٦٣.

[٥] ابن الكلبي، جمهرة النسب. تحقيق ناجي حسن. عالم الكتب. بيروت ١٤٠٧هـ. ص٢٣.

علم بذلك. فلولا علمي بالأنساب لضاع هذا المال وذهب لمن لا يستحقه[1]. ومن هذين المثالين يتضح لنا ضرورة الاهتمام بعلم الأنساب وتدوينه، ففي المثال الـــذي ذكره ابن الكلبي يصعب الإحاطة بورثة هذا الرجل الذي قد لا يلتقون معـــه إلا في الجد الثالث عشر على أقل تقدير ما لم يكن هناك تدوين للأنساب.

أقسام العرب:

اتفق أغلب المؤرخين على أن العرب ينقسمون إلى قسمين: عـــرب عاربـــة وعرب مستعربة[2]، ولكن من هم العرب العاربة؟ ومن هم العرب المستعربة؟ ففي حين يذكر ابن إسحاق والطبري أن العرب العاربة هـــم عـــاد وثمـــود وطســـم وجديس... وغيرهم من الأمم البائدة. والمستعربة هم بنو قحطان بن عـــابر وبنـــو إسماعيل عليه السلام، لأن لغة عابر وإسماعيل عليه السلام كانت أعجميـــة، إمـــا سيريانية أو عبرانية، فتعلّم بنو قحطان العربية من العرب العاربة الـــذين كـــانوا في زمانهم، ثم تعلّم بنو إسماعيل العربية من أخوالهم قبيلة جرهم القحطانية حين نزلـــوا عليهم. نجد أن القلقشندي يذكر نقلاً عن صاحب "تاريخ حماة" أن بني قحطان هم العرب العاربة، وأن المستعربة هم بنو إسماعيل عليه السلام[3].

وقد رجح ابن خلدون الرأي الأول محتجاً بأنه لم يكن في بني قحطان مـــن زمن نوح عليه السلام إلى عابر من تكلم العربية، وإنما تعلموها نقلاً عمّـــن كـــان قبلهم من عاد وثمود وغيرهم من معاصريهم[4]. أما فيما يتعلق بأصول العرب فـــإن المؤرخين على مختلف أجناسهم يكادون أن يجمعوا على أن العرب مـــن الأصـــول

---

[1] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب. راجعه لجنة من العلماء بإشراف الناشر. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٠٣هـ. ص٦.

[2] يقول القلقشندي: "وأما أنواع العرب فقد اتفقوا على تنويعهم إلى نوعين عاربة ومستعربة" (القلقشندي، نهاية الأرب ص١٨.

[3] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[4] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ضبط المتن ووضع الحواشي خليل شحاده وراجعه سهيل زكار. دار الفكر. بيروت ١٤٠١هـ. جـ٢ ص٥٣.

السامية التي تنسب إلى سام بن نوح عليه السلام، ولديهم بعض الدلائل والشواهد التي لا يسمح المجال هنا ببسطها وشرحها.

أما ما نراه ونميل إليه من خلال مطالعاتنا في كتب التاريخ والأنساب حول هذا الاختلاف، هو ما ذكره القلقشندي آنفاً: من أن العرب العاربة هم بنو قحطان، والعرب المستعربة هم بنو إسماعيل؛ لأنه من وجهة نظرنا الأقرب للصواب لاستفاضته بين المؤرخين والنسابين، غير أنه لا ينبغي حصر العرب في ذرية إسماعيل عليه السلام؛ لأن عائشة رضي الله عنها عندما نذرت أن تعتق رقبة من ولد إسماعيل أمرها رسول الله ﷺ أن تعتق من قبيلة بني العنبر التميمية المضرية العدنانية، مما يدل على أن في العرب من ليس من ذرية إسماعيل عليه السلام، وفي هذا دلالة على بطلان من يقول إن قحطان من ذرية إسماعيل عليه السلام [1]. أما مايتعلق بالأصول القريبة للعرب، فنرجح ما ذهب إليه ابن حزم أن العرب يرجعون في أصولهم إلى ثلاثة رجال: عدنان وقحطان وقضاعة[2] التي هي موضع جدل كبير بين النسابين، هل هي عدنانية أم قحطانية؟، وقد رجّح ابن عبدالبر أنها عدنانية[3]، ولكن لا نسلم بانحسار نسل عدنان في رجلين هما معد وعك بل هناك جدود كثيرة غيرهما؛ لأن الفترة الزمنية بينهما وبين انتشار الناس وتفرقهم إلى شعوب وقبائل قصيرة جداً.

أما عن أقدم النصوص التي ذكر فيها كلمة عرب فهو نص أشوري يعود إلى الملك الأشوري (سلمنصر الثالث) الذي خاض في عام ٨٥٣ق.م معركة شرسة في قرقر، شمال حماة، ضد ملك دمشق الأرامي (بنحدد) الذي هاجمه بمناصرة حلفاء عديدين من بينهم (جندب) أو (جنديبو)، أحد مشائخ العرب، ولكن سلمنصر

[1] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٤٦١– ٤٦٢.

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] ابن عبدالبر، الإنباه على قبائل الرواه. تحقيق إبراهيم الأبياري. دار الكتاب العربي. بيروت١٤٠٥هـ. ص٣١. انظر أيضاً: جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام. دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦٦م. ص٢٢٧.

انتصر عليهم، مما جعله يخلّد انتصاره هذا على نصب تـذكاري جـاء في الـنص المنقوش عليه: "قرقر عاصمته الملكية أنا خربتها، أنا دمرتها، أنا أحرقتها بالنار، ... عشرون ألف جندي لحدد عازر (بنحدد) صاحب أرام (دمشق)، ألف جمل لجندب (العربي Al-Urbi... الخ)[1]. حيث يعدد النص: اثنا عشر ملكاً تحالفوا ضده في هذه المعركة[2]. أما أقدم ذكر لكلمة عرب في النصوص العربية فهو (نقش النمارة) الذي ينسب إلى امرئ القيس بن عمرو، وهو يعود إلى القرن الرابع الميلادي، وقد جـاء فيه "امرؤ القيس بن عمرو، ملك العرب كلهم، الذي حاز التاج، وملك الأسدين (الأسديين) ونزار وملوكهم وهزم مذحجاً، ...الخ"[3].

أمور يجب التنبيه عليها في علم الأنساب:

الأول: يكاد يتفق المؤرخون على أن النسب على ست مراتب، وهي علـى حسب ترتيب الماوردي: الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة. كما يذكر أن الأنساب إذا تباعدت صارت القبائل شعوباً والعمائر قبائل والبطون عمائر والأفخاذ بطوناً والفصائل أفخاذاً، والحادث من النسب بعد ذلك فصائل. وهناك من زاد العشيرة كمرتبة سابعة وجعلها قبل الفصيلة، وهناك من اعتمد هذه الرتب ولكن بشيء من التقديم والتأخير[4].

الثاني: قال ابن حزم: إن جميع القبائل العربية ترجع إلى أب واحد ماعدا ثلاث قبائل هي:- تنوخ وغسان والعتق، حيث جمعتهم تحالفات معينة لأسباب مختلفة[5].

---

[1] توفيق برّو، تاريخ العرب القديم ص٤٩.

[2] فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين. ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق. أشرف على مراجعته وتحريره جبرائيل جبور. دار الثقافة. بيروت ١٩٨٢م. جـ١ ص١٧٩.

[3] توفيق برو، المصدر السابق ص٥٢.

[4] الماوردي، الأحكام السلطانية. دار الباز للنشر والتوزيع. مكة المكرمة. ص٢٠٤– ٢٠٥ .

[5] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٤٦١.

الثالث: أن أفراد الفصائل يجوز لهم الانتساب إلى جميع المراتب العليا، فكل هاشمي قرشي، وكل قرشي مضري، ولكن ليس كل مضري قرشيّاً، وليس كل قرشي هاشميّاً. كما يجوز الجمع بين الطبقة السفلى والطبقة العليا، كأن يقال الهاشمي القرشي، كما يرى بعضهم جواز تقديم العليا على السفلى كأن يقال: القرشي الهاشمي(١).

الرابع: أن انتساب الرجل إلى مذهبه أو مدينته أو منطقته لا يعني عدم قبليته، كما هو الحال لدى الإمام مسلم بن الحجاج، فهناك من ينعته بالنيسابوري نسبة إلى مدينته نيسابور، مع العلم أنه عربي صميم من قبيلة قشير الهوازنية، وهذا أمر نلاحظه كثيراً لدى المشتغلين بالعلم، وهو إخفاء أنسابهم تحت مسميات مدنهم، وذلك لعدة اعتبارات معّينة كالخوف من الأخذ بالثأر أو الانتقام من بعض الولاة أو الغزاة(٢).

الخامس: أن نزوع الرجل من قبيلته إلى قبيلة أخرى أمر معروف منذ زمن الجاهلية، ولا يعدّ ذلك عيباً، فكثيراً ما نطالع في كتب الأنساب: فلان حليف آل فلان، ولكن الغريب في زماننا هذا أن هناك من ينظر إلى هذا الأمر بعين الازدراء ويعدّون ذلك مسبة، وهو ليس كذلك، فغالباً لا يترع إلا الرجال الأكفاء. كما أن القبائل لا تستقبل إلا من يكافئها في النسب والمكانة الاجتماعية.

السادس: يجب على الباحث في علم الأنساب أن ينظر إلى المكان الذي ألف منه عالم الأنساب كتبه، فكلما كان المكان قريباً من مواطن القبائل التي أرخ لأنسابها كانت معلوماته أقرب للصواب.

---

(١) القلقشندي، نهاية الأرب ص٣٠.

(٢) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح. تحقيق نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٠٦هـ. جـ٧ ص٧٢.

الفصل الأول:

أنساب قبيلة هوازن ومنازلها

أصول قبيلة هوازن وفروعها الرئيسة:

المعنى اللغوي لهوازن

هوازن في اللغة جمع هوزن، وهو ضرب من الطير، وقد سمت العرب هـوزن وهوازن[١]. وفي الاصطلاح اسم قبيلة عربية اعتبرها المؤرخون من أثافي القبائـل في الجاهلية[٢].

التعريف بالقبيلة وفروعها:

تعتبر قبيلة هوازن من القبائل القيسية المضرية، تنسب إلى هوازن بن منصـور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان (الناس) بن مضر بن نزار بن معد[٣]، وهـو معاصر تقريباً لمالك بن النضر بن كنانة، الجد الجامع لقريش، والجد الثـاني عشـر للمصطفى محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة والسلام، ويلتقي معـه في الجـد السابع مضر بن نزار بن معد. لذا يكون مولده في أوائل القرن الثالث المـيلادي، تقريباً. وقد انحصر عقبه في ابنه بكر الذي له ثلاثة من الأبناء هم: بنو منبه بن بكر (ثقيف)، وبنو سعد بن بكر (بنو سعد الحضنة)، وبنو معاوية بن بكر، وقد اشـتهر منهم ثلاثة فروع (بنو نصر وبنو جشم وبنو عامر)، وسوف نأتي على كلٍ منهـا بالتفصيل.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الانتساب إلى هذا الجد العظيم رغم شهرته، قليلـة جداً إن لم تكن نادرة، فأكثر أبنائه ينتسبون إلى فروعهم كـالثقفي، والنصـري، والجشمي، والسعدي، والعامري... الخ.

---

[١] ابن دريد، الاشتقاق. ط٣. تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة ١٣٧٨هـ. ص٢٩١.

[٢] ابن حبيب، المحبر. اعتنى بتصحيحه د. إيلزه ليختن شتينز. دار الآفاق الجديدة. بيروت. ص٢٣٤.

[٣] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣١١. لقد كثر اختلاف النسابين حول عيلان هل هو حاضن قيس أو عبده أو كلبه ولكن الذي يظهر لنا أن الصحيح ما ذهب إليه ابن عبدالبر أنه والده واسمه الناس.بدليل قول زهير بن أبي سلمى:
إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية من المجد من يسبق إليها يسبق (ابن عبدالبر، الإنباه على قبائل الرواه ص٦٦).

تفرعات القبائل المضرية:
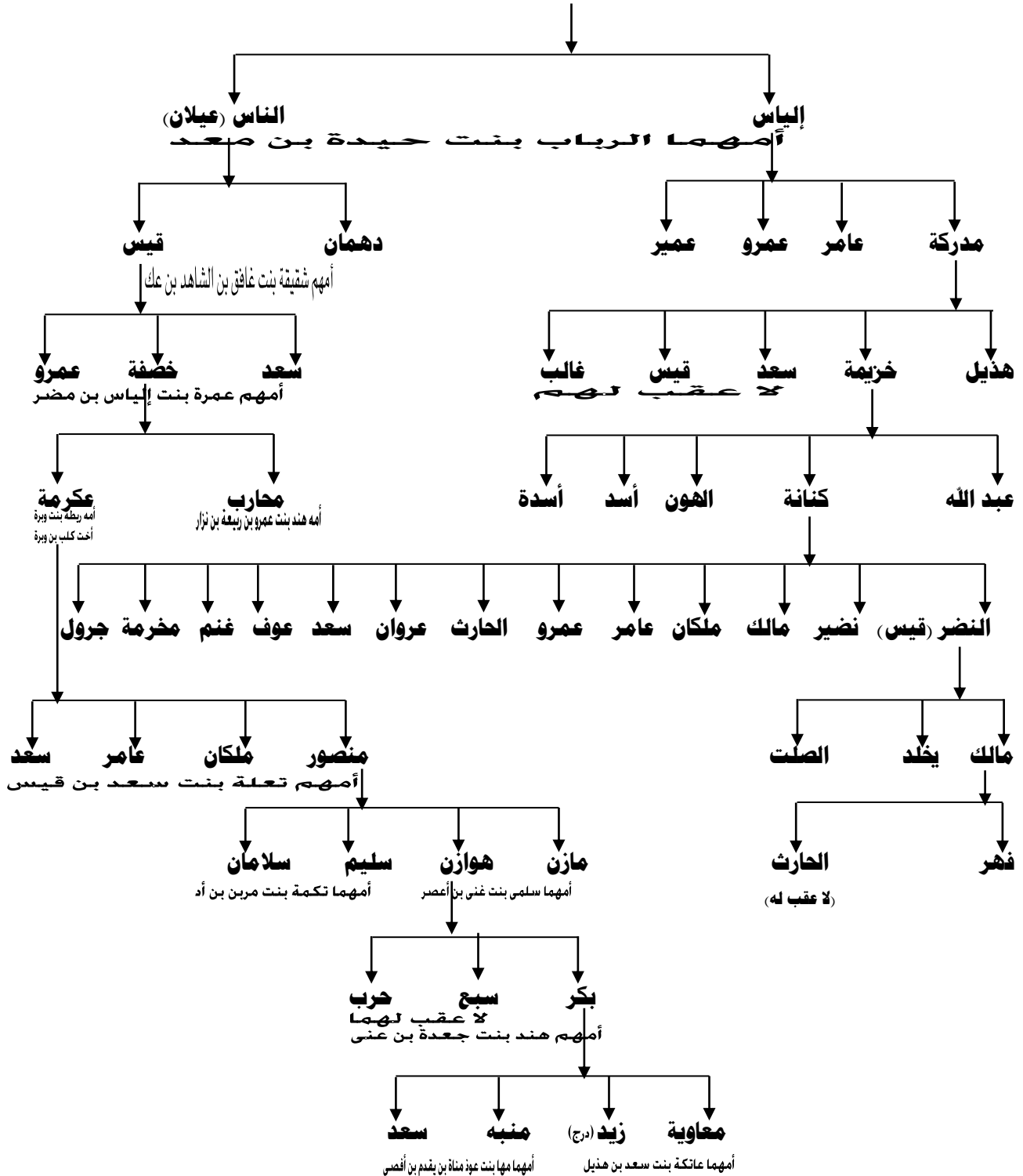
وهكذا نرى أن جميع الفروع الهوازنية تنحدر من بكر بن هوازن وفي ما يلي بيانها:

---

[1] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٢٠– ٢١ ، ٣١١–٣١٢.

(١) ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٨٥– ٣٩٢.
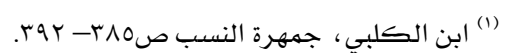
لقد اختلف المؤرخون في نسب ثقيف، فمنهم من قال إنهم من إياد، ومنهم من قال إنهم من بقايا ثمود[1]. ولكن الذي عليه غالبية المؤرخين المهتمين بالأنساب كابن الكلبي وابن حزم والقلقشندي وغيرهم أنهم أبناء قِسِي بن منبه بن بكر بن هوازن[2]، وقد سُمي قسي ثقيفاً لأنه ثقف في حرفة الزراعة[3]، وقد ذكر الفيروزآبادي أن ثقيفاً أبو قبيلة من هوازن واسمه قسي[4]. وقال صاحب "نزهة الجليس": والذي اجتمع عليه أهل السِّيَر أن أبا ثقيف منبه بن بكر بن هوازن[5].

وقد أشار القلقشندي إلى هذا الاختلاف بقوله: "زعم بعض النسابين أن ثقيفاً من بقايا ثمود، وكان الحجاج إذا سمع ذلك يقول: كذبوا، قال الله تعالى: {وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى}"[6]. ولعل مرد هذا الاختلاف إلى بعض الأخطاء الشائعة لدى معظم المؤرخين في استعمال كلمة ثقيف وهوازن ككلمتين معطوفتين،كقولهم وجاءت هوازن وثقيف، مما يعطي انطباعاً لدى القارئ أن ثقيفاً قبيلة مستقلة وليس لها أيّ صلة بهوازن. وكنا من ضمن الذين يعتقدون ذلك، ولكن عندما رأيناهم يستخدمون أيضاً كلمة بني عامر وهوازن ككلمتين معطوفتين أدركنا أن ذلك من الأخطاء الشائعة لديهم، لذا وجب التنبيه عليها. وأيضاً قد يكون من الأسباب التي أدت إلى تشويه نسب هذه القبيلة ما يكنّه المسلمون للحجّاج بن يوسف الثقفي من كراهية لشدة تعسفه وقتله لسعيد بن جبير. ويذكر عبد الجبار منسي أن هذا هو

---

[1] ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. جـ٤. تحقيق محمد عبدالقادر خريسات ورفاقه. مركز زايد للتراث والتاريخ. العين ٢٠٠١م. ص١٦٤.

[2] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٨٥؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٦٦. القلقشندي، نهاية الأرب ص١٨٦.

[3] البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. حققه وقدم له ووضع فهارسه جمال طلبة. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤١٨هـ. جـ١ ص٦١.

[4] الفيروزآبادي، القاموس المحيط. تحقيق مكتب التراث. مؤسسة الرسالة. ص١٠٢٧.

[5] الحسيني، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس. بدون تاريخ . جـ٢ ص٢٤٨.

[6] سورة النجم، آية ٥١. ابن عبدالبر، الإنباه على قبائل الرواة ص٣٤.

النسب الذي يتمسك به معظم أبناء القبيلة، وعليه بنيت عصبيتهم ومفاخرهم[١]. ويؤيد هذا القول ما ذكره القرطبي أن الإجماع قد وقع على أن ثقيف بن منبه في قيس عيلان[٢].

وعلى أية حال فقبيلة ثقيف من فروع هوازن المشهورة التي حفلت بالعديد من الولاة والقواد الأفذاذ الذين كانت لهم الكثير من المساهمات في الفتوحات الإسلامية، كما سيتضح ذلك فيما بعد، والآن نتناول أهم فروعها وهي كما يلي:

تنقسم قبيلة ثقيف إلى فرعين رئيسين هما: جشم، وعرفوا ببني مالك؛ لأن عقبهم انحصر في مالك بن حطيط بن جشم؛ وعوف وهم (الأحلاف)، وقد سمّوا بذلك لأن بني غاضرة بن حطيط تحالفوا معهم ضد إخوتهم بني مالك[٣]. وإليكم الآن بعض الفصائل التي اشتهرت من هذين الفرعين:

أولاً ـ جُشَم (بنو مالك):

١) **بنو سالم** بن مالك بن حطيط بن جشم، ومن مشاهيرهم عبد ياليل بن سالم، وابنه ربيعة الشاعر، والسائب بن الأقرع بن عوف بن جابر بن سفيان[٤].

٢) **بنو حُبيِّب** بن الحارث بن مالك بن حطيط بن جشم، الذين منهم عثمان ابن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب حامل لواء المشركين يوم حنين[٥].

---

[١] عبد الجبار منسي، الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية. ط٢. دار الرفاعي. الرياض ١٤٠٣هـ. ص٣٥.

[٢] القرطبي، التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب. تحقيق وتعليق سعد عبدالمقصود ظلام. دار المنار. القاهرة ١٤٠٧هـ /١٩٨٦م. ص٨٣.

[٣] ابن قتيبة الدينوري، المعارف. ط٢. تحقيق ثروت عكاشة. دار المعارف المصرية. القاهرة ١٩٦٩م. ص٩١.

[٤] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٩١– ٣٩٢.

[٥] المصدر نفسه ص٣٩١.

٣) **بنو يَسَار** بن مالك بن حطيط بن جشم، الذين منهم عثمان بن أبي العاص ابن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن دهمان[١].

٤) **بنو نُمير** وهم غير قبيلة نمير المشهورة، فهم أبناء نمير بن خرشة بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيط، منهم الشاعر محمد ابن عبدالله بن نمير بن خرشة، صاحب الركب، لقوله في قصيدة له: ولما رأت ركب النميري راعها[٢].

ثانياً ـــ عوف (**الأحلاف**):

١) **بنو مُعَتِّب** بن مالك بن كعب. وهم أشهر بيوت بني عـــوف، وفـــيهم العديد من المشاهير، أمثال عروة بن مسعود، والمغـــيرة بـــن شـــعبة، والحجاج بن يوسف... وغيرهم[٣].

٢) **بنو العِلَاج** بن أبي سلمة بن غيرة بن عوف، وفيهم أيضاً العديـــد مـــن المشاهير، كالأخنس بن شريق، والحارث بن كلدة، وزياد بن أبيه[٤].

٣) **بنو عُقْدَة** بن غيرة بن عوف، وفيهم أيضاً العديد من المشاهير، كأمية بن أبي الصلت، وأبي محجن الثقفي، والمختار بن أبي عبيد... وغيرهم[٥].

٤) **بنو غَاضِرة** بن حطيط بن جشم (حلفاء بني عوف).

٥) **بنو شُبَيْل:** نسبة إلى شبل بن العجلان بن عتاب بن مالك، كانوا سدنة اللات[٦].

---

[١] المبرد، نسب عدنان وقحطان. تحقيق عبدالعزيز الميمني الراجكوتي. الدوحة ١٤٠٤هـ ص٢٢.

[٢] الهجري، التعليقات والنوادر . ترتيب حمد الجاسر. منشورات دار اليمامة. الرياض ١٤١٣هـ. جـ ٤ ص١٨٩٦، حاشية: ٣.

[٣] المبرد، المصدر السابق ص٢٢. انظر أيضا ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٨٧– ٣٨٨.

[٤] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٦٨.

[٥] المبرد، المصدر السابق ص٢٢.

[٦] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٨٨.

٦) **الحَجَّاجي**: نسبة إلى الحجاج بن يوسف[١].

٧) **الأَخْنَسي**:نسبة إلى الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج[٢].

٨) **الغِيَرِي**: نسبة إلى غيرة بن عوف بن ثقيف[٣].

٩) **بنو كَنَّة**: ورد ذكرهم عند ابن أبي أصيبعة ولكن لم أعثر لهم على ذكر في كتب النسب التي اطلعت عليها[٤].

---
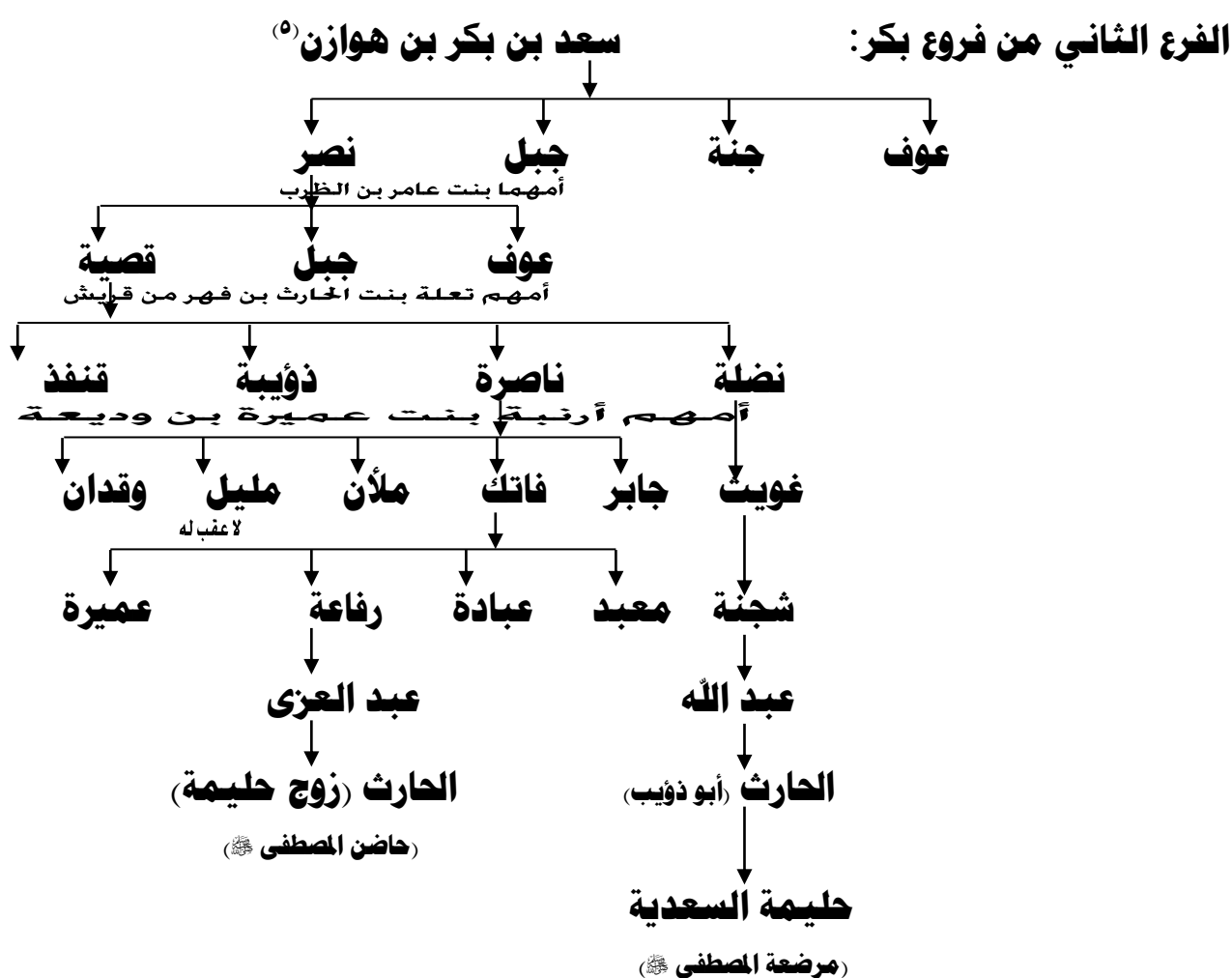
(١) ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب. دار صادر. بيروت ١٤٠٠هـ. جـ١ ص٣٤١.

(٢) ابن القيسراني، الأنساب المتفقة. بدون تاريخ. ص٦.

(٣) المبرد، نسب عدنان وقحطان ص٢٢.

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء. شرح وتحقيق نزار رضا. دار مكتبة الحياة. بيروت. ص١٦٦.

(٥) ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٩٣–٣٩٤. ذكر السمعاني في أبناء سعد بن بكر(جشم)، وذكر من مشاهيرهم أبا الأحوص عوف بن مالك. ولكن هذا مخالف لإجماع النسابين على أن أبا الأحوص من عصيمة بن جشم بن بكر. ولا يوجد في أبناء سعد بن بكر المباشرين (جشم) وقد تنبه إلى ذلك ابن الأثير ونبه عليه(ابن الأثير، المصدر السابق جـ١ص٢٨٠).

بنو سعد بن بكر أحد الفروع الرئيسة لقبيلة هوازن، وهـــي القبيلـــة الـــتي استرضع فيها النبي ﷺ، لذا عرفوا بين القبائل المحيطة بهم ببني سعد الحضنة، ومـــا زالت تحتفظ بهذا المسمى ولكنها دخلت الآن تحت مسمى قبيلة عتيبة التي هي عبارة عن عدة فروع هوازنية متداخلة[١].

ومن فروع بني سعد المشهورة ما يلي:

١) **الغُوَيْثي**: نسبة إلى غويث بن نضلة بن قصية بن نصر بن سعد[٢].

٢) **بنو جابر**: نسبة إلى جابر بن رزام بن ناصرة بن قصية. منهم أبو ذؤيـــب، والد حليمة السعدية[٣].

٣) **العِصَامِي**: لم أعثر على اسم الجد الذي ينسبون إليه، منهم الشاعر مؤجن ابن شغنب العصامي السعدي[٤].

٤) **بنو ذُؤَيْبة**: نسبة إلى ذؤيبة بن قصية بن نصر[٥]. وهـــم رهـــط حليمـــة السعدية، مرضعة الرسول ﷺ، وما زال هذا الفرع يحتفظ باسمه إلى الآن، وهم فرع الذؤيبات من بني سعد من عتيبة.

٥) **بنو مَعْبَد**: نسبة إلى معبد بن ملأن بن ناصرة بن قصية[٦].

---

[١] قبيلة عتيبة من أشهر قبائل المملكة العربية السعودية قال عنها فؤاد حمزة: "ليس في القبائل من يفوق عتيبة في القوة، أو يزيدها في العدد، إلا قبيلة عنزة. ولايكاد أحد ينازعها السلطة في القسم المتوسط من المملكة. منازلها سفوح جبال الحجاز الشرقية، إلى الحرار التي بين درب الحج ونجد من الشمال والشرق. .وهناك قسم قليل من عتيبة في الحجاز غربي السلسلة الجبلية في أطراف الطائف وفي أطراف مكة والمضيق والسيل (فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب. ط٢. مكتبة النصر الحديثة. الرياض ١٣٨٨هـ. ص١٨٧). حول مسمى قبيلة عتيبة انظر ملحق (١).

[٢] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٩٣.

[٣] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٦٩٤.

[٤] المصدر نفسه، جـ٤ ص١٧٧٨.

[٥] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٦٥ . هي حليمة بنت الحارث (أبي ذؤيب) بن عبد الله بن شجنة بن جابر بن ناصرة ابن قصية بن نصر بن سعد بن بكر (ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٩٤).

[٦] المصدر نفسه ص٣٩٣.

٦) **بنو رِفاعَة:** نسبة إلى رفاعة بن ملأن بن ناصرة بن قصية[١].

٧) **بنو عوف:** نسبة إلى عوف بن نصر بن سعد[٢].

٨) **بنو حَلِيمَة:** نسبة إلى حليمة السعدية[٣].

٩) **الجُشَمي:** وهم غير جشم بن معاوية، رهط دريد بن الصمة، منهم زهـــير ابن الصرد السعدي الجشمي، الذي قال للرسول ﷺ بعد معركة حنـــين: "إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك"[٤].

الفرع الثالث من فروع بكر: **معاوية بن بكر بن هوازن**[٥]
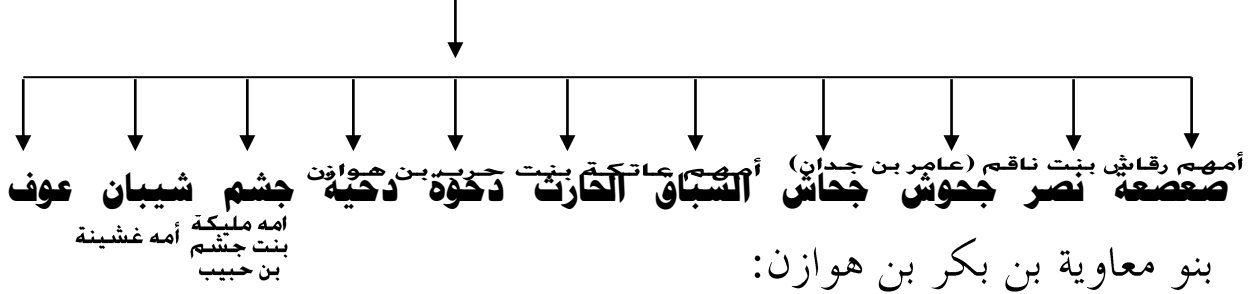
بنو معاوية بن بكر بن هوازن:

يعتبر هذا الفرع أكثر الفروع الهوازنية عدداً، وقد اشتهر منه عدة فروع كبـــني نصر وبني جشم وبني عامر، وهو أشهر فروع معاوية وأكثرها عدداً[٦]. وفيما يلي تفصيل لفروع معاوية:

فأما جحاش والسباق ودحوة ودحية؛ فلم نعثر في المصادر التي اطلعنا عليها على من ينسب إليهم، وأما جحوش فلم يسمِّ أحدٌ من ولده غير أمّ عمر بنـــت عائـــذ الجحوشي[٧]، وأما عوف فأبناؤه يعرفون بالوقعة لوقوعهم في بني عمرو بن كلاب،

---

[١] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٦٥.

[٢] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٧٣.

[٣] المصدر نفسه ص٣٩٤.

[٤] ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٢٦٨.

[٥] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣١٣.

[٦] المصدر نفسه ص٣١٣.

[٧] المصدر نفسه ص٣٨٥.

فهم معدودون معهم[1]. وأما شيبان فمن الصعوبة بمكان التحقق من عقبه لكثـــرة اسم شيبان في القبائل، وأما بقية أبناء معاوية المشهورين، وهـــم جشـــم ونصـــر والحارث وصعصعة فبيان فروعهم كما يلي:

الفرع الأول من فروع معاوية: جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن[2]
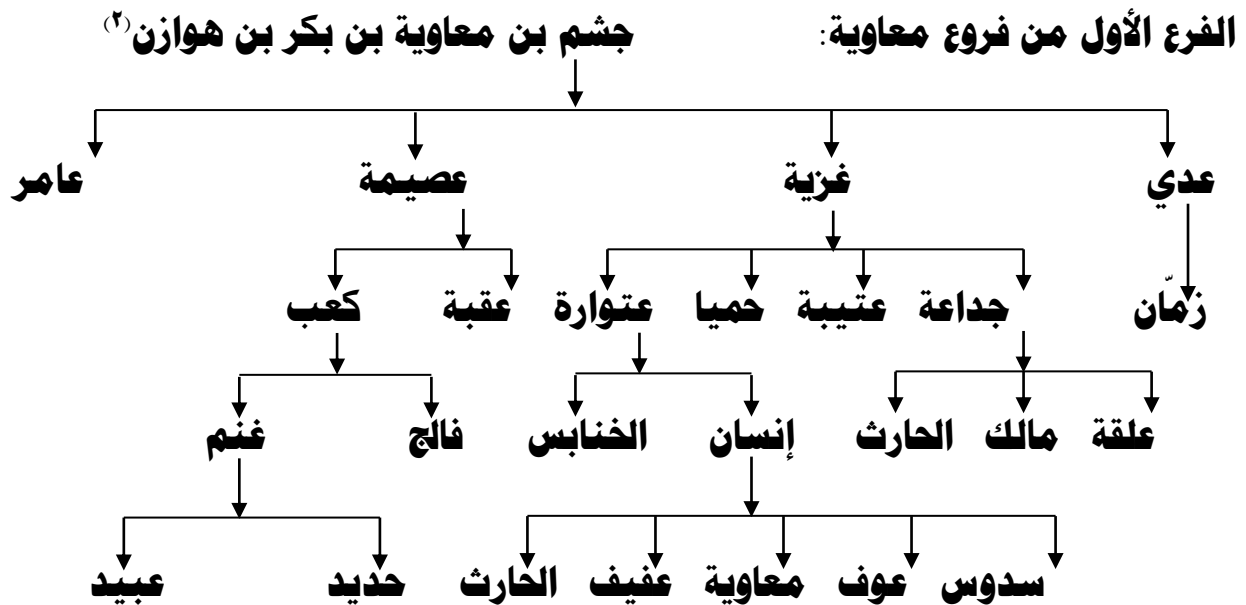
هذا الفرع من أشهر الفروع الهوازنية، وهو الذي تنصرف إليه الأذهان عند ذكر جشم مطلقاً، وهذه أشهر فروعه:

أولاً ــ بنو غَزِيَّة: نسبة إلى غزية بن جشم، وفيه عدة فروع:

١) **الزُهَيْري:** نسبة إلى زهير بن ربيعة بن بكر بن علقة بن جداعة بن غزيـــة، منهم الشاعرة أمّ قريد الزهيرية من رواة الهجري[3]. وفي هذا الفرع عدة فصائل:

أ) **الحَقِّي:** نسبة إلى حق، وهو حرثان بن زهير بن ربيعة بن بكر بن علقة بـــن جداعة ابن غزية، منهم الشاعر محمد بن عبد الأعلى الحقي، روى له الهجري بيتـــاً من الشعر في امرأته[4].

---

[1] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٦٩.

[2] ابـن الكلبي، جمهـرة النسـب ص٣٨٣– ٣٨٥ . يوجـد في بطـون تغلـب بـن ربيعـة بنـو جشـم وأيضـا في بطـون همـدان بنـو جشم.(ابن رسول، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب.تحقيق ك. و. ستر ستين. دار صادر. بيروت ١٤١٢هـ. ص٦٣).

[3] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٧٠.

[4] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٣٠– ١٩١٨.

ب) **الخِصَافي**: الزهيري، منهم الشاعر طارق بن ظهر الخصافي[1].

جـــ) **العُرَوِي الزُهَيْري**: منهم الشاعر ابن رعلاء العروي[2].

٢) **الحُتَفِي**: نسبة إلى حتيف بن جداعة بن غزية بن جشم[3].

٣) **العَلَقِـي**: نسبة إلى علقة بن جداعة بن غزية، ويقال لهم العلقات، وهم رهط دريد ابن الصمة(٤).

٤) **الإِنْسَاني**: نسبة إلى إنسان بن عتوارة بن غزية، منهم حجاج بـــن مـــرداس الإنساني من رواة الهجري[5]، ومنهم أيضاً البريدي الإنساني من شيوخ الهجري[6].

٥) **الصَّامِتِي**: نسبة إلى صامت بن سود بن عتوارة بن غزية، منهم أبو جـــرول هند بن الصامت وفد على النبي ﷺ يوم حنين وأمره أن يعتم[7].

٦) **الرماحسـي**: نسبة إلى رماحس، والد عبيد الله بن رماحس بن محمد بن خالد ابن جبير بن قيس بن عمرو بن عبده بن ناشب بن عتيبة بن غزية[8].

٧) **الأَعْقَلـي**: نسبة إلى أعقل بن بكر بن علقة بن جداعة بن غزية، منهم الشاعر جابر ابن عياش الأعقلي[9].

---

[1] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٤٤.

[2] المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٢٢.

[3] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧١٨.

[4] المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٣١ . هو دريد بن معاوية (الصمة) بن بكر بن علقة بن جداعة بن غزية بن جشم (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٧٠).

[5] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٦٧٤.

[6] المصدر نفسه جـ٤ ص١٦٨٣.

[7] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٩٦ . يعتم: المعنى المتبادر للذهن هو أن يلبس عمامة، ولكن الراجح لدي أنه يريد منه تأخير صلاة العشاء لقوله ﷺ:"اعتموا بهذه الصلاة"(الألباني، الجامع الصغير جـ١ ص٢٣٨).

[8] ابن الأثير، اللباب جـ٢ ص٣٥. الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق محمود الطناحي. مطبعة حكومة الكويت. الكويت ١٣٩٦هـ. جـ١٦ ص١٣٣.

[9] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٧٦٢ . انظر أيضاً: ابن حبيب، مختلف القبائل ومؤتلفها. تحقيق إبراهيم الأبياري. دار الكتاب المصري. القاهرة ١٤٢٩هـ. ص٧٨.

ثانياً ــ العَصَمِي: نسبة إلى عصيمة بن جشم، منهم الشاعر رفاعة بن دراج العصمي[1]. ومن مشاهيرهم أبو الأحوص عوف بن مالك بن نضلة بن خديج بن حبيب بن حديد بن غنم، صحب ابن مسعود وروى عنه الحديث[2].

ثالثاً ــ الأَمْرَار: نسبة إلى قيس بن عامر بن جشم بن معاوية، والأمرار لقب له، وهو قاتل هاشم بن حرملة المري[3].

رابعاً ــ بنو عَدِيّ بن جُشَم: ومن فصائلهم **بنو زمان** بن عدي، منهم أبو أسامة زهير بن معاوية، قاتل سعد بن معاذ رضي الله عنه، يوم الخندق، وهو حليف في بني مخزوم[4]. و**بنو حرام** بن عدي، منهم الشنة الصدي بن عزرة، وقد ورد ذكره مع الشنة الأخر وهو وهب بن خالد من بني إنسان في شعر الفرزدق حيث كان يتمنى لقاءهما:

يا لـــيتني بالشـــنتين نلـــتقي　　　ثم يحـــاط بينـــنا بخنـــدق[5]

خامساً ــ فروع لم أهتد إلى أصولها:

١) **بنو مالك**: من جشم بن معاوية، منهم الشاعر سري بن عبدرب الجشمي من رواة الهجري[6].

٢) **الوَحْوَحي**: من جشم بن معاوية، قال الهجري:قال الحليس بن الأسـود: الوحوحي من جشم بن بكر بن هوازن[7]

---

[1] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٨٢٥.

[2] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٨٤.

[3] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٦٧٤. هاشم بن حرملة هو قاتل معاوية بن عمرو السلمي أخ الخنساء وقد جعلت الخنساء لمن يقتله جعلا فقتله قيس بن عامر فقالت الخنساء:

رأيت العز في جشم بن بكر　　　ولا يدمي لطاعنهم كليم

أخص بها أخا الأمرار قيسا　　　أفديه بمالي من حميم　　　(المصدر نفسه والصفحة نفسها).

[4] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٨٣– ٣٨٤. انظر أيضاً البكري، معجم ما استعجم جـ٤ ص٩٩.

[5] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٨٣.

[6] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٨٦٦.

[7] المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٩٨.
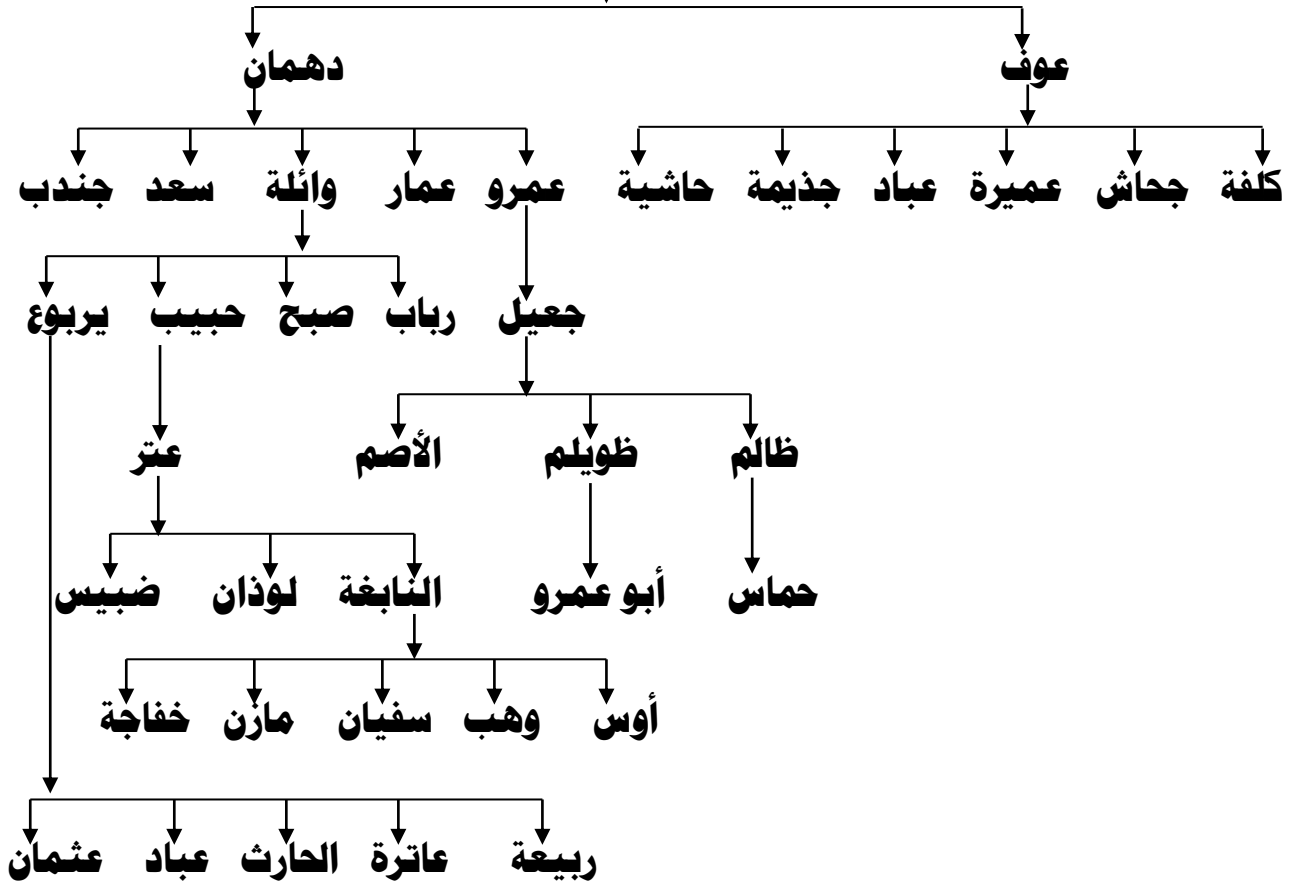
بنو نصر من فروع هوازن المشهورة، منهم مالك بن عوف النصري، قائد المشركين يوم حنين، ومن أشهر فروعهم:

١) **بنو دُهْمَان:** نسبة إلى دهمان بن نصر بن معاوية، والنسبة إليهم الدهماني[٢]. وفيهم الفصائل الآتية:

أ) **الحَبِيبي:** نسبة إلى حبيب بن وائلة بن دهمان بن نصر[٣].

ب) **عِتْر:** نسبة إلى عتر بن حبيب بن وائلة، والنسبة إليهم العتري[٤]، وهم غير عتر الحارث بن معاوية. منهم ربيعة بن عثمان بن ربيعة بن مازن بن النابغة بن عتر، وهو أول عربي قتل أعجمياً في القادسية[٥].

---

[١] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٨٠– ٣٨٢.

[٢] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٥٢. انظر أيضاً: ابن الأثير، اللباب جـ١ ص٥١٩.

[٣] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٧١٧.

[٤] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧١٨، حاشية: ١.

[٥] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٦٩.

جـ) **بنو الغَلَاب:** هم بنو الحارث (أوس) بن النابغة بن عتر بن حبيب، وقد ورد ذكرهم في شعر أبي المختار الكلابي[1]:

ولا تنسين النافعين[2] كليهما ولا ابن غلاب من سراة بني نصرِ[3]

د) **اليَرْبوعي:** نسبة إلى يربوع بن وائلة بن دهمان، وهم رهط مالك بن عوف[4].

٢) **بنو عوف بن نصر:** وفيهم الفصائل الآتية:

أ) **بنو كُلْفَة:** نسبة إلى كلفة بن عوف بن نصر، منهم زفر بن الحرثان بن الحارث بن ذكوان بن كلفة الذي وفد على النبي ﷺ معلناً إسلامه[5].

ب) **بنو عِباد:** نسبة إلى عباد بن عوف بن نصر، منهم الشاعر زياد بن عمير بن قنيع بن عباد بن عوف[6].

٣) **بنو رِئَاب:** ورد ذكرهم عند ابن هشام في معركة حنين، وأن منهم بني وهب، ولكن لم أهتد إلى الفرع الذي ينتسبون إليه[7].

---

[1] هو المختار بن قيس بن يزيد بن الصعق، كان من سكان الأهواز في عهد عمر بن الخطاب ، وقد لاحظ عدم نزاهة بعض الولاة فأرسل هذه الأبيات إلى عمر:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة فأنت أمين الله في النهي والأمر
فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى يسيغون مال الله في الآدم الوفر
وأنت أمين الله فينا ومن يكن أميناً لرب العرش يسلم له صدري
فأرسل إلى الحجاج فأعرف حسابه وأرسل إلى جزء وأرسل إلى بشر
ولا تنسين النافعين كلاهما ولا ابن غلاب من سراة بني نصر

ويقصد بالنافعين نافع ونفيع ابنا الحارث بن كلدة، فلما وصلت الأبيات إلى عمر قاسمهم أموالهم (البلاذري، فتوح البلدان . تحقيق نجيب الماجدي. المكتبة العصرية. بيروت ١٤٢٨هـ. ص٣٤٨).

[2] النافعان: نفيع أبو بكرة وأخوه نافع بن الحارث بن كلدة. (انظر ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٨١، حاشية: ٢).

[3] المبرد، نسب عدنان وقحطان ص٢٢.

[4] ابن الأثير، اللباب جـ٣ ص٤٠٩. هو مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع (ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٨٢).

[5] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[6] المصدر نفسه ص٣٨٢. في المؤتلف والمختلف: زياد بن منيع النصري (انظر الآمدي، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم. صححه وعلق عليه ف. كرنكو. دار الجيل. بيروت١٤١١هـ. ص١٦٧.

[7] ابن هشام، السيرة النبوية. دار ابن حزم. بيروت ١٤٢٢هـ . ص٥٧٠.

الفرع الثالث من فروع معاوية:
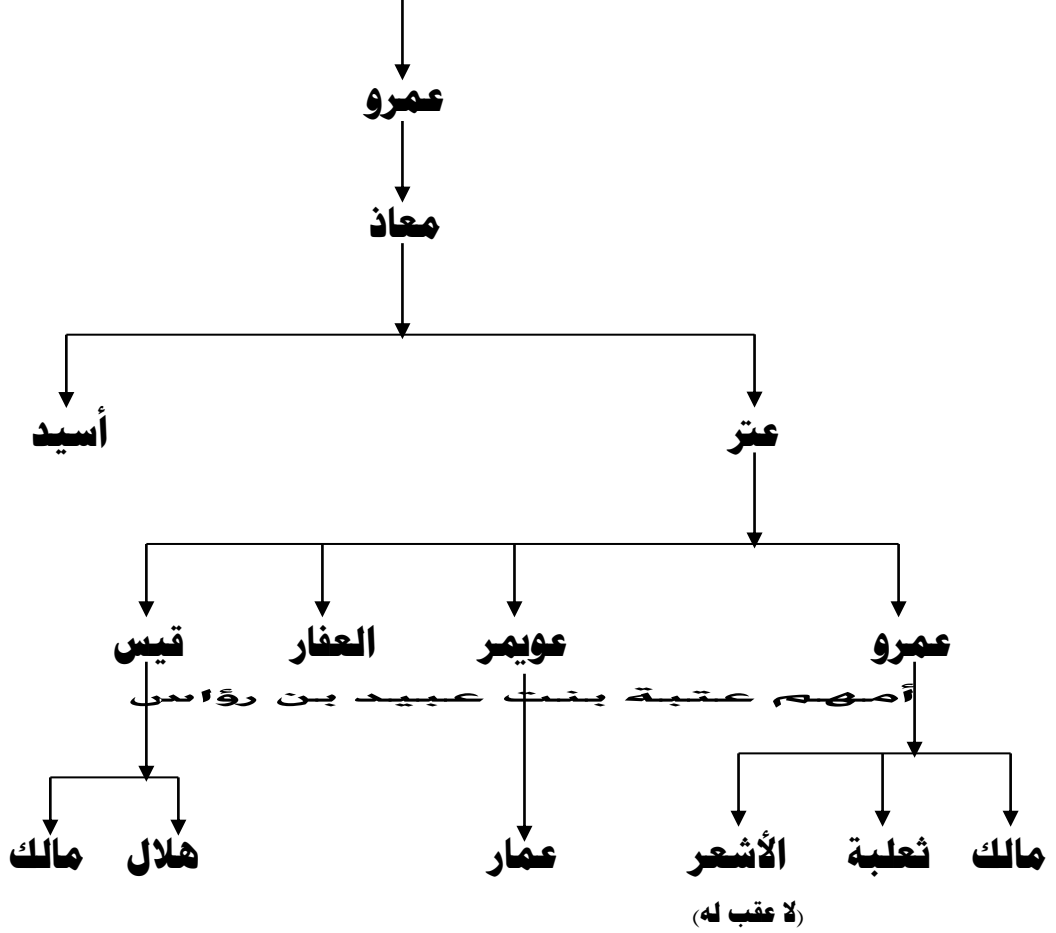
هذا الفرع لم يكن من الفروع المشهورة وهم قليلو العدد، لذا دخلوا مع أخوالهم بني رؤاس، ومن فصائلهم:

أ) **بنو عِتر**: والنسبة إليهم العِتري بكسر العين. قال عنهم ابن الأثير: ينسبون إلى عتر ابن معاذ بن عمرو بن الحارث، منهم مالك بن ضمرة العتري روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2]. وعددهم في بني رؤاس ومسجدهم واحد بالكوفة، وليست لهم بادية، ويوجد من فروعهم بيت بمصر يقال لهم العفار[3].

ب) **بنو أسيد**: وهم أهل بيت واحد مع بني عتر[4].

---

[1] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٨٤– ٣٨٥.

[2] ابن الأثير، اللباب جـ٢ ص٣٢١.

[3] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٨٤.

[4] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

الفرع الرابع من فروع معاوية: **بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن[1]**
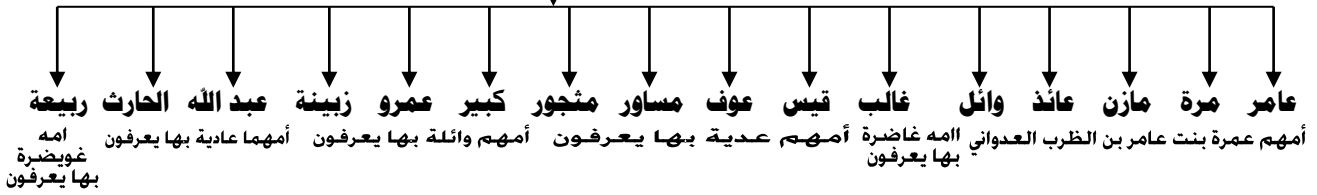
لم يشتهر من أبناء صعصعة بن معاوية سوى فرعان بنو عامر وبنو مرة[2]، فأما بنو عامر فسوف نفرد لهم محوراً مستقلاً لكثرتهم، وأما بنو مرة ففي ما يلي بيانهم:

بنو مرة بن صعصعة بن معاوية[3]
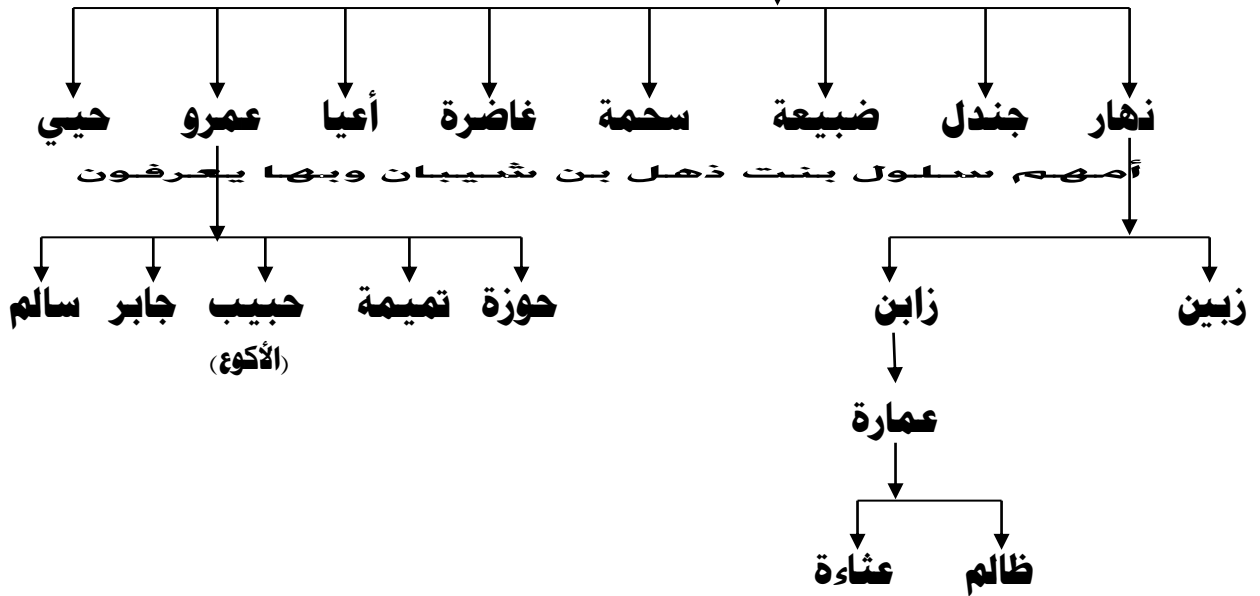
اشتهر بنو مرة بنسبتهم إلى أمهم سلول، ومن أشهر فروعهم:

أ) **بنو عُمَارَة:** نسبة إلى عمارة بن زابن بن نهار بن مرة، منهم سالم بن عمار بن عبد الحارث بن ظالم بن عمارة، كان شريفاً من أشراف الكوفة، وإليه كانت تنسب جبانة سالم بالكوفة[4].

---

[1] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣١٣.

[2] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٧١ . يذكر النويري أن هناك من نسب الأكراد إلى كرد بن مرد بن عمرو بن صعصعة ولكن لم أجد في كتب النسب مايشير إلى ذلك (النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب.الجزء الثاني والعشرون. مطابع كوستا تسوماس. القاهرة. بدون تاريخ. جـ٢٢ ص٣١٨.

[3] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٧٩– ٣٨٠.

[4] ابن حزم، المصدر السابق ص٣١٣.

ب) **بنو حَوْزَة:** نسبة إلى حوزة بن عمرو بن مرة، منهم الشاعر عبد الله بن همام ابن نبيشة بن رياح بن مالك بن الهجيم بن حوزة، وهو من شعراء الدولة الأموية، وكان يقال له من حسن شعره العطار[1].

جـــ) **بنو تَمِيمَة:** نسبة إلى تميمة بن عمرو بن مرة، منهم الشاعر قردة بن نفاثة ابن عمرو بن ثوابة بن عبد الله بن تميمة الذي طال عمره، وقد وفد على النبي ﷺ فأسلم، وهناك من ينسب له هذا البيت، والمشهور نسبته إلى لبيد بن ربيعة:

فالحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا[2]

د) **بنو جَنْدل:** نسبة إلى جندل بن مرة. منهم حبيش بن جنادة بن نصر بن أسامة ابن الحارث بن معيط بن عمرو بن جندل بن مرة، صحب الرسول ﷺ، وشـــارك مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في حروبه كلها[3].
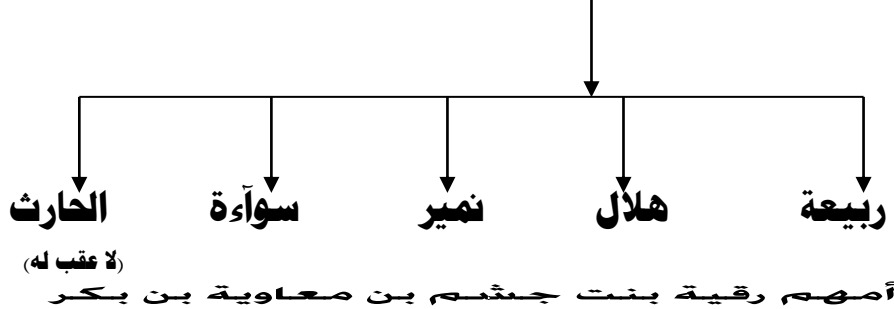
يعتبر بنو عامر أشهر فروع هوازن، فمنهم بنو هلال الذين مـــلأوا الـــبلاد وأشغلوا العباد؛ ومنهم بنو نمير الذين يعدّون من جمرات العرب الثلاث؛ ومنهم بنو ربيعة الذين منهم الفرعان المشهوران: كعب وكلاب. وسوف نتطرق لجميع هذه الفروع بالتفصيل.

---

(1) ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٧٩.

(2) المصدر نفسه، ص٣٧٩– ٣٨٠.

(3) المصدر نفسه ص٣٨٠. انظر أيضاً: القلقشندي، نهاية الأرب ص٢٠٤.

(4) ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣١٣.
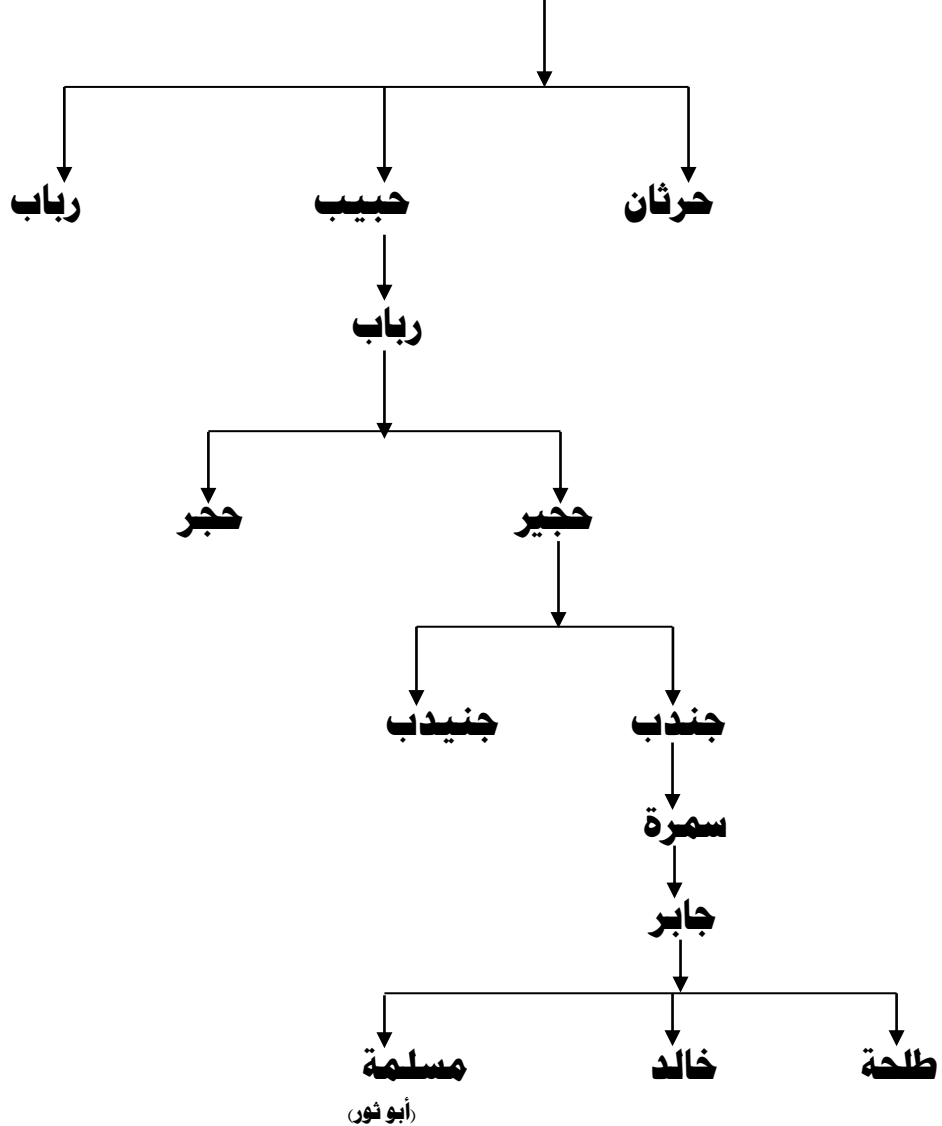
يعتبر هذا الفرع أقل فروع بني عامر عدداً وشهرة، والنسبة العامة إليهم السوائي؛ ومن مشاهيرهم أبو جحيفة السوائي[٢]، وأبو عامر قبيصة بن عقبة السوائي الذي يروي عن الثوري ومسعر وشريك وغيرهم[٣]. ومن فروعهم:

١) **بنو حَبِيب:** نسبة إلى حبيب بن سوآءة بن عامر[٤].

---

(١) ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٧٨.

(٢) أبو جحيفة السوائي: هو وهب بن عبدالله، صاحب رسول الله ﷺ، من صغار الصحابة، رضوان الله عليهم (الذهبي،سير أعلام النبلاء. تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. جـ٣ ص٢٠٢–٢٠٣).

(٣) ابن الأثير، اللباب جـ٢ ص١٥٢.

(٤) النويري،نهاية الأرب جـ٢٢ ص٣١٩.

٢) **بنو حُرْثَان:** نسبة إلى حرثان بن سوآءة بن عامر[1].

الفرع الثاني من فروع بني عامر: ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن[2]

(درج إلا ضرب نساء)[3]

أمهم مجد بنت تيم بن غالب بن فهر (وهي التي حمَّست بني عامر)
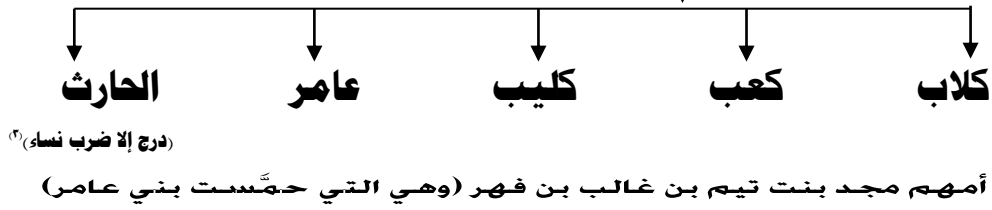
هذا الفرع هو أشهر الفروع العامرية في فترة البحث وأكثرها عدداً، وإذا أطلق المؤرخون لفظ بني عامر فهم غالباً يقصدون هذا الفرع، لأن بني سوآءة قليلو العدد وبني هلال وبني نمير شبه منفصلين عن بني ربيعة، وفيما يلي تفصيل لفروع بني ربيعة بن عامر وذكر بعض مشاهيرهم:

الفرع الأول من فروع بني ربيعة بن عامر: بنو كُلَيْب بن ربيعة:

يعد هذا الفرع أقل فروع بني ربيعة عدداً وشهرة، فقد ولد كليب بن ربيعة أَبَّان وخلف وأمهما ابنة أَبَّان بن يسار بن حطيط من ثقيف، فولد أَبَّان آمنة التي تزوجها أمية بن عبد شمس فولدت له العاص وأبا العاص والعيص وأبا العيص، وهي التي عناها النابغة الجعدي بقوله:

وشاركنا قريشاً في تقاها وفي أنسابها شـــرك العنان

بما ولدت نساء بني هلال وما ولدت نساء بني أَبَّان[4]

---

[1] النويري، نهاية الأرب جـ٢٢ ص٣١٩.

[2] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣١٣. ذكر الهجري أن من أبناء ربيعة بن عامر (عوف) منهم عمران بن مكنف الحرملي وهو ممن روى عنهم (الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٢٣– ١٧٢٤).

[3] أي ليس له إلا إناث تزوجن ولهن أولاد (ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣١٣).

[4] المصدر نفسه ص٣٦٧، ٣٦٦.

هذا الفرع من أشهر فروع بني عامر ويطلق عليه عامر ربيعة تقييداً لـــه عـــن الفرع الرئيس بني عامر، وهذه أشهر فروعه في فترة البحث:
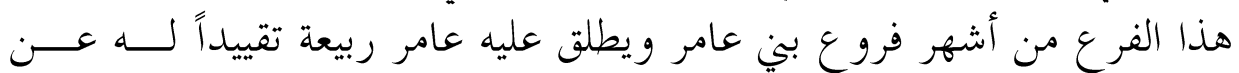
أولاً ـــ بنـو البَكَّاء: والنسبة إليهم البكائي. قال الهجري: وفيهم الفضائل الآتية: ماعز وحندج وعبدة وهياف وكاهل[2]. وفيما يلي بيانها:

---

[1] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٦٠– ٣٦٦.

[2] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٦٨٤. انظر أيضاً: ابن الأثير، اللباب جـ١ ص١٦٨.

١) ماعِز: نسبة إلى ماعز بن مجالد بن ثور. وهو من فصائل بني ثور[١].

٢) بنو حُنْدُج: نسبة إلى حندج بن ربيعة (البكاء) بن عامر[٢].

٣)هَيَّاف: وعند ابن الكلبي (هيات)، نسبة إلى هيات بن حندج بن ربيعة (البكاء) بن عامر. وهو الأقرب للصواب لقول محمد بن بشر بن معاوية:

قوم أجابوا أحمداً ووفوا له إذ لم يجبه بنو أبي الهيات[٣]

٤) عَبَدَة: لم أعثر على الجد الذي ينسبون إليه ولكن من الأقرب أنهم ينسبون إلى عبادة بن ربيعة (البكاء) بن عامر.

٥) كَاهِل: نسبة إلى كاهل الماعزي من بني ثور، وهو غير كاهل صاحب سلمى الذي من بني الحارث بن معاوية، فكلاهما اسمه كاهل وكلاهما عشق سلمى[٤].

ومن مشاهير بني البكاء معاوية بن ثور بن معاوية، وفد على النبي ﷺ، وهو شيخ كبير، ومعه ابنه بشر، فدعا له الرسول ﷺ ومسح على رأسه وأعطاه أعتزاً؛ وفي ذلك يقول ابنه محمد:

وأبي الذي مسح الرسول برأسه ودعا له بالخير والبركات

أعطاه أحمد إذ أتاه أعتزاً عفراً ثواجل لسن با للحبات [٥]

ومنهم حكيم بن سعد بن ثور الذي كانت تنسب إليه دار حكيم بالكوفة، ومنهم أيضاً الفرات بن معاوية بن الطفيل بن ثور، كان شريفاً بالكوفة، وأخوه عبد الله

---

[١] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٦١.

[٢] المصدر نفسه ص٣٦٤. انظر أيضاً: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٨٠– ٢٨١.

[٣] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٦٤.

[٤] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٢ ص٧٩٥.

[٥] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٦٢، ٣٦١. أي أعطاه أعنزا عفرا أي: بيضا، ثواجل: كبيرات البطون، ولسن باللحبات أي: قليلات لحم الظهر (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص١٧١، ٥٦٨، ١٢٥٥).

شهد مع علي بن أبي طالب حروبه كلها، وهو أحد العشرة الذين شهدوا يوم التحكيم، ومنهم أيضاً حفيده البكاء صاحب المغازي[1].

ثانياً ـ بنو عمرو بن عامر (فارس الضحياء): والنسبة إليهم العَمْرِيُّ[2]، ومن أشهر فروعهم:

١) **السِّدْري**: نسبة إلى سدرة بن عمرو بن عامر بن ربيعة، ومن فصائلهم: **بنو الحلاف**[3].

٢) **الهَوْذِي**: نسبة إلى هوذة بن خالد بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة، وقد ذكر الهجري أن هوذة بن عمرو بن عامر بن ربيعة، ولكن الراجح لديتا ما ذكرناه[4]. ومن مشاهير هذا الفرع خالد وحرملة، ابنا هوذة، اللذان وفدا على الرسول ﷺ، وكتب مبشراً بإسلامهما خزاعة، ومنهم أبو جليحة بن قيس بن كرز بن عمرو (ذي الجدين) كان له شرف في الجاهلية، وكان معاوية إذا رأى رجلاً عظيماً قال: لو كان أبو جليحة بن القيس ما عدا (أي ما أخطأ صفته)، والشاعر خداش بن زهير بن ربيعة الذي يقال له الأزهر[5].

٣) **الذَّادَة**: قال ابن حبيب: هم من أبناء ربيعة بن عمرو (فارس الضحياء)[6].

ثالثاً ـ بنو معاوية (ذي السهم): النسبة إليهم المعاوي، منهم الشاعر كاهل المعاوي، صاحب سلمى، الذي مات من الوجد عليها، وهو من بني الحارث بن معاوية[7].

---

(1) ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٦٢.

(2) ابن الأثير، اللباب جـ٢ ص٣٥٨.

(3) الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٧٥.

(4) المصدر نفسه جـ٤ ص١٩٠٥. التصحيح من ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٦٥.

(5) المصدر نفسه ص٣٦٥ـ ٣٦٦.

(6) ابن حبيب، المحبر جـ٢ ص٤٦٢.

(7) الهجري، المصدر السابق جـ٢ ص٧٩٤ـ ٧٩٥.

رابعا ــ بنو عوف (ذو المحجن): قال ابن الكلبي: منهم جعونة بن الحارث بــن خالد بن مالك بن ربيعة بن نضلة بن عبد الله بن كليب بن عمرو والي ملطية لعمر ابن عبدالعزيز، والذي يظهر من تسلسل نسبه أنه مــن فــرع عمــرو (فــارس الضحياء)[١]. ومن أشهر فروعهم العوسجي، منهم ذياب بن رعلاء العوسجي أحد رواة الهجري[٢].

الفرع الثالث من فروع بني ربيعة بن عامر: كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[٣]
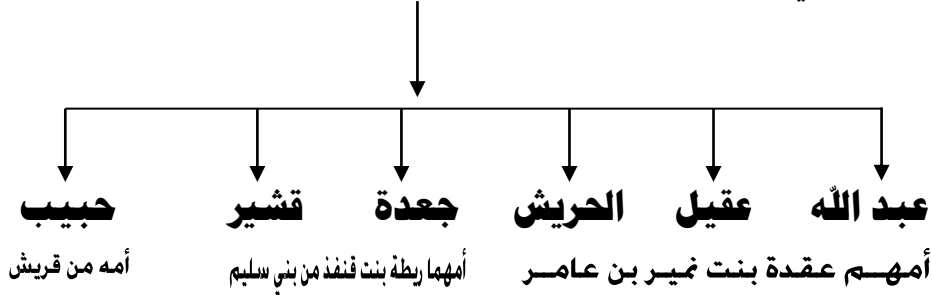
كعب بن ربيعة من أشهر فروع بني عامر، وهم الذين عناهم الشاعر جرير بن عطية في هجائه للراعي النميري .

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وهم أول من سأل عنهم دريد بن الصمة في غزوة حنين حيث قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحد والجد، ولو كان يوم علاء ورفعة لم يغيبا عنه[٤].وينقسم بنو كعب إلى ستة فروع كما هو واضح أعلاه.

الفرع الأول: بنو قُشَيْر، والنسبة العامة إليهم قُشَيري بضم القاف وفتح الشين .

الفرع الثاني: بنو عُقَيْل، والنسبة العامة إليهم عُــقَــيلي بضم العين وفتح القاف .

الفرع الثالث: بنو الحَرِيش، والنسبة العامة إليهم حَرَشي بفتح الحاء والراء .

---

[١] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٦٤.

[٢] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٨٣٦.

[٣] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٣٢.

[٤] ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٢٦١ .

الفرع الرابع: بنو جَعْدَة، والنسبة العامة إليهم جَعْدي بفتح الجيم وتسكين العين.

الفرع الخامس: بنو عبد الله، وأكثر انتسابهم إلى ابنه العجلان العَجْلاني بفتح العين وتسكين الجيم.

الفرع السادس: بنو حَبِيب، والنسبة العامة إليهم حَبِـيي بفتح الحاء وكسر الباء.

وفيما يلي تفصيل لهذه الفروع وذكر بعض مشاهيرها.

الفرع الأول: قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن
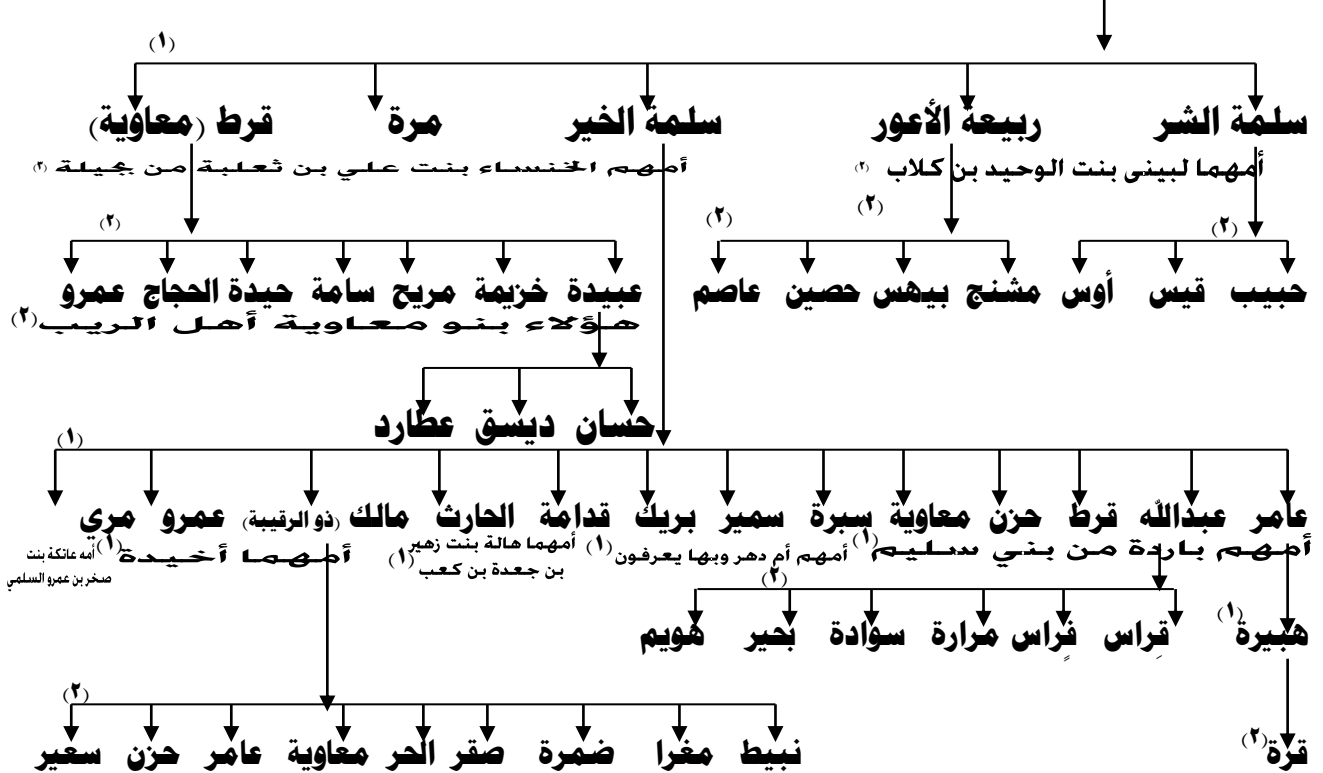
التفريعات الرئيسة لقبيلة قشير:

أولاً ــ بنو لُبَيْنى: ونقصد بهم أبناء الأعور وسلمة الشر، أبناء قشير، حيث ينسبان إلى أمهما لبينى بنت الوحيد بن كلاب، ومن أهم الفصائل التابعة لهما ما يلي:

١) **الأَسَدِي:** منهم الشاعر سلم بن رماح الأسدي[٤].

---

[١] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٤٢– ٣٤٣.

[٢] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٨٥٢– ١٨٥٣.

[٣] المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٥٣. انظر أيضاً: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٨٩.

[٤] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٦٦٩.

٢) **أوس:** نسبة إلى أوس بن سلمة الشر بن قشير، وهم رهط الشاعر مريزيق الغواني صاحب سعدى[١]، ومنهم أيضاً الشاعر عيسى بن عمـــير ومنقـــذ بـــن عليج[٢].

٣) **البَيْهَسي:** نسبة إلى بيهس بن الأعور بن قشير، منهم الشـــاعر شـــيظما البيهسي، كان كثير الهجاء[٣].

٤) **الحُبَيْبي:** نسبة إلى حبيب بن سلمة الشر بن قشير، منهم الشاعر ابن الثغاء والأعنق بن الباهلية الحبيبي[٤].

٥) **حُصَيْن:** نسبة إلى حصين بن الأعور بن قشير[٥].

٦) **عاصم** : نسبة إلى عاصم بن الأعور بن قشير[٦].

٧) **قيس:** نسبه الهجري إلى قيس بن سلمة الشر، والراجح أنه قيس بن الأعور، منهم حياش بن قيس بن الأعور بن قشير "ناشد رجله" ، وسيأتي خبره فيما بعد.

٨) **مُشَنَّج:** نسبة إلى مشنج بن الأعور بن قشير، مـــنهم عبيـــد الله المعـــروف بالطريد قاتل قعنب بجبل عماية[٧].

ثانيا ـــ بنو معاوية أهل الريب [٨]. ومن أهم فصائلهم:

١) **الحجاج:** نسبة إلى الحجاج بن معاوية بن قشير[٩].

---

[١] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٦٧٨.

[٢] المصدر نفسه جـ٤ ص١٦٨٧.

[٣] المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٠٧.

[٤] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٢٨.

[٥] المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٠٧.

[٦] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٤٨.

[٧] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٨٧٦ . عماية جبل في بلاد بني قشير وسمي بذلك لأنه لا يدخل به شيء إلا عمي أثره (ياقوت، معجم البلدان. دار صادر. بيروت ١٤٠٤ هـ. جـ٤ ص١٥٢).

[٨] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٨٨٠. الريب : ناحية باليمامة فيها قرى ومزارع (ياقوت، المصدر السابق جـ٣ ص١١١).

[٩] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٧١٩.

٢) **الحَيْدِي**: نسبة إلى حيدة بن معاوية بن قشير، منهم مدرك الحيدي الـــذي هجاه ميمون بن عامر، وكلاهما من معاوية قشير[١].

٣) **خُزَيْمَة**: نسبة إلى خزيمة بن معاوية بن قشير، منهم حميد الخزيمـــي الـــذي هجاه حسين المريحي، وكلاهما من معاوية قشير[٢].

٤) **سَامَة**: نسبة إلى سامة بن معاوية بن قشير[٣].

٥) **عَبِيْدة**: نسبة إلى عبيدة بن معاوية بن قشير ومن فصائلهم: -

أ) **بنو حَسَّان**: نسبة إلى حسان بن عبيدة بن معاوية بن قشير، منهم محمـــد بـــن عيسان بن حسان بن عبيدة الذي مدحه ميمون بن عامر.[٤]

ب) **بنو دَيْسَق**: نسبة إلى ديسق بن مالك بن عبيدة بن معاوية بن قشير، مـــنهم الشاعر بشير بن عطي، صاحب أمّ واهب[٥].

جـــ) **بنو عُطَارِد**: نسبة إلى عطارد بن عبيدة بن معاوية بن قشير، منهم المختار بن وهب الذي مدحه جابر المريحي بقوله:

عبيدي الصميم عطاردي تمكن من ربيعة في الروابي[٦].

٦) **عَمْرو**: وهم بنو عمرو بن معاوية بن قشير، منهم أبو الميمون يحيى بن عبادة ابن جحاف بن عمرو بن عبد الله بن هانيء بن عمرو بن معاوية بن قشـــير، مـــن

---

(١) الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٣٧.

(٢) المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٤٣.

(٣) المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٧٢.

(٤) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٢٦.

(٥) المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٥٣، جـ٢ ص٥٣٧.

(٦) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٢٧.

شيوخ الهجري[1]. ومنهم **بنو يزيد** الذين منهم أسد بن عاصم الذي هجاه ميمون بن عامر عندما خذله وانهزم[2].

٧) **مُرَيْح:** نسبة إلى مريح بن معاوية بن قشير، منهم جابر المريحي الذي مدح المختار ابن وهب، كما مر معنا آنفا[3].

ثالثاً ـــ سلمة الخير بن قشير: ومن فصائلهم:

١) بنو مالك بن سلمة الخير: ومن فصائلهم:

أ) **الحُر:** نسبة إلى الحر بن مالك بن سلمة الخير بن قشير، منهم الأبرق الحري القشيري، له أبيات في ناقة له خدجت[4].

ب) **حَزْن:** نسبة إلى حزن بن مالك بن سلمة الخير، وهو غير حزن خفاجة.

جـــ) **سُعَيْر:** نسبة إلى سعير بن مالك بن سلمة الخير، والنسبة إليه سُـــعيري بضم السين وفتح العين، رهط عباس بن النسير[5].

د) **صقر:** نسبة إلى صقر بن مالك بن سلمه الخير[6].

هـــ) **ضَمْرة:** نسبة إلى ضمرة بن مالك بن سلمة الخير.

و) **عامر:** نسبة إلى عامر بن مالك بن سلمة الخير[7]. وهو غير عامر ربيعة.

ز)**معاوية:** نسبة إلى معاوية بن مالك بن سلمة الخير[8].

---

(١) الهجري، التعليقات والنوادر جـ١ ص١١٧. نسبه الهجري إلى مريح ولكن من سلسلة نسبه الصحيح ما ذكرنا.

(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص٨٨٠. أورد الهجري قصة انهزامه ولم يورد الحادثة.

(٣) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٧٣.

(٤) المصدر نفسه جـ٢ ص٥١٣. خدجت : أي أسقطت جنينها قبل التمام (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص٢٣٧).

(٥) الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٧٧٩.

(٦) المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٩٨.

(٧) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٠٩.

(٨) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٨٠.

حـــ) **مَغْرا**: نسبة إلى مغرا بن مالك بن سلمة الخير، منهم أبو حكيمة بن عميرة المغراوي[1].

ط) **نُبَـيْط**: نسبة إلى نبيط بن مالك بن سلمة الخير، رهط الصمة بن عبـــد الله القشيري[2].

٢) بنو عبد الله: بن سلمة الخير بن قشير[3]. ومن فصائلهم:

أ) بَحِير: نسبة إلى بحير بن عبد الله بن سلمة الخير[4].

ب) **سَوَادَه**: نسبة إلى سوادة بن عبد الله بن سلمة الخير[5].

جـــ) **فِراس**: نسبة إلى فراس بن عبد الله بن سلمة الخير، منهم مكرمة بنـــت الكحيل الفراسية التي أنشدت الهجري أبياتاً لمنقذ بن عطاء في جهم بـــن عقيـــدة الفراسي[6].

د) **قِراس**: وفراس رهط ابن عقيدة الحباجي[7]. وقد شكك الشيخ حمد الجاسر في أن يكونا اسمين واعتبرهما اسماً واحداً[8].

هـــ) **مُـرَارَة**: نسبة إلى مرارة بن عبد الله بن سلمة الخير؛ قال الهجـــري: مـــن مواليهم آل صهيب[9].

و) **هُوَيْم**: نسبة إلى هويم بن عبد الله بن سلمة الخير[10].

---

(1) الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٨٨٣ .

(2) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٩٢. هكذا قال الهجري في نسبه، والمشهور أنه من بني قرة بن هبيرة. انظر (ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٥١ ؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٨٩).

(3) الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٨١٢.

(4) المصدر نفسه جـ٤ ص١٦٨١.

(5) المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٨٨.

(6) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٤٤– ١٨٤٥.

(7) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٤٩ .

(8) المصدر نفسه والصفحة نفسها، حاشية: ١.

(9) المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٩٩.

(10) المصدر نفسه جـ٤ ص١٩٠٥.

٣) **عامر بن سلمة الخير بن قشير.** ومن أشهر فصائله:

أ) **القُرِّي**: نسبة إلى قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير، منهم حباب بن بكير القري[١] ومعروف بن قدامة القري[٢].

٤) **بطون أمّ دهر:**

هناك اختلاف كبير بين ابن الكلبي والهجري في أبناء أمّ دهر، ففي حين يذكر ابن الكلبي أن أبناءها سبرة وسمير وبريك، نجدهم عند الهجري الرقاد وزفر وسمير وقيس[٣]. منهم سوار بن أوفى بن سبرة بن سلمة الخير الذي كان يهاجي النابغة الجعدي[٤]، وقد ورد ذكرهم في شعر نوال بن الثغاء اللبيني، حينما أجمعت بنو سليم ودهر على حربهم:

لقد أجمعت دهر علينا ومالك فلم يبق إلا كل طفل وخاضب
وحي مريح أجمعوا وتحاشدوا فلم يبق إلا في البيوت الكواعب[٥]

يظهر من الشطر الأول أن المقصود بالذين أجمعوا معهم هم إخوتهم بنو مالك ابن سلمة وليس قبيلة سليم المعروفة كما ذكر الهجري.

ومن مشاهيرهم: حيدة بن معاوية بن حيدة، له صحبة[٦]، وبيحرة بن فراس ابن عبد الله بن سلمة الخير، الذي نخس ناقة رسول الله ﷺ فلعنه رسول الله ﷺ[٧]. وهبيرة بن عامر بن سلمة الخير الذي أخذ المتجردة امرأة النعمان بن المنذر (ملك

---

[١] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٨٥٠.
[٢] المصدر نفسه جـ٢ ص٨٥٥.
[٣] المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٥٢.
[٤] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٤٦.
[٥] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٧٥١.
[٦] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٩٠.
[٧] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٤٤.

الحيرة) فلما عرفها أعتقها، وابنه قرة بن هبيرة الذي قتل عمران بن مرة الشيباني، وهو الذي وفد على النبيﷺ فأكرمه وكساه واستعمله على صدقات قومه[١]، وسنأتي على طائفة من أخباره فيما بعد، وابناه جفنة وكلاب كانا فارسين، وكان جفنة شاعراً، وهو فارس القلادة[٢]، ومنهم "ناشد رجله" حياش بن قيس بن الأعور شهد اليرموك ويقال إنه قتل بيده ألف رجل وقطعت رجله يومئذ فلم يشعر بها حتى رجع إلى العسكر فرجع ينشد رجله وكانت أرجوزته: -

أنا القشيري أخو المهاجرة   أضرب بالسيف رؤوس الكافرة[٣]

ومنهم كلثوم بن عياض بن وحوح بن قيس بن الأعور، عامل إفريقية لهشام ابن عبد الملك، وكان قد ولي الشرطة للوليد بن عبد الملك، وهو الذي ضرب علي ابن عبد الله بن عباس الهاشمي[٤]. ومنهم ثور بن عبد الله بن سلمة الخير. وهو الذي أخذ إبل قتادة بن مسلمة الحنفي من ناشب بن قدامة، وكان قد ادعى جواره[٥].

ومنهم زرارة بن عقبة بن عمرو بن سمير بن سلمة الخير، ولي خراسان[٦] للأمويين، ولبني زرارة قدر وشرف، فعمرو بن زرارة كان ذا مترلة عند معاوية، وقد ولي نيسابور[٧] أكثر من مرة، وقتل وهو عليها في عهد الخليفة الوليد بن يزيد

---

[١] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٤٤– ٣٤٥.

[٢] المصدر نفسه ص٣٥١ . لقب جفنة فارس القلادة وربما يكون اسم فرس له.

[٣] المصدر نفسه ص٣٤٨. وأعتقد أن في هذه الرواية نوعاً من المبالغة والتناقض. فيذكر ابن الكلبي نفسه من ضمن أرجوزته وهو يخاطب فرسه خذام: أقدم خذام إنها الأساورة   ولا يغرنك ساق نادرة

مما يدل على أن لديه علماً بقطع ساقة، ولكنه رجع ينشد عنها ليواريها وفي ذلك يقول سوار بن أوفى مفتخراً:

ومنا ابن عتاب وناشد رجله   ومنا الذي أدى إلى الحي حاجبا (انظر المصدر نفسه ص٣٤٨).

[٤] المصدر نفسه ص٣٤٩.

[٥] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[٦] خراسان: بلاد واسعة تشمل الأراضي الواقعة ما بين العراق والهند (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص٣٥٠).

[٧] نيسابور: مدينة عظيمة من مدن بلاد فارس في ذلك العهد كانت مهدا للعلم ومنبع للكثير من العلماء فتحها الأحنف بن قيس في عهد عمر بن الخطاب ﷺ (المصدر نفسه جـ٥ ص٣٣١).

حيث مر به يحيى بن زيد الهاشمي فوجده بين المعتقلين فقتله وأخوه زياد بن زرارة (الأقطع) كان شريفاً أيضاً، وبيتهم من أشرف البيوت بخراسان في عهد الدولة الأموية، وكان لهم فرس يقال لها (الحميراء)، لم يكن هناك سلالة أشهر منها؛ ومن سلالتها الأجدل الذي لم يكن هناك أي فرس يجاريه[1].

ومن مشاهير علمائهم بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة كان فقيهاً ومحدثا[2]، ومنهم مفخرة هوازن على الإطلاق مسلم بن الحجاج القشيري، صاحب "صحيح مسلم".

وقد نبغ فيهم مجموعة من الشعراء، منهم الأقرع بن معاذ[3]، ويزيد بن الطثرية[4]، والصمة بن عبد الله القشيري... وغيرهم[5]

---

[1] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٤٥– ٣٤٦. انظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٢٧١.

[2] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٤٩. بهز بن حكيم: ذكره البغوي في الصحابة وأنه روى أن النبي ﷺ كان يستاك عرضاً ولكن ابن حجر شكك في صحبته (ابن حجر، الإصابة. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ورفاقة، دار الكتب العلمية. بيروت ١٤١٥هـ. جـ١ ص٤٥٩).

[3] الأقرع بن معاذ: كان يناقض جعفر بن علبة الحارثي واسمه الحقيقي الأشيم بن معاذ بن سنان وإنما قرعه قوله لمعاوية:

معاوي من يرقبكم إذا أصابكم ... شباحية مما غدا القف أقرع

(المرزباني، معجم الشعراء. ط٢. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. ص٣٨٠. انظر أيضاً: سامي مكي العاني، معجم ألقاب الشعراء. مكتبة الفلاح. دبي ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. ص٢٩.

[4] يزيد بن الطثرية: هو يزيد بن سلمة بن سمرة شاعر أموي، أمه من طثر بن عتر بن وائل فنسب إليها، له شعر جيّد في الحماسة، قتلته بنو حنيفة يوم الفلج سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م (ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء. تقديم حسن تميم ومراجعة محمد عبد المنعم العريان. دار إحياء العلوم. بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩١م. ص٢٨٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء جـ٦ ص٧٣).

[5] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٥١. الصمة القشيري من الشعراء العشاق وسوف نتطرق لمزيد من أخباره لاحقاً (انظر الرسالة ص٣٧٢).
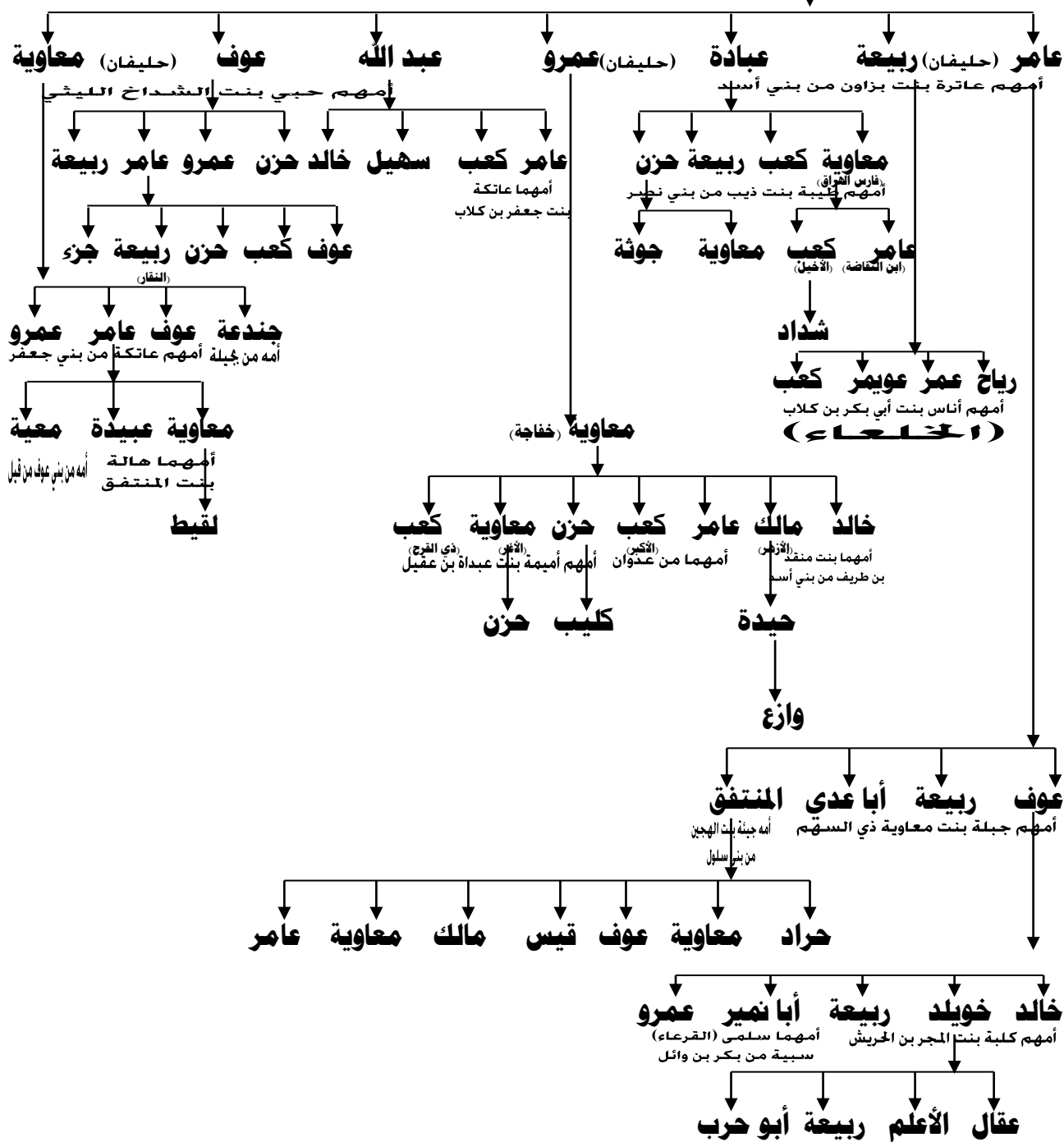
التفريعات الأساسية لبني عقيل:

أولاً ــ بنو عُبَادَة بن عُقَيْل: والنسبة العامة إليهم العبادي.

١) **بنو معاوية بن حَزْن بن عبادة:** وفيها بطنان:

أ) **بلْحَرَشِيَّة:** وفيها عدة فصائل:

---

[1] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٣٢– ٣٤٢.

أ-١) **بنو القُلَيْب:** وفيهم العدد والشرف[1].

أ-٢) **بنو مُعْرِض:** وهي التي تلي القليب في الشرف وفيها اللوى والقرى، منهم أبوالغطمش من شيوخ الهجري[2].

أ-٣) **بنو بَهْدَل:** وهم البهادلة[3].

أ-٤) **بنو ثور**[4].

أ-٥) **بنو مرجو:** وهم المراجية[5] وفيهم **الماعزي** نسبة إلى ماعز بن مرجو بن معاوية[6].

أ-٦) **بنو هَمَّام** [7].

ب) **العَوْفِية:** - وفيها الفصائل الآتية:

ب-١) **بنو كِدَام:** (الكدم) وهم :

ب-١- أ) **بنو رَدَّاد:** وهم بنو رداد بن قيس بن معاوية بن حزن[8]. منهم عذود ابن عازم بن المشيع[9].

ب-١-ب) **بنو جَعْدَة:**[10] وهم غير قبيلة الجعدة المشهورة.

ب-١-جـ) **بنو مُشْرَق:** وهم المشارقة[11].

---

(١) الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٨٥٥.

(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص٧٧٩، جـ٤ ص١٦٨٦.

(٣) المصدر نفسه جـ٤ ص١٦٨.

(٤) المصدر نفسه جـ٤ ص١٦٩٣.

(٥) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٦٩.

(٦) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٦٥.

(٧) المصدر نفسه جـ٤ ص١٩٠٤.

(٨) المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٥٩.

(٩) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٢٩.

(١٠) المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٠٣.

(١١) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٧٥.

ب–٢) **اللَّقَطَة**: وهم:

ب–٢–أ) **بنو حَمَّال**: منهم زهير بن أحمد الحمالي صاحب سعدى[١].

ب–٢–ب) **بنو مُصْعِد**[٢].

ب–٢–جـ) **العُلَيْويون**[٣].

وفصائل اللقطة هذه يجمعها خويلد بن معاوية بن حزن[٤].

٢) **بنو جُوثَة بن حزن بن عبادة**: وفيها بطنان:

أ) **الحَاتِمِي**: من قيس جوثة منهم الشاعر جميع بن مرزوق الحاتمي[٥].

ب) **المُسْتَلَمي**: ومنهم **بنو عِيسَى**، نسبة إلى عيسى بن عبيد بن جوثة بن حزن، منهم الشاعر سمرة بن زيد العيسي [٦]

١) **الأَخْيَل**: وهم أبناء كعب (الأخيل) بن معاوية بن عبادة بن عقيل منهم ليلى الأخيلية[٧] وسميت هي وقومها الأخايل لقولها:

نحن الأخايل ما يزال غلامنا   حتى يدب على العصا مذكورا[٨]

٢) **المُهَيَّا**: من بطون بني عبادة[٩] ولكن لم أستطع تحديد الفرع الذي ينتمون إليه. وقد ورد ذكرهم في شعر سباق الباهلي:

وإن شئتم إلى أهل المهيا   ففيهم كل مكرمة وهيه[١٠]

---

[١] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٣٣.

[٢] المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٧٦.

[٣] المصدر نفسه جـ٤ ١٨٣١.

[٤] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٠.

[٥] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧١٢.

[٦] المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٧٥.

[٧] المصدر نفسه جـ٤ ص١٦٦.

[٨] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٤٠.

[٩] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٨٨٨.

[١٠] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

١) **الرُّقَيْطَاوي**: ذكر الهجري أن في بني عبادة الرقيطاوي غير رقيطا خويلد بني عوف بن عامر[١] ولكن لم نجد لهم ذكراً فيما اطلعنا عليه من المصادر. والذي يظهر لنا من الاضطراب الواضح في رواية أبي المهاجر "بطون بني معاوية بن حزن بن عبادة بن عقيل بطنان: بنو الحرشية وفيهم العدد، وبنو العوفية عوف بن عامر بن عقيل"[٢]، ومن كلام الهجري: "والبطون مشتبهة"[٣]، أن أغلب بطون العوفية ترجع إلى عوف بن عامر بن عقيل ولكنها اختلطت ببعض بطون معاوية بن حزن بن عقيل ، ففي بني عبادة خويلد بن معاوية وفي بني عامر بن عقيل خويلد بن عوف.

ثانياً ـــ بنو عامر بن عقيل: وفيهم عدة بطون:

١) **بنو خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل**: والنسبة إليهم خويلدي[٤] وهم:

أ) **الأَعْلَمي**: نسبة إلى الأعلم بن خويلد بن عوف، منهم مزاحم بن الحارث بن مصرف بن الأعلم، شاعر أموي، عاصر جريراً والفرزدق وذا الرمة[٥]، ومنهم:

أ-١) **الحَكِيْمِي**: نسبة إلى حكيمة بن الأعلم بن خويلد، وقد ورد ذكرهم في شعر ثبوج، مولى المختار بن الخطاب الكليبي، يردّ به على الحكيمي أحد شعرائهم.

تغنى مغنّ من حكيمة كاذب ومن شر أخلاق الرجال كذوبها[٦]

ب) **الرُّقَيْطَاوي**: وهم أبناء ربيعة بن خويلد بن عوف ماعدا ناشب، ويظهر أن هذه النسبة إلى والدهم ولكن لم نهتد إلى اسمها. وهم حصين وشداد وعلي وعقال

---

[١] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٦٢.

[٢] المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٧٩.

[٣] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[٤] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٤٧.

[٥] المصدر نفسه جـ٢ ص٨٣.

[٦] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٣٠.

وعبيدة[1]، ومن عبيدة: الشاعر ميمون بن شيخ العائذي صاحب سلامة[2]، وقد فات على شيخنا حمد الجاسر أن في خويلد عقيل عبيدة، فشكك في نسب هذا الشاعر[3]. ومن فصائل عبيدة: **العَائِذِي**: كما سبق أن أسلفنا، وهناك أيضاً العائذي من ربيعة بن عقيل كما سيأتي لاحقاً.

جـ) **نَاشِب**: نسبة إلى ناشب بن ربيعة بن خويلد، قال الهجري: ناشب بن ربيعة بطن[4]، وإخوته يقال لهم الرقيطا كما سبق أن أسلفنا.

د) **القَبِيْصِي**: نسبة إلى قبيصة بن خويلد بن عوف[5]. ولعل قبيصة هو أبو حرب لأن ابن الكلبي أورد اسمه بالكنية وليس بالاسم الصريح[6].

هـ) **العِقَالِي**: نسبة إلى عقال بن خويلد بن عوف منهم الضحاك بن كلثوم صاحب أمّ مسلم[7].

٢) **ربيعة بن عوف بن عامر بن عقيل**: وفيهم الفصائل الآتية:

أ) **القَطَنِي**: نسبة إلى قطن من بني ربيعة بن عوف بن عامر بن عقيل[8].

ب) **المُنَيَنْي**: من بني مالك ثم من بني ربيعة بن عوف بن عامر، وقد ورد ذكرهم في شعر الحرشي يمدح جوارهم:

رحلنا وودعنا بطخفة جيرة   من آل منين كل جار مودع [9]

---

(١) الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٦٢.

(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص٨٧٨.

(٣) المصدر نفسه جـ٢ ص٨٧٨، حاشية: ٣.

(٤) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٨٩.

(٥) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٤٧ .

(٦) ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٣٤.

(٧) الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٨٢٨.

(٨) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٥٥ .

(٩) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٨٦.

٣) **المُنْتَفق بن عامر بن عقيل:**

مازال هذا الفرع محتفظاً باسمه، وهو الآن قبيلة كبيرة تعيش في بادية العراق. و لم أعثر على فروع تنسب إليه في فترة البحث سوى فرع واحد هو:

اللَّقِيْطِي: نسبة إلى لقيط بن عامر بن المنتفق الذي وفد على رسول الله ﷺ وأقطعه ماءً يسمى النظيم[(١)]، وفيهم مجموعة من المشاهير سوف نتطرق لهم فيما بعد.

٤) **أبو عدي بن عامر بن عقيل:** لم أعثر على فروع تنسب إليه سوى هذا الفرع:

العَدَوِي: نسبة إلى عدي بن أبي عدي بن عامر بن عقيل، منهم يزيد بن أحمر العدوى[(٢)].

٥) **فرع لم نهتد إلى معرفة البطن الذي يُنسب إليه:**

العَرْعَرِي: من بطون عامر بن عقيل، وقد ورد ذكرهم في شعر إحدى النميريات:

قضيت نذوري من نمير بن عامر ولي في الذليل العرعري نذور[(٣)]

ثالثاً ــ بنو عمرو بن عقيل:

لم يذكر النسابون لعمرو بن عقيل سوى ابناً واحداً هو معاوية، المشهور باسم خفاجة، قال ابن حبيب: اشتهر بهذا اللقب لأنه طعن رجلاً من أهل اليمن فأخفجه[(٤)]. فجميع ذرية عمرو بن عقيل من خفاجة هذا، و لم يشتهر من فروع خفاجة في العصور المتقدمة سوى فرعان:

الأول: **الأُبَوِي** : نسبة إلى أُبيّ بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل[(٥)].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى. دار صادر. بيروت. بدون تاريخ. جـ١ ص٣٠٢.

(٢) الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٨٢٠.

(٣) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٢١. يبدو من بيت هذه النميرية أنها متزوجة في غير قومها.

(٤) المصدر نفسه جـ٤ص١٧٤٥، حاشية: ٣. أخفجه: اطلعنا على عدة قواميس ولم نجد معنىً يناسب السياق، ولكن الذي يظهر لنا من كلام الزبيدي أنه سبب له شللا أو رعشة، لأن الرجل الأخفج من به رعدة (الزبيدي، تاج العروس جـ٣ ص٣٤٧).

(٥) الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٦٦٢ .

الثاني: **الكُلَيْبِي**: نسبة إلى كليب بن حزن بن خفاجة، منهم المختار بن الخطاب الكليبي[١].

أما في عصر ابن الأثير فيذكر أن خفاجة لا تعرف في هذا العصر إلا قبيلتين إما حزني أو كعبي[٢]. وقد ذكر السمعاني أنه يركب منهم على الخيل في عصره ثلاثون ألف فارس ماعدا الركبان والمشاة، وهم بنواحي الكوفة[٣].

حَزْني: نسبة إلى حزن بن خفاجة بن عمرو بن عقيل، وهو الذي دعا الربيع ابن زياد العبسي إلى المبارزة فرفض أن يخرج له[٤].

كَعْبِي: نسبة إلى كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل.

رابعاً ـ بنو ربيعة بن عقيل[٥]: ويقال لهم الخلعاء لأنهم لا يعطون أحداً طاعة[٦]، ومن بطونهم:

١) **المُطَرِّفي**: نسبة إلى مطرف بن عبد الله بن الأعلم بن عمرو بن ربيعة بن عقيل، منهم عمرو بن همام بن مطرف الذي ولاه مروان بن الحكم صدقات بني عامر ابن صعصعة[٧]. وفيهم الفصائل الآتية:

أ) **العَائِذِي**: من فصائل البطن السابق، منهم جبير بن سليم العائذي، صاحب طلة أمّ المعلل[٨]. ومنهم:

---

[١] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٣٠.

[٢] ابن الأثير، اللباب جـ١ص٣٦٣.

[٣] السمعاني، الأنساب. الجزء الخامس. تحقيق عبدالرحمن يحيى المعلمي. الناشر محمد أمين دمج. بيروت ١٤٠٠هـ. جـ٥ ص١٥٥.

[٤] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٣٧.

[٥] نعتهم الهجري في عدة مواضع بربيعة بنت عقيل، وقد أشار إليها شيخنا حمد الجاسر وقال في تعليقة على ذلك: الصفة في بنت ترجع للقبيلة، ولم أفهم مراده من ذلك (انظر الهجري، المصدر السابق جـ٢ ص٥٦٢).

[٦] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٣٣ .

[٧] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٨٧٧. انظر أيضاً المصدر نفسه جـ٢ ص٣٣٣.

[٨] المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٠٩.

ب) **الغَيْلَانِي**: من فصائل الفرع السابق، منهم عبد الله بن عاصم الغيلاني العائذي، صاحب جمل الخثعمية(١).

٢) **النَّعَامِي**: من بطون ربيعة بن عقيل، و لم نهتد إلى معرفة الفرع الذي ينتمون إليه، منهم نزار النعامي(٢).

خامساً ــ بنو معاوية بن عقيل

لم يشتهر منهم بطون في العصور المتقدمة، ولعل ذلك يرجع إلى كثرة تكرار اسم معاوية في هوازن. ومن بني معاوية هؤلاء لقيط بن معاوية بن عامر بن معاوية ابن عقيل(٣).

سادساً ــ بنو عوف بن عقيل: لم يظهر لهم فروع مشهورة في فترة البحث، ومن مشاهيرهم ربيعة النقار، كان عالماً بأحوال الناس، وعبد الله بن سالم بن كعب بن عوف بن عقيل، قاتل توبة بن الحمير، صاحب ليلى الأخيلية(٤).

سابعًا ــ بنو عبد الله بن عقيل(٥): لم أجد لهم أيّ فروع، وكذلك لم أعثر على مشاهير ينتمون لهذا الفرع.

ومن مشاهير بني عقيل: سليمان بن عبد الله بن علاثة، قاضي هشام بن عبدالملك ولاه الصلاة(٦)، وأبو حرب بن خويلد كان من فرسان الجاهلية(٧) وهو الذي سبق أن ذكرنا وفادته على النبي ﷺ، وعمرو بن معاوية بن المنتفق الذي ولاه

(١) الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٨٤٣.
(٢) المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٩٥.
(٣) ابن الكلبي، جمهرة النسب ص ٣٤٢.
(٤) المصدر نفسه ص٣٤١.
(٥) المصدر نفسه ص٣٣٣.
(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٧) المصدر نفسه ص٣٣٤.

معاوية أرمينية[١] وأذربيجان[٢] والأهواز[٣] وعزره بن معاوية، أحد بني الأبرص من ربيعة بن عامر قاد بني كعب يوم الجمل مع عائشة رضي الله عنها[٤].

ومنهم الحارث بن الأبرص بن ربيعة بن عامر بن عقيل، قاتل زيد بن عمرو بن عدس يوم جبلة[٥]، ومنهم عبيدة بن قيس الذي ولّى أرمينية ليزيد بن معاوية[٦]، ومنهم الحزنان: حزن بن خفاجة وحزن بن معاوية بن خفاجة، اللذان كانا من فرسان بني عامر في الجاهلية، ومنهم معاوية بن عبادة بن عقيل، فارس الهرار الذي لحق بزهير بن جذيمة العبسي فطعن فرسه في إحدى رجليها فانخزلت به[٧]، ومنهم الأعسر بن عبادة، صاحب البعير الأعور الذي فرت منه بنو أسد يوم جبلة[٨]... وغيرهم.

---

[١] أرمينية: إقليم واسع في شمال شبه الجزيرة العربية (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص١٦٠).

[٢] أذربيجان: إقليم واسع في بلاد فارس وقاعدته مدينة تبريز، ومن أشهر مدنه خوي وسلماس وأرمية وأردبيل ومرند (المصدر نفسه جـ١ ص١٢٨).

[٣] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٣٥. الأهواز: اسم معرب لإقليم خوز ستان من أقاليم بلاد فارس (ياقوت، المصدر السابق جـ١ ص٢٨٤).

[٤] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٣٥– ٣٣٦.

[٥] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٩٠. يوم جبلة: من أشهر أيام العرب في الجاهلية وسوف نتطرق له لاحقاً.

[٦] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٣٦. انخزلت به : أي تثاقلت في مشيتها. وزهير بن جذيمة هو زعيم قبيلة بني عبس وسوف نتطرق لهذه الحادثة لاحقاً (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص١٢٨٢).

[٧] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٣٧.

[٨] المصدر نفسه ص٣٤٠. كان للتشاؤم أثر كبير في حياة العرب في الجاهلية، وكان بنو أسد مشاركين لبني تميم في غزوهم لبني عامر، فلما رأى بنو عامر صعود بني تميم وحلفائها الجبل عليهم أمروا معاوية بن عبادة، وكان أعسرا، أن يمسك بذيل بعير أعور ويتلقفهم، فلما رأى بنو أسد الغلام الأعسر ممسكا بذيل البعير الأعور تشاءموا ورجعوا ولم يشاركوا في المعركة (أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني. مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر. بدون تاريخ. جـ١٠ ص٣٦).
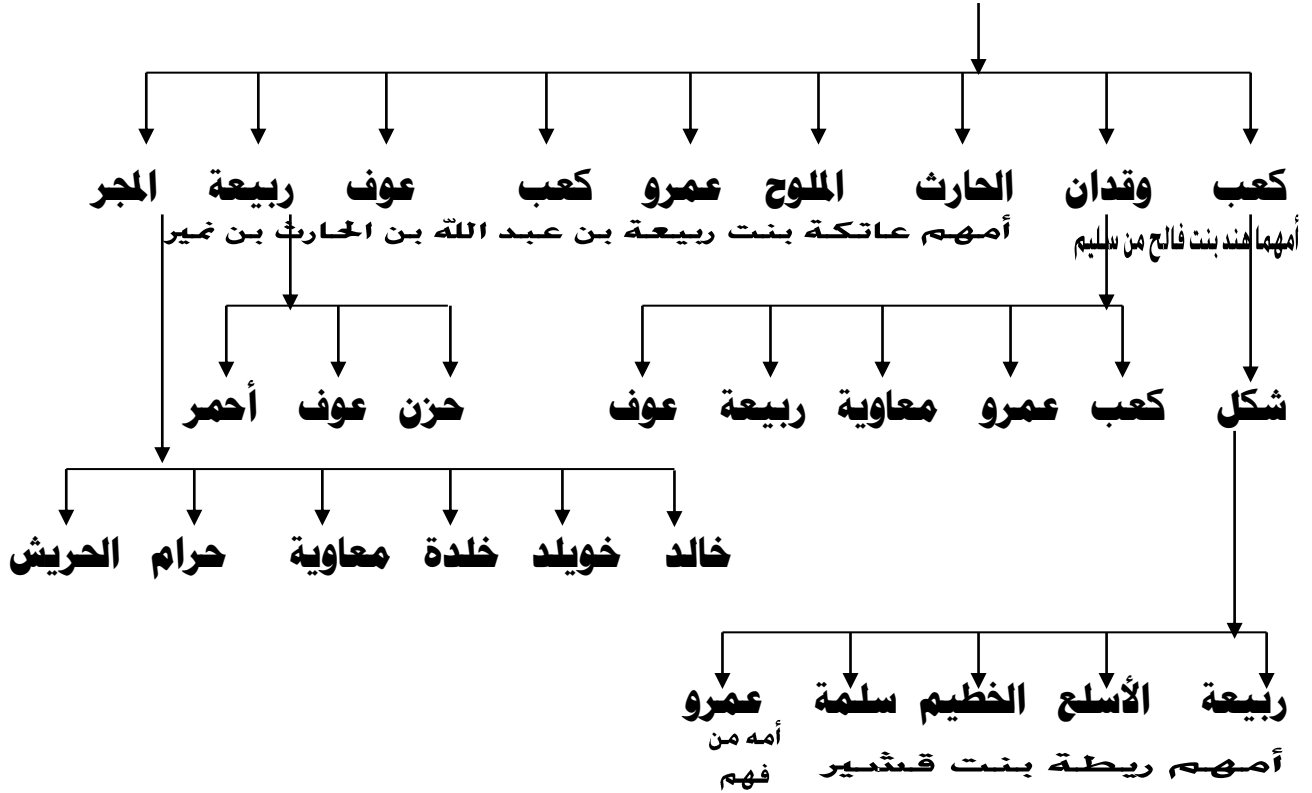
ومن أشهر الفروع المتقدمة لبني الحريش ما يلي:

١) **المُجَر**: نسبة إلى المجر بن الحريش. منهم ضرار بن عبس فارس قيس أثناء ولاية خالد بن خازم السلمي لخراسان من قبل الأمويين[٢].

٢) **بنو شَكَل**: نسبة إلى شكل بن كعب بن الحريش. منهم ربيعة بن شكل الذي عقد الحلف بين بني عامر وبني عبس كما سيأتي بيانه فيما بعد[٣].

٣) **وَقْدَان**: نسبة إلى وقدان بن الحريش[٤]. منهم مطرف بن عبد الله بن الشخير الذي كان مجاب الدعوة؛ لذا كان الناس يتقون إيذاءه[٥].

---

[١] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٥٥– ٣٥٨.

[٢] المصدر نفسه ص٣٥٨.

[٣] المصدر نفسه ص٣٥٦.

[٤] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٨٩٨.

[٥] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٥٦– ٣٥٧. كان مولد مطرف في عام غزوة بدر، وقيل في سنة غزوة أحد، وكان من ضمن جيش الأحنف الذي أرسله عمر ﷺ لفتح خراسان فأرسله الأحنف لفتح سرخس (ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٣٣)؛ انظر أيضاً: الذهبي سير أعلام النبلاء جـ٤ ص١٨٧– ١٨٩).
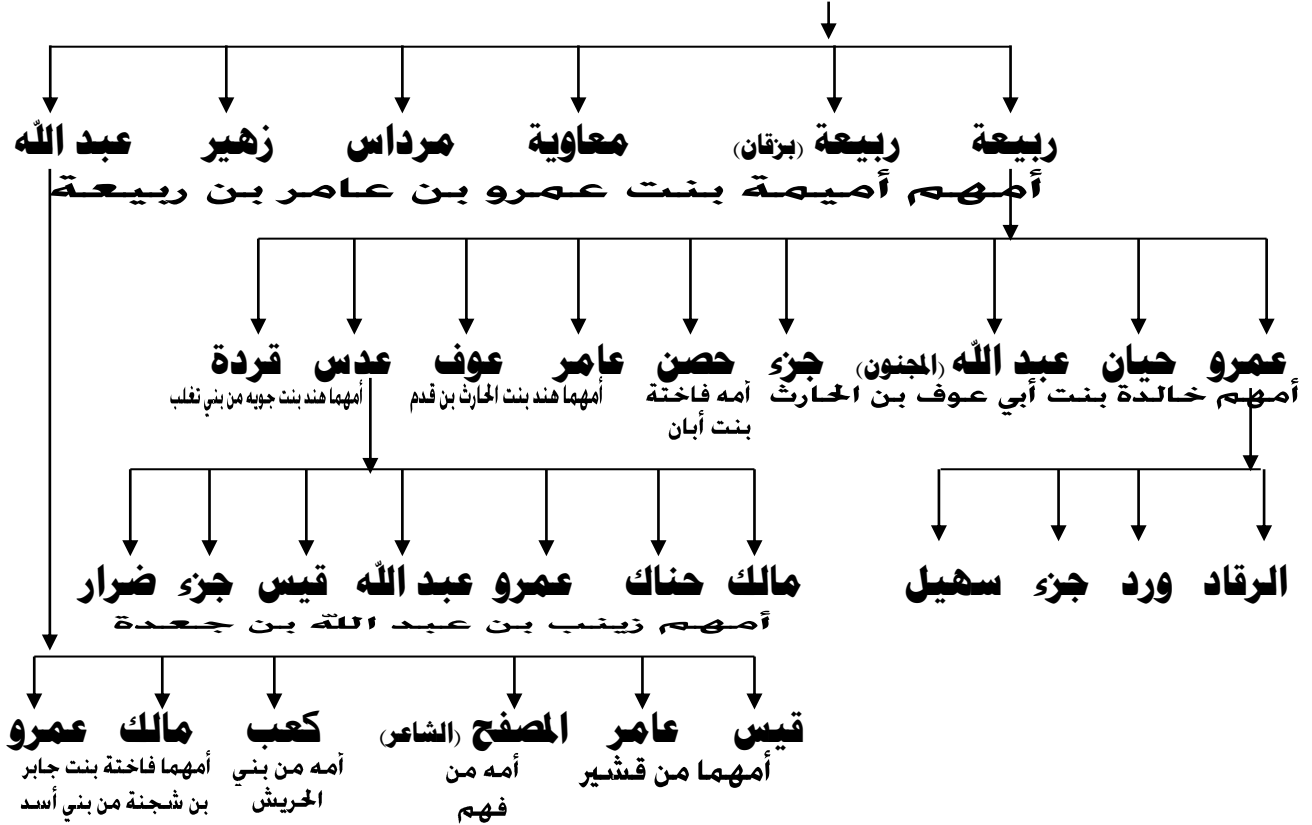
بنو جعدة: من فروع بني كعب المشهورة، وهم رهط النابغة الجعدي[2]، ومن أشهر فروعهم المتقدمة ما يلي:

١) **الرُّقَاد**: وفيهم إمرة بني جعدة، وقد ورد ذكرهم في شعر أحد جيرانهم من بني عقيل:

تقول ظعينتي: أبرقت فأظعن ... وبعض البرق يخلف في البلاد

أغيثـــــاً تطلبين ســـواءً أني ... جعلتك جـــارةً لبني الرقـــاد[3]

٢) **الجَعَادِب**: ورد ذكرهم في شعر معروف بن قدامة القشيري[4].

٣) **سِعْر**: وقد ورد ذكرهم في شعر معروف بن قدامة القشيري[5].

---

(١) ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٥٢– ٣٥٥.

(٢) هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة، وشهرته تغني عن التعريف به (ابن الأثير، اللباب جـ١ ص٢٨٢). وقيل اسمه حسان بن قيس بن عبدالله بن وحوح بن عدس (أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ٤ ص١٢٧).

(٣) الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٦٢.

(٤) المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٠١.

(٥) المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٧٩.

٤) **بنو مَصاد:** وقد ورد ذكرهم أيضاً في شعر معروف بن قدامة القشيري. حيث يقول في معشوقته منيعة الجعدية:

إذا حلت منيعة بطـــن برك   وأهلك بالرعان من السواد

وحاربت الجعادب غير شك   وسعر حاربت بنو مصـــاد

فأهد مع الرياح لها سلامـــاً   وعز النفس عن تلك البلاد[١]

الفرع الخامس: بنو عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[٢]

- **العجلان**
  - **حنيف**
    - **مالك**
    - **دثار**
      - **قيس**
      - **عبد قيس**
      - أمهما أميمة بنت عمرو بن يربوع الغنوي
    - **كيشم**
    - **عوف**
  - **عوف**
  - **معاوية**
    - **بديل**
  - **همام**
  - **ربيعة**
    - **زمعة**
    - **رفاعة** (كراكر)
    - **أسيد**
  - **مالك**
  - **عمرو**
    - **بحير**
    - **سمير**
    - **طارق**
    - **بيهس**
    - **نابت**
- **عمرو** (نهم)
  - **ربيعة**
    - **قيس**
    - **عامر**
  - **أبو ربيعة**
  - **سلمة**
  - **عامر**
- **ربيعة**

---
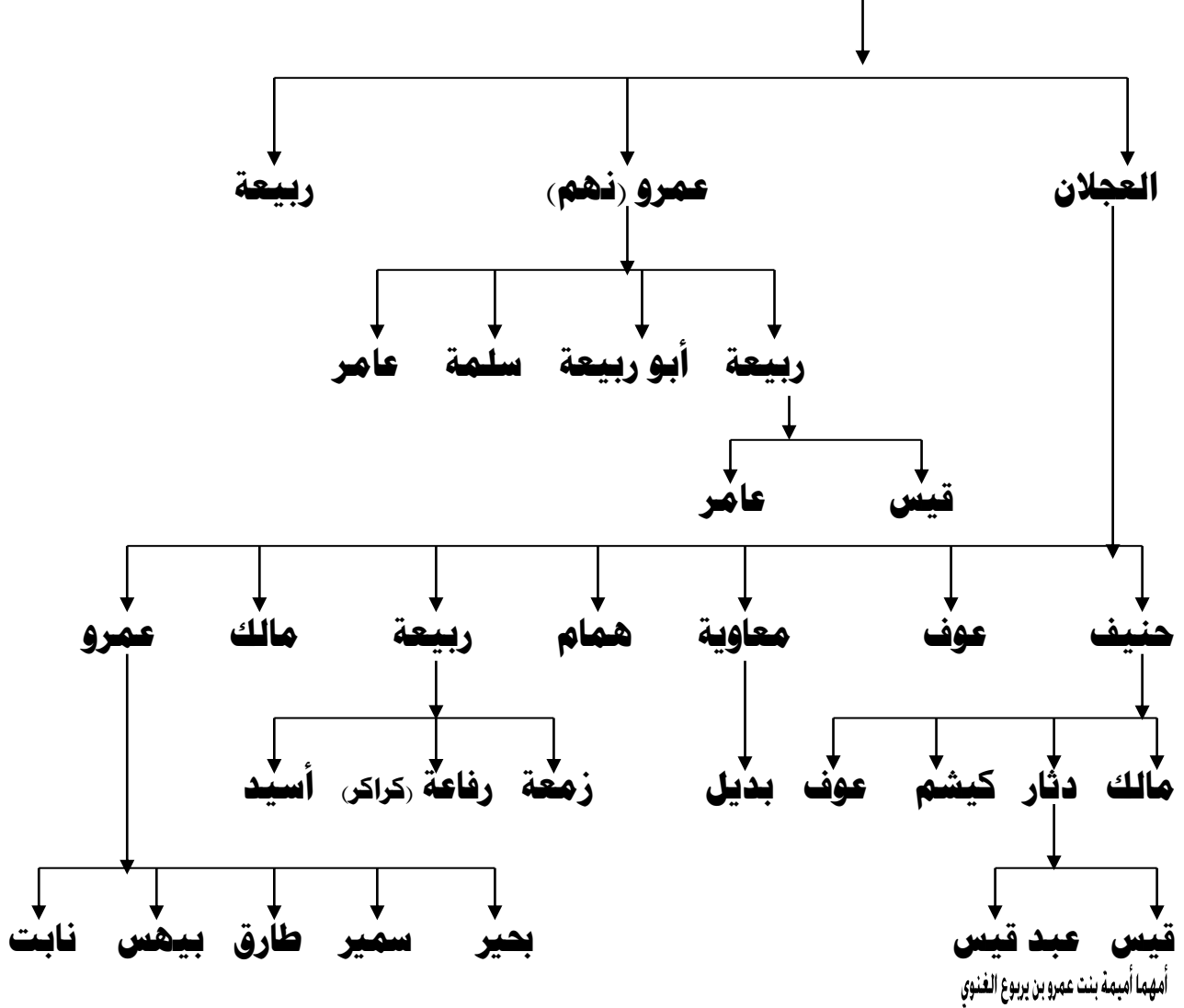
[١] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٠١.

[٢] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٥٩– ٣٦٠.

ومن أشهر فروعهم **بنو العجلان**، الذين منهم **بنو حُنَيف**. ومن مشاهيرهم دثـــار ابن حنيف بن العجلان الذي فدى قومه بابنه[١]. **وبنو نُهَم** بن عبد الله بن كعب[٢].

الفرع السادس: **حبيب بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة**[٣]
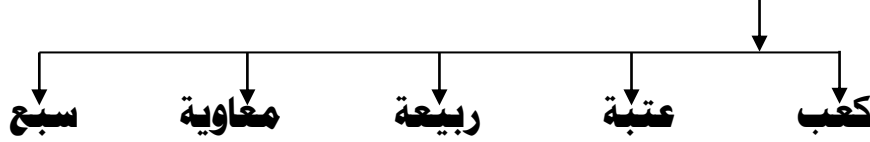
لم أجد لهم فروعاً مشهورة في فترة البحث. وقد ذكر ابن الكلبي أن عددهم قليل، وهم بخراسان[٤]. ذكرهم ابن حبيب ضمن القبائل التي لا تزيد وقال: هم سبعة أو ثمانية، كلما ولد لهم واحد مات منهم واحد[٥].

الفرع الرابع من فروع بني ربيعة بن عامر: **بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة**[٦]

جعفر معاوية ربيعة عمرو عبيد عامر الحارث عبد الله كعب زيد

(الضباب) (أبو بكر) (رواس) الأضبط (درج لا عقب له)
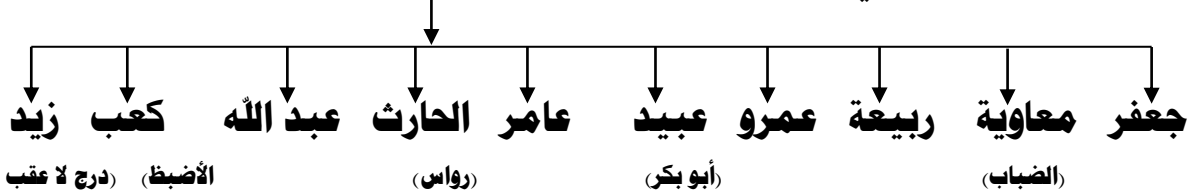
أمهم ذؤيبة بنت عمرو بن مرة بن صعصعة أمهم سبيعة بنت مرة بن صعصعة أمه من غسان

يعدّ هذا الفرع من أشهر فروع هوازن، وهو أحد الفرعين اللـــذين قصـــدهما جرير عند هجائه للراعي النميري كما سبق أن أسلفنا[٧]. وهو أيضاً أحد الفرعين اللذين سأل عنهما دريد بن الصمة يوم حنين بقوله: "ما فعلت كعب وكـــلاب؟" كما مرَّ معنا. وينقسم بنو كلاب بن ربيعة إلى عشرة فروع، كما هو واضح أعلاه.

الفرع الأول: **بنو جعفر**: والنسبة إليهم الجعفري.

---

(١) ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٥٩. سنتطرق لهذه القصة لاحقا أثناء الحديث عن النواحي الاجتماعية.

(٢) ابن الأثير، اللباب جـ٣ ص ٣٣٨.

(٣) ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٦٠.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) ابن حبيب، المحبر ص٢٥٦.

(٦) ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣١٤. ذكر ابن الكلبي أن كعبا هو الأضبط، ولكن عندما فصل فروعهم جعلهم رجلين مختلفين.

(٧) انظر الرسالة ص٣٤.

الفرع الثاني: **بنو معاوية (الضِّبَاب)**: والنسبة إليهم الضبابي.

الفرع الثالث: **بنو ربيعة** بن كلاب.

الفرع الرابع: **بنو عمرو** بن كلاب.

الفرع الخامس: **بنو كعب** بن كلاب.

الفرع السادس: **بنو أبي بكر** بن كلاب.

الفرع السابع: **بنو عامر** بن كلاب: والنسبة إليهم الرؤاسي.

الفرع الثامن: **بنو رُؤَاس** بن كلاب.

الفرع التاسع: **بنو عبد الله** بن كلاب.

الفرع العاشر: **بنو الأَضْبَط** بن كلاب.

وسوف نأتي الآن على تفصيل هذه الفروع وذكر مشاهيرهم:

الفرع الأول من فروع بني كلاب: جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة(1)

---

(1) ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣١٤– ٣١٩.

(2) الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٠٦.

هذا الفرع أشهر فروع بني كلاب وفيهم زعامة هوازن، وينقسم الجعافرة إلى أربعة بطون:

البطن الأول: **بنو مالك**: وفيهم الثروة، وهم رهط أبي براء عامر بن مالك (ملاعب الأسنة)، وفيهم عدة فصائل:

١) **بنو سَلْمَى**: نسبة إلى سلمى بن مالك بن جعفر، والنسبة إليهم سَلْمِيٌّ مثل عَمْرِيٍّ، وفيهم عدة فروع:

أ) **بنو جَبَّار بن سلمى** بن مالك.

ب) **بنو المُغِيرَة بن سلمى** بن مالك.

جـ) **بنو الأَخْنَس بن سلمى** بن مالك.

د) **بنو نُسَيْب بن سلمى** بن مالك: والنسبة إليهم نُسَيْبِيٌّ.

هـ) **بنو عُتْبَة بن سلمى** بن مالك.

و) **بنو عَتَّاب بن سلمى** بن مالك.

٢) **بنو معاوية بن مالك** بن جعفر، الأخ الشقيق لسلمى ويقال لهما أبناء السلمية، وهما يد واحدة على من سواهما.

٣) **بنو أم البنين**: وهم أربعة فروع:

أ) **بنو ربيعة بن مالك** بن جعفر.

ب) **بنو عامر بن مالك** بن جعفر. ومنهم **بنو حميضة** بن بجير بن عامر بن مالك[1].

جـ) **بنو عُبَيْدة بن مالك** بن جعفر.

د) **بنو طُفَيْل بن مالك** بن جعفر.

ومن فصائلهم **بنو حُمَام** و**بنو بُهَية** و**بنو مُضَرِّس** و**بنو أُمَامة** و**بنو دُهَيل** و**بنو حنظلة**.

---

[1] ورد ذكر بني حميضة عند: أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٢٦٢.

البطن الثاني: **بنـو الأَحْـوَص** بن جعفر بن كلاب، وهم الذين يلون بني مالك في الثروة والعدد.

البطن الثالث: **بنو خالد** بن جعفر بن كلاب، وهم قليلو العدد.

البطن الرابع: **بنـو عُـرْوَة** (الرحال) بن عتبة بن جعفر، ويقال لهـم العرويـون، والنسبة إليهم عروي، وهم قليلو العدد أيضاً[١].

الفرع الثاني: من فروع بني كلاب: معاوية (الضباب) بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[٢]
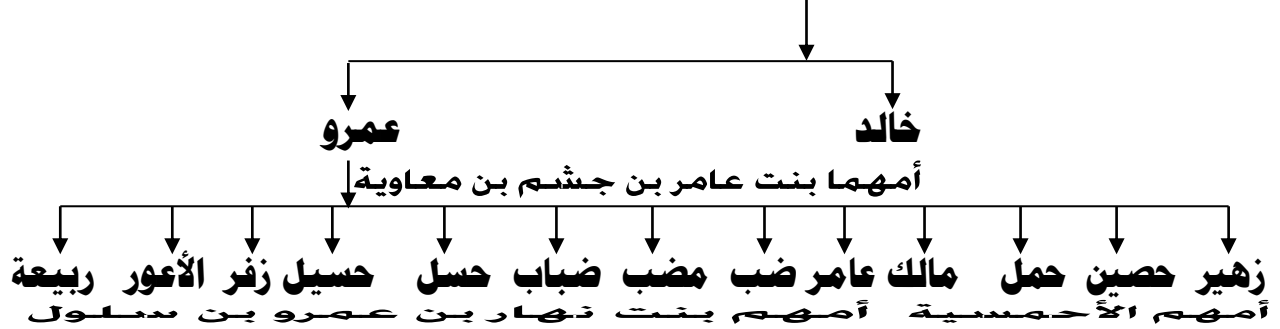
هذا الفرع من أشهر فروع بني كلاب، وسموا بالضباب بسبب أسمائهم المذكورة أعلاه، وهناك اضطراب كبير لدى الهجري في فـروع الضـباب وخاصـة بـني عبد الله، فأحياناً يجعل عبد الله ابناً لعمرٍ بن معاوية، وأحياناً يجعله أخاً لـه مـن أبيه[٣]. أما ابن الكلبي فلم يذكر لعمرو ابناً يسمى عبد الله، ولم يذكر له سوى أخ واحد اسمه خالد كما هو واضح أعلاه، ولم يفصل في عقبه. والذي يظهر لنـا أن عبد الله هو الضباب بن عمرو بن معاوية أو ابناَ له ، لأن الهجري قال عن بني عبد الله هؤلاء هم عمارة الضباب بن عمرو بن معاوية بن كلاب[٤]. ومن المرجح لدينا أن ضب ومضب وحسل وحسيل أبناء للضباب وليسوا إخوة له[٥].

---

[١] عن تفاصيل بطون بني جعفر انظر: الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٠٦.

[٢] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٢٩.

[٣] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٨٠١.

[٤] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[٥] انظر: ابن الأثير، اللباب جـ٢ ص٢٥٨.

وعلى أية حال فهذه أسماء البطون كما وردت عند الهجري:

أولاً: **بنو عبد الله بن عمرو بن معاوية:**

١) **بنو الأَشْهَب** بن قاسط بن عبد الله، ويقال لهم: الأشاهب، ومن فصائلهم:

أ) **خِصْيَل**: وفيهم العدد، وهم رهط الشاعر بزيع بن جبهان[١]، ومن أشهر فروعهم **زُنْمَة وحُمْرَة**، ومن بني زنمة **بنو بَكَّار**، رهط مقلد بن الأصلح[٢].

ب) **بنو حَوْشَب** بن الأشهب، وعددهم قليل[٣].

جـ) **بنو الطَوَّاف** بن الأشهب، وهم أيضاً قليل[٤].

٢) **بنو تَوْلَب** بن عبد الله، وهم دون الأشاهب في العدد[٥].

ثانياً: **بنو عمرو بن معاوية بن كلاب:**

١) **بنو حُصَيْن** بن عمرو بن معاوية[٦].

٢) **بنو حِصْن** بن عمرو بن معاوية[٧].

٣) **بنو حَمَل** بن عمرو بن معاوية[٨].

٤) **بنو زُهَيْر** بن عمرو بن معاوية[٩].

٥) **بنو شُجَاع** بن عمرو بن معاوية[١٠].

---

[١] بزيع بن جبهان من شعراء القرن الثالث الهجري أورد له الهجري قصيدة تتضمن أكثر من تسعين بيتاً (الهجري، التعليقات والنوادر جـ٢ ص٥٣٠، حاشية: ٧).

[٢] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٤٤.

[٣] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٣٦.

[٤] المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٠٥.

[٥] المصدر نفسه جـ٤ ص١٦٩٠.

[٦] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٢٨.

[٧] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[٨] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٣٤.

[٩] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٧٠.

[١٠] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٩٠.

٦) **بنو زفر** بن عمرو بن معاوية[١].

ثالثاً: **بنو أَرْطَاة:** والنسبة إليهم الأرطوي. منهم الشاعر عطية بن العليج الأرطوي[٢]. و لم أهتد إلى الجد الذي ينتسبون إليه، ولعلهم ينسبون إلى أرطاة بن عمرو بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب، فوهم الهجري ونسبهم إلى الضباب.

رابعاً: **بنو الهُجَيْم**:ذكرهم أبو عبيدة و لم أعثر على الفرع الذي ينتسبون إليه[٣].

الفرع الثالث من فروع بني كلاب: ربيعة بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة:

هذا الفرع من أقل الفروع الكلابية عدداً، وهم أهل بيت بالبصرة[٤].

الفرع الرابع من فروع بني كلاب: عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[٥]

---
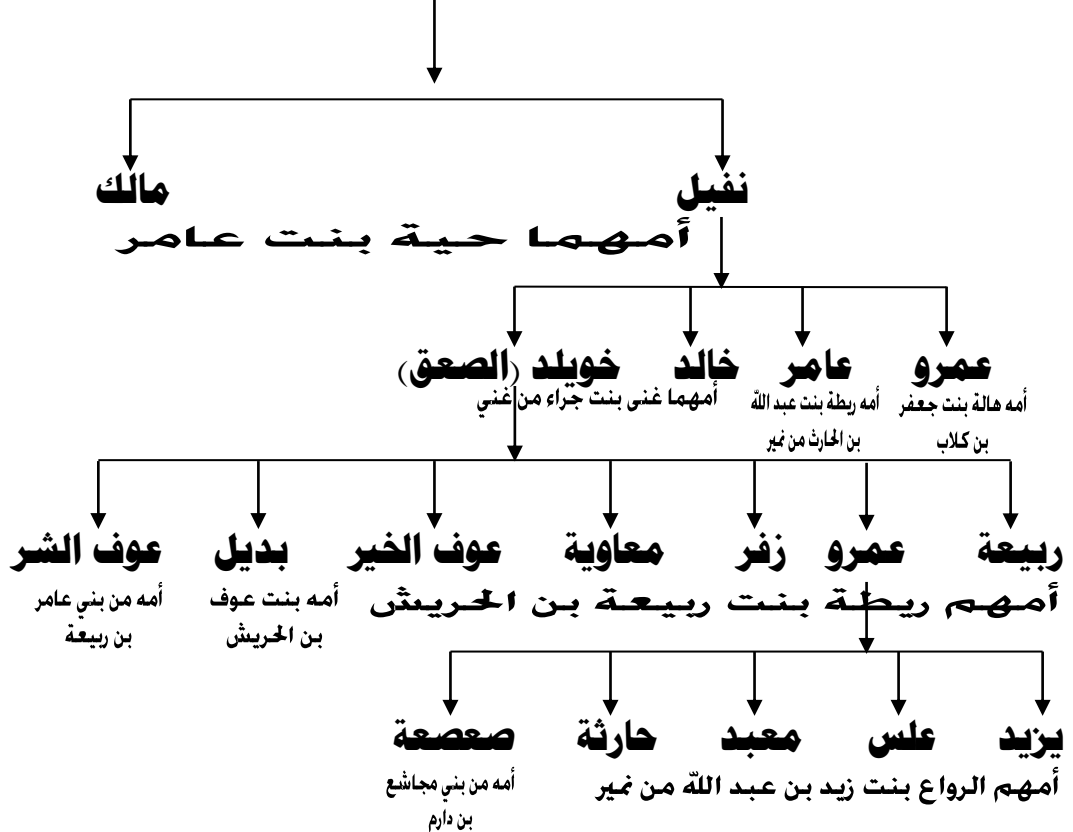
[١] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٦٨.

[٢] المصدر نفسه جـ٤ ص١٦٦٦. عطية بن العليج: أورد له الهجري قصيدتين من الشعر (المصدر نفسه جـ٢ ص٧٤٠).

[٣] أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٢٥٩.

[٤] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٣٢.

[٥] المصدر نفسه ص٣٢٠– ٣٢١.

هذا الفرع من فروع بني كلاب المشهورة، وفيه الفصائل الآتية:

١) **بنو يزيد**: نسبة إلى يزيد بن عمرو بن خويلد بن نفيل، وهو الذي أسر وبرة بن رومانس الكلبي أخا النعمان بن المنذر لأمه[١].

٢) **بنو علَس**: نسبة إلى علس بن عمرو بن خويلد بن نفيل. منهم عيسى بن جراد ابن جعدة بن علس، من أشراف أهل الكوفة في العهد الأموي[٢].

٣) **العِدائي**: نسبة إلى عداء من فروع عمرو بن كلاب، ولكن لم تسعفنا المصادر بمعرفة بقية نسبه[٣].

٤) **الهُتَيْمِي** وقيل **الهُشَيْمِي**: من فروع عمرو بن كلاب[٤]. ولم نهتد إلى الفرع الذي ينسبون إليه. وقد رجح الشيخ حمد الجاسر القول الأول، بدليل أنه لم يجد الهشيمي في مخطوطات الهجري[٥].

الفرع الخامس من فروع بني كلاب: كعب بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[٦]
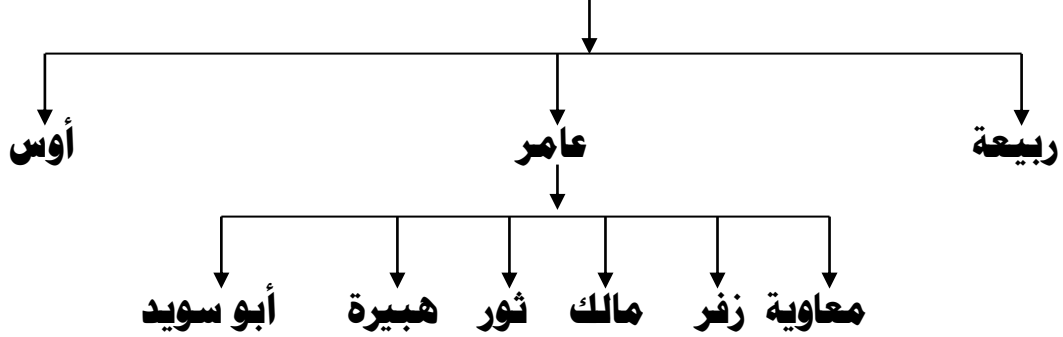
هذا الفرع من الفروع الكلابية التي اختلطت مع أبناء عمومتها نظراً لكثرة تكرار اسم كعب في الفروع الهوازنية.

---

[١] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٢١.

[٢] المصدر نفسه ص٣٢٢.

[٣] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٨١٩.

[٤] المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٩٩، ١٩٠٢.

[٥] المصدر نفسه جـ٤ ص١٩٠٢، حاشية: ٥.

[٦] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٣٢.

هذا الفرع من فروع بني كلاب المشهورة، وفيه الفصائل الآتية:

١) **الأَفْقَهِي**: منهم الشاعر مسعود بن حمزة الأفقهي[٢].

---

[١] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٢٢– ٣٢٦.

[٢] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٦٧٣.

٢) **البَـزَرَي**: قيل هو لقب أبي بكر بن كلاب. قال الشاعر:ناهض بن ثومـــة الشهابي:

وكان القوم أنداداً فكانت بنو البزري لحيّ بني سنان[١]

وفي "القاموس" المحيط: البزري لقب بني أبي بكر بن كـــلاب، نســـبوا إلى أمهم[٢]. وبهذا اللقب يفتخر شاعرهم القتال الكلابي:

إذا ما تجعـــفرتم علياً فإننـــا بنو البـــزري من عزةٍ نتبـــزرُ[٣]

٣) **الحَنَشِي**: منهم الشاعر أبو عبس أحمد بن يربوع الحنشي[٤].

٤) **الرَّبَعِـي**: نسبة إلى ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر. منهم الشاعر الربعي[٥]. ويقال لهم أيضاً بنو المجنون[٦].

٥) **السّهْلِي**: منهم السهلي أحد رواة الهجري[٧].

٦) **الشِّهَابِي الكَعْبِي**: نسبة إلى كعب بن أبي بكر بن كلاب. منهم الشـــاعر ناهض ابن ثومة الكلابي[٨].

٧) **آل جَزْء**: نسبة إلى جزء بن عمرو بن عوف بن كعب بن أبي بكر[٩].

٨) **القُرَطَاء**: وهم أبناء قُرْط وقُرَيْط قَرِيط بن عبد بن أبي بكر بن كلاب[١٠].

---

[١] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٦٨٣.

[٢] الفيروزأبادي، القاموس المحيط.ص٤٥٥. ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٢٩١.

[٣] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٦٨٣، حاشية: ٣.

[٤] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٣٥. أحمد بن يربوع: من شعراء القرن الثالث الهجري أورد له الهجري قصيدة من الشعر (المصدر نفسه جـ٢ ص٥١٦).

[٥] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٥٨. الربعي: اسمه علي بن سليمان الربعي الكعبي، ذكره الهجري من ضمن الشعراء، ولم يورد له شعراً (المصدر نفسه جـ٢ ص٦٣١).

[٦] النويري، نهاية الأرب جـ٢٢ ص٣٢١

[٧] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٧٨٨.

[٨] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٩٥.

[٩] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٢٧.

[١٠] النويري، المصدر السابق جـ٢٢ ص٣٢١.

٩) **بنو الهَصَّان:** نسبة إلى عامر (الهصان) بن كعب بن عبد بن أبي بكر[١].

١٠) **بنو جَحْش بن كعب:** من فروع كعب بن أبي بكر[٢]

الفرع السابع من فروع بني كلاب: **عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة**[٣]

الأصم
أمه من قريش
عددهم قليل

كعب
أمه لبنى بنت كعب
بن ربيعة بن عامر

طريف
أمه من فهم
لا عقب له

الوحيد (بن كعب)
أمه الخنساء بنت عمرو بن كلاب

أبناء الوحيد:

ربيعة عامر معاوية زفر (صاحب المرباع)
أمهم خالدة بنت جعفر بن كلاب

ثور بشر خزيمة عمرو هبيرة
أمهم جويرية بنت سلمة الخير بن قشير

أبناء ربيعة: **خالد طهفة**

أبناء عمرو: **عبيدة أرطاة** (الصبير) **خزيمة علقمة**

أبناء معاوية: **حصن عثمان أوفا مساحق الحجاف نهيك قيس أرطاة زيد عثعث مالك عمرو**
أمهم زينب بنت ربيعة

خالد ← **حزام** ← **الديان**

أبناء الديان: **المحل علي أم البنين**
أمهم ليلى بنت سهيل بن عامر

وبالنظر إلى شجرة النسب الموضحة أعلاه، نجد أن عقب عامر بن كلاب قــد انحصر في فرعين:

---

[١] المبرد، نسب عدنان وقحطان ص٢٣.

[٢] النويري، نهاية الأرب جـ٢٢ ص٣٢١.

[٣] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٢٧– ٣٢٨.

١ ـــ **بنو الأَصَم** وهم قليلو العدد[١].

٢ ـــ **بنو الوَحِيـد** بن كعب بن عامر وفيهم عدد من المشاهير، منهم عبد الله بن شريك بن أرطاة الفقيه، من بني الصبير[٢].

الفرع الثامن من فروع بني كلاب: رؤاس (الحارث) بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[٣]
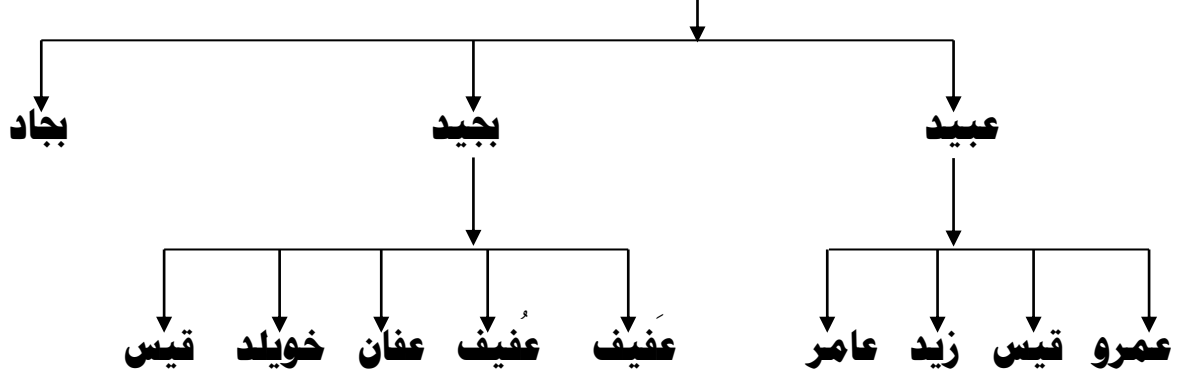
يقال لأبناء هذا الفرع بنو رؤاس، والنسبة إليهم الرؤاسي[٤]. فيهم عدد مـــن المشاهير، منهم عمرو بن مالك بن قيس بن بجيد الذي وفد على النبي ﷺ.

والجراح بن مليح بن عدي بن الفرس بن سفيان بن الحارث بن عمرو بن عبيد بن رؤاس يُحدث عنه، وابنه وكيع بن الجراح الفقيه المشهور[٥].
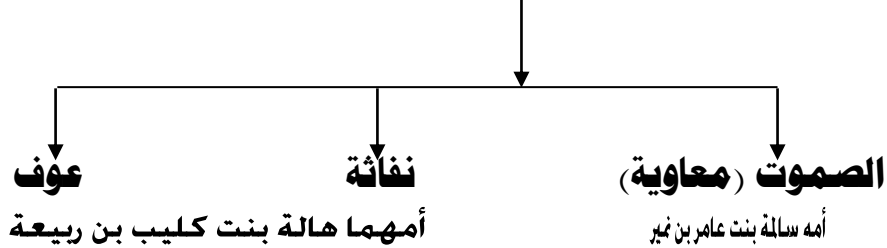
من مشاهير هذا الفرع: الشاعر سراج بن قرة بن ربعي من بني الصموت[٧].

---

[١] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٢٧.

[٢] المصدر نفسه ص٣٢٩. انظر أيضاً: المبرد، نسب عدنان وقحطان ص٢٤.

[٣] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٣٠.

[٤] ابن الأثير، اللباب جـ٢ ص٤٠.

[٥] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٣٠. انظر أيضاً: ابن الأثير، المصدر السابق جـ٢ ص٤٠.

[٦] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٣١.

[٧] المصدر نفسه والصفحة نفسها. لم نعثر على أي معلومة تخص هذا الشاعر في معاجم الشعراء التي اطلعنا عليها.
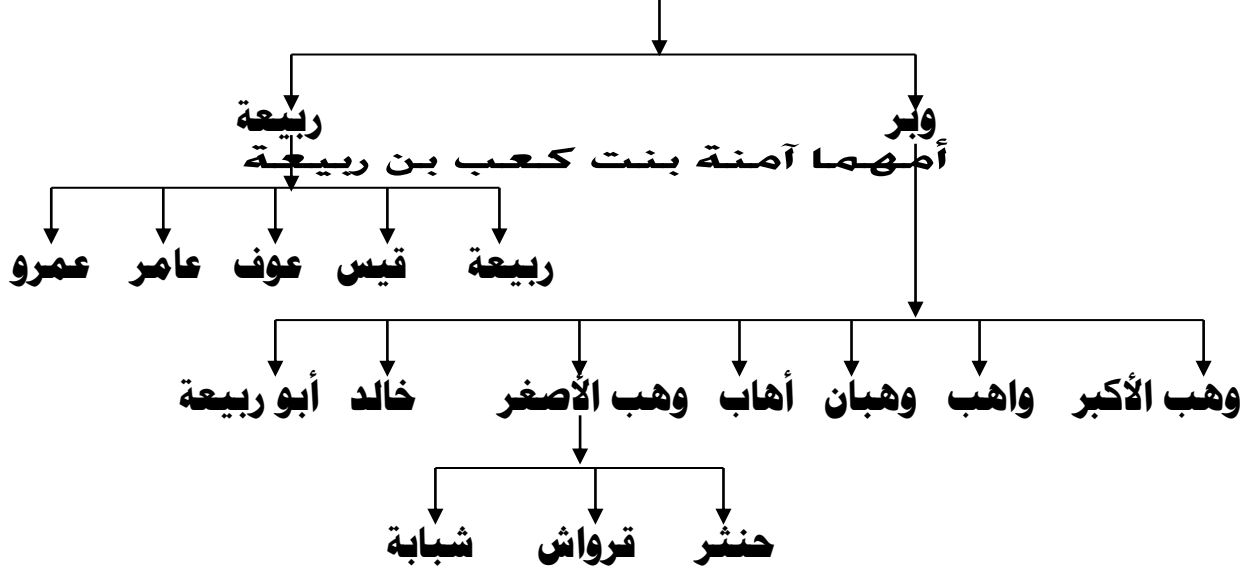
يعرف هذا الفرع ببني الأضبط بن كلاب، وفيهم الفصائل الآتية:

١) **بنو حَنْثَر**: نسبة إلى حنثر بن وهب الأصغر بن وبر بن الأضبط[2].

٢) **بنو قَرْوَاش**: نسبة إلى قرواش بن وهب الأصغر بن وبر بن الأضبط[3].

٣) **بنو شَبَابَة**: نسبة إلى شبابة بن وهب الأصغر بن الأضبط[4].

---

(١) ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٣١.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
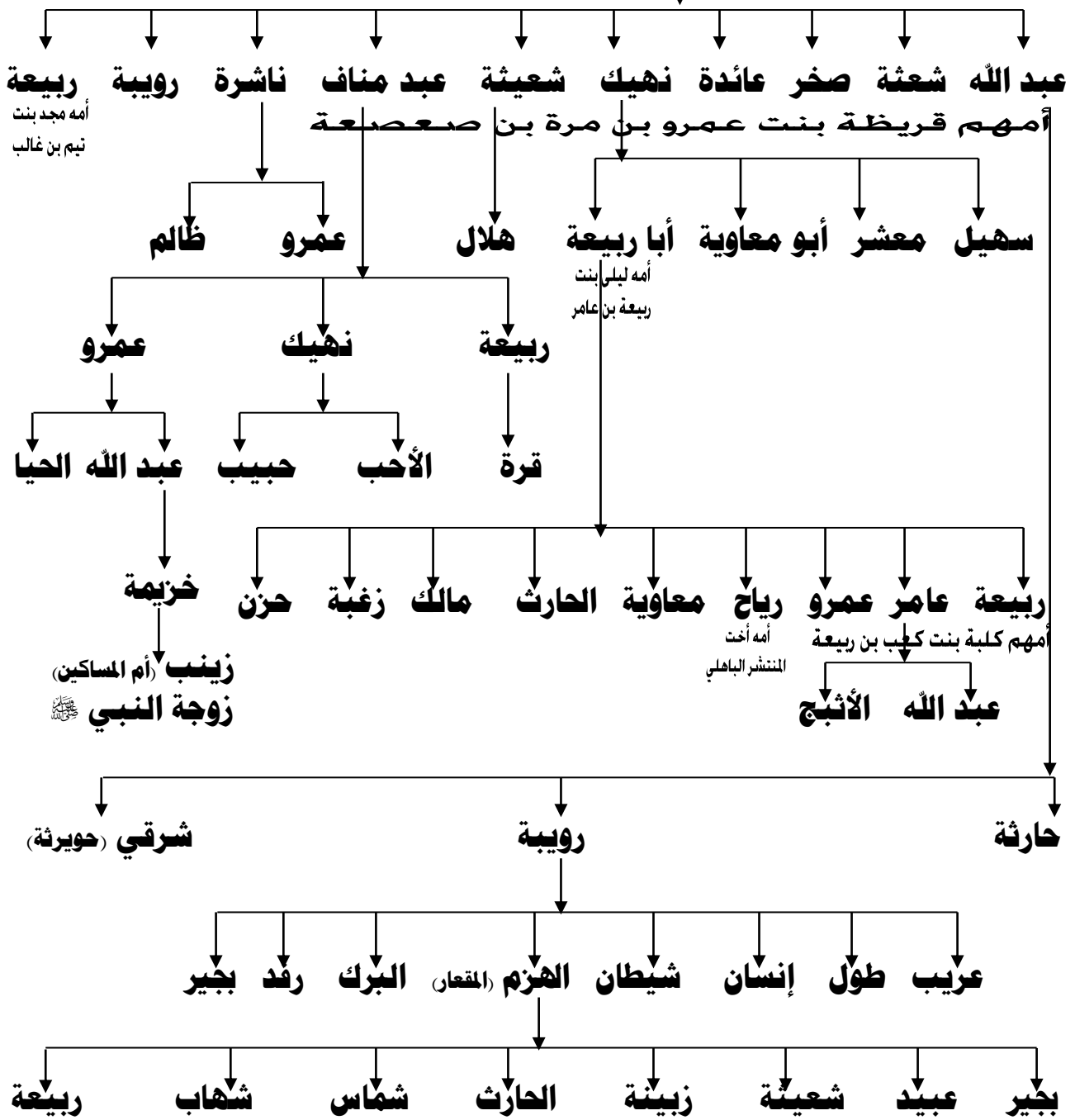
بنو هلال من أشهر فروع بني عامر، وشهرتهم تغني عن التعريف بهم. ومن أشهر فروعهم في فترة البحث:

١) **بنو نَهْيك**: نسبة إلى نهيك بن هلال بن عامر[٢]. ومن أشهر فصائلهم:

---

(١) ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٦٧– ٣٧٣.

(٢) الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٨٩٧.

أ) **بنو رِيَاح**: نسبة إلى رياح بن أبي ربيعة بن نهيك، والنسبة إليهم الرياحي. منهم الشاعر أبو حبال المنتصر بن عبد الله الرياحي[1].

ب) **بنو زُغْبة**: نسبة إلى زغبة بن أبي ربيعة بن نهيك. والنسبة إليهم الزغبي، منهم سفيان بن زيد الزغبي من رواة الهجري[2].

جـ) **الأَثْبَج**: نسبة إلى الأثبج بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك، والنسبة إليهم الأثبجي، منهم حميد بن ثور الأثبجي، وهو ليس كذلك وإنما انتسب إلى عم أبيه[3].

د) **الشَّدَّادِي**: نسبة إلى شداد بن معاوية بن أبي ربيعة بن نهيك، منهم قبيصة ابن مخارق الشدادي[4].

٢) **بنو عبد الله** بن هلال بن عامر: ومن أشهر فروعهم:

أ) **بنو رويبة**: نسبة إلى رويبة بن عبد الله بن هلال، والنسبة إليهم الرويبي، منهم الحسن بن عارم الرويبي من رواة الهجري[5].

---

(1) الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٦٥. المنتصر الرياحي: ذكره الهجري وأورد له عدة قصائد ولكننا لم نستطع تحديد عصره.

(2) المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٦٨. زغبة: وردت عند ابن الكلبي بفتح الزاء ولكن الراجح لدينا ما أثبته(ابن الكلبي، جمهرة النسب ص ٣٧١).

(3) الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٦٦٣، حاشية: ١. هو حميد بن ثور بن حزن بن هلال العامري، شاعر مخضرم من الشعراء المشهورين، وله ديوان شعر مطبوع، شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم ووفد على النبي ﷺ قيل إنه أدرك خلافة عبدالملك بن مروان، عدّه الجمحي في الطبقة الرابعة من الإسلاميين، وقال عنه الأصمعي: الفصحاء في الإسلام أربعة منهم ثلاثة من هوازن وهم راعي الإبل النميري وتميم بن مقبل العجلاني وحميد بن ثور والرابع ابن أحمر الباهلي. قال عنه الألوسي: من فحول الشعراء المخضرمين المعمرين ومن جيّد شعره بعدما كبر :

ليس الشباب عليك الدهر مرتجعا	حتى تعود كثيبا أم صبار
مالي قد أصبحت آلاً قد تنقضني	بعض النواكث حبلاً بعد إمرار
من بعد ما كنت فيها ناشئاً غمرا	كأنني خارج من بيت عطار
لقد ركبت العصا حتى قد أوجعني	مما ركبت العصا ظهري وأظفاري
لا أبصر الشخص إلا أن أقاربه	معشوشياً بصري من بعد إبصاري

(الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. شرحه يوسف إبراهيم سلوم. المكتبة العصرية. بيروت ١٤٣٠هـ. جـ٣ ص١١٥. محمد يوسف نجم، ديوان حميد بن ثور الهلالي. دار صادر. بيروت ١٩٥٥م. ص ٥. الجمحي، طبقات الشعراء. إعداد اللجنة العلمية لنشر التراث العربي. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٦٨م. ص١٣٠).

(4) الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٧٩١. قبيصة من الصحابة الذين رووا عن النبي ﷺ (ابن حجر، الإصابة جـ٥ ص٣١٢).

(5) الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٧٦٣.

ب) الهزمــي: نسبة إلى ابنه الهزم بن رويبة، منهم الشاعر عبد الله بن يزيد بـــن الأصرم الهزمي[1].

٣) **بنو عبد مناف** بن هلال بن عامر، ومن أشهر فروعهم:

أ) بنو قــرة: نسبة إلى قرة بن ربيعة بن عبد مناف بن هلال، والنســـبة إلـــيهم القري، وهم غير القري الذين في بني قشير المنسوبين إلى قرة بن هبيرة، منهم يزيد ابن مكبر القري من رواة الهجري[2].

٤) **العُرَيْنِــي**[3]: في أبناء رويبة بن عبد الله عريب، فلعله تصحيف عرين، وأن هذا الفرع ينسب إليه. أو لعلها من قبائل بجيلة التي تقطعت بسبب الحروب الـــتي كانت بينها، حيث يذكر البكري أن قبيلة عرينة بن قســـر تقطعـــت في القبائـــل المجاورة لها فدخل معظمها في بني عامر[4].

---

[1] ابن الأثير، اللباب جـ٣ ص٣٨٨. عبد الله بن يزيد من شعراء الدولة الأموية ومن شعره:

لو كنت صهراً لابن مروان قربت ركابي في روح وفي منزل رحب
ولكنني صهــر النبي محمــــدا وخال بني العباس والخال كالأب (الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٧٦٣، حاشية: ٤.

[2] المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٥١.

[3] المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٢٤.

[4] البكري، معجم ما استعجم جـ١ ص٥٦– ٥٧.

الفرع الرابع من فروع بني عامر: **نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن**[1]

---
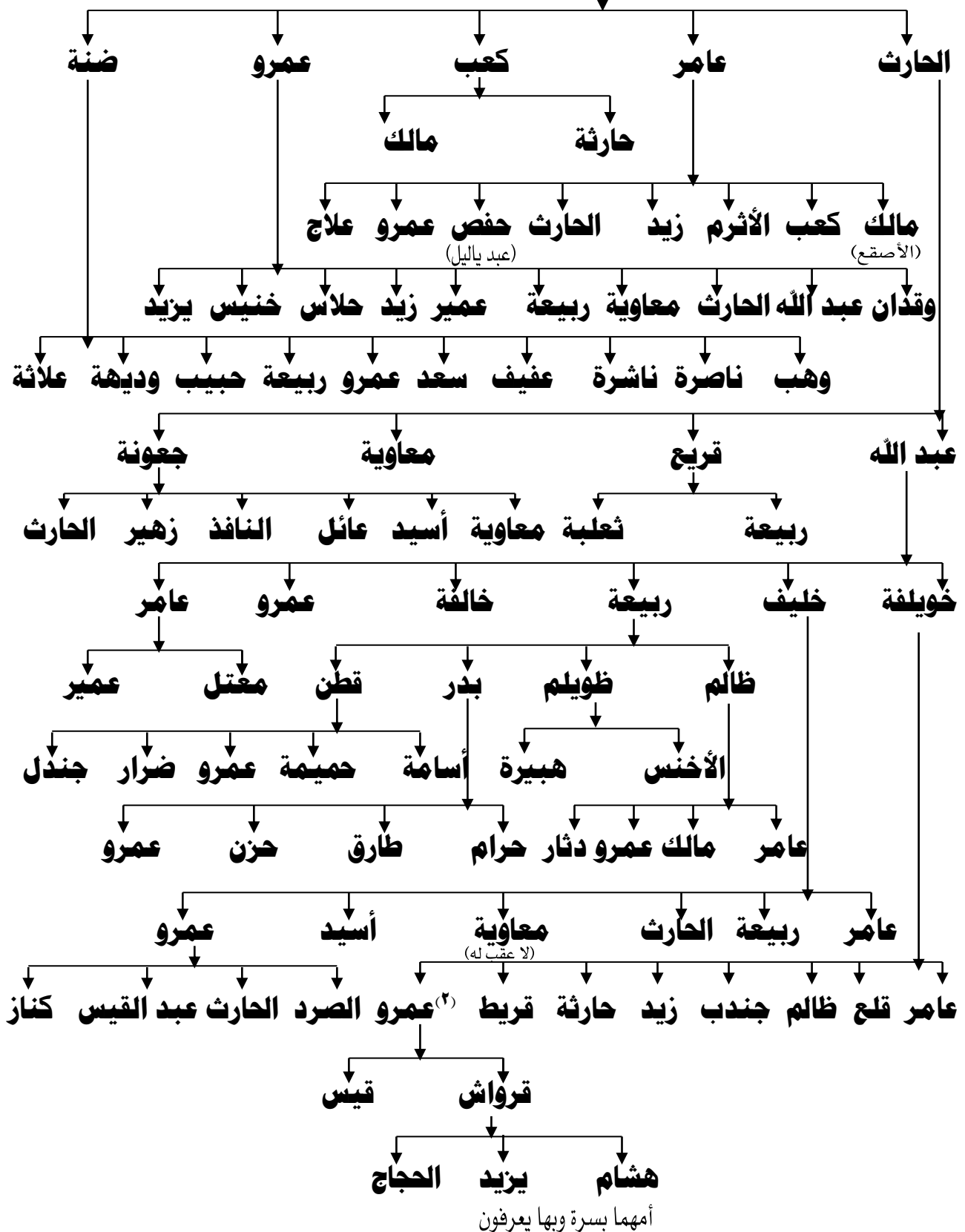
[1] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٧٣– ٣٧٨.

[2] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٦٨٣– ١٦٨٤.

يعتبر هذا الفرع من أشهر فروع بني عامر، ويعدّ بنو نمير من جمرات العرب الثلاث، وهم بنو ضبة بن أد بن طابخة، وبنو الحارث بن كعب، وبنو نمير. وهذا اللقب يطلق على القبيلة التي لم تحالف أحداً. قال أبو عبيدة في كتابه "التاج": كان في العرب ثلاث جمرات، انطفأت اثنتان: بنو الحارث بمحالفتهم مذحج، وبنو ضبة ابن أد، بمحالفتهم الرباب، وبقيت واحدة وهم بنو نمير لم يحالفوا أحداً إلى هذه الساعة[١]. وكانوا يفتخرون بالانتماء إلى فرعهم، فإذا سُئل أحدهم قال: أنا من بني نمير من باب الافتخار، حتى هجاهم جرير بالبيت الذي سبق أن ذكرناه:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فإذا سُئل أحدهم بعد هذا الهجاء قال: أنا من بني عامر. وكان شعارهم في الجاهلية يا جعد الوبر حتى حدثت قصة شريك بن خباشة المشهورة في عهد عمر ابن الخطاب الذي يقال إنه أول من دخل الجنة في الدنيا وأتى منها بورقة خضراء يجمعها الرجل في كفه ويشتمل بها فتواريه، فأصبح شعارهم منذ ذلك الحين يا خضراء[٢]. ومن أشهر فروعهم في فترة البحث:

١) **البَدْرِي**: نسبة إلى بدر بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير. ومن فصائلهم **الخميري**، منهم مالك بن حنبش بن اللديد الخميري البدري، من رواة الهجري، أنشده بيتاً من الشعر لنهار بن سنان الشهاق الضبابي:

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد. تحقيق: محمد عبد القادر شاهين. المكتبة العصرية. بيروت ١٤٢٨هـ. جـ٢ ص٢٩٨.

(٢) ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٧٧. وملخص هذه القصة أن شريك بن خباشة ذهب يستسقي من بئر في بيت المقدس، فانقطع دلوه فنزل ليخرجه، وبينما هو يبحث عنه وجد شجرة فتناول منها ورقة، فلما خرج بها وجد أنها تختلف عن أوراق شجر الدنيا، فأتى بها عمر ﵁، فقال عمر: أشهد أن هذا هو الحق فقد سمعت النبي ﷺ يقول: "يدخل من هذه الأمة رجل من أهل الجنة" ويبدو أن في متن الحديث اضطراباً. ولعل المقصود يدخل رجل من هذه الأمة الجنة في الدنيا، ويقال أن عمر استدعى كعب الأحبار، وقال له: هل تجدون في الكتاب عندكم أن رجلاً من هذه الأمة يدخل الجنة في الدنيا؟ قال: نعم وإن كان في القوم أنبأتك به فقال عمر: إنه معهم، فتأملهم كعب ثم أشار إلى شريك بن خباشة (الإصابة في تمييز الصحابة جـ٣ ص٣٠٩). اشتمل الثوب: أي أداره على جسده كله (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص١٣١٩).

نميرية بدرية ذات بهجة   مليحة مستن القلائد والكحل[1]

٢) **العُمُـور:** نسبة إلى عمرو بن خويلفة بن عبد الله بن الحارث بن نمير. ومـــن فصائلهـم:

أ) القَرَاوشَة: نسبة إلى قِرْواش بن عمرو بن خويلفة[2]. ومن فصائلهم:

أ-١) بنو بُسْرة: وهم هشام ويزيد، أبناء قرواش بن عمرو بن خويلفة، أمهما بسرة وبها يعرفون[3].

أ- ٢) بنو الحجاج: أبناء أخيهم من أبيهم الحجاج بن قرواش. وقد ورد ذكرهم في شعر أحد بني ضبة:

إحدى بني خويلد بن جعفر   أو من بني الحجاج أهل الأبور

لا تصطلي ليلة ريح صرصر   إلا بعود دخنـــة أو مجـــمـــر[4]

ب) بنو قيس بن عمرو بن خويلفة: لم أجد لهم فصائل في فترة البحث.

٣) **بنو ضِـنَّة** بن نمير: والنسبة إليهم الضني. ومن فصائلهم **بنو المحرش** **وبنو عفيف** **وبنو سعد بن ضنة**، منهم عطية بن ثقيف الضني، من بني عفيف الذي مدحه أبو فايـــد المحرشي، أحد رواة الهجري[5].

٤) **القُرَيْعِـي:** نسبة إلى قريع بن الحارث بن نمير، منهم الصحابي زيد بن معاوية القريعي[6].

٥) **القَطَنِي:** نسبة إلى قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير، وهم رهط الشاعر الراعي النميري، وهو عبيد بن الحصين بن جندل بن قطن[7].

---

[1] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٦٨٢، ١٧٤٦.

[2] قال الهمداني: الوشم للقراوشة من بني نمير (الهمداني، صفة جزيرة العرب. ط٢. تحقيق: محمد بن علي الأكوع. مكتبة الإرشاد. صنعاء ١٤٢٩هـ. ص٢٧٦). انظر أيضاً: الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٦٨٣).

[3] المصدر نفسه جـ٤ ص١٦٨٣– ١٦٨٤.

[4] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧١٩.

[5] المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٠٣.

[6] المبرد، نسب عدنان وقحطان ص٢٤.

[7] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٨٥٤. الراعي النميري: من أبرز شعراء الدولة الأموية، وله ديوان شعر مطبوع، عدّه الألوسي من أصحاب الشعر المليح (الألوسي، بلوغ الأرب جـ١ ص٢٤).

٦) **القَلْعَان:** نسبة إلى قلع بن خويلفة بن عبد الله بن الحارث بن نمـــير. ومـــن فصائلهم:

أ) **بنو شُرَيْح** نسبة إلى شريح بن قلع بن خويلفة، وفيهم شرف[١].

ب) **بنو صَلَاءَة**، نسبة إلى صلاءة بن قلع بن خويلفة، منهم زيد الصلائي، أحـــد بني د لم، من فتاك العرب[٢].

٧) **بنو ظالم**: نسبة إلى ظالم بن ربيعة بن عبدالله بن الحارث[٣].

٨) **بنو المُقَشَّب**: وهو ربيعة بن عبدالله بن الحارث بن نمير[٤].

٩) **بنو خويلفة**: نسبة إلى خويلفة بن عبدالله بن الحارث بن نمير[٥].

١٠) **بنو الأَصْقَع**: نسبة إلى مالك (الأصقع) بن عامر بن نمير[٦].

١١) **الحِدْرِجَان**: من عامر نمير، ولم نهتد إلى معرفة الجد الذي ينســبون إليــه، منهم الشاعر عسكر بن فراس الحدرجاني، أورد الهجري له بيتاً من الشعر[٧].

---

[١] الهجري، التعليقات والنوادر جـ٤ ص١٨٥٥.

[٢] المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٩٩. كان زيد الصلائي من فتاك العرب، حفر بئراً من آبار رحب فانهارت عليه، فقال أحد شعراء بني تميم شامتاً به:

تقيض زيد تحت رحب فسرني — تقيض زيد تحت طي الصفائح
ومصرع زيد تحت سبع يسرني — إلى يوم يلقى الله ليس ببـــارح
أرى ثمرات في العذوق سوالمـا — تمنعن من زيد فهن صحائـــح (المصدر نفسه جـ٣ ص١٤٧٤).

[٣] قال ياقوت: قرماء لبني ظالم من بني نمير (ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٣٢٩).

[٤] النويري، نهاية الأرب جـ٢٢ ص٣١٩.

[٥] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[٦] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[٧] الهجري، المصدر السابق جـ٤ ص١٧٢١. عسكر الحدرجاني: من شعراء القرن الثالث الهجري، وله في معشوقته حمدى:

فلم أرى حمدى غير موقف ساعة — غشاشا وروق الليل دانية جـدا
تهادى كما اهتزت بعمان بانة — بنسم جنوب لا ضعيفا ولاشدا (المصدر نفسه جـ ٢ ص ٧٣٦).

منازل هوازن:

تنقسم هوازن حسب شهرة فروعها إلى ستة مسميات: ثقيف، بنو نصر، بنو سعد، بنو جشم، بنو مرة (سلول)، بنو عامر. أما ثقيف فهم إلى حياة الاستقرار أقرب منهم إلى حياة الترحال، ولذلك كانت مساكنهم بالطائف والأودية المجاورة لها كوادي وج[1]، ووادي جفن[2]، ووادي لية، حيث كان أعلاه لهم، وأسفله لبني نصر بن معاوية[3]، كما سكن بعضهم في معدن البرم[4] بمجاورة قريش. وهي لا تكاد تختلف عن مساكنهم الحالية. وأما بنو نصر فقد كانت منازلهم بأسفل وادي لية، بجوار أبناء عمومتهم ثقيف. كما سبق أن أشرنا، وذكر ياقوت نقلاً عن الأصمعي أن لهم بركبة مياه تسمى الركايا[5]، أما بنو سعد فكانت منازلهم بصحراء البوباة[6]، شمال الطائف، ولكن يظهر أنهم بعدما تناسلوا وكثروا انتقل قسم كبير منهم إلى جنوبي الطائف في السراة المعروفة باسمهم[7]، وما زالت هاتان المنطقتان هي مساكنهم في الوقت الحاضر. وأما بنو جشم فكانت منازلهم شرقي الطائف على الحدود النجدية حول جبل حضن[8]، وربما توغلوا في الأراضي النجدية، أي

---

[1] وج: يطلق على الوادي الذي تقع عليه مدينة الطائف، وقيل إنه سمي بذلك، نسبة إلى وج بن عبد الحق من العمالقة، وهو الاسم القديم لمدينة الطائف، فلما بُني عليها سور يطوف بها سميت الطائف (ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص٣٦١). ولا أثر لهذا السور اليوم.

[2] جفن: واد بالطائف. قال الشاعر محمد بن عبد الله النميري ثم الثقفي:
طربت وهاجتك المنازل من جفن   ألا ربما يعتاد الشوق بالحزن   (المصدر نفسه، جـ٢ ص١٤٧). مازال يعرف بهذا الاسم.

[3] الزمشخري، الجبال والأمكنة والمياه. تحقيق أحمد عبدالتواب عوض. دار الفضيلة. الدار البيضاء ١٤١٩هـ. ص٢٨٩.

[4] معدن البرم: قرية بين مكة والطائف، كثيرة النخل والزروع والمياه (ياقوت، المصدر السابق جـ٥ ص١٥٤). ومازالت تعرف بهذا الاسم.

[5] ركبة: قال الحفصي: ركبة بناحية السي، وهي أرفع الأرض كلها (المصدر نفسه جـ٣ ص٦٣). مازالت تعرف بهذا الاسم.

[6] البوباة: صحراء بتهامة، وهي بلاد سعد بن بكر (الزمخشري، المصدر السابق ص٤٤). تعرف الآن باسم البهيتاء.

[7] الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. تحقيق فؤاد سيد. مطبعة السنة المحمدية. القاهرة ١٣٨٥هـ. جـ٥ ص٥٤١.

[8] جبل حضن: جبل ضخم في أقصى عالية نجد، وهو من الحدود الفاصلة بين نجد والحجاز، وفيه المثل الشهير (أنجد من رأى حضناً) (ياقوت، المصدر السابق جـ٢ ص ٢٧٢). قال الزمخشري: وهو لبني جشم خاصة (الزمخشري، المصدر السابق ص٩٨). مازال يعرف بهذا الاسم.

مايعرف بعالية نجد. أما بنو مرة (سلول) فإن منازلهم في جهات بيشة[1] وما زالــوا فيها إلى الآن. ومن معالمهم آنذاك الحضنان[2]، المجتبية[3]، قرقــد[4]، الوشــل[5]، الضمرين[6]، الشبيكة[7].

أما بنو عامر فهم معدودون من القبائل النجدية الرحل، ومن الصعوبة بمكان تحديد منازلهم بدقة، ولكننا سوف نحاول من خلال تتبع مياههم وبعــض القــرى والمعالم المنسوبة إليهم من جبال وأودية من رسم حدود تقريبية للديار التي يرتادونها في الجزيرة العربية. ولكن قبل ذلك نحب أن نشير إلى أن الجغــرافيين والمــؤرخين اختلفوا في تحديد إقليم اليمامة، ولكن ما نميل إليه حسب ما اتضح لنا من تحديدهم لبعض المواضع هو ما ذهب إليه الشيخ عبد الله بن خميس من كون إقليم اليمامــة زاوية منفرجة، قاعدتها ملتقى الدهناء مع الربع الخالي جنوباً، ويمتد ضلعاها الربــع الخالي بتجاه الغرب والدهناء بتجاه الشمال[8]. أما الحد الغربي الذي يقفــل هــذا المثلث فهو موضع خلاف بين علماء المنازل والديار، ولكن المرجح لدينا هــو مــا ذهب إليه البكري بأن المقصود باليمامة: نجد[9]، لاحتوائه علــى معظــم المواقــع المذكورة في الأراضي النجدية، لذا يكون حده الغربي الذي يقفل هذه الزاوية هــو الخط المستقيم الذي يمر بجبل حضن وما حاذاه شمالاً وجنوباً لقولهم: من رأى حضناً فقد أنجد.

---

[1] بيشة: من ديار بني سلول. قال أبو زياد: من خيار ديار بني سلول بيشة (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص ٥٢٩). وهي الآن من المدن الكبيرة في جنوب المملكة.

[2] الحضنان: جبلان في بلاد سلول بن صعصعة (المصدر نفسه جـ٢ ص٢٧١).

[3] المجتبية: ماء لبني سلول بالضمرين (المصدر نفسه جـ٥ ص٥٦).

[4] قرقد: قال الكندي: يتاخم معدن البرام ويسوم، وهو من أراضي بني سلول (المصدر نفسه جـ٤ ص٣٢٦).

[5] الوشل: ماء لبني سلول في جبل يقال له الضمر (المصدر نفسه جـ٥ ص٣٧٨).

[6] الضمرين: هما الضمر والضاين، علمان لبني سلول (الزمخشري، الجبال والأمكنة ص٢٠٩.

[7] الشبيكة: ماء لبني سلول (ياقوت، المصدر السابق جـ٣ ص٣٢٤). مازالت تعرف بهذا الاسم.

[8] ابن خميس، تاريخ اليمامة مغاني الديار وما لها من أخبار وآثار. مطابع الفرزدق التجارية. الرياض ١٤٠٧هـ. جـ٣ ص٩.

[9] البكري، معجم ما استعجم جـ١ ص١٥.

وعلى أية حال فإن منازل بني عامر كانت بالطائف، فكانوا يصيفون فيها ويشتون في بلادهم من أرض نجد، لسعتها وكثرة مراعيها، حتى انتزعتها منهم ثقيف في قصة أوردها البكري مفادها أن ثقيفاً قالوا لبني عامر: إن هذه بلاد غرس وزرع ولم نر منكم اهتماماً باستصلاحها وفلاحتها فهل لكم أن تجمعوا بين الزرع والضرع؟ قالوا: كيف ذلك؟ قالوا: تدفعونها إلينا فنقوم بحرثها وفلاحتها، فإذا نضجت شاطرناكم غلتها فلكم النصف بحق ملكيتكم للأرض ولنا النصف الآخر، لجهودنا في استصلاحها وفلاحتها، وهذا خير ساقه الله إليكم لم يجتمع لأحد من العرب مثله. فدفعت بنو عامر الأرض إليهم فإذا أتى وقت الصرام جاء بنو عامر وأخذوا نصف الثمار، وكانوا يداً واحدة على من أراد أن ينتزعها منهم، فلبثوا على ذلك حيناً من الدهر فلما كثرت ثقيف وشعرت بقوتها قاموا بتحصين الأرض فبنوا عليها سوراً يطوف بها، وبذلك سميت الطائف، فلما أتى بنو عامر يريدون نصيبهم من الغلة منعوهم فقاتلهم بنو عامر، لكنهم لم يستطيعوا الوصول إليهم بسبب هذا السور. ومنذ ذلك الحين استقلت ثقيف بالطائف[1].

أما ما يخص منازل العامريين في الأراضي النجدية فنظراً لكثرة أعدادهم وشهرة فروعهم فإننا نستطيع أن نلحظ التباين في منازلهم بشكل واضح وإن كان هناك بعض التداخلات اليسيرة، وهو أمر طبيعي بين أبناء القبيلة الواحدة، فنجد أن بني كلاب بن ربيعة يتمركزون في حمى ضرية[2]، حيث يذكر البكري أنه عند ولاية أبي العباس السفاح كان في حمى ضرية سبعة أبطن من بني كلاب[3].

---

[1] البكري، معجم ما استعجم جـ١ ص٧٠، ٦٩.

[2] حمى ضرية: كانت ضرية في الجاهلية من مياه الضباب، وكانت لذي الجوشن الضبابي، فلما أتى عمر ﷺ أحماه لإبل الصدقة، وما زال الخلفاء من بعده يزيدون فيه، ويلي أمر هذا الحمى أمراء المدينة المنورة (المصدر نفسه جـ٣ ص١٤٠، ١٣٥). هي الآن قرية من قرى المملكة، تقع شمال الخط القديم المتجه من الدوادمي إلى مكة.

[3] المصدر نفسه جـ٣ ص١٣٩.

ومن أشهر مياههم ومعالمهم البجادة[١]، وبيدان[٢]، والحفيرة[٣]، والريـــان[٤]، والزج[٥]، والشرف[٦]، وساجر وساحوق[٧]، وعرفجاء[٨]،والغدير[٩]، والحنابج[١٠]، والمحدثة[١١]، ومدعا[١٢]، وناصفة[١٣]، والوضح[١٤]، وعـــروى[١٥]، وظلـــم[١٦]، وحرة راهص[١٧]، ودمخ[١٨]، والأخراب وسجا[١٩]، والأخرجان والمردمـــة[٢٠]، وإذن[٢١]،

---

[١] البجادة: من مياه أبي بكر بن كلاب (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص٢٣٨) .تعرف الآن باسم البجادية.

[٢] بيدان: جبل أحمر مستطيل من حمى ضرية، فيه ماء لبني جعفر بن كلاب (المصدر نفسه جـ١ ص٥٢٣).

[٣] الحفيرة: من مياه الضباب، ولها جبل ينسب إليها فيقال عمود الحفيرة (المصدر نفسه جـ٢ ص٢٧٧). هي الآن من قرى المملكة.

[٤] الريان: واد في ضرية من أرض بني كلاب أعلاه لبني الضباب وأسفله لبني جعفر (المصدر نفسه جـ٣ ص١١٠).

[٥] الزج: ماء للقرطاء من بني كلاب، وهو بناحية ضرية (المصدر نفسه جـ٣ ص١٣٣).

[٦] الشرف والشريف: موضعان في كبد نجد، وفيهما حمى ضرية "وفي الشرق الربذة وهي الحمى الأيمن والشريف إلى جنبها ويفصل بينهما التسرير، فما كان مشرقاً فهو الشريف وما كان مغرباً فهو الشرف (المصدر نفسه جـ٣ ص٣٣٦).

[٧] قال الهمداني: ساجر وساحوق من ديار بني عامر (الهمداني، صفة جزيرة العرب ص٢٩٩). وقد ورد عند ياقوت في شعر سلمة ابن الخرشب : وأمسوا حِلالاً ما يفرق بينهم على كل ماء بين فيد وساجر (ياقوت، المصدر السابق جـ٣ ص١٦٩). مازال ساحوق يعرف بهذا الاسم، و.ساجر الآن مدينة صغيرة من مدن المملكة.

[٨] عرفجاء: قال أبو زياد ماء لبني جعفر بن كلاب في غربي الحمى، وهي بئر مطوية (المصدر نفسه جـ٤ ص١٠٥) .يوجد قرية قريبة من موقعها تسمى عرجاء فلعل اسمها قد ناله بعض التحريف.

[٩] الغدير: قال أبو زياد: الغدير من مياه الضباب على بعد ثلاثة أميال من حمى ضرية من جهة الجنوب، والغدير الأسفل لربيعة ابن كلاب (المصدر نفسه جـ٤ ص١٨٨).

[١٠] الحنابج: من مياه النير من ديار بني عمرو بن كلاب (الهمداني، المصدر السابق ص٢٦٠).هي الآن قرية من قرى المملكة.

[١١] المحدثة وتعرف بمحدثة سواج: من مياه أبي بكر بن كلاب قرب العفلانة (ياقوت، المصدر السابق جـ٥ ص٦١). مازال سواج يعرف بهذا الاسم.

[١٢] مدعا: قال أبو زياد الكلابي: هو خير مياه بني جعفر بحمى ضرية (المصدر نفسه جـ٥ ص٧٧).

[١٣] ناصفة: قال أبو زياد: من مياه جعفر بغربي حمى ضرية (المصدر نفسه جـ٤ ص٢٥٢).

[١٤] الوضح: قال أبو زياد: أرض بيضاء تنبت النصي بين حمى ضرية والنير، وهي من ديار بني جعفر؛ والنير جبال لغاضرة بن صعصعة (المصدر نفسه جـ٥ ص٣٧٩).

[١٥] عروى: قال نصر: ماء لبني بكر بن كلاب، وقيل جبل (المصدر نفسه جـ٤ ص١١٢). هي الآن قرية في وسط نجد.

[١٦] ظلم: قال الأصمعي هو جبل أسود جنوبي الدفينة من منازل أبي بكر بن كلاب (المصدر نفسه جـ٤ ص٦٢) ومازال يعرف بهذا الاسم.

[١٧] حرة راهص: قال الأصمعي: هي لبني قريط بن عبد بن كلاب، وهي آكام منقادة متصلة (المصدر نفسه جـ٢ ص٢٤٦).

[١٨] دمخ: قال حمزة الأصفهاني: جبل من جبال ضرية، طوله في السماء ميل، يقال في المثل: "أثقل من دمخ الدماخ" كان من منازل بني عامر في الجاهلية (البكري، معجم ما استعجم جـ٢ ص٢٦١، ١٧٥) قال ياقوت: فيه ماء يقال له: ذياد لبني عمرو بن كلاب (ياقوت، المصدر السابق جـ٣ ص٩) .مازال دمخ يعرف بهذا الاسم .

[١٩] الأخراب وسجا: لبني الأضبط بن كلاب (المصدر نفسه جـ١ ص١٢٠). مازال سجا يعرف بهذا الاسم.

[٢٠] الأخرجان والمردمة: قال ياقوت: من ديار بني أبي بكر بن كلاب (المصدر نفسه والصفحة نفسها). مازالت المردمة تعرف بهذا الاسم.

[٢١] إذن: قال أبو زياد: قارة بالسماوة تقتطع منها الرحى، وهي من بلاد أبي بكر بن كلاب (المصدر نفسه جـ١ ص١٣٢). مازالت تعرف بهذا الاسم.

والكناس[١]، والمضيح[٢]، ومريفق[٣]، وكرش[٤]، والنسار[٥]، والدخول[٦]، وطخفة[٧].

وأما بنو كعب بن ربيعة فعلى الرغم من أن منازلهم مختلطة، إلا أننا نستطيع أن ندرك بعض التمايز بينهم، فنجد أن منطقة الفلج هي حاضرتهم والمركز الرئيس لهم، وأكثر سكانها من بني جعدة وقسم من بني قشير[٨]. أما القسم الآخر من بني قشير وهم أبناء معاوية فهم يسكنون منطقة الريب، الذي قال الهمداني في وصفه: "واد رغاب ضخم فيه بطون من قشير: مريح بالكديد، وهو أسفل وادي الريب، وفي وسطه بنو حيدة وفي أعلاه العبيدات[٩] ". وقال في موضع آخر: "ثم أيمن من ذلك الريب فهو لبني مريح ولبني عبيدة ولحيدة، وهذه البطون من معاوية بن قشير[١٠]". أما بنو عقيل فهم يخالطون إخوانهم بني كعب في منطقة الفلج، ولهم أيضاً منازل مرتفعة في نواحي تثليث[١١] ورنية[١٢]. أما بنو الحريش فهم في منطقة الهدار المعروف باسمهم "هدار بني الحريش[١٣]". وأعتقد أن سكناهم له جاءت في وقت متأخر، حيث يذكر ياقوت أنها القرية التي ولد فيها مسيلمة الكذاب، وترعرع فيها[١٤]، كما يذكر الهمداني أيضاً أن هذه كانت ديار ربيعة، واليوم هي من مواطن عقيل بن كعب[١٥].

---

(١) الكناس: رملة في بلاد عبد الله بن كلاب (البكري، معجم ما استعجم جـ٤ ص٢٥).

(٢) المضيح: ماء لبني البكاء (المصدر نفسه جـ٤ ص٩٩).

(٣) مريفق: قال أبو زياد: من مياه أبي بكر بن كلاب (ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص١١٩). مازال يعرف بهذا الاسم..

(٤) كرش: قال أبو زياد: من جبال أبي بكر بن كلاب (المصدر نفسه جـ٤ ص٤٥٢) وما زالت تعرف بهذا الاسم.

(٥) النسار: جبال متجاورة يقال لها الأنسر، فيها ماء لبني كلاب (المصدر نفسه جـ٥ ص٢٨٣) وما زالت تعرف بهذا الاسم.

(٦) الدخول: قال محمد بن حبيب: الدخول وحومل بلاد أبي بكر بن كلاب (البكري، المصدر السابق جـ٢ ص١٦٨) وما زالت تعرف بهذا الاسم.

(٧) طخفة: من المعالم المشهورة في الجاهلية؛ قال الحربي: وهي لبني عامر خاصة (الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة. ط٢. تحقيق حمد الجاسر. منشورات دار اليمامة. الرياض ١٤٠١هـ ص٥٩٣). وما زالت تعرف بهذا الاسم وسط المملكة.

(٨) الفلج: قال أبو زياد: سمي فلج الأفلاج لأنها أفلاج كثيرة، وأعظمها هذا الفلج، وهي لبني جعدة، وفيها لبني قشير والحريش. وهي للقيسيين بمثابة مدينة حجر لأبناء ربيعة بن نزار، قال أبو عبيد: وليس باليمامة ملك لقوم خلصوا به مثلها وهي أربعة فراسخ طولاً وعرضاً مستديرة (ياقوت، المصدر السابق جـ٤ ص٢٧١) وما زالت تعرف بهذا الاسم.

(٩) الهمداني، صفة جزيرة العرب ص٢٦٢.

(١٠) المصدر نفسه، ص٢٧٧.

(١١) تثليث: قال البكري: موضع ببلاد بني عقيل (البكري، المصدر السابق جـ١ ص٢٧٤) وما زالت تعرف بهذا الاسم.

(١٢) رنية: هي قرية من حد تبالة يسكنها بنو عقيل (ياقوت، المصدر السابق جـ٣ ص٧٤) وهي الآن مدينة كبيرة في عالية نجد.

(١٣) الهمداني، المصدر السابق ص٢٦٤.

(١٤) ياقوت، المصدر السابق جـ٥ ص٣٩٤.

(١٥) الهمداني، المصدر السابق ص٢٦٧.

ومن أشهر مياه بني كعب ومعالمهم الأكمة[١]، والأمرار[٢]، والأرسان[٣]، وتياسة[٤]، وحزن بني جعدة[٥]، والخليقة[٦]، وبرك ونعام[٧]، وأشمس[٨]، وحريز[٩]، والشطبتان[١٠]، والصدارة[١١]، وعقيق تمرة[١٢]، والغيل[١٣]، وذقان[١٤]، والمصحبية[١٥]، وخزبة[١٦]، ونقر[١٧]، والينكير[١٨]، والركاء[١٩]، وحلبان[٢٠]، والخنوقة[٢١]، وماسل[٢٢].

---

[١] الأكمة: قرية باليمامة، بها منبر وسوق لبني جعدة وقشير تنزل في أعلاها. (ياقوت، المصدر السابق جـ١ ص٢٤١). لايعرف الآن قرية بهذا الاسم.

[٢] الأمرار: قال أبو موسى: واد في ديار بني كعب بن ربيعة ينسب إليه الشاعر عجرد الأمراري. (المصدر نفسه جـ١ ص٢٥٢).

[٣] الأرسان: هي جمع رسن، وهو موضع مقابل تثليث من بلاد بني عقيل. (البكري، معجم ما استعجم جـ١ ص١٢٨).

[٤] تياسة: ماء لبني قشير. قال أبو زياد: سميت بهذا الاسم من أجل جبل قريب منها يسمى تياس. (ياقوت، المصدر السابق جـ٢ ص٦٥).

[٥] حزن بني جعدة: قال أبو سعيد الضرير: الحزن في بلاد العرب ثلاثة: حزن غاضرة وحزن بني يربوع وحزن بني جعدة. (المصدر نفسه جـ٢ ص٢٥٤).

[٦] الخليقة: ماء على الجادة بين اليمامة ومكة، وهو لبني العجلان، وهو عبد الله بن كعب بن ربيعة (المصدر نفسه جـ٢ ص٣٨٧).

[٧] برك ونعام: قال الأصمعي: برك ونعام ماءان لبني عقيل (المصدر نفسه جـ٥ ص٢٩٣) وما زالا يعرفان باسميهما.

[٨] أشمس: جبل في بلاد بني عقيل (البكري، المصدر السابق جـ١ ص١٤٧).

[٩] حريز: ماء بتثليث لبني عقيل (المصدر نفسه جـ٢ ص٧٧).

[١٠] الشطبتان وحرم أودية لبني الحريش بن كعب بأرض اليمامة (ياقوت، المصدر السابق جـ٣ ص٣٤٣).

[١١] الصدارة: قرية بأرض اليمامة لبني جعدة (المصدر نفسه جـ٣ ص٣٩٧). مازالت تعرف بهذا الاسم، ولكن لا يوجد بها قرية.

[١٢] عقيق تمرة: قال السكوني: هو لبني عقيل، فيه قرى ونخل كثير وهو منبر من منابر اليمامة (المصدر نفسه جـ٤ ص١٣٩).

[١٣] الغيل: قال نصر: الغيل واد لجعدة بين جبلين ملآن نخيلاً وبأعلاه نفر من بني قشير (المصدر نفسه جـ٤ ص٢٢٢).

[١٤] ذقان: قال أبو زياد: ذقانان جبلان في بلاد بني كعب (المصدر نفسه جـ٣ ص٦). وما زالا يعرفان بهذا الاسم، ولكن البادية الآن يفرقون بينهما بقولهم: ذقان العطشان، وذقان الريان، وذلك بغرض التمييز بينهما.

[١٥] المصحبية: قال أبو زياد: من مياه بني قشير (المصدر نفسه جـ٥ ص١٣٦).

[١٦] خزبة: قال الحازمي: خزبة معدن لبني عبادة بن عقيل بين عمايتين، والعقيل من ناحية اليمامة، وبها أمير ومنبر (المصدر نفسه جـ٢ ص٣٦٧).

[١٧] نقر: كثيبة رمل معترضة مهلكة بينها وبين الحجر مسيرة ثلاثة أيام، وهي من ديار قشير (المصدر نفسه جـ٥ ص٢٩٨).

[١٨] الينكير: هو قنة حصداء لا طريق فيها، وهو من ديار قشير (الهمداني، المصدر السابق ص٢٦٥). مازال يعرف باسمه.

[١٩] الركاء: من ديار بني عقيل (البكري، المصدر السابق جـ٢ ص٢٦٠) وما زالت تعرف بهذا الاسم.

[٢٠] حلبان: من مياه بني قشير وفيه مثل من أمثال العرب "تروا فإنك وارد حلبان" وذلك لأنه قليل الماء خبيثه (ياقوت، المصدر السابق جـ٢ ص٢٨١– ٢٨٢) وما زالت تعرف بهذا الاسم، وهي تقع على طريق الرياض مكة السريع.

[٢١] الخنوقة: واد لبني عقيل، قال القحيف العقيلي:

تحملن من بطن الخنوقة بعدما   جرى للثريا بالأعاصير بارح (المصدر نفسه جـ٢ ص٣٩٤) وما زالت تعرف بهذا الاسم.

[٢٢] ماسل: قال ابن دريد: نخل وماء لبني عقيل (المصدر نفسه جـ٥ ص٤٢). مازالت تعرف بهذا الأسم.

أما بنو نمير فتكاد تكون لهم السيطرة على أواسط المنطقة النجدية تقريباً، فمنازلهم تمتد من منازل إخوتهم بني كلاب في الشمال حتى يخالطوا إخوتهم بني كعب جنوباً، ومن جبال العارض[١] شرقاً حتى يلامسوا ديار باهلة في السواد المعروف باسمهم وهناك فروع أيضاً من غني متداخلة معهم في أعلى المغيرا[٢]. وفي الوقت الذي نجد أن القراوشة يسيطرون على معظم إقليم الوشم[٣]، نجد أن بني ظالم قد توغلوا في إقليم اليمامة من جهة العارض في منطقة قرماء[٤]، والعويند[٥]، وعقرباء[٦]، ثم إلى رملة الوركة[٧] غرباً. أما بنو ضنة فهناك من الشواهد ما يدل على أن مساكنهم في الجهات الغربية مما يلي سواد باهلة[٨].

ومن أشهر مياه بني نمير ومعالمهم: أضاخ[٩]، والبرم[١٠]، والمشقرية[١١]، وملاع[١٢]، وتبراك[١٣]، وثهلان[١٤]، وعكاش[١٥]، والشبكة وأبودخن[١٦]، وأفرع[١٧]،

---

[١] العارض: أشهر الجبال النجدية على الإطلاق، وما زالت تعرف بهذا الاسم، ولكن غلب اسم طويق عليها لدى العامة.

[٢] المغيرا: ماء ببطن الصداح يقال إنه الذي رُمي عليه شاس بن زهير الغنوي (الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٦٧). هي الآن قرية صغيرة تبعد عن الرياض حوالي ١٥٠ كلم بتجاه الغرب.

[٣] الوشم: قال الجرمي: "الوشم من أرض اليمامة، وهو لبني نمير، وأول الوشم ثرمداء وأثيفية" (المصدر نفسه ص٢٧٦).

[٤] قرماء: قرية كثيرة النخل بوادي قرقرى باليمامة لبني نمير (ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٣٢٩) تعرف الآن باسم ضرما.

[٥] العويند: قرية باليمامة، قال أبو زياد: من مياه بني نمير (المصدر نفسه جـ٤ ص١٧٠) وما زالت تعرف بهذا الاسم.

[٦] عقرباء: قال الهمداني: وعقرباء اليوم لبني بكر من بني ظالم من نمير (الهمداني، المصدر السابق ص٢٧٥). مازالت تعرف بهذا الاسم، وتبعد عن الرياض حوالي ٤٠ كلم بتجاه الشمال الغربي.

[٧] الوركة: رملة بغربي اليمامة، بها مياه ونخيل لبني ظالم من نمير (ياقوت، المصدر السابق جـ٤ ص٣٧٣). تسمى الآن نفود قنيفذه، وتبعد عن الرياض حوالي ٦٠ كلم بتجاه الغرب على طريق الرياض مكة السريع.

[٨] باهلة: من القبائل القيسية، ومن أشهر مياههم بالسواد الخاصرة وعويسجة والعوسجة والقويع وجزالة (الهمداني، المصدر السابق ص٢٦١– ٢٦٢).

[٩] أضاخ: وقيل وضاخ، والعامة تنطقه (أُوضاخ). ذكر ياقوت أنه من قرى اليمامة لبني نمير (ياقوت، المصدر السابق جـ١ ص٢١٣) وما زال يعرف بهذا الاسم.

[١٠] البرم: يسمى برم ضنه وهو يحاذي سواد باهلة من جهة الغرب وهو لبني ضنة من نمير (الهمداني، المصدر السابق ص٢٦١).

[١١] المشقرية: نخل لضنة من بني نمير بين البرم وسواد باهلة (المصدر نفسه والصفحة نفسها).

[١٢] ملاع: قال أبو زياد: من مياه بني نمير، وله هضبة لا يُعلم في نجد هضبة أطول منها، وفيها مثل من أمثال العرب "أبصر من عقاب ملاع" (ياقوت، المصدر السابق جـ٥ ص١٨٩).

[١٣] تبراك: قال نصر: تبراك ماء لبني نمير في أدنى المروت لاصق بالوركة (المصدر نفسه جـ٢ ص١٢) وما زال يعرف بهذا الاسم وهو الآن قرية صغيرة تقع على طريق الرياض مكة السريع.

[١٤] ثهلان: قال نصر: جبل لبني نمير ناحية الشريف، به ماء ونخيل (المصدر نفسه جـ٢ ص٨٨) وما زال يعرف بهذا الاسم.

[١٥] عكاش: قال أبو زياد: ماء عليه نخل وقصور لبني نمير من وراء حظيان بالشريف (المصدر نفسه جـ٤ ص١٤١).

[١٦] الشبكة: من مياه بني نمير بالشريف، وتعرف بشبكة أبو دخن، وأبو دخن جبل (المصدر نفسه جـ٣ ص٣٢٢) وما زالت تعرف هي وجبلها باسميهما.

[١٧] أفرع: موضع قرب اليمامة لبني نمير (المصدر نفسه جـ١ ص٢٢٨).

ومظلومة[1]، جبلة[2]، وروضة أمراش[3]، ومأتمة[4]، ونبطاء[5]، والنشناش[6]، وهبالة وهبيل[7].

أما بنو هلال فإن منازلهم على غير المتعارف عليه لدى عامة أهل نجد بـــأنهم الذين يسيطرون على أواسط المنطقة النجدية، فمن خلال المصادر التي اطلعنا عليها نجد أنهم يقفلون المنطقة الغربية الجنوبية للأراضي الهوازنية، فمنازلهم تمتد من منازل بني عمومتهم الجشميين إلى الحرة المعروفة باسمهم (حرة بني هلال) في نواحي البرك والبريك)[8]، وبهذا تكون منازلهم تشكل الرابط بين منازل الجشميين ومنازل بـــني كعب بن ربيعة في الأفلاج، ويحاذيهم من جهة الجنوب منازل أبناء عمومتهم بـــني سلول، وأقرب من يواليهم من جهة الشمال أبناء عامر بن ربيعة الذين منهم بنـــو البكاء والضباب من بني كلاب. قال البكري: "تربة وادي من أودية الحجاز أسفله لبني هلال والضباب وسلول وأعلاه لخثعم".

ومن أشهر مياه بني هلال ومعالمهم: تربة والسي[9]، ومـــران[10]، والحـــرة المعروفة باسمهم.

---

[1] مظلومة: قال أبو زياد: من مياه بني نمير (ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص١٥٢).

[2] جبلة: من المعالم المشهورة في الجاهلية على مقربة من أضاخ بين الشرف والشريف (البكري، معجم ما استعجم جـ٢ ص١٢).

[3] روضة أمراش: من رياض بنو نمير، قال أحد شعرائهم:

بروضة أمراشٍ رمتني بطرفها أناة الضحى كسلى القيام عروب (ياقوت، المصدر السابق جـ٣ ص٨٦).

[4] مأتمة: ذكر ياقوت أنها من مياه بني نمير (المصدر نفسه جـ٥ ص٣٢).

[5] نبطاء: قال أبو زياد: هضبة طويلة عريضة لبني نمير بالشريف من أراضي نجد (المصدر نفسه جـ٥ ص٢٥٨).

[6] النشناش: قال أبو زياد: ماء لبني نمير كانت فيه وقعة بينهم وبين أهل اليمامة (المصدر نفسه جـ٥ ص٢٨٦).

[7] هبالة وهبيل: قال أبو زياد: هبالة وهبيل من مياه بني نمير (المصدر نفسه جـ٥ ص٣٩٠).

[8] حرة بني هلال بالبرك والبريك بطريق اليمن التهامي من دون قرية ضنكان (البكري، المصدر السابق جـ٢ ص٧٤).

[9] السي: هو الأرض الواقعة بين ذات عرق إلى الوجرة، على بعد ثلاث مراحل للخارج من مكة يريد البصرة، وهي قريبة من ركبة (المصدر نفسه جـ٤ ص٢٠٢).

[10] مران: قرية بالحجاز كثيرة العيون والآبار، وهي على طريق البصرة من منازل بني هلال وبها حصن ومنبر (عرام السلمي. كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها. تحقيق عبدالسلام هارون. مطبعة أمين عبدالرحمن. القاهرة ١٣٧٣هـ. ص٧٦).

ومن خلال هذا الاستعراض لمنازل الفروع العامرية نستطيع أن نجمل القول بأن بني عامر تكاد تكون لهم السيطرة المطلقة على أواسط نجد وعاليتـــه، حيـــث يحدهم من الشرق قبيلة بني تميم وبني حنيفة المتواجدون في إقليم العــــارض، ومــــن الشمال والشمال الشرقي أسد وغطفان وبني ضبة، وهناك فروع من غني متداخلة معهم لكونها من القبائل القيسية، ومن جهة الجنوب فتحدهم منازل بجيلة ومــــراد والحارث بن كعب وخثعم، أما من جهة الغرب إذا ما استثنينا السواد التي تســـيطر عليه حليفتهم قبيلة باهلة القيسية فمنازلهم متصلة بأبناء عمومتهم بني جشم وثقيف وبني نصر وبني سعد، حيث يحد هؤلاء جميعا من الغرب منازل قريش، ومن الجنوب غامد وزهران وبجيلة[1].

---

[1] عن منازل هوازن وبعض القبائل المجاورة لها، انظر الرسالة ملحق: ٢.

الفصل الثاني:

العلاقات السياسية بين قبيلة هوازن والقبائل المجاورة لها في الجاهلية

تمهيد:

كانت قبيلة هوازن من أكثر القبائل عدداً في الجاهلية، ولكن لا خير فيها، حيث كانت تابعة لزهير بن جذيمة العبسي من قبيلة غطفان القيسية، فلا تراه إلا رباً لها، ففي كل سنة يأتي إلى عكاظ ويأخذ الإتاوة منها، وفي أحد المواسم جاء على عادته فأتته هوازن بإتاواها، وكان من ضمن هؤلاء عجوز من بني نصر بن معاوية، فأتته بسمن في نحي[1] واعتذرت إليه وشكت له سوء الأحوال والسنين المقفرة التي تتابعت على الناس، فذاقه فلم يعجبه طعمه فدفعها في صدرها فاستلقت على ظهرها وتكشفت، فاغتاظت هوازن لذلك وحقدت عليه وصممت على التخلص منه[2]، فتم لها ذلك على ما سنذكره إن شاء الله.

ثم ما لبثت هوازن أن اعتزت وأصبحت من القبائل التي يشار إليها بالبنان، وأصبحت حاضرتها مدينة الطائف تنافس مدينة مكة المكرمة على الزعامة في شبه الجزيرة العربية، وهذا واضح من قوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}[3]، حيث ذكر المفسرون أن المقصود بالقريتين مكة المكرمة والطائف وأن المقصود بالرجل الذي من مكة الوليد بن المغيرة، والذي من الطائف عروة بن مسعود الثقفي على أشهر الأقوال[4]، ونستطيع أن نلمس هذه القوة التي أضحت عليها قبيلة هوازن من أقوال بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: {قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ}[5]، حيث ذهبوا في ذلك إلى أربعة أقوال، أولها وأشهرها أنهم هوازن[6].

---

[1] النحي: بالكسر هو الزق أو ما كان للسمن خاصة (الفيروزآبادي، القاموس المحيط ص ١٧٢٤).

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٧؛ أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص١١.

[3] الزخرف، آية ٣١.

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. دار المعرفة. بيروت ١٤٠٣هـ. جـ٤ ص١٢٦– ١٢٧.

[5] الفتح، آية ١٦.

[6] ابن كثير، المصدر السابق جـ٤ ص١٩٠.

وعلى أية حال فقبيلة كهذه حرية بأن تلعب دوراً سياسياً مهماً سواء في العصر الجاهلي أو الإسلامي. فقد كانت القبائل العربية في العصر الجاهلي تحديداً تعيش حالة من الانفلات الأمني، فلا يوجد هناك أي سلطة مركزية ينصرف لها الولاء وتكون لها السيطرة على مثل هذه القبائل، لذا كان ولاء الرجل العربي دائماً لقبيلته، وكل أرضٍ ينزل بها يعتبرها وطناً له، ويدافع عنها بكل ما أوتي من قوة، وهنا تبرز قوة القبيلة في اتساع الأراضي التي تسيطر عليها والاحتفاظ بها لأطول مدة ممكنة حتى تأتي قبيلة أخرى أقوى منها فتزيحها وتستولي على أراضيها ومراعيها.

وسوف نلقي الضوء لاحقاً بشيء من التفصيل لأنماط النظم السياسية لمثل هذه القبائل في تلك الفترة في فصل مستقل، وما يهمنا الآن هو التعرف على العلاقات السياسية لهذه القبيلة مع القبائل المجاورة لها وما يتخللها من صراعات لأسباب مختلفة وما ينشأ بينها من تحالفات تفرضها طبيعة المصالح المشتركة، فعدوّ الأمس ربما يكون صديق اللحظة، وصديق الأمس قد يكون ألد أعداء اليوم كما هي عادة القبائل التي لا تنطوي تحت سلطة مركزية تحافظ على استتباب الأمن بين أفرادها، وهو أمر مشاهد ملموس حتى في العصور المتأخرة عندما تضعف الدول أو تتعرض للسقوط أو تنحسر السلطة المركزية عن بعض القبائل التي تقع في مناطق نائية. فإنها تعيش حالة من الفوضى كما هو الحال في وسط شبه الجزيرة العربية عندما ضعفت الدولة العثمانية، وقد سجل لنا بعض المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة الكثير من الغارات التي حدثت بين القبائل النجدية[1]. وقد تكرر ذلك الانفلات أيضاً عندما سقطت الدولة السعودية الثانية.

---

[1] انظر مثلاً: ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد. ط٤. تحقيق عبدالرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ. مطبوعات دارة الملك عبد العزيز. الرياض ١٤٠٢هـ. جـ١ ص٩٣، ١٧٧، ٢١٤؛ الفاخري، تاريخ الفاخري. دراسة وتحقيق عبدالله بن يوسف الشبل. ط٢. الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة. الرياض ١٤١٩هـ. ص١١٩، ١٢٧، ١٣٥.

لقد أطلق المؤرخون على هذه العلاقات السياسية بين القبائـــل العربيـــة في العصر الجاهلي مسمى "الأيام"؛ لأنها في الغالب علاقات عدائية انتقامية، وكـــان الكثير منها يسمى بأسماء المواقع التي وقعت فيها، ومن أشهر المؤرخين الذين كتبوا في هذه الأيام أبو الفرج الأصبهاني، ويقول بعض المؤرخين: إنه ألّف فيها كتابـــاً يحتوي على ألف وسبعمائة يوم[1]، ولكن يبدو أن هذا الكتاب لم يصل إلينا، ومن خلال دراستنا لهذه الأيام لم نجد في أغلبها حروباً تستحق الذكر، فبعضها عبـــارة عن مواجهات بين مجموعة أشخاص لا يكادون يتجاوزون العشرة كما هو الحال في يوم النفراوات، وبعضها عبارة عن قتل شخص لشخص آخر كيوم بطن عاقل ويوم منعج، بل إن بعضها لا يعدو كونه مناوشات كلامية مثلما حصل في حرب الفجار الأول، وسنرى ذلك كله من خلال التطرق لعلاقـــات قبيلـــة هـــوازن السياسية مع القبائل الأخرى المجاورة لها من خلال هذا الفصل.

---

[1] الألوسي، بلوغ الأرب جـ٢ ص٦٠.

علاقتها بقبيلة غطفان:

قبيلة غطفان من القبائل القيسية المضرية، وهم أبناء غطفان بن سعد بن قيس عيلان، ومن أشهر فروعهم عبس وذبيان، أبناء بغيض وأشجع[1]. وكانت قبيلة غطفان تحادد قبيلة هوازن من جهة الشمال، مما أدى إلى حدوث بعض التوتر في العلاقات بينهما. وهذه أهم المناوشات التي حدثت بينهما:

يوم منعج:

كانت زعامة قيس آنذاك بما فيها غطفان وهوازن في زهير بن جذيمة العبسي، وهذا ما دعا النعمان بن امرئ القيس (جد النعمان بن المنذر)، ملك الحيرة، إلى مصاهرته لشرفه وسؤدده، ولكسب ولاء هذه القبائل الكبيرة التي تسيطر على الطريق التجاري فيما بين الحيرة ومكة المكرمة[2].

وكان السبب في أولى المواجهات بين هاتين القبيلتين القيسيتين أن أحد أبناء زهير واسمه شأس كان عائداً من عند النعمان ومعه بعض الهدايا لأبيه، وفي أثناء طريقه نزل على ماء بأرض اليمامة[3]، وهو من مياه غني، حلفاء بني عامر، فترع ثيابه ليغتسل وكان بالقرب منه ردهة عليها بيت لرجل من غني يقال له رياح بن الأسل الغنوي، فجعلت امرأة رياح تنظر إليه، وهو كالثور الأبيض، فنادى عليه رياح بأن يستتر، فلم يحفل به، ثم كرر عليه النداء وقال: ويحك استتر، البيوت قريبة منك، فأبى، عند ذلك قال رياح لامرأته: ناوليني قوسي، فأخذ سهماً فرماه به وقتله ثم أتاه وأخذ سِلْبَه ونحر جمله فأكله، ثم عمد إلى حفرة فدفنه فيها[4].

---

[1] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٤٨١.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٦٥.

[3] قال الهمداني: إن هذا الماء هو المغيراء بأسفل السرداح من أرض اليمامة (الهمداني، صفة جزيرة العرب ص٢٦٧). وقال أبو الفرج الأصبهاني: إن اسم هذا الماء منعج (أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص٨).

[4] ابن الأثير، المصدر السابق جـ١ ص٥٥٦؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٦؛ أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٠ ص٨.

فقد زهير ابنه فأرسل إلى الملك النعمان يسأل عنه فأخبره بأنه عاد إليه بعد أن أكرم وفادته وحباه ببعض الهدايا من الحلل والأطياب، فأخذ زهير يسأل عن ابنه حتى عرف خبره وعرف من قتله، ثم أغار على غني يريد الانتقام منهم، وعندما علم حلفاؤهم بنو عامر بذلك توجهوا إليه واجتمعوا به وطلبوا منه الصلح، وقالوا: ماذا يرضيك؟ فقال: واحدة من ثلاث: إما أن تحيوا ولدي، أو تسلموا لي غنياً فأقتلهم جميعاً بولدي، أو الحرب بيني وبينكم ما بقيت وبقيتم. فقالوا: والله لنحن حريصون على رضاك وعدم سخطك، ولكن لم تجعل لنا بهذه الشروط مخرجاً، فإن شئت دفعنا لك الدية، وإن شئت سلمنا لك قاتل ولدك لتقتله به، وإن شئت عفوت لما بيننا من القرابة والجوار. فقال: لا أرضى إلا بما ذكرت لكم[١].

فلما رأى خالد بن جعفر بن كلاب تعنت زهير وإصراره بالتعدي على أخواله وحلفائه قال: والله ما رأينا اليوم رجلاً أكثر تعدياً منك على قومه، لأن غنياً أقرب إليه في النسب من بني عامر، فقال زهير: هل أطلب ثأري عندك وأدع غنياً؟. وكان بنو عامر قد كثروا وانتشروا وقد ضجروا من ظلم زهير وتعسفه فقال له خالد: نعم، فانصرف زهير وهو يقول:

فلولا كلاب أخذت بغيتي ... برد غنيٍ أعبداً ومواليا
ولكن حمتهم عصبة عامريةٌ ... يهزون في الأرض القصار العواليا
مساعير في الهيجاء مصاليط في الوغى ... أخوهم عزيز لا يخاف الأعاديا[٢]

---

[١] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٥٦.

[٢] المصدر نفسه جـ١ ص٥٥٧.

يوم النفراوات:

كان زهير بن جذيمة نازلاً في ركبة من أراضي أعالي نجد عند ماء يقال لـــه النفراوات، وبنو عامر بدمخ، وبينهم مسيرة يومين[١]، فلما رجع خالد من عنـــد زهير وعزم على قتله استنهض معه خمسة فوارس من أبناء عمومته، منهم معاويـــة ابن عبادة بن عقيل (فارس الهرار) وحندج بن البكاء من عامر ربيعة، ثم سار بهم إلى زهير، وعندما اقتربوا منه أبصرهم أحد رعاة أخيه أُسيد فأخبره بذلك فتهكم به وقال (كل أزب نفور)[٢] أين نحن وبنو عامر؟ فلم يشعر إلا والخيل قد اقتربت منه، فقال لأخيه أُسيد: من هؤلاء؟ وكان يظنهم من أهل اليمن، قـــال: هـــؤلاء الذين حذرناك منهم، فركب أُسيد فرسه ونجا[٣].

وكان مع زهير ابناه ورقاء والحارث، فوثب زهير على فرســـه القعســـاء، وكان شيخاً كبيراً قد ضعف، فلحقه معاوية بن عبادة فطعن فرســـه في رجلهـــا فتقهقرت، ثم لحقه خالد بن جعفر فوضع يده من ورائه وانخرط به فوقـــع تحـــت خالد، فأخذ خالد يحاول نزع المغفر[٤] عن رأسه ليقتله، وكان أول من لحق بـــه حندج بن البكاء فضربه على رأسه بالسيف وهو راكب على فرســـه، ولكـــن السيف لم يتمكن منه، فأراد حندج أن يعيد الكرّة عليه، فأدرك زهيراً ابنه ورقاء وضرب خالداً بالسيف، ولكنه لم يفعل شيئاً؛ لأن خالداً قد لبس درعين، فلمـــا

---

[١] البكري، معجم ما استعجم جـ٢ ص٢٦١؛ أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص١٢.

[٢] البعير الأزب هو الذي يكثر شعر حاجبيه وغالباً ما يكون نفوراً؛ لأن الريح إذا ضربت هذا الشعر وجاء على عينيه نفر، وكان أسيد كثير شعر الحاجبين والقفا (الميداني، مجمع الامثال. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. دار المعرفة. بيروت. بدون تاريخ. جـ٢ ص١٣٣).

[٣] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٧– ٨.

[٤] المغفر: زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة، أو حلق يتقنع بها المتسلح (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص٥٨٠).

غشيهما ابنا زهير تخلّيا عنه فتركاه وهو مرتث قد وصل السيف إلى دماغه، فمكث بعدهما ثلاثة أيام ومات.[1] وفي هذه الحادثة يقول ورقاء بن زهير:

رأيت زهيراً تحت كلكل خالد ... فأقبلت أسعى كالعجول أبادر

إلى بطلين يعتركان كلاهما ... يريد رياش السيف والسيف نادر

فشلت يميني يوم أضرب خالداً ... ويمنعه مني الحديد المظاهر

فيا ليت إني قبل أيام خالدٍ ... وقبل زهير لم تلدني تماضر[2]

وفي حادثة قتل زهير يقول خالد بن جعفر يمّن على هوازن بقتله:

أبلغ هوازن كيف تكفر بعدما ... أعتقتهم فتوالدوا أحرارا

وقتلت ربهم زهير بعدما ... جدع الأنوف وأكثر الأوتارا[3]

وهناك من الإخباريين من يجعل السبب في مقتل زهير هو دفعه للعجوز التي من بني نصر بسوق عكاظ، وأن بين هذه الحادثة وحادثة مقتل شأس أكثر من عشرين سنة، حيث يذكرون أن خالداً عندما بلغه خبر دفعه للعجوز آلى على نفسه أن يقتله أو يموت دونه[4]، ولكن الراجح لدينا ما ذكرناه بدليل الشروط التي تطرقنا لها والشواهد الشعرية التي أوردناها.

وعلى أية حال، فعندما قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة، سيد غطفان، علم أنهم سيطالبون بدمه، فذهب إلى النعمان (ملك الحيرة) واستجار به فأجاره، وضرب له قبة، فأقام بها فيما قام أبناء زهير بجمع غطفان للأخذ بثأر أبيهم[5].

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٨.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٥٨. تماضر أمه وهي تماضر بنت الشريد السلمي (ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٤٤٢).

[3] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص١٤؛ ابن الأثير، المصدر السابق جـ١ ص٥٥٩.

[4] أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٠ ص١١.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق جـ١ ص٥٥٩. يذكر ابن عبد ربه أن ملك الحيرة الذي استجار به خالد هو الأسود أخو النعمان (ابن عبد ربه، المصدر السابق جـ٦ ص٨). وفي رأينا أنه الأقرب للصواب؛ لأنه الذي يستقيم مع سير الأحداث، فليس من المعقول أن يقتل خالد بن جعفر صهر النعمان ووالد زوجته ثم يلتجئ إليه.

يوم بطن عاقل:

كان خالد بن جعفر قد أغار على ذبيان، رهط الحارث بن ظـــالم المـــري، وهم على واد يقال له حراض، فقتل رجالهم، وكان الحارث بن ظـــالم يومئـــذٍ صغيراً، وقيل إن أباه كان من ضمن القتلى بسبب جراح أصابته، ولما بقي النساء بدون رجال طلبن من الحارث مساعدقن في الإمساك بالنوق لكي يحلبنها، فجعلن يحلبن ويبكين والحارث يبكي ببكائهن، فنشأ الحارث على بغض خالد بن جعفر، وعندما قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة وجدها فرصة للأخذ بثأر أبيه، فقال لأبناء زهير: اكفوني أمر هوازن وأنا أكفيكم خالد بن جعفر[1].

سار الحارث حتى قدم على النعمان فدخل عليه وعنده خالد بن جعفـــر، وهما يأكلان تمراً، فأقبل النعمان بوجهه على الحارث يحادثه فحسده خالد، وأراد أن ينتقصه، فقال للنعمان: إن لي على هذا الرجل منّةً عظيمة، قتلت زهيراً وهـــو سيد غطفان، فأصبح الآن هو سيدها، فقال الحارث: سأجزيك على يدك عندي، فأخذ الحارث يأكل التمر والتمر يتساقط من بين أصابعه، وهو لا يكاد يشعر به من شدة الغضب، وكان مع خالد أخوه عروة، فلما خرجا من عند النعمان قال عروة لأخيه: لماذا تعرضت له وقد عرفته فتاكاً؟ قال: وما يخوفني منه؟ والله لـــو وجدني نائماً ما أيقظني[2].

خرج خالد وأخوه عروة من عند النعمان، فلما جاء الليل طلب عروة من أخيه أن يخفي مبيته، فأبى ولكنه اتخذ رجلاً يحرسه، فنام عروة وخالد بن عبد الله ابن جعدة على مدخل القبة، ونام خالد بآخرها ودونه حارس يحرسه، وحينمـــا تيقّن الحارث من نومهم أتى إليهم فتخطى عروة وابن جعدة ثم قال للحارس: لئن

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص١٦.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٥٩. انظر أيضاً: ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٨.

تكلمت لأقتلنك، ثم أتى خالداً فأيقظه وقال له: أتعرفني؟، قـــال: نعـــم، أنـــت الحارث، قال الحارث: خذ جزاء يدك عندي، فضربه بسيفه المعلوب فقتلـــه، ثم خرج من عنده وركب راحلته ثم سار والتحق بقومه، ولما تنبّه عروة ورأى أخاه قتيلاً صاح: واجوار الملك، وذهب من حينه إلى الملك وأخبره فبث الملك رجالـــه في طلب الحارث فلم يجد له أثراً[١].

وعندما رجع الحارث إلى قومه أبوا أن يجيروه وتشاءموا منه، لأنه جلـــب عليهم غضب النعمان بخفر جواره وغضب هوازن بقتل سيدها، غير أن قيس بن زهير أرسل إليه أبياتاً يشكره، فرد عليه الحارث أبياتاً يعاتبه:

أتـــاني عن قيس بن زهير   مقالة كاذب ذكر التبولا
فلو كنتم كما قلتم لكنتم   لقاتل ثأركم حرزاً أصيلا[٢]

وعندما رأى الحارث تخلي قومه عنه سار عنهم وقصد بني تميم واســـتجار بحاجب ابن زرارة فأجاره، وكان بينه وبين بني عامر ما سنذكره في موضـــعه إن شاء الله.

يوم اللوى:

كانت القبائل العربية في الجاهلية تعتبر الغزو من وسائل الكسب المشروعة، وكانت هوازن من أقوى القبائل وأكثرها عدداً؛ لذا كانت كثيرة الغزو لجيرانها، فقد غزا عبد الله بن الصمة، أخو دريد في بني جشم، غطفان في يوم يقال له يوم اللوى[٣]، فساق أنعامهم حتى إذا كان في مكانٍ غير بعيد منهم نزل فقال له أخوه

---

[١] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص١٧؛ السويدي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. تقديم وتحقيق سحر عنتر مرجان. دار الحرم للتراث. القاهرة ٢٠٠٩م. ص١١٤.

[٢] أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٠ ص١٨– ٣٠.

[٣] اللوى: منقطع الرمل، وهو موضع بعينه أكثرت الشعراء من ذكره، وهو واد من أودية سليم (ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص٢٣).

دريد: يا أبا فرعان، ناشدتك الله أن لا تترل فإن غطفان ليست غافلة عن أنعامها، فأقسم أن لا يبرح مكانه حتى ينتقع نقيعته[1]، فيأكل ويطعم ويقسم الغنيمة في أصحابه؛ وبينما هم كذلك إذ رأوا غبرة فقالوا لأحدهم: اصعد هذا المرتفع وانظر ماذا ترى، فلما صعد صاح بهم: إن القوم أدركوكم، فأسرعوا ليركبوا، ولكنهم لم يتمكنوا من الإفلات فأدركهم الغطفانيون بالمنعرج من رميلة اللوى، فاقتتلوا فحمل رجلٌ من بني عبس على عبد الله بن الصمة فقتله، فتنادى الغطفانيون: قُتل أبو دفافة، يعنون عبد الله بن الصمة[2]، وحينما سمع دريد ذلك أتى ليذبّ عن أخيه، ولكنه لم يستطع، حيث جُرح وسقط، فكف عنه الغطفانيون وهم يحسبون أنه قُتل، وحلّت الهزيمة ببني جشم فنجا من نجا وقُتل من قُتل، واستردت غطفان أنعامها[3].

مرّ الزهدمان، وهما من بني عبس، وهما زهدم وقيس، ابنا حزن بن وهب بن رواحة -وإنما قيل الزهدمان تغليباً لأشهر الاسمين عليهما- بدريد وهو صريع، قال دريد: فسمعت زهدم العبسي يقول لكردم الفزاري: إني لأحسب دريداً حياً فانزل وأجهز عليه؛ فردّ عليه أنه قد مات، قال: انزل وانظر إلى سبته هل ترمز؟ يقول دريد: فكتمت نَفَسي، فقال الفزاري هيهات -أي إنه قد مات- فولى عني ثم عاد وطعنني بالزج[4] في شرجي، فسال دمٌ كان قد احتقن، فوجدت في نفسي خفة بعد خروجه، فمكثت إلى الليل ثم سرت وأنا مُتْعب قد أنهكني الدم حتى إنني

[1] النقيعة: ناقة ينحرها من وسط الإبل التي أصابها فيطعمها أصحابه ويقسم الغنيمة بينهم (ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٣١).

[2] كان لعبد الله بن الصمة ثلاثة أسماء: عبد الله وخالد ومعبد، وثلاث كنى: أبا فرعان وأبا أوفى وأبا دفافة (جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها. شرحه وضبطه وصححه مجموعة من العلماء. دار إحياء الكتب العربية. ١٣٧٨هـ. جـ٢ ص٤٤٣؛ أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ٩ ص٣).

[3] أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ٩ ص٣.

[4] الزج: هو الحديدة التي في أسفل الرمح (الفيروزآبادي، القاموس المحيط ص ٢٤٤).

أكاد لا أبصر، فما شعرت إلا وأنا عند عرقوب جمل عليه امرأة، فنفر، فقالت: من أنت؟ أعوذ بالله من شرِّك؛ قلت: لا بل من أنتِ؟، فقالت: أنا امرأة من هوازن، فقلت لها: أنا دريد بن الصمة، فأعلمت الناس بمكاني، فغسلوا عني الدم وزودوني بطعام وشراب فنجوت. وقد قال دريد في هذه الوقعة قصيدته المشهورة يرثي أخاه عبد الله ويذكر عصيانه له:

أمرهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم أو أنني غير مهتد

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد[١]

وعندما قُتل عبد الله بن الصمة جزع عليه أخوه دريد جزعاً عظيماً، وأخذ فترة من الزمن لا يتكلم في الأخذ بثأر أخيه فقالت له أمه: يا بني، إن كنت عجزت عن الأخذ بثأر أخيك فاستعن بأخوالك من زبيد، فأحفظته بذلك، وحلف أن لا يكتحل ولا يدَّهن ولا يمسّ طيباً ولا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يأخذ بثأر أخيه، فأغار على غطفان واستعرضهم حيّاً حيّاً، فقتل من بني عبس ساعدة بن مر، ومن بني فزارة رجلاً يقال له حزام وإخوة له، وأصاب جماعة من بني مرة ومن بني ثعلبة بن سعد، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب، قاتل أخيه عبد الله، أسره مرة بن عوف الجشمي، فقال بنو جشم: لو فاديناه، فأبى عليهم دريد وأخذه إلى أمه، وقتله بفنائها، وقال لها: هل بلغت ما في نفسك؟ قالت: نعم متعني الله بك. وقال دريد في هذه الوقعة:

جزينا بني عبس جزاءً موفرا بمقتل عبد الله يوم الذنائب

قتلنا بعبد الله خير لداته ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

---

[١] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٣٢؛ أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ٩ ص٣، ٤.

ويقال إن عبد الملك بن مروان عندما سمع البيت الثاني قال: كاد دريد أن ينسبه إلى آدم[١].

يوم الرقم:

وفي إحدى السنوات غزا بنو عامر غطفان وهم بالرقم[٢]، وكان مع بني عامر عامر بن الطفيل، وهو شابٌ لم يرأس بعد، فأحست بهم غطفان، وكانوا مجتمعين فاستعدوا لهم، وقد شهدها من غطفان بنو مرة بن عوف وقومٌ من أشجع ابن ريث بن غطفان، وناس من بني فزارة بن ذبيان، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، وكان عامر بن الطفيل في آخر الناس يحرضهم على القتال، فبينما هو كذلك إذ غشيه الناس منهزمين فولى منهزماً، فاتبعتهم غطفان تقتل وتأسر، ويقال إنهم قتلوا منهم أربعة وثمانين رجلاً، منهم سبعون أسيراً سلّموهم لأشجع لكي تقتلهم بثأر وقعة كانت عليهم من بني عامر[٣].

يوم ساحوق:

أراد الغطفانيون أن يؤدبوا بني عامر على جرأتهم في غزوهم، فغزا بنو ذبيان بني عامر وهم على ساحوق[٤]، وكان عليهم سنان بن أبي حارثة المري، وأخذوا أنعامهم فلحقهم بنو عامر فكرّ عليهم الذبيانيون وقاتلوهم قتالاً شديداً، فانهزم بنو عامر وركبوا الفلاة، وكان الحر شديداً فمات أكثرهم عطشاً، وكان الذبيانيون يلحقون الرجل منهم فيقولون ألق سلاحك فيضعه ويستأسر من دون قتال، وخاف الحكم بن الطفيل أن يؤسر فجعل في عنقه حبلاً وصعد إلى شجرة ودلى

---

[١] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ٩ ص٦.

[٢] الرقم: جبال دون مكة من ديار غطفان، وفيها مياه لهم (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٥٨).

[٣] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٢٥؛ ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٦٤٢– ٦٤٣.

[٤] ساحوق: من مياه بني عامر، وقد سبق التعريف به انظر الرسالة ص٧٧.

نفسه ليختنق، فلما أحس بالموت جزع واضطرب وأشار إلى قومه فأنقذوه، فقال عروة بن الورد العبسي في ذلك أبياتاً يعيره بجزعه[1].

يوم النتأة:

وبعد فترة من الزمن خرج عامر بن الطفيل في بني عامر يريدون غطفان ليأخذوا بثأرهم يوم الرقم ويوم ساحوق، فصادفوا بني عبس وليس معهم أحد من غطفان، وكان بنو عبس لم يشهدوا يوم الرقم ولا يوم ساحوق ولم يُعينوا ذبيان ومن معهم على بني عامر، فاستاقوا نعمهم وانصرفوا عائدين إلى ديارهم فضلّوا الطريق وسلكوا وادي النتأة[2]، وتوغّلوا فيه فأخذ يضيق بهم حتى انتهى بهم في أحد الجبال، فرأوا امرأة من بني عبس في أعلى الجبل، فسألوها عن المطلع فقالت: الفوارس المطلع، وكانت تقصد أن الفوارس في أثركم، وليس لكم خروج إلا من عندهم فلم يصدقوها، وأرسلوا رجلاً منهم ليصعد الجبل وينظر فصعد وأخبرهم بصحة مقالتها، فعرفوا أنه لا مخرج لهم إلا بمواجهة القوم، فرجعوا إليهم واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم بنو عامر، وقتل بنو عبس منهم مقتلة عظيمة، وممن قتل من أشرافهم في هذا اليوم، البراء بن عامر بن مالك ونهشل وأنس وهزار بنو مرة بن أنس بن خالد بن جعفر وعبد الله بن الطفيل، أخا عامر، قتله الربيع بن زياد العبسي، وتمت الهزيمة على بني عامر[3].

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٦٤٤. انظر أيضاً: ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٢٥.

[2] النتأة: قال ياقوت هو من مياه غني وكان فيه يوم من أيام العرب (ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص٢٦٠).

[3] ابن الأثير، المصدر السابق جـ١ ص٦٤٦– ٦٤٧. انظر أيضاً ابن عبد ربه، المصدر السابق جـ٦ ص٢٦.

علاقتها بقبيلة تميم:

تميم من أشهر القبائل العربية، وهي من قبائل خندف من أبناء إليـــاس بـــن مضر بن نزار[1]، كانت تحد قبيلة هوازن من جهة الشرق ، وكانت بداية التـــوتر في العلاقة بينها وبين بني عامر أن الحارث بن ظالم المري بعدما قتل خالـــد بـــن جعفر غدراً في جوار ملك الحيرة وذهب إلى قومه لاموه وعنفوه؛ لأنه جرّ عليهم غضب النعمان وهوازن ولا طاقة لهم بحرب هؤلاء، فكره المقام عندهم وضـــاقت عليه الأرض بما رحبت، فهرب وتخفّى وعرض نفسه على زعماء بعض القبائـــل فأبوا أن يجيروه، وأخيراً استجار ببني تميم فأجاروه كما سبق أن ذكرنا[2]، وعندما علم بنو عامر بذلك طلبوا منهم أن يسلّموه إليهم، فرفضوا أن يخرجوه أو يسلّموه إليهم، فتجهز بنو عامر في كثير من أشرافهم وفرسانهم وعليهم الأحـــوص بـــن جعفر، أخو خالد، وأغاروا على تميم، حتى إذا صاروا قريباً منهم رأوا امرأة تجني الكمأة ومعها جمل لها فأخذها رجل منهم وسألها عن الحارث بن ظالم فأخبرته أنه عند حاجب ابن زرارة وقد وعده بالمنعة والنصر[3].

أخذ الرجل المرأة معه ليتحفظ عليها لكي لا تخبرهم، فلما جاء منتصـــف الليل ورأت منه غفلة انْسَلت وركبت جملها فصبحت قومها وقصدت ســـيدهم حاجب بن زرارة وأخبرته بخبر القوم الذين أخذوها ووصفت له بعضهم فعـــرف أنهم بنو عامر[4].

---

[1] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٤٨٠.

[2] انظر الرسالة ص٩٢.

[3] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص١٨؛ أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٣٥٥.

[4] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٦١؛ أبو عبيدة، المصدر السابق جـ٢ ص٣٥٥، ٣٥٦؛ أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٠ ص١٨.

وعندما عرف حاجب بن زرارة خبر بني عامر استدعى الحارث بن ظالم وأخبره بقدوم بني عامر، وأنهم لا يريدون غيره، فما هو صانع؟ فقال له: الأمر إليك، فإن شئت أقمت معكم وقاتلت القوم، وإن شئت تنحيت. فقال له حاجب: تنح غير ملوم. فغضب الحارث من ذلك وخرج إلى ناحية اليمامة وقال فيهم عدة قصائد يهجوهم[١].

ولما شعر حاجب أن بني عامر قريبون منهم، وأنهم سوف يُغيرون عليهم قام على الفور باستدعاء الرعاة وأمرهم بإحضار الإبل وسائر النعم، ثم أمر أخواه معبد ولقيط في جماعة من الفرسان أن يسيروا بالأهل والأثقال بعيداً عن وجهة القوم، ثم أخذ أهبة الاستعداد في من بقي معه ينتظر قدوم بني عامر[٢].

أما بنو عامر فإنهم عندما أصبحوا وعلموا بهرب المرأة سُقط في أيديهم وعرفوا أنها قد سارت وأنذرتهم، فأخذوا يديرون الرأي فيما يفعلون، وبثوا طلائعهم لتأتيهم بالأخبار، فرجعت الطلائع وأخبرتهم أنهم قد سيروا أهلهم وأثقالهم وأضحوا مستعدين لهم[٣].

وعندما علم بنو عامر بما فعله التميميون استقر رأيهم على مهاجمة أثقالهم، فأغذوا السير مجدين إليها؛ أما بنو تميم فإنهم عندما استبطأوا قدوم بني عامر علموا أنهم قد خالفوهم إلى أثقالهم، فنهضوا إليها مسرعين حتى التقوا بهم في رحرحان[٤]، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم بنو تميم وأُسر معبد بن زرارة أسره عامر والطفيل، ابنا مالك بن جعفر بن كلاب[٥].

---

[١] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص١٨.

[٢] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٦٢؛ أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٠ ص١٩.

[٣] ابن الأثير، المصدر السابق جـ١ ص٥٦٢.

[٤] رحرحان: جبل قريب من عكاظ قيل إنه بأرض غطفان، كان فيه يومان من أيام العرب، أشهرهما الثاني وهو لبني عامر بن صعصعة على بني تميم (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٣٦).

[٥] أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٠ ص١٩، ٣١.

وفد لقيط بن زرارة في فداء أخيه معبد، فقال لبني عامر: لكم عندي مائتا بعير، فقالوا له: يا أبا نهشل، أنت سيد الناس وأخوك معبد سيد مضر، ولا نقبل فيه إلا دية ملك، ودية الملك عندهم ألف بعير، فقال لهم: إن أبانا أوصانا أن لا نزيد على مائتي بعير[1].

ولما بلغ معبداً رفض أخيه لقيط زيادة الفدية استدعاه وقال له: لا تتركني، فوالله إن تركتني لا تراني بعدها أبداً، فقال له لقيط: صبراً أبا القعقاع، فأين وصية أبينا لا تؤكلوا العرب أنفسكم ولا تزيدوا بفدائكم عن فداء رجل منكم فتستهدفكم ذؤبان العرب، فرحل لقيط وترك أخاه، فمنع بنو عامر عن معبد الماء والطعام حتى مات هزالاً، وقد عُرف هذا اليوم بيوم رحرحان[2].

يوم جبلة:

يعتبر يوم جبلة من أشهر أيام العرب، والأيام المشهورة عندهم ثلاثة، يوم ذي قار ويوم الكلاب ويوم جبلة[3]. وكان السبب في هذا اليوم أن لقيط[4] بن زرارة عندما بلغه موت أخيه معبد لدى بني عامر عزم على غزوهم والأخذ بثأر أخيه، فبينما هو يتجهز لذلك أتاه الخبر بأن بني عبس قد حالفوا بني عامر[5].

وكان السبب في حلف بني عبس مع بني عامر أنه لمّا نشبت العداوة بين بني عبس وبني ذبيان، أبناء بغيض، في حرب داحس والغبراء، خرج بنو عبس من ديارهم وعلى رأسهم الربيع بن زياد العبسي وأخوه عامر، وقيس بن زهير بن

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص١٠.

(2) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(3) أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٨٢.

(4) هناك اضطراب لدى الإخباريين، فأحياناً يجعلون أمر تميم لحاجب بن زرارة وأحياناً أخرى لأخيه لقيط، وهو الراجح لدينا من خلال تتبع سير الأحداث.

(5) المصدر نفسه والصفحة نفسها؛ ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٨٣.

جذيمة، وقد ملّوا الحرب وكثرة ملاحقة بني ذبيان لهم، فقال لهم الربيع بن زيـــاد: والله لأرمينَّ العرب بحجرها، اقصدوا بني عامر[1].

سار بنو عبس حتى نزلوا ضيوفاً على ربيعة بن شكل، من بني كعب بـــن ربيعة، وطلبوا التحالف معهم، وكان العقد في بني عامر إلى بني كعب بن ربيعة، فقال لهم ربيعة بن شكل: يا بني عبس، والله إن شأنكم لجليل، والثأر الذي يطلب منكم لعظيم، وأعرف أن هذه الحرب قد أنهكتكم، ولم أسمع بمثلها قط، ولكـــن أمهلوني حتى أستطلع رأي أبناء عمومتي بني كلاب، فليس لنا غنى عنهم، وكـــان بنو عبس يريدون محالفة بني كعب دون إخوتهم بني كلاب بن ربيعة، فأبوا عليهم ذلك[2].

خرج ربيعة بن شكل في نفر من قومه حتى أتوا بني كلاب، فلقيهم عـــوف ابن الأحوص فأخبروه بما عرضه عليهم بنو عبس، فقال: يا قوم أطيعوني في هـــذا الطرف من غطفان، فاستأصلوهم وأغنموهم، فلا تفلح غطفان بعدهم أبداً، فوالله لا تزيدوا على أن تسمنوهم وتمنعوهم ثم يصيروا لكم أعداءً. فتركوه وذهبـــوا إلى أبيه الأحوص، فذكروا له ما دار بينهم وبين بني عبس، فقال الأحوص لربيعة: هل أظللتهم ظلك وأطعمتهم من طعامك؟ قال: نعم، قال: ما أراك إلا قـــد أجـــرت القوم، فدعهم يقبلون عليّ[3].

جاء الربيع بن زياد وقيس بن زهير إلى الأحوص -وكان شيخاً كبـــيراً- فتقدم إليه قيس وأخذ بمجامع ثيابه وقال: هذا مقام العائذ بك، قتلـــتم أبي فمـــا

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص٣٣؛ أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٨٢.

[2] أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٠ ص٣٣؛ أبو عبيدة، المصدر السابق جـ٢ ص٨٢.

[3] أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٠ ص٣٣؛ أبو عبيدة، المصدر السابق جـ٢ ص٨٢.

أخذت له عقلاً ولا قتلت به أحداً، وقد أتيتك لتجيرنا، فقال الأحوص: نعم، أنا جار لكم مما أجير منه نفسي[1].

أما لقيط بن زرارة فإنه عندما علم بتحالف بني عبس مع بني عامر، وكان وجيهاً عند الملوك، ذهب إلى النعمان (ملك الحيرة) يستنجده، وأطمعه في الغنائم، وذهب أيضاً إلى الجون الكلبي، ملك هجر، فقال له: هل لك في غنائم قوم قد ملأوا الأرض نعماً وشاء، فترسل معي ابنيك فما أصبنا من مال وسبي فلهما، وما أصبنا من دم فلي؟ فأجابه الجون إلى ذلك وجعل له موعداً على رأس الحول[2].

وحينما جاء الموعد المحدد انْهلّت الجيوش على لقيط، فأرسل النعمان جيشاً عليه أخوه لأمه حسان بن وبرة الكلبي، وأرسل الجون جيشاً عليه ابناه عمرو ومعاوية، وأقبل حلفاؤه أسد وذبيان، وعليهم حصن بن حذيفة الفزاري، وجاء شرحبيل بن أخضر بن الجون بن آكل المرار في جمع من كندة[3].

سار بنو تميم في رؤسائهم حاجب بن زرارة ولقيط بن زرارة وعمرو بن عمرو بن عدس وعتيبة بن الحارث بن شهاب، ومعهم أحلافهم وبعض المرتزقة الذين يبحثون عن الغنائم، فأصبحوا في جيش لم يُعلم في الجاهلية جيش أكثر منه، ولم يشك الناس آنذاك في هلاك بني عامر[4].

ولما سمعت بنو عامر بتجمع هذا الجيش الضخم اجتمعوا إلى الأحوص، وهو يومئذٍ شيخ كبير قد وقع حاجباه على عينيه، وقد ترك الغزو، ولكنهم يرجعون إليه في الرأي، وكان مجرباً ميمون النقيبة، وأخبروه بأمر هذا الجيش، فقال لهم: أنا

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص٣٣؛ أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٨٢. قوله فما أخذت له عقلاً أي دية (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص١٣٣٦).

[2] ابن عبد ربه ،العقد الفريد جـ٦ ص١١. انظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٨٣ .

[3] أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٠ ص٣٣ ؛ ابن عبد ربه، المصدر السابق جـ٦ ص١١.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق جـ١ ص٥٨٤؛ أبو عبيدة، المصدر السابق جـ٢ ص٨٣.

قد كبرت ولا أستطيع أن أدلي برأي، ولكن بيتوا ليلتكم هذه وأجمعوا آراءكـــم، فإذا أصبحتم فاعرضوها عليّ[1].

ولما جاء الصباح اجتمع الناس على الأحوص فقال له قـــيس بـــن زهـــير العبسي: أصبحت وفي جعبتي مائة رأي، فقال الأحوص: يكفيني منها رأي واحد حازم، فعرض عليه جميع الآراء التي خطرت عليه في ليلته فلم يعجبه منها شيء، ثم تبعه بقية الناس يعرضون آراءهم، وعندما استمع الأحوص إلى جميع الآراء، قال: أما وقد استنفدتم جميع آرائكم وصرتم إليّ فالرأي أن تجمعوا أثقـــالكم وتحملـــوا أظعانكم ثم تسيروا متيامنين، فإن أدرككم أحد كـــررتم عليـــه، وإن تركـــوكم مضيتم، فحملوا أثقالهم وساروا حسب ما أمرهم به[2].

مضى بنو عامر في طريقهم فبلغوا وادي بحار[3] ضحوة، وعند ذلـــك رأى الأحوص الناس يتجمعون ويتشاورون، فقال: ما هذا؟ فقيل هذا عمرو بن عبدالله ابن جعدة قد الْتم عليه مجموعة من الفرسان، فقال: خذوني إليه، ولما وصل إليـــه قال له: ماذا صنعت بالناس؟ قال: بل ماذا صنعت أنـــت؟ أتريـــد أن تفضـــحنا وتخرجنا من بلادنا هاربين ونحن أعز العرب وأكثرها عدداً وجلـــداً وأحـــدّهم شوكة، هل تريد أن تجعلنا مواليَ في العرب إذ فررت بنا هارباً[4].

ولما سمع الأحوص من ابن جعدة هذا الكلام قال: وماذا تريد أن أفعل وقد جاءنا ما لا طاقة لنا به؟ قال الرأي أن نرجع إلى شعب جبلـــة فنحـــرز النســـاء والضعفاء والأموال في رأسه، ونكون من دونهم، ففيه الماء والمرعى، فإن جاءنـــا أحد وأقام علينا أقاموا على غير ماء، وإن صعدوا إلينا كنا نحن في حرز، وكنـــا

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص٣٤؛ أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٨٤.

[2] أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٠ ص٣٤؛ أبو عبيدة، المصدر السابق جـ٢ ص٨٤.

[3] وادي بحار: قال أبو زياد: واد بأعلى التسرير، ويصب في التسرير (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص٣٤١).

[4] أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٠ ص٣٤؛ أبو عبيدة، المصدر السابق جـ٢ ص٨٤.

الأقدر على قتالهم ورشقهم في رؤوسهم بالحجارة، قال الأحوص: أين هذا الرأي منك عندما عرض الناس آراءهم؟ قال: إنما أتاني الآن، قال الأحوص: نِعْم الرأي، الآن ارجعوا [1]. وفي ذلك يقول النابغة الجعدي مفتخراً:

ونحن حبسنا الحي عبساً وعامرا   لحسان وابن الجون إذ قيل أقبلا

وقد صعدت وادي بحار نساؤهم   كإصعاد نسر لا يرومون مترلا[2]

رجع بنو عامر ودخلوا في شعب من شعاب جبلة يسمى مسلح[3]، فحصنوا أثقالهم وذراريهم في رأس الشعب عند قمة الجبل، ونزلوا من دونهم على فم الشعب، ثم استدعى الأحوص قيس بن زهير وقال له: تزعم أنه لم يعرض لك أمران إلا وجدت في أحدهما الفرج، فهل عندك من رأي؟ قال قيس: نعم، أرى أن نمنع الماء عن مائة من الإبل، فإذا جاء القوم صعدنا في أعلى الشعب وعقلنا الإبل التي أظميناها، فإن لقيطاً فيه طيش، ولن يقر له قرار حتى يصعد علينا ، فإذا صعد علينا الجبل حللنا عقل الإبل التي أظميناها ونخسناها بالسيوف فتخرج عِطاشاً مذعورة فتشغلهم وتفرق جمعهم، وحينئذ نخرج عليهم ونضع فيهم سيوفنا ونشفي منهم نفوسنا؛ فقال الأحوص: نِعْم ما رأيت؛ فمنعوا الماء عن مائة من الإبل وأقاموا مكانهم ينتظرون قدوم القوم وقد عميت عنهم أخبارهم[4].

هذا ما كان من بني عامر وحلفائهم بني عبس، أما ما كان من بني تميم وحلفائهم فإنهم أقبلوا إلى جبلة وفي طريقهم مروا على بني سعد بن زيد مناة، من تميم، وطلبوا منهم أن يشاركوهم في الغزو، فقالوا: كيف يكون ذلك ونحن ندّعي

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص٣٥؛ أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٨٤.

[2] أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٠ص٣٥.

[3] مسلح: قال ياقوت: لا يوجد في جبلة إلا شعبان، أحدهما من جهة مطلع الشمس فيه ماء لبني عرينة من بجيلة حلفاء بني كلاب، والآخر من جهة مغرب الشمس يسمى الخليف (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص١٠٤).

[4] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٨٤؛ أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٠ ص٣٥.

أن صعصعة من أبناء سعد؟[1]، قالوا إذاً لا تخبروهم، قالوا: لكم ذلـــك، فلمـــا جاوزوهم صادفوا كرب بن صفوان السعدي (سعد تميم)، وكان شريفاً، فقالوا: ما الذي أخرجك؟ قال: خرجت في طلب إبلٍ لي، قالوا: لا بل خرجت لتنذر بني عامر، فأنكر ذلك، فأبوا أن يتركوه حتى يحلف لهم ويعطيهم موثقاً ألا يخبر بهـــم أحداً، فحلف لهم وسار عنهم وهو مغضب من سوء صنيعهم معه، فأغذ الســـير على فرس له حتى أتى بني عامر فأنذرهم[2].

ويذكر بعض المؤرخين طريقة إنذار ابن صفوان لهم في حكايةٍ يبدو أنها من اختلاق الإخباريين حيث اختلفت روايتها لديهم[3]، مما يدل على بطلانها، ولمـــا عاد ابن صفوان قال له لقيط: هل أنذرت القوم؟ فحلف لهم أنه لم يكلمهـــم ولم يكلموه، فخلّى سبيله، فقالت ابنته دختنوس، وكان يصطحبها معه في غزواتـــه،

---

[1] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. تحقيق عبدالحميد هنداوي. المكتبة العصرية. بيروت ١٤٢٢هـ. جـ٢ص٢١٨. كانت أم صعصعة عند سعد بن زيد مناة فطلقها فتزوجها معاوية بن بكر ويزعم بنو سعد أن صعصعة غضب على أبيه عندما أنهب المعزى بسوق عكاظ، فلحق بإخوته من أمه بني معاوية بن بكر بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك وقالوا إن صعصعة كان يقود البعير بأبيه سعد بعدما أسن وضعف، وفي ذلك يقول المخبل الشاعر:

كما قال سعدٌ إذ يقود به ابنه   كبرت فجنبني الأرانب صعصعا

(أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٣٥٧). وقد أدرك علماء النسب بطلان هذا الإدعاء فأهملوه.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٨٤.

[3] يذكر الأصبهاني أن ابن صفوان سار حتى نزل في ظل شجرة قريبة منهم فأرسلوا إليه يدعونه فأبى عليهم ولكنه أشار إليهم بإتيان منزله، فلما رحل جاءوا إلى منزله فإذا فيه تراب في صرة وشوك قد كسر رؤوسه وفرق جهته، وإذا حنظلة موضوعة وإذا وطب (سقاء) معلق فيه لبن، فقال الأحوص: هذا رجل قد أخذ عليه مواثيق، وهو يخبركم بأن القوم مثل التراب كثرة، وأن شوكتهم كليلة، وهم متفرقون، ورؤساؤهم بنو حنظلة، انظروا ما في هذا الوطب، قالوا: لبن حزر (قرص)، قال: يقول إن القوم منكم بقدر حلاب هذا اللبن (أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص٣٦). أما ابن الأثير فيذكر أنه لما دنا منهم أخذ خرقة فصر فيها حنظلة وشوكاً وتراباً وخرقتين يمانيتين وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود، ثم رمى بها حيث يسقون، ولم يتكلم، فأخذها معاوية بن قشير وأتى بها الأحوص وأخبره أن رجلاً ألقاها إليهم وهم يسقون، فقال الأحوص لزهير: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: هذا رجل قد أخذ عليه عهد أن لا يتكلم ولا يخبركم بشيء، فهو يقول لكم: إن أعداءكم كثيرون كالتراب، وأن شوكتهم شديدة، وأما الحنظلة فهم رؤساء القوم، وأما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم وأما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زرارة، وأما الأحجار السود فهو يقول إن القوم منكم على بعد عشر ليال (ابن الأثير، المصدر السابق جـ١ ص٥٨٤).

ويرجع إلى رأيها: إن الرجل قد أنذرهم فردّني إلى أهلي ولا تعرّضني لبني عـــامر وبني عبس، فاستحمقها وساءه كلامها وأرسل معها من يردّها[1].

وعندما جاء بني عامر النذير وشعروا بقرب القوم صعدوا إلى أعلى الجبـــل وعقلوا الإبل، أما بنو تميم فإنهم ساروا حتى أتوا الشعب فباتوا في أسفله وأخـــذوا يتداولون الرأي فيما بينهم، فقال لقيط: أرى أن نصعد إليهم في صبيحتنا، فقال له شأس بن أبي ليلى من بني أسد: لا تصعد إليهم فأنا أعلم الناس بهم قد قـــاتلتهم وقاتلوني، فما رأيت قوماً أشد قلقاً منهم، فوالله ما وجدت لهم مثلاً إلا الشجاع الأقرع، فإنه لا يقر في جحره قلقاً، والله لئن بِتُّم ليلتكم المقبلة لا تشعرون إلا وقد انحدروا إليكم وتساقطوا كتساقط البعرة من است البعير، فرفض لقيط مشـــورته، وصعد إليهم من صبيحته [2].

وحينما رأى بنو عامر صعود بني تميم عليهم أخبروا الأحوص وكـــان قـــد جعل ابنه شريحاً على تعبئة الناس وأقرع بين القبائل التي معه وفرقهم على جوانب الشعب، قال: اتركوهم، فعادوا إليه مرة أخرى، فقال: اتركوهم حـــتى يـــدنوا منكم، فإذا دنوا منكم فليطلق كل واحد منكم عقال بعيره، وليتبعه حجـــرين أو ثلاثة، فتركوهم حتى اقتربوا منهم ثم فعلوا ما أمرهم به وصاحوا بالإبل فانحدرت عطاشاً مذعورة تحطم كل شيء فاقتلعت بعض الصخور ودحرجتها معها محدثـــة دوياً عظيماً، فظن بنو تميم أن الجبل قد انهار بهم، ثم ضربت الإبـــل بـــني تمـــيم بنحورها، ومن سقط دهسته بأخفافها، ففرقت جمعهم، وأربكت تنظيمهم، فولوا منهزمين وبنو عامر في آثارهم يقذفونهم بالحجارة، ويرشقونهم بالسهام والرماح،

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٨٤– ٥٨٥.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص١٢؛ أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٨٧؛ أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص٣٦– ٣٧.

فلما وصلوا إلى السهل لم يكن لأحدهم همٌّ إلا أن ينجو بنفسه، وانهزموا شر هزيمة[1].

ولما حلت الهزيمة بجيش بني تميم، صار لا يمر أحد على لقيط إلا قال: أنت والله قتلتنا، وقد حاول لقيط الثبات ونادى في قومه فلم يأته منهم إلا نفر يسير، فطعنه شريح بن الأحوص وقيل عوف بن المنتفق، وأصابته عدة جراحات أخرى فلبث يوماً ومات وهو يردد:

يا ليت شعري عنك دختنوس   إذ أتاك الخبر المرسوس

تحلق القرون أم تميس   لا بل تميس إنها عروس[2]

وأما أخوه حاجب فقد ولى منهزماً فلحقه الزهدمان: زهدم وقيس، ابنا حزن العبسي، فلما تمكنا منه قالا له: استأسر، فقال: من أنتما؟ قالا: الزهدمان، قال: والله لا أستأسِر اليوم لموليين، فأدركهم مالك ذو الرقيبة بن سلمة الخير القشيري، فقال لحاجب: استأسر، فقال: من أنت؟ قال: أنا مالك ذو الرقيبة، قال: الآن أفعل، والله ما أدركتني حتى كدت أن أكون عبداً[3].

وكان فيمن ثبت ذلك اليوم حسان بن عامر بن الجون فحمل عليه شريح ابن الأحوص فاعترض من دونه رجل من كنده يقال له حوشب فضربه شريح على رأسه بالسيف فانكسر السيف وولى الكندي يعدو منهزماً وبقية السيف متعلق بدرعه مما أرعب جيش الكنديين[4]، ثم شدّ الطفيل بن مالك على حسان

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص١٢؛ أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص٣٧؛ أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٨٧.

[2] أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٠ ص٣٧– ٣٨.

[3] المصدر نفسه جـ١٠ ص٤٠؛ أبو عبيدة، المصدر السابق جـ٢ ص٩٢.

[4] أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٠ ص٣٩؛ أبو عبيدة، المصدر السابق جـ٢ ص٩٣.

فأسره وشد عوف بن الأحوص على معاوية، أخ حسان، فأسره وجز ناصيته على الثواب[١].

أما سنان بن أبي حارثة الفزاري فقد انهزم مع بني ذبيان فلحقهم معاوية بن الصموت الكلابي وحرملة العكلي في بعض الفرسان فقال سنان لمالك بن حمار الفزاري وكان على المؤخرة في سبعين فارساً من بني ذبيان: كر واحمنا، ولك ابنتي خولة أزوجك إياها، فكر عليهم وقتل معاوية وحرملة واثنين من الفرسان، وعاد البقية عن مطاردتهم، فقال مالك في هذه المناسبة شعراً يفتخر بحمايته لبني ذبيان[٢].

يوم ذي نجب:

كان السبب في هذا اليوم أن بني عامر اعتقدوا أن هزيمة التميميين في يوم جبلة قد فتّ في أعضادهم ولاسيما أنهم لم يحاولوا الأخذ بثأرهم، ففي العام التالي ليوم جبلة خرج ناس من أشرافهم، منهم عامر بن مالك (ملاعب الأسنة) وأخوه طفيل بن مالك، إلى حسّان بن كبشة الكندي، واستنجدوه على بني مالك بن حنظلة من بني تميم وأطمعوه فيهم بقولهم: هل لك في إبل عكر ونساء كالبقر وتسير مبرداً وترجع سالماً غانماً من قومٍ قد أوقعنا بهم حديثاً وقتلنا رؤساءهم وفرسانهم[٣].

لبَّى حسان الكندي دعوة بني عامر وسار معهم إلى بني مالك، فلما بلغ بني مالك خبر مسيرهم، وكانوا في أعلى وادي ذي نجب[٤]، مما يلي مجيء القوم، وبنو

---

[١] ابن رشيق، العمدة جـ٢ ص٢١٨؛ أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٩٣.

[٢] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص٤٣؛ أبو عبيدة، المصدر السابق جـ٢ ص٩٥.

[٣] المصدر نفسه جـ٢ ص٣٦٨. ذكر أبو عبيدة أنهم بنو حنظلة بن مالك والتصحيح من ابن حزم (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٢٢). إبل عكر: أي نوع من سلالات الإبل الجيدة (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص٥٧٠).

[٤] ذي نجب: واد قرب ماوان في ديار بني محارب، كانت فيه وقعة لبني تميم على بني عامر بن صعصعة (ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص٢٦١).

يربوع في أسفله، جمعهم عمرو بن عمرو بن عدس وقال لهم: يا بني مالك، إنه لا طاقة لكم بهذا الملك ومن معه، فتنحوا عن طريقه ودعوه يواجه بني يربوع، فإن تغلب عليهم سالمتموه، وإن ظهروا عليه كنتم مع إخوانكم، ففعلوا ما أمرهم به حيث استداروا ونزلوا خلف بني يربوع[1].

تقدم الملك حسان والتقى ببني يربوع فثبتوا له، وعندما رأى بنو مالك ثباتهم تقدموا وقاتلوا معهم، ثم إن حشيش بن نمران الرياحي حمل على الملك حسان فضربه على رأسه وقتله، فانهزم أصحابه بمقتله، فتبعهم بنو تميم يقتلون ويأسرون، فأسر ثعلبة بن الحارث اليربوعي يزيد بن الصعق[2] الكلابي، وحمل زنباع بن الحارث أحد بني رياح على عبيدة بن مالك، من بني كلاب فقتله، وشد خالد بن مالك النهشلي على عمرو بن الأحوص، رئيس بني عامر، فقتله بأبيه، وكان عمرو قد قتل أباه في يوم جبلة، أما الطفيل بن عامر فقد انهزم على فرسه قرزل فنجا[3]. فقال أوس بن حجل في ذلك:

والله لولا قرزل إذ نجا لكان مثوى خدك الأخرما[4]

يوم الرغام:

كان السبب في هذا اليوم أن بني يربوع التميميين أرادوا تأديب العامريين على تجرئهم على غزوهم في يوم ذي نجب، فأغار عتيبة بن الحارث في بني ثعلبة ابن يربوع على بني كلاب بن عامر فاستاقوا إبلهم، ولما سمع رعاة بني عامر عزاويهم يا آل ثعلبة... يا آل عبيد... يا آل جعفر عرفوهم، فجاء الصريخ إلى بني

---

[1] ابن الاثير، الكامل جـ١ ص٥٩٥– ٥٩٦؛ أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٣٢.

[2] الصعق: هو لقب خويلد بن نفيل، جد يزيد، وسمي الصعق لأنه كان يطعم قومه بسوق عكاظ، فهبت ريح شديدة فأفسدت طعامه فسبها، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته (ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٢٠).

[3] ابن الأثير، المصدر السابق جـ١ ص٥٩٦.

[4] أبو عبيدة، المصدر السابق جـ٢ ص٣٢.

كلاب فأخبروهم، وكان أنس بن عباس الأصم من بني رعل[1] مجاوراً في بني كلاب، وكان بين بني ثعلبة وبني رعل عهداً أن لا يُسفك بينهم دَمٌ ولا يؤخذ لهم مال، فقالوا لأنس وكانت إبله ضمن الإبل التي استاقوها: إن بينك وبين هؤلاء القوم عهداً فالحقهم وحاول أن تريثهم حتى نلحق بهم[2].

خرج أنس في آثارهم حتى أدركهم فلما دنا منهم قال عتيبة لأخيه حنظلة: اخرج إلى هذا الفارس وصده عنا، فخرج إليه حنظلة، وعندما اقترب منه قال له أنس: إنما أنا أخوكم وعقيدكم، وكنت مع هؤلاء القوم فأغرتم على إبلي فهي معكم، فرجع حنظلة إلى أخيه عتيبة وأخبره بما كان من أنس، فقال عتيبة: حياك الله، تقدم واعزل إبلك، فقال: والله ما أعرفها، وأبنائي في أثري وهم أعرف بها مني[3].

وبينما أنس يراجعهم في الكلام ويحاول تأخيرهم، إذ خرج فوارس بني كلاب، فأراد حنظلة بن الحارث أن يتلقفهم فقال له أنس: إنما هم أبنائي وأبناء أخي فلزم حنظلة مكانه، ولما اقتربوا منه وعرفهم حمل عليهم فتلقاه الحوثرة بن قيس فقتله، فحمل لام بن سلمة وابن مزنة، من بني عبيد، على الحوثرة فأسراه وقدماه إلى عتيبة فقتله صبراً بأخيه، وانهزم الكلابيون[4].

لقد أدى هذا الموقف المريب من أنس إلى رفض عتيبة إرجاع إبله إليه، فمضى بنو ثعلبة بالإبل وأخذ أنس يتتبعهم لعله يصيب منهم غرة، وكان عتيبة قد تأخر عن قومه لقضاء حاجته، وعندما رأى أنساً مقبلاً نحوهم كمن له، فما شعر أنس إلا وقد وثب عليه فأسره وأتى به أصحابه فقال له بنو عبيد: ادفعه إلينا بدلاً

---

[1] بنو رعل بطن من بهثة من بني سليم (القلقشندي، نهاية الأرب ص٢٤٤).

[2] أبو عبيدة، النقائض جـ١ ص٢٩٤– ٢٩٥.

[3] المصدر نفسه جـ١ ص٢٩٥.

[4] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

من الحوثرة فأبى عليهم، ثم فدى أنس نفسه بمائتي بعير، فقال العباس بن مرداس أبياتاً يعيّر بها عتيبة بن الحارث لعدم احترامه للعهد والميثاق الذي بينه وبينهم[١].

يوم المروت:

أغار بحير بن عبد الله العامري في بني عامر على بني العنبر بن عمرو بن تميم، وهم بإرم الكلبة[٢]، فاستاقوا إبلهم بعد أن قتلوا بعضهم وأفلت البعض الآخر، فجاء الصريخ إلى بني تميم وهم ثلاث فصائل: بنو العنبر بن عمرو بن تميم، وبنو مالك بن حنظلة، وبنو يربوع بن حنظلة، فكان أول من لحق منهم بنو العنبر، فأدركوا بني عامر بالمروت[٣] فقاتلوهم ولم يستطيعوا ردّها، ثم لحقهم بنو مالك ابن حنظلة فقاتلوهم قتالاً يسيراً ولم يظفروا منهم بشيء، ثم لحقهم أخيراً بنو يربوع وعندما رآهم بحير وعرفهم قال لمن معه: هؤلاء بنو يربوع، والموت معهم، ولكن اصبروا وقاتلوا فإنهم ليسوا كمن كان قبلهم[٤].

وكان أول من لحق من بني يربوع نعيم بن عتاب فطعن الملثم بن قرط من بني قشير فصرعه ثم أسره، ثم لحق قعنب بن عصمة بحيراً فطعنه وأرداه عن فرسه فوثب كدام بن بجيلة المازني على بحير فأسره، فلما رآه قعنب بن عتاب في يد كدام وكان قد أقسم إن رآه ليقتلنّه أو يموت دونه ،حمل عليه، فحاول كدام أن يمنعه فقال له عتاب: رأسك والسيف، فتخلى عنه كدام، فضربه عتاب وأطار رأسه، ثم حمل قعنب بن عتاب على صهبان فأسره، وكانت أمّ صهبان مازنية، فقال بنو مازن: يا قعنب قتلت أسيرنا فأعطنا ابن أخينا مكانه، فدفع صهبان إليهم

---

[١] أبو عبيدة، النقائض جـ١ ص٢٩٥.

[٢] إرم الكلبة: موضع قرب النباج بين البصرة والحجاز، ويوم إرم الكلبة من أيام العرب، قتل فيه بحير بن عبد الله (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص١٥٧).

[٣] المروت: قرب النباج من ديار بني تميم، به الوقعة التي قُتل فيها بحير بن عبد الله (المصدر نفسه جـ٥ ص١١١).

[٤] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٦٣١– ٦٣٢؛ أبو عبيدة، المصدر السابق جـ١ ص٥٦– ٥٧.

فرضوا، ولما رأى بنو عامر كثرة الأسرى والقتلى انهزموا، فاستنقذ بنو يربوع أموال بني العنبر وسباياهم[1].

[1] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٦٣١– ٦٣٢؛ أبو عبيدة، النقائض جـ١ ص٥٧.

علاقتها بقبيلة بني ضبة:

قبيلة بني ضبة من قبائل خندف، وهم أبناء ضبة بن أد، أبناء عمومة تميم بن مر بن أد[1]، وكانوا يحادون قبيلة هوازن من الجهة الشمالية الشرقية. وفي إحدى السنوات أجدبت بلاد هوازن وأخصبت بلاد الرباب [2] وبني سعد من تميم، فسارت هوازن إلى بني سعد، وكان بينهم صلة نسب، وسألوهم أن يرعوا معهم فأذنوا لهم[3].

ولما اجتمعت هوازن وبنو سعد قال بعضهم لبعض: إنه ما اجتمع قوم مثل اجتماعنا هذا إلا صارت بينهم أحداث، فليضمن رجل من هوازن ما كان منهم، وليضمن رجل من بني سعد والرباب ما يكون منهم، فكان الضامن من هوازن قرة بن هبيرة، والضامن من بني سعد والرباب الأهتم واسمه سنان[4].

وفي أثناء اجتماعهم أغار رجل من بني ضبة يقال له الحنتف على خيلٍ لمالك ذي الرقيبة القشيري فأخذها وأخفاها عند رجل يقال له عوف بن عطية التيمي، ثم أخذها وأودعها عند رجل من بني أسد بن خزيمة يقال له خالد بن عمرو، ولما فقد مالكٌ إبله ذهب هو وقرة بن هبيرة إلى الأهتم فقالا: نريد ضمانك، قال: وما ذاك؟ قالا: عُدي على خيلنا، قال: أتدرون من أخذها؟ قالا: لا، قال: اذهبا فاسألا عنها، فإن كان أصابها رجل من بني سعد والرباب فأنا الضامن حتى أردها[5].

---

[1] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٤٨٠.

[2] الرباب بلفظ العموم: هم تيم وعدي وثور أطحل وعكل بنو عبد مناة بن أد وضبة بن أد، وسموا بذلك لأنهم غمسوا أيديهم في رب حين تحالفوا، وأحياناً يقيد فيقصد به تيم بن عبد مناة (ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٢٧٨) انظر أيضاً: (ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٦١٧).

[3] أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٣٥٧.

[4] المصدر نفسه جـ٢ ص٣٥٨.

[5] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

انصرف مالك وقرة من عند الأهتم وأخذا يسألان عن الخيل، فذكر لهم رجل أنه رآها عند عوف بن عطية التيمي، فذهبا إليه وسألاه فأنكر ذلك أو أن يكون عنده علم عنها، ثم إن الأهتم تقصى أخبار هذا الذكر فوجد أنها فعلاً كانت عند عوف، فوضع يده على إبله حتى يُرضي ذا الرقيبة إما بإثبات أنها لم تكن عنده أو أن يعطيه من خيله بدلاً منها، فقام عوف بإعطاء ذي الرقيبة خيلاً من عنده حتى رضي، ثم انطلق عوف إلى الحنتف وأخبره بما جرى له، فرغب الحنتف في خيل مالك القشيري وعوض عوف التيمي بخيل من عنده[1].

وبعد مضي فترة قصيرة أظهر الحنتف الخيل وأوردها غدير ماء ليسقيها، فرآها رجل من بني قشير فعرفها، وأراد أن يأخذها، فمنعه الحنتف فضربه القشيري على ساعده وضربه الحنتف فقتله، ووقع الشر بين بني عامر وبني ضبة، فجاء بنو عامر إلى بني سعد وقالوا: نحن أصهاركم وفي جواركم، وقد فُعل بنا ما ترون، فخذوا لنا حقنا، فمضى بنو سعد إلى بني ضبة فكلموهم فقال بنو ضبة: رجلان أراد كل واحد منهما أن يقتل صاحبه فمات صاحبهم ونجا صاحبنا ونحن نعطيهم الدية[2].

فلما رجع بنو سعد إلى هوازن وأخبروهم بقولهم رفضوا ذلك، وقالوا بل نقتل صاحبهم بصاحبنا، فأبت بنو ضبة، وعند ذلك غضبت بنو سعد وانحازت إلى بني عامر للوفاء بضمانهم ففارقتهم الرباب واستعانت ببني أسد فأمدوهم، ثم التقوا بالنسار[3]، فكان بنو أسد في إزاء بني سعد والرباب في إزاء هوازن، فانهزم بنو سعد أولاً، أما هوازن فقد صبرت، ولما كثر فيها القتل حاولت الانسحاب بنظام لكي تتفادى المزيد من الخسائر، فكان على حاميتهم قدامة بن سلمة الخير

---

(1) أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٣٥٨.

(2) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(3) النسار: جبال متجاورة يقال لها الأنسر، وسبق التعريف بها في ص٧٨، حاشية: ٥.

أخ مالك ذي الرقيبة، وكان فيمن لحق بهم رجل من بني ضبة من أرمى النـــاس يقال له ربيعة بن أبّي، فرمى قدامة بسهم فقتله، فلما علمت هوازن بقتله فت في أعضادها فرأوا أن يسألوا الرباب المشاطرة في أموالهم وسلاحهم فقبلت الربـــاب ذلك منهم فسُمي هذا اليوم بيوم المشاطرة[١].وهو من وجهة نظرنا يوم النســـار الأول بدليل البيت الذي سيرد بعد قليل.

ولما علمت تميم بما حل ببني عامر غضبوا وتجمعوا ثم عاودوا الكَرَّة مع بـــني عامر على بني ضبة وحلفائهم وهم بالجفار[٢] فهزموهم، وقتلت تميم منهم مقتلـــة عظيمة تفوق مقتلتهم لبني عامر، وسمي ذلك اليوم يوم الصيلم لكثرة القتلى فيـــه، وفي هذا اليوم يقول بشر بن أبي خازم:

غضبت تميم أن يُقتل عامر يوم النسار فأعقبوا بالصيلم[٣]

وبعد هذه الحادثة استحكمت العداوة بين بني تميم والرباب، فأكثر بنو تميم الاعتداء عليهم، وعندما ضجرت الرباب من كثرة اعتداء بني تميم عليهم تحينـــوا الفرص ثم أوقعوا بجماعة منهم، ولما طلبتهم بنو تميم ساروا ولحقوا ببـــني أســـد، وعندما اقتربوا منهم صرخ أحد بني ضبة: يا آل خندف، ويذكر ابن الأثير أنـــه أول يوم تخندفت فيه بنو ضبة، فاستقبلتهم بنو أسد واستمدوا حلفاءهم من طيء وغطفان وأرسلوا إلى بني تميم أن يلاقوهم بالنسار[٤].

ولما علم بنو تميم بما فعلته الرباب استمدوا بني عـــامر فأمـــدوهم، وكـــان رئيسهم شريح بن مالك القشيري، والرئاسة في بني تميم لحاجـــب بـــن زرارة، وأقبلت الرباب وحلفاؤها بنو أسد وعليهم عوف بن عبد الله بن عـــامر، وقيـــل

---

[١] أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٣٥٩.

[٢] الجفار: ماء لبني تميم وتدّعيه ضبة، وهو بين البصرة والكوفة. (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص١٤٤).

[٣] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٨٧.

[٤] ابن الأثير، الكامل، جـ١ ص٦١٧.

عليهم خالد بن نضلة وغطفان وعليها حصن بن حذيفة بن بدر والرباب، وعليهم الأسود بن المنذر، أخ النعمان، وعلى الجميع حصن بن حذيفة[١]. وقد شكك أبو عبيدة في رئاسة حصن؛ لأن الأسود بن المنذر ملك وأخو ملك، وليس من المعقول أن يقبل بأن يكون تحت إمرة حصن، بل ذكر أنهم متساندون في قيادتهم[٢].

وعلى أية حال، فقد التقوا بالنسار فاقتتلوا وانهزم بنو تميم، أما بنو عامر فصبروا وكثر فيهم القتل، ثم قُتِلَ رئيسهم شريح القشيري، قتله قدّ بن مالك الوالبي، فانهزموا واستولى بنو ضبة وحلفاؤهم على ما معهم، ومن مشاهير من قتل منهم عبيد بن معاوية بن عبد الله بن كلاب والهصان، وهو عامر بن كعب، من بني أبي بكر بن كلاب، وأُسر دودان بن خالد، أحد بني نفيل، وحنثر من بني الأضبط بن كلاب[٣].

وقد اختلف المؤرخون في يوم النسار هل هو قبل يوم جبلة أو بعده، ولكن الذي اتضح لنا من اختلافهم أنهما يومان منفصلان، كما سبق أن وضحنا، فأما هذا اليوم فمن المؤكد أنه بعد يوم جبلة لقناعة الأدلة التي أشار إليها أبو عبيدة[٤]، أما اليوم الأول فلم نجد من الشواهد في المصادر التي اطلعنا عليها ما يدل على زمن وقوعه.

يوم دارة مأسل:

حاول بنو عامر الأخذ بثأرهم يوم النسار فغزا عتبة بن شتير بن خالد الكلابي بني ضبة فاستاق نعمهم وقتل زيد الفوارس الكلابي حصين بن ضرار

---

(١) ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٦١٧. انظر أيضاً: (أبو عبيدة، النقائض جـ١ ص١٧٦).

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه جـ١ ص١٧٦– ١٧٧.

(٤) من أقوى الأدلة التي ذكرها أبو عبيدة أن حصن بن حذيفة هو الذي عقد الحلف بين غطفان وبني أسد، وهو الذي تزعم الأحلاف يوم النسار، ووالده قد توفي قبل يوم جبلة، ولو كان حيّا ما كان باستطاعة حصن أن يفعل ذلك (انظر بقية هذه الأدلة لدى المصدر نفسه جـ١ ص١٧٤– ١٧٥).

الضبي، وهو طفل لم يبلغ الحلم بعد، فجمع أبوه ضرار قومه وخـــرج في أثـــرهم ففاته عتبة بن شتير فأسر أباه، وكان شيخاً كبيراً، فأتى به قومه وقال: يا شـــتير، اختر في واحدة من ثلاث: إما أن تحيي ولدي، قال: أنا لا أنشز الموتى، قال: إذاً تدفع إليَّ ابنك عتبة أقتله بابني، قال: لا ترضى بذلك بنو عامر أن يدفعوا فارسهم الشاب في فداء شيخ أعور هامة (ميت) اليوم أو غداً، قـــال: إذاً تقيـــدني مـــن نفسك، قال شتير: أما هذه فنعم، فأمر ضرار ابنه أدهم أن يقتله، فلمـــا قدمـــه ليضرب عنقه نادى: يا آل عامر، صبراً بصبي!، كأنه أنف أن يقتل قوداً في صبي لم يبلغ، فلم يستمع إليه ضرار وضرب عنقه، وفي ذلك يقول شاعر بني ضبة:

وخيرنا شتيراً من ثلاث وما كانت الثلاث له خيارا [1]

يوم السلان:

كان بنو عامر قوما لقاحاً (لا يدينون للملوك)؛ ففي إحدى السنوات بعث النعمان بن المنذر بلطيمته[2] لتباع في سوق عكاظ، جرياً على عادته في كل عام، فتعرض لها بنو عامر وأخذوها، فغضب النعمان وبعث إلى أخيه من أمه رومانس ابن وبرة الكلبي، وبعث إلى صنائعه ووضائعه[3]، وأرسل أيضاً إلى بني ضبة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم فأجابوه، فأتاه ضرار بن عمرو الضبي ومعه تسعة مـــن أبنائه كلهم فوارس، ومعه حبيش بن دلف، وكان فارساً شجاعاً، فـــاجتمع لـــه

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٤٠– ٤١.

[2] اللطيمة: عير تحمل الطيب والمسك (الفيروز آبادي،القاموس المحيط ص١٤٩٥).

[3] الصنائع: من كان يصطنعه النعمان من العرب ليغزيه، والوضائع هم شبه المشائخ الذين يسيرون مع اللطيمة ويحمونها (ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٦٣٩) وقال جواد علي: الوضائع قوم من الفرس كان ملك الحيرة يضعهم عنده عدة ومدداً فيقيمون عنده سنة ثم يردهم ويجلب غيرهم. والصنائع كتيبة للملك أكثرهم من بكر بن وائل (جواد علي،المفصل جـ٥ ص٤١٠).

جيش عظيم، فأمرهم بالمسير مع اللطيمة وقال لهم: إذا فرغتم من عكاظ فاقصدوا بني عامر، وكان بنو عامر آنذاك بنواحي السلان[1].

خرج جيش النعمان من الحيرة وكتموا أمرهم، فمن سألهم عن سبب خروجهم مع اللطيمة قالوا: خرجنا لحمايتها حتى لا يتعرض لها أحد، ولكن قريشاً علمت بنواياهم، فأرسل عبد الله بن جدعان إلى بني عامر يعلمهم الخبر، ويأمرهم أن يأخذوا حذرهم، ولما بلغ الأمر بني عامر حصّنوا أنفسهم وتهيأوا للحرب، وكان عليهم أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة[2].

وحينما انتهى رومانس الكلبي من سوق عكاظ وانسلخت الأشهر الحرم قصد بني عامر وهم بالسلان فاقتتلوا قتالاً شديداً، فنظر يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق إلى رومانس فأعجبته هيئته فحمل عليه وأسره، وعندما علم جيش النعمان بأسر قائدهم هموا بالانهزام فنهاهم ضرار الضبي وتولى القيادة، فقاتل هو وأبناؤه قتالاً شديداً، ولما رآه أبو براء وما يفعل ببني عامر حمل عليه وألقاه عن فرسه فقاتل عنه أبناؤه حتى خلصوه، فلما ركب —وكان شيخاً كبيراً– قال: من سرّه أبناؤه ساءته نفسه، فصارت مثلاً، فألح عليه أبو براء وطلب منه أن يستأسر، فأبى، وأبناؤه من حوله يحمونه، فلما رأى أبو براء ذلك وأيس من استسلامه، وكان يريد أسره طمعاً في الفداء، قال: لتموتن أو لأموتن دونك أو دلني على رجل له فداء، فأشار ضرار إلى حبيش بن دلف —وكان سيداً في قومه– فحمل عليه أبو براء وأسره، وقد أبلى أبو براء في هذا اليوم بلاءً حسناً، وفي هذا اليوم سُمي ملاعب الأسنة [3].

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٦٣٩. السلان: بطون من الأرض غامضة ذات شجر وهي من أرض تهامة، مما يلي اليمن (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٢٣٥).

[2] ابن الأثير، المصدر السابق جـ١ ص٦٤٠.

[3] المصدر نفسه والصفحة نفسها .

وكان حبيش بن دلف أسوداً دميماً، فلما رآه أبو براءكذلك ظنه عبداً وأن ضراراً خدعه، قال: إنا لله، ألا في الشؤم وقعت!، وعندما سمع حبيش ذلك منه خاف أن يقتله فقال: إن كنت تريد اللبن فقد أصبت، وافتدى نفسه بأربعمائة بعير[1].

ولما انهزم جيش النعمان، ورجعت فلوله إلى الحيرة أخبروه بأسر أخيه وبما فعل ضرار الضبي من تولي القيادة، فأرسل إلى بني عامر بألف بعير فداء لأخيه، فأخذها يزيد الصعق، فكانت سبباً في ثرائه، وكان قبلها قليل المال[2].

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٦٤٠.

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

علاقتها بقبيلة بني الحارث بن كعب:

الحارث بن كعب من فروع قبيلة مذحج القحطانية، وقد كانت من جمرات العرب الثلاث التي سبق أن أشرنا إليها[١]، ولكنها انطفأت بمحالفتها مـــذحج[٢]، وكانت منازلهم تحد منازل بني عامر من جهة الجنوب، وكانوا يطلبون بني عـــامر بأوتار كثيرة، فعندما أرادوا الانتقام منهم جمع الحصـــين بـــن يزيـــد الحـــارثي (ذو الغصة) جموعاً كثيرة، فسار إليهم في بني الحارث وجعفى وزبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصدى ونهد واستعانوا بقبيلة خثعم، فخرجت معهـــم شـــهران وناهس وأكلب وعليهم أنس بن مدرك الخثعمي، وساقوا معهم نساءهم وذراريهم حتى لا يفروا، فإما أن يظفروا أو يموتوا[٣].

كان بنو عامر آنذاك نازلين بفيف الريح[٤]، فلما بلغ عامر بن الطفيل خبر تجمعهم أرسل إلى بني هلال بن عامر واشترى منهم أربعين رمحاً بأربعين بكـــرة، ووزعها في أفناء بني عامر، واجتمع بنو عامر في ذلك اليوم على عامر بن الطفيل، وحينما شعر عامر بدنوّ القوم قال لمن معه: أغيروا بنا علـــيهم، وإني لأرجـــو أن نأخذ غنائمهم ونسبي نساءهم قبل أن يدخلوا ديارنا، فوافقوه على ذلك وتقدموا إلى خصومهم[٥].

---

[١] انظر الرسالة ص٧١.

[٢] هكذا يقول المؤرخون ولا نرى ذلك منطقياً فكيف تحالف قبيلة هي فرع من فروعها.

[٣] أبو عبيدة، النقائض جـ١ ص٣٣٧. انظر أيضاً (ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٧٨).

[٤] فيف الريح: واد من ديار بني عامر في أعلى نجد، وهو على الحدود الفاصلة بينهم وبين ديار مذحج وخثعم (البكري، معجم ما استعجم جـ٣ ص٢٨٧).

[٥] أبو عبيدة، المصدر السابق جـ١ ص٣٣٧. انظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٦٣٣.

ولما اقترب بنو عامر من مذحج وحلفائها ورأهم طلائعهم عادوا إلى قومهم وصاحوا بهم: إن بني عامر قد أتوكم، فأرسل الحصين إلى مسالحه[1] التي كانت في مؤخرة الجيش، وسرعان ما جاءت تركض إليه. أما أنس الخثعمي فإنه عندما رأى طلائع جيش بني عامر قال لقومه: هؤلاء قومٌ يريد بعضهم بعضاً، ولا أظن أن بني عامر يريدوننا، فانصرفوا بنا، فقال لهم الحصين: افعلوا ما شئتم، فإنّا والله ما نراد من دونكم، وإني أرجو أن لا نعجز عن بني عامر، فقالت خثعم لأنس: هؤلاء بنو الحارث جيراننا، ومياهنا ومياههم واحدة، ومراعينا واحدة، وهؤلاء بنو عامر أعداؤنا وتريدنا أن ننصرف عنهم؟ فوالله لئن سلم بنو الحارث وغنموا لتندمن أن لم تكن معهم، ولئن هُزموا لتقولن العرب خذلتم جيرانكم، فأخذ بمشورتهم وقاتل معهم[2].

استمرت المنازلات بين الفريقين ثلاثة أيام، فالتقى الصّميل بن الأعور بن معاوية بن كلاب بعمرو بن صبح النهدي فطعنه عمرو فذهب بطعنته حتى ألقاه فرسه إلى جانب صخرة فاحتضنها وهو يجود بنفَسه، فمر به رجل من خثعم فأجهز عليه وأخذ درعه وفرسه، وبرز حسيل بن عمرو بن معاوية بن كلاب فبرز له صخر بن أعيا بن عبد يغوث، فصاح عامر بن الطفيل: ويحك يا حسيل، لا تبرز له فإن صخراً صخرة، فلم يستمع لنصيحته وبرز له فقتله صخر، وقُتل أيضاً كعب الفوارس بن معاوية بن عبادة بن البكاء، قتله خليف بن عبد العزى النهدي، وقتلت بنو عامر عتبة بن سلمى النهدي[3].

---

[1] المسالح: قال ابن شميل: مسلحة الجند خطاطيف لهم بين أيديهم، يتحسسون لهم الطريق، ويأتونهم بخبر العدو (الزبيدي، تاج العروس جـ٢ ص١٦٥). ولكن الذي يظهر لنا من كلام أبي عبيدة أنه يقصدالدواب التي تحمل الأسلحة والذخيرة.

[2] أبو عبيدة، النقائض جـ١ ص٣٣٧.

[3] المصدر نفسه جـ١ ص٣٣٧– ٣٣٨. انظر أيضاً: ابن الأثير ،الكامل جـ١ ص٦٣٣.

وفي أحد الأيام، ومع اشتداد المعركة تراجع بنو عامر[1] إلى منحنى الوادي الذي دارت فيه المعركة فتفقد عامر الناس فلم ير بني نمير، ولما أشرف على أحد التلال القريبة منه رآهم قد تخلفوا في قتال القوم وقد تجمعوا، فكأن رماحهم رؤوس الأشجار[2]، فأقبل يصيح: يا صباحاه... يا نميراه... ولا نمير بعد اليوم، حتى أقحم فرسه بينهم، وقد أبلى عامر في ذلك اليوم بلاء حسناً، ويقال إنه طُعن بين ثغرة نحره وسرته عشرين طعنة، وهو مع ذلك يحض القوم على القتال ويتفقدهم ويقول: يا فلان، ما رأيتك فعلت شيئاً، يا فلان: إذا طعنت فأرني رمحك، فيقول الرجل الذي قد أبلى: انظر إلى سيفي، ويقول الآخر: انظر إلى رمحي، وكان ممن أبلى في ذلك اليوم أربد بن قيس[3].

كان مسهر بن يزيد الحارثي فارساً شريفاً وقد جنى جناية في قومه فهرب ولحق ببني عامر وشهد معهم فيف الريح، ولما رأى ما يفعل عامر بقومه من الأفاعيل غاضه ذلك فأتاه من خلفه وقال: يا أبا علي، انظر إلى رمحي، فلما التفت عامر إليه طعنه بالرمح في عينه ففقأها، ثم ركب فرسه ولحق بقومه[4].

ولما جاء اليوم الثالث ملّ الناس القتال حيث كثر فيهم القتل والجراح، فعامر فقئت عينه، وسيد مراد وقع جريحاً في أسر بني عامر، ولم يستطع أي فريق منهم أن ينتصر على الآخر، فافترقوا، ولم يكن لأحد الفريقين الاستقلال بالنصر، وإن كان المؤرخون يرون أن شرف الصبر والثبات لبني عامر، وقد قال لبيد بن ربيعة في هذا اليوم:

---

[1] نلاحظ أن المؤرخين يقصدون غالباً ببني عامر بني ربيعة بن عامر، وهم بنو كعب وبنو كلاب وبنو عامر ربيعة.

[2] عُرف بنو نمير بعد هذا اليوم بحريجة الطعان لأنهم اجتمعوا برماحهم فصاروا كالحرجة وهو الشجر المجتمع (ابن الأثير ،الكامل جـ١ ص٦٣٣).

[3] أبو عبيدة، النقائض جـ١ ص٣٣٧– ٣٣٨؛ ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٦٣٣– ٦٣٤. انظر أيضاً: (ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٧٨).

[4] أبو عبيدة، المصدر السابق جـ١ ص٣٣٨.

أتونا بشهران العريضة كلها وأكلــبها في مثل بكر بن وائلِ
وخثعم حياً يعدلون بمذحج فهل نحن إلا مثل إحدى القبائلِ[1]

ثم إن بني عامر لم يغفروا لخثعم تحالفهم مع مذحج فغزوهم وهم بالعرقوب[2] وقتلوا أشرافهم[3].

وقد قال عامر بن الطفيل في طعنة مسهر الحارثي:

أتونا بشهران العريضة كلها وأكلب طراً في جياد السنّوَرِ
لعمري وما عمري علي بهين لقد شان حر الوجه طعنة مسهرِ
فبئس الفتى إن كنت أعور عاقراً جباناً وما أغنى لدى كل محضرِ[4]

ولعل اتحاد هاتين القصيدتين في المطلع هو ما جعل بعض الرواة يشككون في قصيدة لبيد وأحياناً ينسبونها لعامر بن الطفيل، والصحيح أنهما قصيدتان منفصلتان.

يوم ثيل:

أغار شهاب بن أبّان في بني الحارث بن كعب على بني نصر فقتلوا منهم جماعة واستاقوا نعمهم، ولما علم إخوتهم بنو جشم بذلك لحقوهم، وكان رئيسهم آنذاك مالك بن حزن، ففقأوا عين شهاب بن أبّان الحارثي بسهم، وقتلوا منهم جماعة، وأخذوا ذا القرن الحارثي أسيراً، واستردوا ما أخذوه من غنائم إخوانهم النصريين، وقُتل في هذه الوقعة خالد بن الصمة، أخو دريد، فلما رجع الجشميون قتلوا ذا القرن بخالد بن الصمة، وعندما قدموه للقتل صاح باسم أوس بن الصمة، وكان صديقاً له، فلم ينفعه ذلك، وقتلوه، وكان أوس بن الصمة غائباً، فلما قدم

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ1 ص634.

[2] العرقوب: هو المنحنى شديد الالتواء من الوادي، ويوم العرقوب من أيام العرب (ياقوت، معجم البلدان جـ4 ص108).

[3] البكري، معجم ما استعجم جـ3 ص288.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق جـ1 ص634.

وأخبروه غضب وقال: قتلتم رجلاً استغاث باسمي؟ فقال معاوية بـــن عـــوف في ذلك:

نبئت أوساً بكى ذا القرن إذ شربا | على عكاظ بكاءً غال مجهودي
لتبـــكين قتيـــلاً منـــك مقتـــرباً | إني رأيتك تبـــكي للأباعيـــدِ[1]

[1] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ٩ ص٩.

علاقتها بقبيلة كنانة:

قبيلة كنانة من القبائل المضرية ويوجد بينها وبين قبيلة هوازن روابط متينة في العلاقات وخاصة بين ثقيف وقريش، سواء من ناحية المصاهرة أو قرب الديار، ولكن هذا لم يمنع حدوث بعض التوترات في العلاقة بينهما، وخاصة أثناء إقامة المواسم بسوق عكاظ[١]. وقد سميت المناوشات التي حدثت بينهما في هذه المواسم بحرب الفجار الأول، تمييزاً لها عن حرب الفجار الثاني. وقد قسمها المسعودي إلى ثلاث فجارات، فجار بدر بن معشر، وفجار المرأة، وفجار القرد[٢].

فجار بدر بن معشر:

كان السبب في هذه المناوشات التي حدثت بينهما في هذا الموسم أن بدر ابن معشر، أحد بني غفار بن مليل من بني عبد مناة بن كنانة، قد جعل له مجلساً بسوق عكاظ، وكان حدثاً منيعاً في نفسه، لذا كان يقيم على رأسه رجلاً ينشد:

نحن بنو مدركة بن خندف ــــ من يطعنوا في عينه لم يطرف
ومن يكونوا قومه يغطرف ــــ كأنهم لجة بحر مسدف

ثم يمد رجله ويقول: أنا أعز العرب، فمن زعم أنه أعز مني فليضربها بالسيف، وقد أثار هذا التبجح حفيظة رجل من بني دهمان من بني نصر بن معاوية يقال له الأحيمر بن مازن فضربها بالسيف وأندرها (قطعها) من الركبة، وقال: خذها أيها المخندف، ثم أنشد:

نحن بنو دهمان ذو التغطرف ــــ بحرٌ لبحرٍ زاخرٍ لم ينزف
نحن ضربنا ركبة المخندف ــــ إذ مدها في أشهر المعرف

---

[١] عكاظ: بين نخلة والطائف، وبينها وبين الطائف عشرة أميال.

[٢] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محيي الدين. دار الفكر. بيروت ١٤٠٩هـ. جـ٢ ص٢٧٧.

فتناهض الحيان وكاد أن يكون بينهما قتال، ثم رأوا أن الخطب يسير ولا يوجب القتال في مثل هذه الأشهر الحرم، فتراجعوا واصطلحوا[١].

فجار المرأة:

وفي أحد المواسم كانت امرأة من بني عامر جالسة، وكانت جميلة وعليها برقع ودرع ساتر لجسمها، فرآها مجموعة من شباب قريش فأعجبهم هيئتها فقالوا لها: اكشفي لنا عن وجهك لنراه، فأبت عليهم، فقام أحدهم وشك أسفل درعها من الخلف في ظهرها بشوكة وهي لا تشعر، فلما قامت انكشفت عورتها فضحكوا وقالوا: منعتينا أن ننظر إلى وجهك وأريتينا دبرك؛ فصاحت المرأة: يا آل عامر، فتثاور الحيان، وكان بينهما بعض المناوشات والدماء اليسيرة فتحملها حرب بن أمية وأصلح بينهم[٢].

فجار القرد:

كان لرجل من بني نصر بن معاوية دَيْنٌ على رجل من كنانة، فأعدم الكناني ولم يستطع الوفاء بدَيْنه، فلما جاء الموسم جاء النصري ومعه قرد، فأخذ يرفع صوته ويقول: من يبيعني مثل هذا القرد بمالي على فلان الكناني، ويقصد من ذلك تعيير الكناني والتشهير باسمه في مثل هذا المحفل، وعندما كررها مراراً جاء رجل من كنانة فضرب القرد بالسيف وقتله، فصرخ النصري: يا آل هوازن، وصرخ الكناني: يا آل كنانة، فهاج الناس واجتمعوا وكادوا أن يقتتلوا، فتوسط بينهم

---

[١] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٨٨– ٨٩؛ ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٨٩؛ أبو الفرج الأصبهاني،الأغاني جـ١٩ ص٧٤.

[٢] ابن عبد ربه، المصدر السابق جـ٦ ص٨٨– ٨٩؛ ابن الأثير، المصدر السابق جـ١ ص٥٨٩؛ أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٩ ص٧٤.

عقلاؤهم وقالوا لهم: أتقتتلون من شأن قتل قرد؟ وقاموا بتفريقهم و لم يحدث بينهم قتال[1].

الفجار الثاني:

أما السبب في حرب الفجار الثاني فهو مقتل عروة الرحال؛ وذلك لأن لملوك الحيرة لطيمة يبعثون بها في كل عام إلى سوق عكاظ، فيبيعون ما بها من الطيب والخز ويشترون بثمنها ما يحتاجونه من أدم الطائف، وبما أن الطرق آنذاك غير آمنة فلا بد أن يبحث الملك عمن يجيزها له، أي يحميها حتى تصل إلى السوق المراد بيعها فيه، فأحياناً يجيزها رجل واحد وأحياناً أكثر من رجل بحيث يحميها كل رجل حتى تخرج من قومه ثم يستلمها رجل آخر حتى يخرجها من قومه، وهكذا حتى تصل إلى السوق التي وُجهت إليه[2].

وكان السبب في مقتل عروة أن البراض بن قيس الكناني، أحد بني ضمرة، كان رجلاً فاتكاً خليعاً قد خلعه قومه وتبرأوا منه مخافة أن يجلب عليهم مسبة أو أن يوقعهم في إشكاليات مع القبائل الأخرى، وكانت العادة فيما بينهم أنهم إذا خلعوا أحداً لا يؤاخذون بجريرته، فخرج البراض حتى أتى مكة فأجاره حرب بن أمية وأخذ عنده مدة، ثم بعد ذلك كثرت مشاكله، ولما أراد أن يخلعه قال: لا تفعل ذلك فإنك إن خلعتني لم أجد من يحالفني، ولكن دعني في جوارك وسأخرج عنك، فخرج من عنده ولحق بالنعمان بن المنذر، ملك الحيرة[3].

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٩٠؛ ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٨٨– ٥٨٩؛ أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ ١٩ ص ٧٤.

[2] ابن عبد ربه، المصدر السابق جـ٦ ص٩٠– ٩١.

[3] أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٩ ص٧٥؛ ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش. صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فارق. عالم الكتب. بيروت ١٤٠٥هـ. ص١٦٤.

وصل البراض إلى النعمان فصادف عنده عروة بن عتبة بن جعفر من بني كلاب، وقد اشتهر بعروة الرحال: لكثرة رحلته إلى الملوك، وهو يومئذٍ سيد هوازن، فعندما أراد النعمان أن يبعث لطيمته قال لمن عنده من أشراف العرب: من يجيزها لي؟ قال البراض: أنا أجيزها على بني كنانة، فقال النعمان: إنما أريد رجلاً يجيزها على كنانة وقيس، فقال عروة الرحال: أكلب خليع يجيزها لك؟ أنا والله أجيزها لك على أهل الشيح والقيصوم من أهل تهامة ونجد، ويقصد أنه يجيزها على كنانة وقيس، فغضب البراض من كلامه وقال: وعلى كنانة تجيزها يا عروة؟ قال عروة: وعلى الناس كلهم، فدفع النعمان اللطيمة إلى عروة وأمره بالمسير بها[١].

خرج عروة باللطيمة والبراض يتبع أثره وعروة يراه ولا يحفل به، حتى إذا كان بوادي تيمن بنواحي فدك نزل فنزل البراض بالقرب منه، فأخرج قداحه وجعل يستقسم بها، فمر به عروة وقال له: ماذا تفعل؟ قال: استقسم في قتلك، هل يؤذن لي أم لا؟ فردّ عليه عروة ردّاً قبيحاً ثم ذهب وتركه، فأخذ البراض يتحين عليه الفرص حتى رآه يوماً نائماً في ظل شجرة فوثب عليه وقتله، فلما علم أصحاب العير بمقتله تخلوا عنها وهربوا، فأخذها البراض وسار بها إلى خيبر[٢].

كان مقتل عروة الرحال بأرض غطفان، وعندما علمت قيس بمقتل عروة، وأن البراض سار باللطيمة إلى خيبر تبعه منهم رجلان، أحدهما غطفاني يقال له المساور بن مالك والآخر غنوي يقال له أسد بن خيثم، ولما دخلا خيبر كان أول من لقيهما البراض، فقالا له: هل لديك علم عن البراض؟ فقال: ممن الرجلان؟ فانتسبا له فعرفهما، فقال لهما: وما الذي أتى بكما لهذه الديار؟ فأخبراه بأنهما

---

[١] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٩١؛ أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٩ ص٧٥؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٩١.

[٢] ابن الأثير، المصدر السابق جـ١ ص٥٩١. انظر أيضاً: أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٩ ص٧٥؛ ابن عبد ربه، المصدر السابق جـ٦ ص٩١. خيبر: مازالت تعرف بهذا الأسم وهي من كبار المدن في شمال المملكة.

يريدان البراض ليقتلاه، فهل لديه علم عنه؟ قال البراض: نعم، أتانا طريداً خليعاً فلم يجره أحد، ولم يسمح له أحد بدخول بيته، فقالا: وأين هو الآن؟ قال: وهل لديكم الجرأة على قتله إن دللتكم عليه؟ قالا: نعم[١].

وعندما شعر البراض بأن الحيلة قد تمت عليهما، قال: من منكم لديه الجرأة على قتله؟ قال الغطفاني: أنا، فقال البراض للغنوي: احفظ راحلة صاحبك، وانطلق بالغطفاني حتى إذا أتيا إلى خربة في خارج المدينة قال: هو يأتي إلى هذه الخربة، ولكن دعني أنظر هل هو فيها أم لا، فدخل البراض إلى الخربة ثم خرج عليه فقال: إنه فيها وهو نائم فلندخل عليه، فلما دخلا الخربة قال البراض: هو خلف هذا الجدار على يمينك إذا دخلت، ولكن دعني انظر إلى سيفك هل هو صارم، فأعطاه الغطفاني السيف فهزه البراض كأنه ينظر إلى صرامته، ثم ضرب به الغطفاني فقتله، ثم جعل سيفه خلف الباب ورجع إلى الغنوي[٢].

ولما رجع البراض إلى الغنوي قال لم أر في حياتي رجلاً أجبن من صاحبك، تركته قائماً على باب الخربة التي فيها الرجل لا يتقدم ولا يتأخر، والرجل نائم، فقال الغنوي: وا لهفاه، لو أن معي رجلاً يحفظ راحلتينا لذهبت معك وقتلته، فقال البراض: أعقلهما فإن ذهبتا فهما عليّ وامض معي حتى تقتل هذا الخليع وتريحنا من شره؛ فانطلق الغنوي مع البراض ولما وصلا إلى باب الخربة قال له البراض: تقدم، فلما دخل الغنوي أخذ البراض السيف من خلف الباب ثم ضربه فقتله وألحقه بصاحبه ثم أخذ سلاحهما وراحلتيهما وانطلق بالعير إلى مكة[٣].

وعندما سار البراض بالعير إلى مكة لقي في طريقه رجلاً من بني أسد بن خزيمة فقال له: سأجعل لك عشراً من الإبل على أن تنطلق إلى حرب بن أمية

---

[١] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٩١؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٩١.

[٢] ابن الأثير، المصدر السابق جـ١ ص٥٩١.

[٣] المصدر نفسه والصفحة نفسها؛ ابن عبد ربه، المصدر السابق جـ٦ ص٩٢.

وتخبره بأنني قتلت عروة الرحال، فليحذروا قيساً، فخرج الأسدي حتى أتى سوق عكاظ فأخبر حرباً، فبعث حرب من فوره إلى عبد الله بن جدعان وإلى هشام بن المغيرة وهما من أشراف قريش، وذوي الرأي فيهم، وأحضر من كل قبيلة من قريش رجلاً، واستدعى الحليس بن يزيد الحارثي، سيد الأحابيش[1]، فأعلمهم بالخبر، فتشاوروا في الأمر وقالوا: إن هوازن لن ترضى بقتل خليع من بني ضمرة في سيدها، ولا بد أن تطلب ثأرها منا، والرأي أن نرسل الآن إلى أبي براء عامر ابن مالك (ملاعب الأسنة)، وهو يومئذ سيد قيس وشريفها، ونخبره بأنه قد حدث في قومنا بعد خروجنا حدث يقتضي رجوعنا، فأرسل حرب إلى أبي براء من يخبره بذلك فلم يشكّ أبو براء في الأمر[2].

وكان الناس إذا قدموا إلى عكاظ سلّموا أسلحتهم إلى عبد الله بن جدعان، فإذا انتهوا من أسواقهم وحجهم جاءوا إليه وأخذوها منه، فلما اجتمعت كنانة وتشاوروا، قال حرب بن أمية لعبد الله بن جدعان: احبس أسلحة هوازن، فغضب ابن جدعان وقال: أتأمرني بالغدر، والله لو أعلم أنه لم يبق سيف إلا ضُربت به ولا رمح إلا طُعنت به ما أمسكت منها شيئاً، ولكن لكم مائة درع ومائة رمح ومائة سيف تستعينون بها[3].

وعندما اطمأنت قريش وأمنت جانب قيس قام نفر منهم وقالوا: يا أهل عكاظ، إنه قد حدث في قومنا في مكة حدث أتانا خبره، ونخشى إن تخلفنا أن يتفاقم الشر، فلا يريبنّكم مفارقتنا لكم، ثم صاح ابن جدعان في الناس: من كان له سلاح فليأتني، فأخذ الناس أسلحتهم ثم ركبت قريش على الصعب والذلول

---

[1] الأحابيش: هم بنو الحارث بن عبد مناة وعضل والقارة والديش من بني الهون بن خزيمة والمصطلق بن خزاعة، سموا بذلك لحلفهم مع بني الحارث، والتحبش: التجمع (ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٩٣ – ٥٩٤).

[2] المصدر نفسه جـ١ ص٥٩١ – ٥٩٢؛ ابن حبيب، المنمق ص١٦٩.

[3] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٩ ص٧٦.

عائدين إلى مكة، ولما كان آخر النهار أتى الخبر أبا براء فقال: غـــدرت قـــريش وخدعني حرب بن أمية، والله لا تترل كنانة عكاظاً أبداً، ثم ركبوا من ســـاعتهم واتبعوهم حتى أدركوهم بنخلة، فاقتتلوا فرجحت كفة هوازن وكادت قريش أن تنهزم لولا حسن تصرفهم، فعندما رأوا عدم قدرهم على المقاومة جعلوا بعـــض الفرسان على حاميتهم وأسرعوا في الانسحاب بنظام حتى دخلوا حدود الحـــرم وأمنوا به، ولم يصب أحد من مشاهيرهم في ذلك اليوم(١).

ولما رأت قيس أن قريشاً قد دخلوا حدود الحرم وأمنوا ناداهم الأدرم بـــن شعيب، أحد بني عامر بن صعصعة: يا معشر قريش، إنا لن نترككم حتى نقتـــل بدم عروة، أحد عظمائكم، وموعدنا وإياكم عكاظ في العام المقبل؛ فأجابوهم إلى ذلك وانصرف كل منهم إلى بلده وأخذ يعدّ العدة للمعركة في العام القادم. وقد أطلق المؤرخون على هذا اليوم يوم نخلة(٢).

وقد ذكر بعض المؤرخين أن الرسول ﷺ قد شارك في ذلك اليوم وهو ابن عشرين سنة، وكان يناول أعمامه السهام، غير أن الزهري أنكر ذلك، وحجته في ذلك أن الرسولﷺ لو كان مع قريش لم ينهزموا، ولكن ابن الأثير تعقّبه وقـــال: ليس ذلك بحجة، فالرسول ﷺ الهزم أصحابه في يوم أحد وقد بُعث، فهزيمة قومه قبل البعثة واردة من باب أولى(٣).وقد كان عدد أيام الفجار الثاني خمسة أيام، يوم نخلة السابق ذكره أما الأيام الأربعة الأخرى فهي كالتالي.

---

(١) ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٩٢. انظر أيضاً: أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٩ ص٧٦.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٩٢؛ ابن الأثير، المصدر السابق جـ١ ص٥٩٢؛ أبو الفرج الأَصبهاني، المصدر السابق جـ١٩ ص٧٦.

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق جـ١ ص٥٩٢ – ٥٩٣. انظر أيضاً: ابن هشام، السيرة النبوية ص٨٨؛ أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٩ ص٨١.

يوم شمطة:

ولما جاء العام القادم جمعت قريش جموعها من الأحابيش وأسد بن خزيمة وغيرهم، وفرقت فيهم السلاح، فسلح عبد الله بن جدعان مائة رجل تسليحاً تاماً، وكذلك فعل المؤسرين مثله، ثم خرجت إلى قيس حسب الموعد، فكان على بني هشام الزبير بن عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ وإخوته أبو طالب وحمزة والعباس أبناء عبد المطلب، وعلى بني أمية وأحلافها حرب بن أمية، وعلى بني عبدالدار عكرمة بن هاشم بن عبد مناف، وعلى بني أسد عبد العزى بن خويلد، وعلى بني مخزوم هشام بن المغيرة، وعلى بني تيم عبد الله بن جدعان، وعلى بني جمح معمر بن حبيب بن وهب، وعلى بني سهم العاص بن وائل، وعلى بني عدي زيد بن عمرو بن نفيل، وعلى بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد شمس، والد سهيل، وعلى بني فهر عبد الله بن الجراح، والد أبي عبيدة، وعلى الأحابيش الحليس بن يزيد وسفيان بن عويف، وعلى بني بكر بلعاء بن قيس، وعلى بني فراس بن غنم عمير بن قيس (جذل الطعان)، وعلى بني أسد بن خزيمة بشر بن أبي خازم، وكان على الجميع حرب بن أمية[1].

أما قيس فقد سبقتهم إلى عكاظ، وكان على بني عامر ملاعب الأسنة، وعلى بني نصر وسعد وثقيف سبيع بن ربيع النصري، وعلى بني جشم الصمة، والد دريد، وعلى غطفان عوف بن أبي حارثة المري، وعلى بني سليم عباس بن زعل، وعلى فهم وعدوان كدام بن عمرو[2].

سارت كنانة حتى نزلت على قيس في موضع يسمى شمطة، فالتقى الفريقان فكان الظفر في أول اليوم لكنانة، ولما انتصف النهار مالت الكفة لقيس فانهزم بنو

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٩٣.

[2] المصدر نفسه جـ١ ص٥٩٤. ابن حبيب، المنمق ص١٧١.

زهرة وبنو عدي، وقُتل معمر بن حبيب الجمحي، وانهزمت طائفة من بني فـــراس ابن غنم، وثبت حرب بن أمية وسائر قبائل قريش، ثم تداعت هـــوازن واشـــتد القتال فقتل تحت راية بني الحارث بن عبد مناة مائة رجل، وعندما رأى بلعاء بن قيس كثرة القتلى وكان حرب قد أمرهم بعدم مفارقة الوادي الذي عيّنه لهم صاح فيهم: الحقوا برخم، وهو جبل قريب منهم، فانهزموا وصعدوا إلى الجبل ثم انهـــزم باقي قريش، وانصرف كل من الفريقين إلى بلده[1].

يوم العبلاء:

ولما جاء على رأس الحول من العام التالي التقى الفريقان في موضع يســـمى العبلاء[2]، فاقتتلوا فدارت الدائرة على كنانة فانهزمت، وفي هذا اليوم قُتل العـــوام ابن خويلد، والد الزبير، قتله معتب بن مرة الثقفي، فقال رجل من ثقيف:

منا الذي ترك العوام مجندلاً   تنتابه الطير لحماً بين أحجار[3]

يوم شرب:

لقد عز على قريش أن تنهزم في يومين متتاليين فعندما جاء على رأس الحول من العام التالي، جمعت كنانة جموعها وحشدت حشودها وحمل عبـــد الله بـــن جدعان يومئذ ألف رجل على ألف بعير، فالتقوا بمكان بقرب عكاظ يقـــال لـــه شرب، وفي هذا اليوم خافوا أن يحل بهم مثل ما حل بهم في اليـــومين الســـابقين، فعقل حرب بن أمية نفسه وكذلك فعل أخواه سفيان وأبو سفيان وقالوا: لن نبرح حتى نموت أو نظفر بالنصر، وهذا هو السبب في تسميتهم بالعنابس (أي الأسود)، وقد اشتد القتال في هذا اليوم وثبت الفريقان، وكادت هوازن أن تظهر حـــتى أن بني بكر بن عبد مناة قد هموا بالانهزام، ولكنهم عندما رأوا ثبات بـــني مخـــزوم،

---

(1) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٩ ص٧٧– ٧٨. انظر أيضاً: ابن حبيب، المنمق ص١٧٣.

(2) العبلاء: اسم علم لصخرة بيضاء بالقرب من عكاظ (ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٨٠).

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٦ ص٩٣. انظر أيضاً: أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١٩ ص٧٨.

وكانوا الذين يلوهم تنادوا ورجعوا ثم حمل زعيمهم بلعاء بن قيس على قيس وهو يرتجز:

إن عكـــاظ مأوانا فخـــلوه　　وذا المجـــاز بعد أن تحـــلوه[1]

ثم خرج الحليس بن يزيد، أحد بني الحارث بن عبد منـــاة، وهـــو رئـــيس الأحابيش، وطلب المبارزة، فخرج له الحدثان بن سعد النصري، فطعنه الحـــدثان ودق عضده ثم تحاجزا ثم اشتد القتال، وحملت كنانة على قيس من كل وجـــه، وقد أبلى بنو المغيرة في ذلك اليوم بلاءً حسناً، فانهزمت قيس كلها إلا بني نصر فإنهم صبروا وثبتوا، ثم انهزم بنو نصر وثبت منهم بنو دهمان وكان عليهم ســـبيع ابن أبي ربيعة ولكنهم لم يستطيعوا الثبات فانهزموا أيضاً، ولما رأى سبيع انهزامهم عقل نفسه ثم صاح فيهم: يا آل نصر، يا آل هوازن، فعطف عليه بنو نصر وبنـــو جشم وبنو سعد بن بكر وفهم، وقاتلوا دونه فحمل عليهم بنو أمية فلم يستطيعوا الثبات فانهزموا وحلت الهزيمة في هذا اليوم على قيس[2].

يوم الحريرة:

ولما جاء العام المقبل التقوا في اليوم الخامس في موقع يسمى الحريرة، وهـــي حرة بجانب عكاظ، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزمت كنانة وقُتل في هذا اليوم أبـــو سفيان بن أمية وقتل عثمان بن أسد من بني عمرو بن عامر بن ربيعة ثمانية نفر من بني كنانة، وقتل ورقاء بن الحارث أحد بني عمرو بن عامر بن ربيعة أيضاً خمسة نفر من بني كنانة، وفي هذا اليوم يقول خداش بن زهير:

لقد بلوكم فأبلوكـــم بلاءهم　　يـــوم الحريرة ضرباً غير تكذيب

وإن ورقاء قد أردى أبا كنف　　وابني إياس وعـــمراً وابن أيوب

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٩ ص٧٨– ٧٩.

[2] المصدر نفسه جـ١٩ ص٧٩. انظر أيضاً: ابن حبيب، المنمق ص١٨٢.

وإن عثمان قد أردى ثمانية منكم وأنت على خبر وتجريب[1]

وبعد هذا اليوم صار الرجل والرجلان يلتقيان فيقتل بعضهم بعضاً، فلقي ابن محمية عبد الله الدبلي زهير بن أبي ربيعة، والد خداش، فقال له زهير: إني محرم جئت معتمراً، فقال له ابن محمية: لم ألقك يوماً إلا قلت: أنا معتمر، فوثب عليه وقتله، وفي قتل زهير يقول الشويعر الليثي:

تركنا ثاوياً يزقوا صداه زهيراً بالعوالي والصفاح

أتيح له ابن محمية بن عبد فأعجله النسوم بالبطاح[2]

ثم إنهم جميعاً رغبوا في الصلح وتأدية القتلى إلا وهب بن معتب الثقفي، فإنه أبى وفارق قومه ثقيفاً، وأخذ يحرض بقية هوازن على غزو كنانة، فوافقه على ذلك بنو نصر وبنو عمرو بن عامر بن ربيعة وعليهم سلمة بن سعدة البكائي وبنو هلال وعليهم ربيعة بن أبي ظبيان، فأغاروا على بني ليث بن بكر وهم بصحراء العميم فكان النصر في أول اليوم لبني ليث، وقُتل عبد بن عوف البكائي، قتله بنو مدلج وسبيع بن المؤمل الجسري، حليف بني عامر، ثم دارت الدائرة بعد ذلك على بني ليث وكثر القتل منهم في بني الملوح بن يعمر بن ليث فانهزموا وغنمت هوازن أنعامهم[3].

وبعد هذه الحادثة قام رؤساؤهم وسعوا في الصلح فيما بينهم، وتعهدوا بِعدِّ القتلى وتأدية الفضل، ووضعوا في ذلك الرهائن، فرهن حرب بن أمية ابنه أبا سفيان، ورهن سفيان بن عوف، من بني الحارث بن عبد مناة، ابنه الحارث، ورهن الحارث بن كلدة العبدي ابنه النضر، ثم قاموا بِعدِّ القتلى، فلما رأت هوازن

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٩ ص٨٠.

[2] المصدر نفسه جـ١٩ ص٨١.

[3] المصدر نفسه والصفحة نفسها. انظر أيضاً: ابن حبيب، المنمق ص١٨٣– ١٨٤.

أن الفضل ربما يكون لديهم رغبوا في عفو قريش، فأطلقوا رهـائنهم ويقـال إن الفضل كان عشرين رجلاً لدى قريش فتحملها حرب بن أمية[1].

ومن مشاهير القتلى في حرب الفجار الثاني ممن لم يسبق ذكره: حرام بـن خويلد وأحيحة بن أبي أحيحة، ومن قيس: عباس بن زعل السلمي والصمة بـن بكر بن علقة، والد دريد بن الصمة، قتله جعفر بن الأحنف[2].

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٩ ص٨١.

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها. انظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٩٤. ذكر أبو عبيدة أن الصمة والد دريد قتل وهو أسير عند الحارث بن بيبةالمجاشعي (أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص ٢٠٦).

الفصل الثالث:

موقف قبيلة هوازن من الدعوة الإسلامية

تمهيد:

جاء الإسلام وقبيلة هوازن تعيش في أوج قوتها ومجدها، وقد خرجت للتـــو من انتصار كبير على قبيلة كنانة في عدة أيام متتالية من حرب الفجار الثاني ماعدا يوم شرب الذي انتهى لمصلحة كنانة، وهذا ما دعاها إلى عدم الانقياد لهذا الدين الجديد، ثم ما لبث هذا الرفض أن تحول إلى مواجهة حقيقية في معركة حنين التي انتهت بهزيمتها ورضوخها لهذا الدين الجديد، حيث توالت وفود زعمائها معلنـــة الدخول في هذا الدين، وقد فرح الرسول ﷺ فرحاً شديداً بقدوم وفـــود هـــذه القبيلة كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد؛ والغريب أن قبيلة هوازن التي كانت مـــن أواخر القبائل العربية دخولاً في الإسلام كانت من أفضل القبائل ثباتاً عليه أثنـــاء حروب الردة وخاصة قبيلة ثقيف.

هذا عرض مختصر لما سوف نتطرق له من خلال هذا الفصل؛ فمن الإيجـــاز إلى التفصيل.

أولاً ـــ موقف الرفض والمناوشات:

عندما أكرم الله سبحانه وتعالى أفضل خلقه محمد بن عبدالله بالرسالة، بـــدأ بدعوة المقربين منه كزوجته وأصدقائه وممن يظن به الخير من عشيرته، وقد ظلت هذه الدعوة محاطة بالسرية فترة من الزمن[1] حتى نزل قوله تعـــالى{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}[2]. عند ذلك أظهر دعوته، ولكن هذه الدعوة قوبلت بالرفض الشديد، وأثارت عليه سخط الكثيرين من قومه، ولم تفلـــح محاولاتـــه ﷺ في إقناعهم بهذا الدين الجديد.

وعندما يئس الرسول ﷺ من استجابة قريش لدعوته أخذ يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج، وكان لا يسمع بمقدم أحد له شرف ووجاهة إلا عرض عليه دعوته وما فيها من الهدى والرحمة، وكان من ضمن القبائل التي عرض عليها الرسول ﷺ دعوته بنو عامر الهوازنية، فقال له بيحرة بن فراس بن عبد الله بـــن سلمة الخير القشيري: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك وأظهرك الله علـــى مـــن خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال الرسول ﷺ: "الأمر لله يضـــعه حيـــث يشاء"، فقال بيحرة: أنجعل نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بك[3]. فلما ولى رسول الله ﷺ قام بيحرة بنخس ناقته فلعنه الرسول ﷺ[4].

لقد أضاع بنو عامر برفضهم هذا فرصة ثمينة ساقها الله إليهم، ولا سيما أن لهم منعة ومهابة في قلوب العرب منذ أن أوقعوا ببني تميم في يوم جبلـــة، إذ لـــو

---

[1] إن في إخفاء الرسولﷺ دعوته فترة من الزمن حكمة مستفادة يُردّ بها على من يقول: يجب أن نواجه أعداءنا مهما تكن قوتنا فإن الله سوف ينصرنا.

[2] سورة الحجر، آية ٩٤.

[3] ابن هشام، السيرة النبوية ص١٩٥.

[4] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٤٤.

خرجوا برسول الله ﷺ معهم ومنعوه لكان لهم بهذا عز الدهر، ولكن هذا أمر لم يتنبهوا له. ولم يتنبه له سوى أحد شيوخهم المعمرين الذي أقعده كبر سنه عن حضور المواسم، فلما رجعوا إليه وأخبروه بما جرى لهم في موسمهم، كما هي عادتهم في كل مرة، بأنهم قابلوا فتى من قريش يزعم أنه نبي يدعوهم إلى نصرته وأن يخرجوا به إلى بلادهم ويمنعوه فأبوا عليه، فعندئذ وضع الشيخ يديه على رأسه وقال: أين رأيكم يا بني عامر؟ والله ما تقوّل هذه المقولة إسماعيليٌّ قط، والله لو خرجتم به معكم لأكلتم به العرب[1].

كانت هذه هي المرة الأولى التي يعرض فيها رسول الله ﷺ نفسه على فرع من فروع هوازن، أما المرة الأخرى فإنه عندما اشتد عليه أذى قريش بعد وفاة عمه أبي طالب الذي كان يكف أذاهم عنه، خرج إلى قبيلة ثقيف، وهم حاضرة الطائف، يلتمس عندهم النصر والمنعة، ورغبة منه في عدم انتشار أمر خروجه خرج إليهم وحده[2].

ولما وصل الرسول ﷺ الطائف ذهب إلى أبناء عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة، وهم ثلاثة إخوة: عبد يا ليل ومسعود وحبيب، وهم سادة ثقيف وأشرافها، وعند أحدهم امرأة من بني جمح من قريش، فدعاهم ﷺ إلى الإسلام ورغّبهم فيه وطلب منهم النصرة لإظهار هذا الدين، فلم يكن حاله معهم بأحسن من حاله مع بني عامر، إذ قال له أحدهم من باب التهكم: مارد يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم قدراً من أن أرد عليك، وإن كنت كاذباً ما ينبغي لي أن أكلمك[3].

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية ص١٩٥.

[2] المصدر نفسه ص١٩٣.

[3] ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٩١.

وعندما سمع رسول الله ﷺ منهم هذا الكلام أيس من نصرهم فخرج من عندهم وقال لهم: "إذ فعلتم ما فعلتم فأكتمُوا عليّ"، وقد كره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه خروجه إلى ثقيف ورفضهم نصرته فيزداد إيذاؤهم له، ولكنهم لم يفعلوا بل أغروا به سفهاءهم وصبيانهم يسبّونه ويصيحون به ويرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه ﷺ مما اضطره إلى الالتجاء إلى حائط لعتبة وشيبة أبناء ربيعة القرشيين، فعند ذلك رجع عنه سفهاء ثقيف فعمد إلى شجرة عنب وجلس تحت ظلها[1].

ولعل من أهم الأسباب التي دعت ثقيف إلى رفض نصرة النبي ﷺ هي تلك الإشاعات التي تبثها قريش عن النبي ﷺ بأنه مجنون، وأحياناً بأنه ساحر، وأحياناً أخرى بأنه كاهن، ثم أيضاً قناعاتهم بأن هذا الأمر الذي أتى به لو كان حقاً لصدقه قومه واتبعوه لأنهم أعلم الناس به، أضف إلى ذلك أنها لا تود أن تفسد العلاقة الطيبة التي تربطها بقريش.

بئر معونة

وفي شهر صفر سنة أربع من الهجرة/٦٢٥م، قدم أبو براء عامر بن مالك (ملاعب الأسنة) ومعه راحلتان وفرسان هدية للنبي ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: "لا أقبل هدية مشرك". فعرض عليه الرسول ﷺ الإسلام فتردد في ذلك فلم يسلم ولم يبعد، وقال للرسول ﷺ: إني أرى أمرك هذا أمراً حسناً شريفاً، وقومي خلفي، فلو بعثت معي رجالاً من أصحابك إليهم ليدعوهم إلى الإسلام، فقال الرسول ﷺ: "إني أخاف عليهم أهل نجد"، فقال أبو براء: أنا لهم جار[2].

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص٣٤٥.

[2] ابن نباتة، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي. القاهرة ١٣٨٣هـ. ص١٣٢.

ويبدو أن تخوف الرسول ﷺ من إرسال بعض أصحابه مع أبي براء له ما يبرره، حيث كان العهد قريباً بما فعله الهذليون من الغدر بخبيب بن عدي وأصحابه في يوم الرجيع[١]، ولكن يظهر أن ثقته بأبي براء هي التي حملته على الاستجابة لطلبه، ولكنه في هذه المرة أخذ احتياطه في إرسال أكبر عدد ممكن، فبعث معه المنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة، في أربعين رجلاً من خيار المسلمين، منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان، أخو بني عدي بن النجار، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعامر بن فهيرة، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فساروا حتى نزلوا على بئر معونة، وهي بين ديار بني عامر وحرة بني سليم، فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، وحينما أتاه وأخبره وثب عليه وقتله دون أن ينظر في كتابه[٢].

وعندما قتل عامر بن الطفيل حراماً استصرخ بني عامر على أصحابه فأبوا عليه، وقالوا لن نخفر ذمة أبي براء، فاستصرخ عليهم قبائل عصية ورعل وذكوان من بني سليم فأجابوه إلى ذلك، وساروا إليهم فلم يشعر المنذر وأصحابه إلا وقد أحاطوا بهم، فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد، أخا بني دينار بن النجار فإنهم تركوه وبه رمق، فكتب الله له النجاة فعاش حتى قتل يوم الخندق[٣].

---

[١] الرجيع: ماء لهذيل، . وقد أتى النبي صلىﷺ قوم من عضل والقارة وقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً فلو بعثت معنا بعض أصحابك يفقهوننا في الدين، فأرسل معهم ستة نفر من أصحابه، فلما جاءوا على هذا الماء غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا فقتلوهم (ابن هشام، السيرة النبوية ص٤٣٢).

[٢] المصدر نفسه ص٤٣٩.

[٣] ابن نباتة ،سرح العيون ص١٣٢– ١٣٣. الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص٥٤٦.

ويذكر ابن الزبير أنهم قالوا: "اللهم إنا لا نجد من يبلغ رسولك السلام غيرك فاقرأ عليه السلام، فأخبره جبريل عليه السلام بذلك"[1].

وقد ذكر الواقدي أن عمرو بن أمية الضمري والمنذر بن محمد الأنصاري أحد بني عمرو بن عوف، كانا في سرح أصحابهما و لم يشعرهما بقتل أصحابهما إلا استغرابهما لحومان الطيور على معسكرهم، فلما وصلا إلى المعسكر وجدا أصحابهما مضرجين بدمائهم والفرسان الذين قتلوهم واقفون عليهم[2].

ولكن لا نرى ذلك صحيحاً، فما فائدة الفرسان الذين قتلوهم من الوقوف عندهم طوال هذه المدة، ثم كيف تنزل الطيور، والخيل والفرسان ما زالوا واقفين عليهم، ولكن ما نراه أنهما كانا على مقربة منهم، فلما شاهدا ما يجري توجها إليهم فوصلا على نهاية المعركة، أو أن ذلك وافق أوان أوبتهما، ولما عادا رأيا ما حل بأصحابهما.

وعلى أية حال فإنهما عندما اقتربا ورأيا ما حل بأصحابهما قال الأنصاري لعمرو بن أمية: ماذا ترى؟ قال عمرو: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ ونخبره الخبر، فقال الأنصاري: أما أنا فلا أرغب في الحياة بعد أصحابي، وأرجو أن أنال الشهادة معهم، فتقدم وقاتل حتى قُتل، أما عمرو بن أمية فقد أخذوه أسيراً، ولما علم عامر ابن الطفيل أنه من مضر جزّ ناصيته وأعتقه[3].

عاد عمرو بن أمية إلى المدينة، فلما كان بالقرقرة[4] صادف رجلين من بني كلاب فنزل معهما تحت ظل شجرة، وكان مع الكلابيين عقد من رسول الله ﷺ

---

[1] ابن الزبير، مغازي رسول الله ﷺ. جمعه وحققه محمد مصطفى الأعظمي. مكتب التربية العربي. الرياض ١٤٠١هـ. ص١٨١.

[2] الواقدي، المغازي . تحقيق مارسدن جونس. عالم الكتب. بيروت ١٤٢٧ هـ. ص٢٦٢– ٢٦٣.

[3] المصدر نفسه ص٢٦٣. انظر أيضاً: الزهري، المغازي النبوية. حققه وقدم له سهيل زكار. دار الفكر. دمشق ١٤٠٠هـ. ص٩٥.

[4] القرقرة: هي الأرض الملساء، وهي موضع يقال له قرقرة الكدر، قريب من المعدن (ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٣٢٦).

لم يعلم به عمرو، فلما ناما عدا عليهما وقتلهما، وهو يعتقد أنه قد أصاب ثـأره من بني عامر، وعندما قدم على رسول الله ﷺ وأخبره بخبرهما قال: "لقد قتلت قتيلين لأدينهما"، ثم قال رسول الله ﷺ: "هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً متخوفا"، فلما بلغ أبا براء خبر ما فعله عامر بن الطفيل شق عليه إخفار ابن أخيه لذمته وغدره بأصحاب النبي ﷺ[1].

وقد أورد الطبري شعراً لحسان بن ثابت في هذه الحادثة يحرض فيه بني أبي براء على عامر بن الطفيل لخفره ذمة أبيهم، فعدا ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعنه بالرمح فوقع في فخذه وسقط عن فرسه جريحاً، فقال عامر: هذا جزاء ما فعلت بأبي براء، فإن مت فدمي لعمي وليس لأحد أن يطالب بثأري، وإن عشت فسوف أرى رأيي فيما فعل بي[2].

وبعدما شفي عامر بن الطفيل من جراحه وعلم بما فعله عمرو بن أمية بعث إلى الرسول ﷺ أن أحد أصحابك قتل رجلين من قومي ومعهما عهد منك فابعث إليَّ بديتهما، وكان الرسول ﷺ قد عقد حلفاً بين بني عامر ويهود بني النضير، ولما وصله رسول عامر بن الطفيل ذهب إلى يهود بني النضير يستعينهما في ديتهما، وعندما أتاهم وطلب منهم ذلك أجابوه وقالوا: حباً وكرامة يا أبا القاسم، وطلبوا منه الجلوس حتى يجمعوها له، وكانوا قد بيتوا الغدر به، فأتاه الوحي من السماء بما هموا به، فقام كأنه يريد قضاء الحاجة ثم مضى راجعاً وتركهم[3].

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية ص٤٤٠.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص٥٤٨ – ٥٤٩. هذا ما ذكره الطبري وهناك من يرى أن أبا براء ليس له أبناء (ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٢ ص٢٥٤). وهو المترجح لدينا لاتفاقه مع سير الأحداث التي تقول إنه مات كمداً بسبب مخالفة أبناء أخيه لأوامره لكبره وضعفه وعدم وجود أبناء يحمونه (ابن حبيب، المحبر ص٤٧٢).

[3] ابن هشام، المصدر السابق ص٤٤٢.

السرايا التأديبية:

وعلى الرغم من انشغال النبي ﷺ بالصراع مع اليهود ومشركي مكـــة، إلا أنه لم يغفل عن هذا العمل الإجرامي الذي قام به عامر بن الطفيل، فأخذ يشـــن الغارات على الهوازنيين بين الحين والآخر وأغلبها على بني كلاب، رهط عامر بن الطفيل.

سرية محمد بن مسلمة:

كانت أولى السرايا التي بعثها الرسول ﷺ إلى هوازن سنة ست من الهجرة /٦٢٧م حيث بعث محمد بن مسلمة في ثلاثين رجلاً إلى بني أبي بكر بن كلاب وأمره أن يسير بالليل ويكمن بالنهار، فسار محمد حتى نزل على الشربة[١] فرأى ظعناً فأمر أحد أصحابه أن يذهب إليه ويأتيه بأخبارهم، فذهب إلـــيهم ثم عـــاد وأخبره بأنهم من بني محارب فترل قريباً منهم ثم تركهم حتى ارتحلوا، فأغار عليهم وقتل منهم عدة أشخاص وهرب الآخرون فاستاق نعمهم و لم يعرض لنسائهم[٢].

واصل محمد بن مسلمة سيره إلى ديار بني أبي بكر بن كلاب، ولمـــا صـــار قريباً منهم أرسل عبّاد بن بشر كطليعة يتحسس أخبارهم، فعاد إليه وأخبره أنهم على الماء وقد عطنوا[٣]، فعندئذ شن الغارة عليهم، وقتل منهم عشرة أشـــخاص واستاق نعمهم ثم أسرع بالعودة إلى المدينة خشية الطلب، وكانت الغنيمة الـــتي حصل عليها المسلمون مائة وخمسين من الإبل وثلاثة آلاف من الشـــاء، فقـــام الرسول ﷺ باستخراج الخمس ثم قسم ماتبقى على محمد وأصحابه[٤].

---

[١] الشربة: من بلاد غطفان، وهي أشد بلاد نجد قراً (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٣٣٣).

[٢] الواقدي، المغازي ص٣٨١.

[٣] عطنوا: أي سقوا ابلهم الشربة الأولى، وهي الآن مستريحة في مباركها بالمعطان، فإذا أرادوا مغادرة الماء سقوها مرة أخرى يسمونها العلة (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص١٥٦٩).

[٤] الواقدي، المصدر السابق ص٣٨١– ٣٨٢.

سرية علي بن أبي طالب:

وفي شعبان سنة ست من الهجرة/٦٢٧م بلغ النبي ﷺ أن هناك جماعة من بني سعد بن بكر بقيادة رجل يقال له وبر بن عليم، يريدون أن يمدوا يهود خيبر، فبعث إليهم سرية من مائة رجل وعليهم علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، فصار يسير بالليل ويكمن بالنهار حتى وصل الهمج، وهو ماء بين خيبر وفدك، فأخذ يسأل عنهم حتى عرف خبرهم فشنَّ الغارة عليهم وهم على غرة، فهربوا بظعنهم وتركوا أنعامهم، فاستولى المسلمون على أنعامهم، وهي خمسمائة بعير وألفا شاة، فعزل علي الخمس ووزع ما تبقى بين أصحابه[١].

سريتا أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب:

وفي شهر شعبان سنة سبع من الهجرة/٦٢٨م بعث الرسول ﷺ سريتين لمهاجمة هوازن، الأولى بقيادة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأمره بمهاجمة بني كلاب على ضرية بناحية نجد، فسار إليهم وبيَّت فريقاً منهم ليلاً، وبما أن المعركة وقعت في الظلام فقد جعل المسلمون شعارهم "أمت، أمت" لكي يتعارفوا فلا يقتل بعضهم بعضاً، فقتلوا منهم عدة رجال وانصرفوا عائدين إلى المدينة[٢].

أما الأخرى فكانت بقيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومعه ثلاثون رجلاً، وأمره الرسول ﷺ بمهاجمة عجز هوازن[٣] بناحية تربة، فخرج إليهم ومعه دليل من بني هلال، وكان يسير بالليل ويكمن بالنهار كما هي عادة السرايا التي يبعثها النبي ﷺ، ولكنهم نذروا به فلم يجد منهم أحداً[٤]، فانصرف راجعاً إلى المدينة،

---

[١] ابن سعد، الطبقات جـ٢ ص٩٠.

[٢] الواقدي، المغازي ص٤٩٤.

[٣] المقصود بعجز هوازن بنو نصر وبنو جشم (الفيروزأبادي، القاموس المحيط ص ٦٦٤). ذكر الرازي أن المقصود بعجز هوازن بنو سعد وجشم ونصر وثقيف، ويقال لهم علياء هوازن (الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. تحقيق عمر فاروق الطباع. مكتبة المعارف. بيروت ١٤١٤هـ. ص٦١.

[٤] ابن سعد، المصدر السابق ص١١٧.

حتى إذا كان بالجدر[1] وجد قوماً من خثعم قد جاءوا سائرين من بلادهم بسبب جدب أراضيهم، فأشار الهلالي على عمر بمهاجمتهم فأبى عمر وقال: إن الرسول ﷺ، لم يأمرني إلا بمهاجمة هوازن[2]. ونفهم من كلام عمر رضي الله عنه، أن هذه السرايا سرايا تأديبية موجهة لقبيلة هوازن خاصة وليست للغزو والكسب.

سرية شجاع بن وهب:

وفي ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة/٦٢٩م بعث الرسول ﷺ شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن بالسي، ناحية ركبة، فجعل يسير بالليل ويكمن بالنهار حتى صبحهم وهم غارون، فانهزموا، فأراد المسلمون تتبعهم فنهاهم شجاع عن ذلك، واستولى على ما خلفوه من النعم والشاء وعاد به إلى المدينة، وأخرج الرسول ﷺ الخمس ثم وزع ما تبقى بينهم فكان سهم الرجل الواحد خمسة عشر بعيراً، وقد عدل الرسول ﷺ البعير بعشر من الغنم، وكان زمن ذهابهم وإيابهم خمس عشرة ليلة[3].

غزوة حنين والمواجهة الحقيقية:

تعتبر غزوة حنين من المعارك الحاسمة في مسيرة الدعوة الإسلامية بصفة عامة، وفي تحديد مصير قبيلة هوازن وموقفها من هذا الدين بصفة خاصة، فعلى الرغم من رفض قبيلة هوازن لهذا الدين الجديد وتعرضها لبعض الغارات من قبل النبي ﷺ إلا أنها وقفت منه موقف الحياد في الصراع الدائر بينه وبين مشركي مكة، فلم تظاهر عليه و لم تشارك قبيلة غطفان القيسية في غزوة الأحزاب، ولكنها عندما سمعت بفتح النبي ﷺ مكة وما تحقق له من النصر والتمكين علمت أنه سوف يقصدها. فسار مالك بن عوف النصري إلى ثقيف واجتمع بهم وأخذوا

---

[1] الجدر: موضع قريب من المدينة ترعى فيه لقاح النبي ﷺ (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص١١٤).

[2] الواقدي، المغازي ص٤٩٣.

[3] المصدر نفسه ص٥١٢ – ٥١٣.

يديرون الرأي فيما بينهم، فقال بعضهم: إن محمداً ما لاقى قوماً يحسنون القتال، فلنجمع أمرنا ونسير إليه ونقضي عليه قبل أن يخرج إلينا؛ وقد وجد هذا الـــرأي التأييد من الأغلبية وخاصة قبيلة ثقيف، حيث قالوا لمالك: قد كنا نهم بالمسير إليه قبل أن تأتينا[1]. غير أن هناك من الثقفيين من كان أكثـــر تعقـــلاً ولكـــنهم لم يستطيعوا الوقوف أمام هذه الرغبة الجارفة من قومهم.

كان من هؤلاء الثقفيين المتحفظين على الخروج لقتال النبي ﷺ عروة بـــن مسعود وغيلان بن سلمة وكنانة بن عبد يا ليل، لأن هؤلاء يدركون ما لا يدركه قومهم، فقبيلة ثقيف قبيلة متحضرة ذات مساكن ومـــزارع ومدينـــة معلومـــة، ويعلمون أن الدائرة لو دارت على هوازن تفرقوا في البراري والقفـــار وعندئـــذ يقصدهم رسول الله ﷺ فيكونون هم كبش الفداء. ولما رأوا إصرار قومهم على موافقة مالك والخروج للقتال قرروا أن يخرج عروة وغيلان إلى مدينـــة جـــرش ليتعلما صناعة المنجنيق والعرادات[2] والدبابات[3]، بينما يتكفل كنانة بن عبدياليل بتولي الإشراف على ترميم حصن المدينة ومتابعة تنفيذه[4]. ونستطيع أن نلمـــس مدى هذا التخوف لدى غيلان، حيث إنه عندما أراد السفر قال لأبنائه: إني أريد أمراً كائنة له أمور لا يشهدها رجل منكم (يقصد المعركـــة) إلا علـــى فرســـه، فحضرها عشرة من أبنائه جميعهم على خيولهم[5].

أما هوازن فقد اجتمعت على مالك بن عوف النصري، وهو يومئذ ابـــن ثلاثين سنة، فأمرهم أن يُحضروا معهم نساءهم وذراريهم وأنعامهم، وأن يكـــون

---

[1] الواقدي، المغازي ص٥٩٢.

[2] العرادات: جمع عرادة، وهي أصغر من المنجنيق (الفيروزآبادي، القاموس المحيط ص ٣٨١).

[3] لم تكن هذه دبابات بمفهوم المعنى الحديث وإنما هي مصنوعة من جلود البقر (الواقدي، المصدر السابق ص٦١٨).

[4] المصدر نفسه ص٥٩٢،٦٣٧ .

[5] المصدر نفسه ص٥٩٢.

التجمع بوادي أوطاس، فخرجت إليه بنو نصر كلها وبنو سعد وثقيف بفرعيها الأحلاف وعليهم قارب بن الأسود، وبنو مالك، وعليهم ذو الخمار سبيع بن الحارث، وبنو جشم وعليهم دريد بن الصمة، وهو يومئذ شيخ كبير السن، وإنما اصطحبوه تيمّناً برأيه لأنه كان شيخاً مجرباً وقائداً فذاً، و لم يجتمع لمالك من بني عامر سوى نفر قليل من بني هلال وبنو عمرو وعوف، أبناء عامر بن ربيعة، و لم يحضر هذا التجمع أحد من بني كعب ولا كلاب[١]. وقد ذكر الواقدي أن السبب في تخلف بني كعب وكلاب أن أبا براء منعهم من المشاركة في المعركة بقوله: لو أن من في الغرب والشرق عادى محمداً لأظهره الله عليه[٢].

وعلى أية حال فعندما اجتمع الناس بوادي أوطاس قال دريد —وكان قد كف بصره في آخر عمره-: بأي وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس؛ قال: نعم مجال الخيل، لا حزن ضرس ولا سهل دهس، ثم قال: ماذا فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد؛ قال: غاب الحد والجد، ولو كان يوم علاء ورفعة لم يغيبا عنه؛ وقد لفت انتباه دريد بكاء الأطفال وثغاء الشاء فاستفسر عن ذلك فقالوا: إن مالكاً قد ساق مع الناس نساءهم وأولادهم وأموالهم فقال: وأين هو الآن؟ قالوا: هو في الناس، قال: أرسلوا إليه ليأتني[٣].

---

[١] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٧٠– ٧١.

[٢] الواقدي، المغازي ص٥٩٢. اختلف المؤرخون في إسلام أبي براء وفي صحبته وفي سنة وفاته أيضاً، فمنهم من يرى أنه عندما علم بخفر ابن أخيه عامر بن الطفيل لذمته بقتل أصحاب رسول الله ﷺ في جواره، وكان قد كبر وضعف، حزن وجزع جزعاً شديداً فعمد إلى شرب الخمر صرفاً حتى مات، ولم يفعل مثل هذا الفعل غيره من العرب سوى زهير بن جناب وعمرو بن كلثوم التغلبي (ابن حجر العسقلاني، الإصابة جـ٣ ص٤٨٥ -٤٨٦. ومنهم من يرى أنه بقي حياً حتى أدرك زمن موقعة حنين كما هو الحال عند الواقدي. ولكن الراجح لدينا أن سبب وفاته كما ذكر ابن حجر، من شربه للخمر، ولكنها كانت بسبب عصيان بني أخيه له بترحلهم بغير إذنه بعد علمهم بهلاك عامر بن الطفيل حسب ما ذكر ابن حبيب (ابن حبيب، المحبر ص٤٧٢).

[٣] ابن هشام، السيرة النبوية ص٥٦٢.

ولما حضر مالك قال له دريد: ما حملك على أن تسوق مع الناس نساءهم وأموالهم؟ قال: حتى يقاتل كل واحد منهم عن أهله وماله، فسفّه رأيه وقال: راعي ضأن والله، وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك، ثم قال له: يا مالك أنت الآن أصبحت رئيس قومك وهذا اليوم كائن له ما بعده، وما فعلته ليس من أمر الحرب في شيء؛ إذ جعلت عورات قومك في نحور الخيل، اجعل أهلك في مكان حصين من ديارهم، والق أعداءك على متون الخيل، فإن صارت لك لحقك من وراءك، وإن كانت عليك تكون قد أحرزت أهلك ومالك، فأبى مالك عليه ذلك وقال: إنك قد كبرت وخرفت وجاء بعدك من هو أبصر بالحرب منك، ولن أتبع أي رأي تشير عليَّ به، وكان هدفه من ذلك كما يقول المؤرخون أن لا يكون لدريد فيها ذكر[1].

ولما رأى دريد تعنت مالك وإصراره على رأيه التفت إلى من عنده وقال: إن هذا فاضحكم غداً في عوراتكم وممكن أعداءكم منكم فانصرفوا عن مالك وتركوه، فغضب مالك وقال: يا معشر هوازن لتطيعنني أو لأتكئن على سيفي هذا حتى يخرج من ظهري، فسلّ سيفه ونكسه فتشاور القوم فيما بينهم ثم قالوا: إن مالكاً شاب في مقتبل العمر، والله لئن عصيناه ليقتلن نفسه، ثم نجلس مع دريد وهو شيخ هرم ليس لديه قدرة على الحرب، فاستقر رأيهم على متابعة مالك فيما يراه، ولما رأى دريد ذلك منهم قال: وددت لو أنكم فعلتم مثلما فعل بنو كعب وكلاب؛ ثم قال: هذا يوم لم أشهده و لم أغب عنه، ثم تمثل ببيته المشهور:

يا ليتني فيها جذع   أخب فيها وأضع[2]

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٧١– ٧٢.

(2) الواقدي، المغازي ص٥٩٣– ٥٩٤.

هذا ما كان من أمر هوازن، أما ما كان من أمر الرسول ﷺ فإنه عندما علم بأمر هوازن واجتماعها بعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد السلمي، وأمره أن يدخل فيهم ويقيم معهم حتى يعلم أخبارهم ثم يوافيه بها، ولعل اختيار الرسول ﷺ لأبي حدرد تحديداً لأن قبيلة سليم من أقرب الناس إلى هوازن نسباً، فلا يستنكر وجوده بينهم، وربما هذا هو السبب الذي جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول للرسول ﷺ عندما رجع أبو حدرد وأخبره بكثرتهم وعزمهم على المسير إليه كذب ابن أبي حدرد[1]؛ لأن عمر ربما يرى أن أبا حدرد قد بالغ في تهويل قوة هوازن تثبيطاً للمسلمين من الخروج لهم.

ولما علم رسول الله ﷺ بما عزمت عليه هوازن من مهاجمته قرر الخروج لهم، فاستخلف على مكة عتاب بن أسيد وخرج في عشرة آلاف من أصحابه وألفين من أهل مكة، وقد بلغه أن عند صفوان بن أمية أدراعاً وسلاحاً، فأرسل إليه وقال له: "يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غداً"، فقال: أغصباً يا محمد، لأن صفوان ما زال مقيماً على الشرك، فقال ﷺ: "بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك"، فأجابه صفوان إلى ذلك، فأرسل إليه مائة درع وما يلزمها من السلاح، ويذكر بعض الرواة أن الرسول ﷺ طلب منه أن يحملها لهم ففعل ذلك[2].

وعندما علم العباس بن مرداس السلمي بعزم الرسول ﷺ على الخروج أرسل إلى هوازن أبياتاً يحذرهم وينذرهم ويعدد لهم القبائل التي خرجت مع النبي ﷺ:

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها   مني رسالة نصح فيه تبيان

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية ص٥٦٣.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٧٣.

إني أظن رسول الله صابحكـــم   جيشاً له في فضاء الأرض أركان
فيهم سليم أخوكم غير تارككم   والمسلمون عـــباد الله غسان
وفي عضـــادته اليمنى بنو أســـد   والأجربان بنو عبس وذبيـــان
تكاد ترجف منه الأرض رهبتـــه   وفي مقـــدمه أوس وعثـــمان[1]

تحرك الرسول ﷺ من مكة وأغذ في السير حتى شق ذلك على الناس فجاءه رجل وقال له: يا رسول الله قد تقطع الناس من ورائك، فعندئذ نزل الرسول ﷺ وصلى العصر، فلما فرغ من الصلاة جاءه أحد الفرسان الذين أرسلهم يتحسسون له الطريق، فقال يا رسول الله: إني انطلقت بين أيديكم على جبل كذا وكذا، فإذا بهوازن على بكرة أبيها بظعنها ونسائها ونعمها في وادي حنين، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: "تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله"، ثم واصل سيره حتى نزل على حنين مساء ليلة الثلاثاء العاشر من شوال سنة ثمان من الهجرة/٦٢٩م[2].

ولما نزل رسول الله ﷺ قال لأصحابه: "من يحرسنا الليلة؟"، فقال أنيس بن أبي مرثد الغنوي: أنا يا رسول الله، فقال له: "استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا نغرنَّ من قبلك الليلة"، فانطلق أنيس على فرسه إلى الموضع الذي عيّنه له رسول الله ﷺ، وعندما جاء السحر عبأ رسول الله ﷺ أصـــحابه، وصـــفّهم صفوفاً، ووضع الألوية والرايات في أهلها، فأعطى المهاجرين ثلاث رايات إحداها مع علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، والأخرى مع سعد بن أبي وقّاص، والثالثة مع عمر بن الخطاب، وأعطى الخزرج رايتين إحداها مع الحباب بن المنذر، واللواء الأكبر مع سعد بن عبادة، ولواء الأوس مع أسيد بن خضير، وفي كل بطن مـــن

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية. ط٢. مكتبة المعارف. بيروت ١٩٧٩م. جـ٤ ص٣٢٥. أوس وعثمان فرعان من قبيلة مزينة (المصدر نفسه والصفحة نفسها).

[2] ابن هشام، السيرة النبوية ص٥٩٧.

الأوس والخزرج لواء أو راية[1]، وجعل لبني ضمرة وليث وسعد بن ليث رايةً، وفي بني مزينة ثلاث رايات، وفي جهينة أربع رايات، وفي بني أشجع رايتين، وأعطى بني سليم ثلاث رايات[2].

أما هوازن فإنها عندما علمت بمسير الرسول ﷺ إليها وأنه مصبحهم، أمرهم مالك بالتقدم إلى وادي حنين، وأن يكمنوا في شعابه ومضائقه، وقال لهم: إذا رأيتم جيوش المسلمين فأكسروا جفون سيوفكم وشدوا عليهم شدة رجل واحد[3].

وعندما فرغ رسول الله ﷺ من التعبئة صلى الفجر في أول وقتها، ولما جاءه أنيس وأخبره بأنه لم ير في ليلته من أمر هوازن ما يريبه، جعل خالد بن الوليد على مقدمته في بني سليم، ثم تقدم إلى حنين، وهو وادٍ منحدر من أودية تهامة، فلم يشعر المسلمون وهم في غلس الصبح إلا وقد خرجت عليهم الكتائب فجأة من مضائق الوادي وشعابه، فشدوا عليهم شدة رجل واحد فانهزمت بنو سليم ورجعت خيولهم مولية، فلما رآهم الناس منهزمين انهزموا بانهزامهم لا يلوي أحد على أحد، وانحاز الرسول ﷺ في نفر قليل من أهل بيته وأصحابه عن طريق المنهزمين إلى جانب الوادي الأيمن وناداهم: "أين أيها الناس؟ هلموا إليَّ أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله"، فلم يلتفت إليه أحد وركبت الإبل بعضها بعضاً وانحطوا منهزمين[4].

ولما انهزمت جيوش المسلمين ركبتهم رجال هوازن وفيهم رجل على جمل أحمر وفي يده رمح طويل في رأسه راية سوداء، فإن عارضه أحد طعنه برمحه وإن

---

[1] الذي يتضح لنا من كلام المؤرخ ومن المفاهيم العسكرية الحديثة أن الرايات تعطى للجماعات الصغيرة التي تنضوي تحت قيادة أصحاب الألوية.

[2] الواقدي، المغازي ص٥٩٧– ٥٩٨.

[3] المصدر نفسه ص ٥٩٨. انظر أيضاً ابن الأثير، الكامل ص٢٦٢.

[4] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٧٤.

تركوه رفع رايته وسار وسارت هوازن خلفه، وكان ممن ثبت مع النبي ﷺ أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب وعمه العباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث وابنه جعفر. وعندما رأى الرسول ﷺ انهزام الناس وأنهم لا يلتفتون إليه أمر عمه العباس، وكان جهوري الصوت، أن ينادي فيهم: يا معشر الأنصار، يا معشر المهاجرين، يا أصحاب الشجرة، يقول العباس: فأقبلوا وهم يقولون لبيك لبيك، فكان الرجل منهم يريد أن يثني بعيره فلا يقدر عليه فيأخذ سيفه وترسه ويجعلها في عنقه وينخرط عن بعيره ويؤم الصوت حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ، وأصحابه الذين ثبتوا معه يجالدون أوائل الفرسان الذين وصلوا إليهم دون النبي ﷺ[١].

ولما اجتمع عند الرسول ﷺ مائة من الذين رجعوا وغشيتهم هوازن ثبتوا لها وتقدم علي بن أبي طالب إلى صاحب الجمل الذي أكثر في الناس القتل، فضرب عرقوبي جمله بالسيف فوقع على عجزه ووثب أبو دجانة على الرجل وقتله، وعندئذ التحم الفريقان، واشتد القتال، وعندما رأى الرسول ﷺ شدة تجالد القوم أشرف عليهم وقال: "الآن حمي الوطيس"، ويقال إنه أول من قالها، ثم أخذ حفنة من التراب وقال: "شاهت الوجوه"، ثم رمى بها المشركين وقال: "انهزموا ورب الكعبة"، فأنزل الله ملائكته، ونصر جنده، فما تكامل رجوع المسلمين المنهزمين إلا وقد حلت الهزيمة بالمشركين وأسراهم مكتفين عند الرسول ﷺ[٢].

أما أهل مكة الذين خرجوا معه فكانوا في آخر الجيش، فعندما أتتهم فلول المسلمين منهزمين أظهروا ما كانوا يخفونه من الحقد، فقال أبو سفيان: لا تنتهي هزيمتهم إلا عند البحر، وقال كلدة بن الحنبل لصفوان بن أمية –وهو أخوه لأمه–

---

[١] ابن هشام، السيرة النبوية ص٥٦٤، ٥٦٥.

[٢] الواقدي، المغازي ص٦٠٠– ٦٠٢.

: ألا بطل السحر اليوم، فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك، والله لأن يـــربني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن[1].

ونستطيع أن نلحظ من كلام صفوان هذا مدى الحيرة التي يعيشها هــؤلاء المشركون، فهم لا يريدون ظهور المسلمين، وفي الوقت نفسه لا يريدون ظهـــور هوازن عليهم، لأن ظهورها يعني القضاء على سيادهم، وهذا أشد الأمرين عليهم.

وعندما دارت الدائرة على هوازن كثر القتل من ثقيف في بني مالك، فقُتل منهم سبعون رجلاً، وكانت رايتهم مع ذي الخمار سبيع بن الحارث، فحينما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة فقُتل، فلما بلغ رسول الله ﷺ مقتلــه قـــال: "أبعده الله فإنه كان يبغض قريشاً"، أما الأحلاف فكانت رايتهم مع قارب بـــن الأسود، فلما رأى بداية الهزام الناس أسند رايته إلى شجرة والهزم مع قومـــه، ولم يقتل منهم إلا رجلين، أحدهما من بني غيرة يقال له وهب والآخر من بني كنة[2] يقال له الجلاح[3].

وبعدما تمت الهزيمة على هوازن تبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فـــأدرك ربيعة بن رفيع السلمي دريد بن الصمة وهو في شجار[4] على بعير له، وكان يظنه امرأة، فلما أناخ البعير وجده شيخاً كبيراً، فقال له دريد: ماذا تريد؟ قال: أريـــد أن أقتلك، قال: ومن أنت؟ فانتسب له، ثم ضربه بالسيف، فلم يفعل فيه شـــيئاً، ويقال إن دريداً قال له: بئس ما سلحتك به أمك، خذ سيفي من مؤخرة الرحل

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص ٢٦٣. انظر أيضاً: الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٧٤ .

[2] ورد ذكرهم عند ابن هشام بني كبة، وقد ذكر صاحب "الأغاني" أن بني كبة من بجيلة قد دخلت مع بني عامر (أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص٣٥). وقد أشار الطبري إلى تفرق قبيلة بجيلة في القبائل حتى جمعهم عمر على جرير بن عبدالله البجلي، وأرسلهم في بعوث العراق وجعل لهم ربع الخمس (الطبري، المصدر السابق جـ٢ ص٤٧٠– ٤٧١). ولكن الذي يظهر لي أنهم بنو كنة من ثقيف كما سبق أن ذكرنا. انظر الرسالة ص١٨.

[3] ابن هشام، السيرة النبوية ص٥٦٧– ٥٦٨.

[4] الشجار: مركب مكشوف دون الهودج، ويقال له أيضاً مشجر (ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق محمود الطناحي وطاهر الزاوي. أنصار السنة المحمدية. ١٣٨٣هـ. جـ٢ ص٤٤٦).

فإذا رجعت إلى أمك فقل لها: إنني قتلت دريد بن الصمة، فرب يوم قد منعت فيه نساءك فأخذ سيف دريد وقتله به[1].

وقد انقسم الناس بعد الهزيمة إلى ثلاثة أقسام، قسم توجه إلى الطائف وتحصن بها، وقسم توجه إلى أوطاس وعسكر فيها، وقد سلكوا إلى ذلك طريقين: طريق الثنايا وطريق نخلة، فعقد الرسول ﷺ لأبي عامر الأشعري لواء، وأمره أن يسلك طريق نخلة ونهاهم عن تتبع من سلك الثنايا مخافة أن يكمن لهم بعض الأعداء في المضائق فيحل بهم مثلما حل بهم في حنين[2]، أما مالك بن عوف فإنه قد وقف على رأس إحدى الثنايا في مجموعة من الفرسان يحمون ضعفاءهم ليجتازوا، حتى أتاهم الزبير بن العوام فأزاحهم عنها، فانهزموا ولحقوا بمن في الطائف وتحصنوا معهم[3].

خرج أبو عامر الأشعري في آثار المنهزمين إلى أوطاس ومعه ابن أخيه أبي موسى الأشعري، فرمى رجل من بني جشم أبا عامر بسهم فقتله، ويذكر بعض المؤرخين أن سلمة بن دريد بن الصمة هو الذي رماه[4]، فلما أصيب أبو عامر أوصى بالقيادة لابن أخيه أبو موسى الأشعري فسار إليهم وهم مجتمعون بأوطاس، فاشتبك معهم في معركة قصيرة فاستحر القتل من هوازن في بني رئاب[5] من بني نصر، فلم يستطيعوا الثبات، وانهزموا وتفرقوا، تاركين وراءهم نساءهم وأنعامهم، فاستولى أبو موسى على جميع ما تركوه وعاد به إلى النبي ﷺ[6].

وكان من ضمن السبايا التي ساقها أبو موسى إلى النبي ﷺ الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى، أخت الرسول ﷺ من الرضاعة، فأخبرتهم أنها أخت

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية جـ٤ ص٣٣٧– ٣٣٨.

[2] الواقدي، المغازي ص٦١٠.

[3] ابن هشام، السيرة النبوية ص٥٧٠ – ٥٧١.

[4] البخاري، التاريخ الأوسط. دراسة وتحقيق تيسير بن سعد أبو حيمد. مكتبة الرشد. الرياض ١٤٢٦هـ. جـ١ ص٣١٨.

[5] ورد ذكرهم عند الواقدي بني ركاب، وقد صححه المحقق ببني رباب (الواقدي، المصدر السابق ص٦١١).

[6] ابن هشام، المصدر السابق ص٥٧٠.

الرسول ﷺ، فلم يصدقوها وعنفوها في مسيرهم حتى أتـــوا بهـــا الرســـول ﷺ، وعندما جاءته قالت: يا محمد، إني أختك من الرضاعة، قال لها: "ومـــا علامـــة ذلك؟" قالت: عضة عضضتنيها وأنا متوركتك في السرر[١]؛ فلما عرفها بسط لها رداءه وأجلسها عليه وسألها عن أبيه وأمه، فأخبرته بموتهما، فقال لها: "إن أحببت فعندي محببة مكرمة، وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعلت"، قالـــت: بل أريد أن أرجع إلى قومي، فأسلمت على يديه وأعطاها ثلاثة أعبد وجاريـــة. ويقول بعض الرواة إنها تشفعت في رجل من بني سعد بن بكر يقال له بجاد كان الرسول ﷺ قد أهدر دمه؛ لأنه قتل رجلاً من المسلمين وأحرقه، فشفعها فيه[٢].

حصار الطائف:

ولما كتب الله النصر للرسول ﷺ في هاتين المعركتين، أمر بجمع الغنائم من السبايا والأموال وسيرها إلى الجعرانة، وولى أمرها مسعود بن عمرو الغفـــاري، وقيل ولاها بديل بن ورقاء الخزاعي، ثم بعث الطفيل بن عمرو الدوســـي إلى ذي الكفين، وهو صنم لعمرو بن حممة، وقيل حثمة يأمره بهدمه، وأن يستمد قومـــه ويوافونه بالطائف[٣].

سار الرسول ﷺ إلى الطائف فسلك طريقاً يقال لها الضيقة، ولما سألهم عن اسمها وأخبروه قال: "بل هي اليسرى"، ثم سلك وادي نخب حتى نزل تحت سدرة الصادرة، وكان بالقرب منه دارٌ لأحد رجالات ثقيف، فأرسل إليه إما أن تخرج إلينا أو نحرق عليك حائطك، فأبى أن يخرج عليهم فأحرق حائطه ثم مضـــى في طريقه حتى نزل بالقرب من حصن الطائف[٤].

---

[١] السرر: واد بين مكة ومنى، فيه شجرة يزعمون أنه قطع تحتها سر سبعين نبي (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٢١١).

[٢] الواقدي، المغازي ص٦٠٩.

[٣] المصدر نفسه ص٦١٥.

[٤] ابن هشام، السيرة النبوية ص٥٨٣.

ولما نزل الرسول ﷺ وضرب عسكره، جاءه الحباب بن المنذر وقال: يـــا رسول الله إن كان هذا المترل بأمر من الله سلمنا، وإن كان غير ذلك فلنتأخر حتى لا تصيبنا سهامهم، فسكت الرسول الله ﷺ، ثم ما هي إلا فترة قصيرة حتى أدرك رسول الله ﷺ ما يعانيه أصحابه من سهام هوازن، حيث أصيب مـــنهم عـــدة رجال، فدعا رسول الله ﷺ الحباب بن المنذر وقال: "انظر مكاناً مرتفعاً مستأخراً عن القوم"، فخرج الحباب يبحث عن مترل آمن، وعندما وجده أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يتحولوا إليه[1].

أما الطفيل فقد ذهب وهدم الصنم، ثم استنفر قومه فخـــرج معـــه مـــنهم أربعمائة، فوصل إلى الطائف بعد نزول الرسول ﷺ عليها بأربعة أيام، ويقال إنه قدم معه بدبابة ومنجنيق، فلما وصلوا سألهم الرسول ﷺ عمن يريدونـــه لحمـــل رايتهم، فقال: الطفيل يحملها من كان يحملها في الجاهلية، فقـــال الرســـول ﷺ: "أصبتم"، ودفعها إلى النعمان بن ذرافة اللهبي[2].

فرض الرسول ﷺ وأصحابه الحصار على مدينـــة الطـــائف، ولكـــنهم لم يستطيعوا الوصول إلى الحصن، فكان أبو محجن الثقفي، المكلف بحماية الحصـــن، وأصحابه يرموهم بمعابل[3] كأنها الرماح لا يخطىء منها شيء[4].

وفي أحد الأيام تقدم يزيد بن زمعة بن الأسود على فرسه وســـأل ثقيفـــاً الأمان حتى يدنو منهم فيكلمهم فأعطوه الأمان، فلما دنا منهم رمـــوه بســـهم وقتلوه، ولقد عزَّ على يعقوب بن زمعة مقتل أخيه غدراً، فأخذ بين الحين والآخر يكمن لهوازن خارج الحصن لعله يصيب ثأر أخيه. وفي أحد الأيام خرج هـــذيل

[1] الواقدي، المغازي ص٦١٦– ٦١٧.

[2] المصدر نفسه ص٦١٥.

[3] المعابل: نصال عراض طوال، الواحدة منها تسمى معبلة (ابن الأثير الجزري، النهاية جـ٣ ص١٧٤).

[4] الواقدي، المصدر السابق ص٦١٧.

ابن أبي الصلت خارج الحصن، وهو لا يشعر بوجود يعقوب، فوثب عليه يعقوب وأسره، فأتى به النبي ﷺ فسُرَّ بذلك وأمر بضرب عنقه في الحال[1].

ولما استعصى على الرسول ﷺ الوصول إلى الحصن جمع بعض أصحابه وشاورهم في الأمر، فقال له سلمان الفارسي: يا رسول الله، إن لم نستخدم المنجنيق طال بنا المقام. فيذكر الواقدي في إحدى روايتيه أن الرسول ﷺ استخدم منجنيقاً عمله بيده، وفي الأخرى أنه استخدم المنجنيق الذي يقال إن الطفيل بن عمرو أحضره، ولكنه لم يستطع أن يؤثر في الحصن، فعمد المسلمون إلى صنع دبابة من جلود البقر، فدخلوا فيها وزحفوا بها إلى الحصن لينقبوه، ولكن هذه الخطة أيضاً لم يكتب لها النجاح، حيث أرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحماة بالنار فأحرقوها، وعندما خرج من بداخلها من المسلمين يريدون الرجوع رموهم بالنبل فقتلوا منهم جماعة، وهذا اليوم يسمى يوم الشدخة[2].

وعندما رأى الرسول ﷺ اعتصام ثقيف بحصنها وقتلهم لعدد من أصحابه فكر في طريقة أخرى يضغط بها عليهم لكي يفتحوا حصنهم، فأمر أصحابه بقطع أعنابهم، ففعلوا ذلك، فلما علمت ثقيف بما فعلوا نادى سفيان بن عبد الله الثقفي رسول الله ﷺ وقال: يا محمد، لِمَ تقطع أموالنا؟ إما أن تأخذها أو تدعها لله والرحم، فقال الرسول ﷺ: "فإني أدعها لله والرحم"، فأمر أصحابه بالكف عنها[3].

ولما طال المقام على النبي ﷺ استدعى نوفل بن معاوية الدئلي وشاوره في أمر ثقيف، فقال: يا رسول الله، ثعلب في جحر، إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضرك. وحينما سمع الرسول ﷺ ذلك منه أذن في الناس بالرحيل، فلما

---

[1] الواقدي، المغازي ص٦١٨.

[2] المصدر نفسه ص٦١٧ – ٦١٨. انظر أيضاً: الحسيني، نزهة الجليس جـ٢ ص٢٤٩.

[3] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

رأى الناس أن الرسول ﷺ سوف يرتحل عن ثقيف ويتركهم قالوا: يا رسول الله، ادع على ثقيف، فقال: "اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم"، ثم أمر منادياً أن ينادي من نزل من العبيد فهو حر، فنزل إليه مجموعة من العبيد منهم أبو بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة، وإنما قيل له أبو بكرة لأنه نزل من سور الحصن ببكرة عملها بنفسه[1]، ومنهم الأزرق أبو نافع بن الأزرق، صاحب مذهب الأزارقة[2]، وعندما أسلمت ثقيف كلموا الرسول ﷺ في رد عبيدهم فأبى عليهم وقال: "أولئك عتقاء الله"، وقد استمر حصار الطائف حوالي سبعة عشر يوماً[3].

ما بعد الطائف:

ولما ارتحل رسول الله ﷺ من الطائف سار إلى دحنا[4]، ثم مر بقرن المنازل، ثم على نخلة حتى وصل إلى الجعرانة، وفيها سبي هوازن كما سبق أن ذكرنا، ويقال إن سبي هوازن من النساء والذراري ستة آلاف، ومن الإبل أربعة وعشرون ألفاً، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية، وما لا يحصى عدده من الغنم، فقام ﷺ بتوزيعها على المؤلفة قلوبهم، فأعطى مجموعة من زعماء قريش مائة من الإبل، منهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وحكيم بن حزام... وغيرهم، وأعطى بعض زعماء القبائل مثلما أعطى زعماء قريش كالأقرع بن حابس وعيينة بن حصن، وأعطى العباس بن مرداس السلمي خمسين من الإبل فسخطها وبعث إلى النبي ﷺ بقصيدته التي منها هذان البيتان:

وما كان حصنٌ ولا حابس   يفوقان مرداس في المجمع

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٢٦٧.

[2] البلاذري، فتوح البلدان ص٦٧.

[3] ابن هشام، السيرة النبوية ص٥٨٣ – ٥٨٤.

[4] دحنا: قال ياقوت: من مخاليف الطائف (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص٤٤٤).

وما كنت دون إمرءٍ منهما ومن تضـــع اليوم لا يـــرفع[1]

فأمر له الرسول ﷺ بمثلهما، ويبدو أن الرسول ﷺ إنما أنقصه لِمَا بعثه من القصيدة التي أشرنا إليها سابقاً والتي يحذر فيها هوازن ويخبرهم بعزم الرسول ﷺ على غزوهم، ولما جلبه على الناس من الهزيمة يوم حنين؛ لأن هناك من المـــؤرخين من يذكر أن الرسول ﷺ عاتبه في ذلك[2]، ومما يـــرجح تعاطفـــه معهـــم أن في القصيدة شطراً يوحي بالتعاطف والتواطؤ معهم:

فيهم سليم أخوكم غير تارككم والمسلـــمون عبـــاد الله غســـانُ

ولما فرغ النبي ﷺ من تقسيم الغنائم بين المسلمين أتاه وفد هوازن مسلمين، فقالوا: يا رسول الله إنَّا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليـــك، فامنن علينا منَّ الله عليك؛ ثم قام أبو صرد زهير بن صرد السعدي وقال: يا رسول الله "إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كنَّ يكفلنك، ولو أنـــا مالحنا الحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذي نزلـــت بـــه رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين"[3]؛ وكان سبي هوازن قد أقاموا لهم حظائر تقيهم من الشمس، وحينما قدم الرسول ﷺ أمر بسر بـــن ســـفيان الخزاعي أن يذهب إلى مكة ويشتري لهم كسوة[4].

وعندما سمع الرسول ﷺ مقالتهم قال: "أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم"، قالوا: يا رسول الله خيّرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل رد إلينا نســـاءنا وأبناءنا، فقال لهم: "أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما صـــليت

---

[1] الواقدي، المغازي ص٦٢٧– ٦٣٠.

[2] المصدر نفسه ص٦٠٩.

[3] ابن هشام، السيرة النبوية ص٥٨٦.

[4] الواقدي، المصدر السابق ص٦٢٧.

الظهر بالناس فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم"[1].

ولما صلى الرسول ﷺ بالناس قاموا وفعلوا ما أمرهم بــه رســول الله ﷺ، فقال: "أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم"، وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقالت الأنصار مثل مقالة المهاجرين، فقــال الأقــرع بــن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: وأما أنا وبنو فزارة فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقال بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهــو لرسول الله ﷺ، فغضب عباس من مقالة قومه وقال: لقد وهنتموني؛ وعندما سمع الرسول ﷺ مقالتهم قال: "أما من تمسك بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي نصيبه"، فرد الناس على الهوازنيين أبناءهم ونساءهم[2].

ولعل من أهم الأسباب التي دعت الهوازنيين إلى هــذه المبــادرة الســريعة بالدخول في الإسلام هو ما أوقعهم فيه قائدهم الشاب من مغامرة غير محســوبة، حيث تحطمت قوتهم العسكرية بالإضافة إلى فقدانهم لأهلــيهم وأمــوالهم في آن واحد، علاوة على تمكن الرسول ﷺ من القضاء على أكبر قوة معارضة تحــول دون انتشار هذا الدين، متمثلة في مشركي مكة، كما أننا لا نستبعد أنهم قد رأوا في هذه المعركة من المعجزات، سواء من التراب الذي دخل في أعينهم، أو الرعب الذي ألقاه الله في صدورهم، ما يدل على أن هذا الدين هو دين الحــق، وأن الله سوف يظهره، ولن تستطيع أي قوة أن تحول دون انتشاره، وهذا ما صرح بــه أحد شعرائهم وهو عتيبة بن الحارث بن مدرك، أحد شعراء بني دهمان بن نصر:

وأذكر مسيرهم للناس إذ جمعــوا ... ومــالك فوقــه الرايــات تختفــق

[1] ابن هشام، السيرة النبوية ص٥٨٦. انظر أيضاً: الزهري، المغازي النبوية ص٩٣.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٢٦٩.

ومالك مالك ما فـــــوقه أحـــد	وافى حنينـــاً عليـــه التــاج يأتــلق
وقيس عيلان طـــراً تحت رايتـــه	إن سار ساروا وإن لاقى بهم صدقوا
حتى لقوا خير النـــاس يقدمـــهم	عليهـــم البيـــض والأبدان والدرق
فضربوا الناس حتى لم يروا أحداً	حـــول النبي وحتى جـــنه الغســـق
ثم تـــترل جبريـــل بنصـــرهـــم	مـــن السمـــاء فمهـــزوم ومعتنـــق
مـــنا ولو غير جبريـــل يقاتلنـــا	لمنعتـــنا إذن أسيـــافنـــا العتـــــق(١)

وهناك أيضاً أمر آخر نلمسه من تصرف النبي ﷺ في توزيع الأموال والنعم، وتأخير توزيع السبي، حيث تريث بالجعرانة على أمل قدوم وفد هـــوازن عليـــه، وهذا واضح من تذمره من تأخرهم بقوله لهم: "لقد استأنيت بكم حتى ظننـــت أنكم لا تقدمون"، وما تعهد به أيضاً من تعويض أصحاب السبي الذين لم تسمح أنفسهم برده أنه يريد بذلك إبطال هذه العادة الجاهلية الذميمة، وهي اســـترقاق العرب بعضهم لبعض؛ ولما رأى انصياع الناس وامتثالهم برد السبي ما عدا بني تميم قال: "لو كان ثابتاً على أحد من العرب ولاء أو رق لثبت اليوم، ولكن إنما هـــو إسار وفدية"(٢).

ولما انتهى النبي ﷺ من رد سبي هوازن عليهم قال: "ما فعل مالك؟"، قالوا: هرب يا رسول الله ولحق بحصن الطائف مع ثقيف، قال: "أخبروه أنه إن كـــان يأتي مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل"، وقام بحـــبس أهـــل مالك وماله، فقالوا: يا رسول الله، إنما هم سادتنا وأحبتنا، قال: "إنما أريد بهـــم الخير"(٣).

(١) الآمدي، المؤتلف والمختلف ص٢٠١.

(٢) الواقدي، المغازي ص٦٣٤، ٦٣١.

(٣) المصدر نفسه ص٦٣٤.

وعندما بلغ مالكاً خبر الوفد وما قاله لهم رسول الله ﷺ رغب في الإسلام، فخاف أن يبلغ ثقيفاً ما قاله الرسول ﷺ للوفد فيحبسونه، فأمر أن توضع له راحلة في دحنا، فلما جاء الليل ركب فرسه، ثم انطلق حتى أتى بعيره فلحق برسول الله ﷺ منصرفه من الجعرانة، وقيل لحقه بمكة، فرد عليه الرسول ﷺ أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل، واستعمله على من أسلم من قومه وما حولهم من مسلمي القبائل المجاورة[١].

ولما رجع مالك من عند النبي ﷺ انضمت إليه مجموعة من المسلمين، فعقد له لواء وأخذ يغير بهم على أهل الشرك، وضيّق على ثقيف، فلا يخرج لهم سرح إلا أخذه ولا يجد رجلاً منهم إلا قتله، فساق لهم في يوم واحد ألف شاة، وكلما أصاب شيئاً بعث بخمسه إلى الرسول ﷺ[٢].

إسلام عروة بن مسعود ومقتله:

لم تكن قوة الرسول ﷺ تخفى على عروة بن مسعود الثقفي، فقد سبق أن أرسلته قريش لمفاوضة النبي ﷺ في صلح الحديبية، وقد رأى هناك ما هاله من رغبة المسلمين في الجهاد وشدة تعظيمهم للنبي ﷺ، فعندما رجع إلى قريش وسألوه قال: "أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك به وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا

---

[١] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٨٨–٨٩. لم أجد مبرراً لوضع هذه الراحلة إلا إذا كان عليها جميع التجهيزات التي يحتاج لها.

[٢] ابن هشام، السيرة النبوية ص٥٨٧.

تكلموا عنده خفضوا أصواهم، وما يحدون النظر إليه، تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها"[1].

هذه الصورة المهيبة التي رآها عروة للنبي ﷺ هي التي دعته إلى أن يكون أكثر قومه تحفظاً من الخروج لقتال النبي ﷺ، فإنه عندما رأى إصرار قومه على الخروج لم يحاول تثبيط عزيمتهم بإخبارهم بما رآه، بل قرر الخروج على وجه السرعة إلى جرش ليحضر وسائل الدفاع عن الحصن لعله يسابق الزمن ويرجع إلى قومه قبل أن يحاصرهم محمد وأصحابه، لذلك فإنه عندما عاد ورأى ما حل بقومه من الهزيمة والتعرض للحصار لم يكن أمراً غريباً عليه، بل كان أمراً متوقعاً.

وعلى أية حال، فعندما رجع عروة إلى قومه ووجد الهزيمة قد حلت بهم حسب توقعه زاد يقينه بصحة هذا الدين، فلحق بالرسول ﷺ فأدركه قبل أن يدخل المدينة فأعلن إسلامه وشهد شهادة الحق، ثم استأذن الرسول ﷺ أن يرجع إلى قومه ويدعوهم للإسلام فأبى عليه؛ لأنه كان يخشى عليه القتل لما يراه من شدة نخوة ثقيف وشدة عدائهم لهذا الدين[2]؛ فأعاد عروة عليه الطلب مرة أخرى معللاً ذلك بأنه مطاعاً فيهم، وأنه أحب إليهم من أبكار أولادهم، فأبى عليه، ثم أعاد عليه الثالثة فقال له الرسول ﷺ: "إن شئت فاخرج"، فخرج عائداً إلى قومه وهو لا يشك في طاعتهم له ودخولهم في هذا الدين[3].

وصل عروة إلى قومه عشاءً فاستنكروا دخوله المدينة من غير أن يأتي الآلهة ويحلق رأسه عندها، ولكنهم قالوا في أنفسهم ربما يكون الليل قد أدركه وسوف

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص٦٢٧.

[2] المصدر نفسه جـ٣ ص٩٦.

[3] انظر أيضاً: المقريزي إمتاع الأسماع بما للنبيﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع. تحقيق محمد عبدالحميد النميسي. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٢٠هـ. جـ٢ ص٨٤.

يذهب إليها غداً، فأتوا إليه في مترله ليسلموا عليه، فحيوه بتحية الشرك فأنكر عليهم ذلك، وأمرهم أن يحّيوه بتحية أهل الجنة (السلام عليكم)، وأخبرهم بإسلامه، وأخذ يعدد عليهم مناقب هذا الدين معقباً بقوله: "فوالله ما قدم وافد على قوم بأفضل مما قدمت به عليكم"؛ فسبّوه ولاموه على صنيعه وتنكره للآلهة وقالوا: عندما رأيناك لم تحلق رأسك علمنا أنك قد صبوت، فحلم عليهم وسكت عنهم و لم يردّ عليهم، فخرجوا من عنده وهم يأتمرون بقتله[1].

ولما جاء الفجر، صعد عروة على غرفة له فأذن للصلاة فرماه رجل من بني مالك يقال له أوس بن عوف فأخذت العصبية قومه الأحلاف فأخذوا أسلحتهم وجمعوا وحشدوا، وكذلك فعل بنو مالك، وعندما رآهم عروة كذلك قال: لا تقتتلوا فإني قد تصدقت بدمي، وهي كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليّ، وقد أخبرني الرسول ﷺ أنكم سوف تقتلونني، وكان السهم قد أصاب أكحله فاستمر نزيف الدم و لم تفلح جميع المحاولات في إيقافه، فقال لهم: إذا أنا مت فادفنوني مع الشهداء الذين قتلوا مع الرسول ﷺ، فلما مات دفنوه معهم[2]. وعندما بلغ الرسول ﷺ مقتله قال: "إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه"[3].

سرية الضحاك بن قيس:

ولما رأى الرسول ﷺ قدوم زعماء بعض الفروع الهوازنية وإسلامهم طمع في إسلام بني كلاب، ولا سيما أنهم لم يحضروا معركة حنين و لم يشاركوا فيها، فأرسل إلى القرطاء، من بني كلاب، صحيفة مع رجل من عرينة يدعوهم فيها إلى

---

[1] الواقدي، المغازي ص٦٣٨.

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] المقريزي، إمتاع الأسماع جـ٢ ص٨٤.

الإسلام، فأبوا أن يجيبوه، وأخذوا الصحيفة ورقعوا بها دلوهم من باب الاستخفاف بهذا الدين، وحينما علم الرسول ﷺ بذلك أرسل إليهم جيشاً بقيادة الضحاك بن سفيان الكلابي والأصيد بن سلمة بن قرط[1]، والذي نعتقد أن له دوراً كبيراً في التأثير على الرسول ﷺ بإرسال الصحيفة السابق ذكرها رغبة منه في إسلام والده.

تحرك جيش الضحاك في شهر ربيع الأول سنة تسع للهجرة/٧٣٠م حتى نزل عليهم وهم بالزج[2]، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا عليه، فقاتلهم المسلمون وهزموهم، ثم لحق الأصيد أباه ودعاه إلى الإسلام ورغبه فيه، وتعهد له بأخذ الأمان له من رسول الله ﷺ، ولكن أباه أبى وسبّه وسبّ دينه فضرب الأصيد عرقوبي فرسه فوقع على عجزه، ولكنه تحرج من قتل أبيه، وظل ملازماً له حتى لحق به أحد أفراد الجيش وقتله[3].

---

[1] الواقدي، المصدر السابق. ص٦٥١.

[2] الزج: يعرف بزج لاوة، وهو موضع نجدي بناحية ضرية، كانت فيه وقعة على القرطاء بعث بها النبي ﷺ (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص١٣٣).

[3] ابن سعد، الطبقات جـ٢ ص١٦٢– ١٦٣.

مرحلة التسليم وقدوم الوفود:

إن ما كتبه الله لرسوله ﷺ من النصر والتمكين في أواخر سنة ثمان للهجرة /٧٢٩م، حيث تمكن من تحطيم أكبر قوتين معارضتين في أقل من شهرين، وهم مشركو مكة، صاحبة الثقل السياسي والديني الوثني في شبه الجزيرة العربية، وقبيلة هوازن، صاحبة السيادة المطلقة على الطائف ووسط نجد، جعل القبائل الأخرى تدرك أنه لا طاقة لها بحرب محمد وأصحابه فبدأت وفودهم في العامين التاليين بالتوافد على النبي ﷺ معلنة إسلامها وخاصة في العام التاسع، لذلك سمي هذا العام بعام الوفود.

ففي العام التاسع توالت وفود القبائل على النبي ﷺ، وكانت قبيلة هوازن أكثر القبائل وفوداً عليه، نظراً لكثرة أعدادها وكثرة فروعها، حيث بلغ عدد وفودها أكثر من خمسة عشر وفداً. ولكن للأسف الشديد أن المؤرخين الذين اهتموا بقدوم هذه الوفود كابن سعد وابن عبد ربه لم يهتموا بالتاريخ الدقيق لقدوم معظمها، ولكن من شبه المؤكد أن أغلبها قدم في العام التاسع الهجري، ما عدا وفد علقمة بن علاثة الذي أثبتت الأحداث التاريخية أنه كان قبل فتح مكة، ووفد عامر بن الطفيل الذي من المترجح أنه كان في العام العاشر، وكان الهدف منه الانتقام وليس الإسلام كما سيتضح لنا فيما بعد.

والأمر الذي نلاحظه على هذه الوفود أن بعضها قد قدم ولديه دراية تامة عن الإسلام وشرائعه، وقد أسلم قبل أن يأتي، وإنما قدم للمبايعة فقط، أما البعض الآخر فإنه قدم وهو يحمل معه أسئلة كثيرة يبحث لها عن إجابات، فلما تكونت لديه فكرة عن هذا الدين وتولدت لديه القناعة التامة أسلم، وهناك فئة قليلة اقتنعت بمبادئ الإسلام، ولكنها ما زالت أسيرة لبعض عاداتها الجاهلية، فترددت

ورجعت دون أن تسلم، كما سنرى فيما بعد، فلم يجبر الرسول ﷺ أحداً على الإسلام وإنما كان يشرح لهم تعاليمه ويرغبهم فيه بالعطايا.

وفد بني سعد بن بكر:

ذكر ابن سعد في "طبقاته" أن وفد بني سعد بن بكر قدم في السنة الخامسة من الهجرة[١]، ولكن من الراجح لدينا أنه كان في السنة التاسعة كما يذكر الطبري وابن الأثير[٢]، غير أنه من أقدم الوفود الهوازنية قدوماً على النبي ﷺ، فيذكر الطبري أن بني سعد بن بكر بعثوا ضمام بن ثعلبة إلى الرسول ﷺ، وهذا يدل على أن ذلك كان بعد معركة حنين، لأنه مكلف من قبل قومه بعكس من كانوا يسلمون قبل الفتح فإن إسلامهم يكون بشكل فردي، كما هو الحال لدى المغيرة بن شعبة، والضحاك بن سفيان، والأصيد بن سلمة، وغيرهم من أفراد القبيلة الهوازنية الذين دخلوا في الإسلام منذ وقت مبكر[٣].

كان ضمام بن ثعلبة رجلاً جلداً، أشعر ذا غديرتين[٤]، فلما قدم المدينة أناخ بعيره على باب المسجد، ثم عقله ودخل المسجد ورسول الله ﷺ جالسٌ في مجموعة من الصحابة، فقال: أيكم ابن عبد المطلب، فقال الرسول ﷺ: "أنا ابن عبد المطلب"، قال: أنت محمد؟ قال: "نعم"، ثم دار بينه وبين الرسول ﷺ الحوار الآتي كما ذكره الطبري: "يا ابن عبد المطلب، إني سائلك ومغلظ لك في المسألة فلا تجدن في نفسك! قال: لا أجد في نفسي، فسل ما بدا لك، قال: أنشدك بالله

---

[١] ابن سعد، الطبقات جـ١ ص٢٩٩.

[٢] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص١٢٤؛ ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٢٩٠.

[٣] الواقدي، المغازي ص٦٤٠.

[٤] غديرتان: أي ذؤابتان من الشعر (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص٥٧٦.

إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك، أألله بعثك إلينا رسولاً؟ قال: اللهم نعم، قال: أنشدك بالله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك، أألله أمرك أن نأمرنا (تأمرنا) أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت تعبد آباؤنا من دونه؟ قال: اللهم نعم، قال: أنشدك بالله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك، أألله أمرك أن تأمرنا أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال: اللهم نعم"[1].

وبعد أن انتهت هذه المحاورة بينه وبين الرسول ﷺ أخذ يعدد أركان الإسلام: الزكاة والصيام والحج، ويستفسر منه عن كل فريضة، فلما انتهى من هذا كله قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، سأؤدي هذه الفرائض كلها وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أنقص ولا أزيد، ثم انصرف وركب بعيره عائداً إلى قومه، فلما انصرف قال النبي ﷺ: "إن صدق ذا العقيصتين دخل الجنة"[2].

ولما وصل ضمام إلى قومه كان أول ما تكلم به: بئست اللات والعزى، وكان الجاهليون يعتقدون أن من يسبّ الآلهة يصيبه البرص والجذام، فقالوا: مه يا ضمام، اتق البرص والجذام، فقال: ويحكم، إنهما لا ينفعان ولا يضران، ثم أخذ يشرح لهم الإسلام وفرائضه، فما أمسى أحد من قومه إلا مسلماً، فكان ابن عباس يقول: فما سمعنا بوافد قومٍ كان أفضل من ضمام بن ثعلبة[3].

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص١٢٤– ١٢٥.

[2] المصدر نفسه جـ٣ ص١٢٥. العقيصتان: الظفيرتان من الشعر. (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص٨٠٤).

[3] الطبري، المصدر السابق جـ٣ ص١٢٥.

وفد بني قشير بن كعب:

قدم وفدٌ من القشيريين على الرسول ﷺ فيهم ثور بن عروة، من بني عبدالله ابن سلمة الخير، فأقطعه الرسول ﷺ قطيعة وكتب له كتاباً، ومنهم أيضاً قرة بن هبيرة فكساه الرسول ﷺ برداً وعينه على صدقات قومه. وذكر ابن سعد أن من ضمن الوفد حيدة بن معاوية بن قشير[1]، ولكن الراجح لدينا أنه ابنه حيدة بن حيدة، لأن جيل حيدة هذا متقدم على زمن النبي ﷺ[2].

وفد بني جعدة بن كعب:

وكان من ضمن الوفود الهوازنية التي وفدت على النبي ﷺ وفد بني جعدة، وفيهم الرقاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة، فأعطاه الرسول ﷺ قطيعة بالفلج وكتب له بذلك كتاباً[3]؛ وكان معه أبو ليلى النابغة الجعدي، فأنشد الرسول ﷺ قصيدته الرائية، فلما بلغ قوله:

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا   وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي ﷺ: "إلى أين أبا ليلى"، قال: إلى الجنة، فقال النبي ﷺ: "إن شاء الله"، ولما انتهى إلى قوله:

ولا خير في حلمٍ إذا لم يكن له   بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

قال النبي ﷺ: "لا يفضض الله فاك"، فعاش مائة وثلاثين سنة لم يسقط له سن، وقد عاش النابغة حتى وفد على عبد الله بن الزبير في أيامه بمكة، فمدحه،

---

[1] ابن سعد، الطبقات جـ١ ص٣٠٣.

[2] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٤٩.

[3] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

فقال له ابن الزبير: لك في مال الله حقان، حقٌ برؤيتك رسول الله ﷺ وحقٌ بمشاركتك للمسلمين في فيئهم، ثم أحسن إليه ووصله[1].

وفد بني البكاء من عامر ربيعة:

بعث بنو البكاء إلى الرسول ﷺ وفداً يتكون من ثلاثة نفر فيهم معاوية بن ثور بن (معاوية)[2] بن عبادة بن البكاء ومعه ابنه بشر وعبد عمرو (الأصم)، فسماه الرسول ﷺ عبد الرحمن، والفجيع بن عبد الله بن حندج بن البكاء، فكتب له النبي ﷺ كتاباً "من محمد النبي للفجيع ومن تبعه وأسلم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأعطى الله ورسوله من المغانم خمس الله، ونصر النبي وأصحابه، وأشهد على إسلامه، وفارق المشركين، فإنه آمن بأمان الله وبأمان محمد"[3].

وفود بني عقيل بن كعب:

وقد قدم على النبي ﷺ عدة وفود من بني عقيل بن كعب، فكان أول من وفد عليه لقيط بن عامر بن المنتفق ومعه ابن عم له يقال له نهيك بن عاصم، وذلك في نهاية شهر رجب سنة تسع من الهجرة/٦٣٠م، فأخذ يسأل النبي ﷺ عن بعض شرائع الإسلام، وقد ركز في أسئلته على الأمور الغيبية من الجنة والنار، وكيف يرون الله جميعاً في وقت واحد؛ لأنه واحد وهم أناسٌ كثيرون، وكان يهدف بهذه الأسئلة عن أمور الغيب حتى يصدقه قومه إذا رجع إليهم، فلما أجابه الرسول ﷺ على جميع أسئلته أسلم[4]، فأعطاه الرسول ﷺ ماءً يقال له النظيم[5].

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ١ ص٢٧٩– ٢٨٠.

[2] الزيادة من ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٦١.

[3] ابن سعد، الطبقات جـ١ ص٣٠٤– ٣٠٥.

[4] ابن عبد ربه، المصدر السابق جـ١ ص٢٧٠– ٢٧٣.

[5] ابن سعد، المصدر السابق جـ١ ص٣٠٢.

ثم بعد ذلك قدم عليه أبو حرب بن خويلد بن (عوف)[1] بن عـامر بـن عقيل، فقرأ عليه الرسول ﷺ القرآن فأعجبه، فقال للرسول ﷺ: إنك قد لقيـت الله أو لاقيت من لقيه، وإنك لتقول قولاً حسناً لا نستطيع أن نقول مثله، ولكن دعني أضرب بقداحي وأرى ماذا تأمرني به، فضرب بقداحه فخرجت على الكفر، ثم أعادها ثلاث مرات وفي كل مرة تخرج على الكفر، فقال للرسول ﷺ: أبى هذا إلا ما ترى، فرجع و لم يسلم[2].

ولما رجع أبو حرب إلى قومه أخبر أخاه عقال بما جرى بينه وبين الرسـول ﷺ ومدى إعجابه بالقرآن، وقال: هل لك في محمد بن عبد الله يقـرأ القـرآن ويدعو للإسلام وقد أعطاني العقيق إن أنا أسلمت، فقال عقال: أنا أعطيك أكثر مما يعطيك محمد، فركب فرسه ثم انطلق بأخيه، فلما جاء أسفل العقيق أخذ يجـر رمحه حتى جاء على أرض واسعة فيها بعض العيون فقال: كل هذه لك[3].

وبعد فترة قصيرة من الزمن وفد عقال بن خويلد على النبي ﷺ فشرح لـه بعض شرائع الإسلام وقال: "أتشهد أن محمداً رسول الله؟"، قال: أشهد أن هبيرة ابن النفاضة نعم الفارس يوم قرني اللبان، ثم كررهـا عليـه فقـال: أشـهد أن الصريح[4] تحت الرغوة؛ ثم كررها عليه للمرة الثالثة فقال: أشهد أن محمداً رسول الله وأسلم[5].

---

[1] الزيادة من ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٣٤.

[2] ابن سعد، الطبقات جـ١ ص٣٠٢.

[3] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[4] الصريح: هو الحليب الذي لا رغوة فيه، وما زالت هذه الكلمة مستخدمة لدى بادية أهل نجد، ولكنهم يجعلون الصاد سين.

[5] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

وتعكس لنا هذه المحاورة التي جرت بين الرسول ﷺ وعقال مدى فظاظة الأعراب وعنجهيتهم المستفزة، ولكنها سرعان ما تتحول إلى انقياد تام لما يرونه من حسن خلق النبي ﷺ وحلمه عليهم.

ومن وفود بني عقيل التي وفدت على النبي ﷺ وفد فيه ثلاثة من رؤسائهم، وهم: ربيع بن معاوية بن خفاجة بن عمرو بن عقيل، ومطرف بن عبد الله بن الأعلم بن عمرو بن ربيعة بن عقيل، وأنس بن قيس بن المنتفق بن عامر بن عقيل. ويظهر من تنوع أفراد هذا الوفد، حيث كل فرد منهم ينتمي إلى فرع، أن هذا هو الوفد الرسمي لهم، فأسلموا وبايعوا عن أنفسهم وعن قومهم، فأعطاهم الرسول ﷺ العقيق المعروف باسمهم "عقيق بني عقيل"، وهي أرض واسعة فيها عيون ونخيل، وكتب لهم بذلك كتاباً "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمد رسول الله ﷺ ربيعاً ومطرفاً وأنساً، أعطاهم العقيق ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وسمعوا وأطاعوا"، ودفع الكتاب إلى مطرف، وكان من ضمن الوفود أيضاً في وقتٍ آخر الحصين بن المعلى من بني ربيعة بن عقيل ومعه ذو الجوشن الضبابي من بني كلاب[1].

وفد بني هلال بن عامر:

ومن ضمن الوفود الهوازنية التي قدمت على النبي ﷺ لمبايعته وفدٌ من بني هلال منهم عبد عوف بن أصرم بن عمرو بن شعيثة بن الهزم بن رويبة، ولما سأله الرسول ﷺ عن اسمه وأخبره قال: أنت عبد الله، ومنهم قبيصة بن المخارق، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله، إني قد حملت عن قومي حمالة، فأعني

[1] ابن سعد، الطبقات جـ1 ص301 – 302.

عليها، فوعده الرسول ﷺ بدفعها من الصدقات إذا جاءت، وهذا الوعد من النبي ﷺ لقبيصة يعكس لنا مدى حرصه ﷺ على كسب ودّ هذه القبائل، وفي هـــذا الوفد يقول أحد أبناء عبد عوف:

جدي الذي اختارت هوازن كلها إلى النبي عبــد عــوف وافدا[١]

يظهر لنا من هذا البيت أن هذا الوفد المتقدم هو الوفد الرسمي لهم، ولكـــن بعد فترة قدم زياد بن عبد الله بن مالك بن بجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر على النبي ﷺ، وعندما قدم المدينة توجه إلى مترل ميمونــة بنــت الحارث، زوج النبي ﷺ، وهي خالته، وكان زياد يومئذ شاباً، فلما دخل الرسول ﷺ ورآه عندها غضب ورجع، فقالت: يا رسول الله إنه ابن أختي غرة، فدخل ثم خرج إلى المسجد ومعه زياد، فصلى الظهر ثم أدنى زياداً فدعا له ووضع يده على رأسه ثم حدرها على طرف أنفه، فكانت بنو هلال تقول: ما زلنا نعرف البركـــة في وجه زياد حتى وفاته، وفي ذلك يقول الشاعر لابنه علي بن زياد:

يا ابن الذي مسح النبي برأسه ودعا له بالخير عند المسجد

أعني زيــاداً لا أريد ســواءه من غائرٍ أو متهم أو منجد

ما زال ذاك النــور في عرنينه حتى تبوأ بيتــه في الملحــد[٢]

وكان النبيﷺ يُجل بني عامر بصفة عامة، وبني هلال بصــفة خاصــة بسبب مصاهرته لهم، فقد روى أبو عون بن أبي جحيفة السوائي عن أبيه قــال: دخلت على النبيﷺ أنا ورجلان من بني عامر، فقال:"مرحباً بكم أنتم مني"[٣].

---

[١] ابن سعد، الطبقات جـ١ ص٣٠٩.

[٢] المصدر نفسه جـ١ ص٣٠٩- ٣١٠.

[٣] ابن بلبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت١٤١٢هـ. جـ١٦ ص٢٨٢.

وفود بني كلاب بن عامر:

من أقدم الوفود العامرية[1] التي وفدت على النبي ﷺ وفدٌ فيه علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر من بني كلاب، وهوذة بن خالد وابنه من عامر ربيعة، وكان عمر جالساً إلى جنب الرسول ﷺ، فقال الرسول ﷺ لعمر: "أوسع لعلقمة"، فجلس علقمة إلى جنب الرسول ﷺ فقص عليه شرائع الإسلام وقرأ عليه آيات من القرآن، فقال: يا محمد، إن ربك لكريم، وقد آمنت بك وبايعت على عكرمة بن خصفة، أخي قيس، وكذلك فعل هوذة وابنه، وبايعهما النبي ﷺ وكتب لهما كتاباً "أما بعد: فإنه قد أسلم علقمة بن علاثة وابنا هوذة وهاجرا وبايعا على من تبعهم من عكرمة، وأن بعضنا من بعض في الحلال والحرام"[2].

ونلاحظ هنا اضطراباً فيما ذكره ابن سعد، حيث ذكر أن في الوفد هوذة وابنه، وفي الكتاب ذكر أنهما ابنا هوذة، والصحيح أنهما ابنا هوذة خالد وحرملة. ولما أسلما أرسل الرسول ﷺ إلى خزاعة يبشرهم بإسلامهما[3]. ويظهر أن حرص الرسول ﷺ على إسلامهما نابع من المكانة التي يتمتعان بها في قومهماحيث كان علقمة بن علاثة أحد المنافسين لعامر بن الطفيل على رئاسة بني عامر[4].

ومن ضمن الوفود الكلابية التي وفدت على النبي ﷺ وفد جبار بن سلمى، حيث إن الضحاك بن سفيان الكلابي قد أسلم في وقت مبكر، وقد حاول نشر

---

[1] الذي اتضح لنا من حديث المؤرخين عن حروب الردة أن قدوم هذا الوفد كان قبل غزوة حنين، ولكن لا أدري لماذا ذكره ابن سعد ضمن هذه الوفود.

[2] ابن سعد، الطبقات جـ١ ص٢٧٢، ٣١١.

[3] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٦٥.

[4] الشريشي، شرح مقامات الحريري. أشرف على نشره محمد عبد المنعم خفاجي. المكتبة الثقافية. بيروت. بدون تاريخ. جـ٣ ص٥٥.

الإسلام في قومه بني كلاب ولكنهم لم يستجيبوا له، وبعدما حلت الهزيمة بهوازن في معركة حنين وبدأت الوفود تتوافد على النبي ﷺ أسلم بعضهم على يـدي الضحاك بن سفيان، فأمرهم بالتوجه إلى الرسول ﷺ فتوجه إليه ثلاثة عشر رجلاً منهم، غالبيتهم من بني جعفر، فيهم لبيد بن ربيعة وجبار بن سـلمى، فـأنزلهم الرسول ﷺ دار رملة بنت الحارث، فلما علم كعب بن مالك بقدومهم، وكـان بينه وبين جبار بن سلمى صداقة قديمة، رحب بهم وأكرمهم، ثم خرج معهم حتى دخلوا على النبي ﷺ، فقالوا: إن الضحاك قد سار فينا بكتاب الله وبسنتك، وإنه قد دعانا للإسلام فاستجبنا له، فأخذ الصدقة من أغنيائنا وردّها على فقرائنـا، ثم خرجوا من عنده وعادوا إلى بلادهم[1].

ومن الراجح لدينا أن جبار بن سلمى قد أسلم في وقت مبكر، ولكنـه لم يقدم على النبي ﷺ بسبب قتله عامر بن فهيرة، الذي يقال إن الملائكة قد رفعتـه إلى السماء، حيث يذكر عدد من المؤرخين أن جبار بن سلمى عندما قتل عامر بن فهيرة يوم بئر معونة سمعه يقول: فزت والله فاستغرب ذلك منه، يطعنه بـالرمح ويقول: فزت والله، فسأل الضحاك عن قصده بهذه العبارة فأخبره أنه يقصد الفوز بالجنة؛ لأنه قتل شهيداً فأسلم جبار وأرسل الضحاك بإسلامه إلى النبي ﷺ[2]. ولا صحة لما ذكره ابن هشام أنه قدم مع عامر بن الطفيل عندما حاول قتـل النـبي ﷺ[3].

وكان من الوفود الكلابية التي قدمت على النبي ﷺ وفد بني رؤاس، حيث قدم رجل منهم يقال له عمرو بن مالك بن قيس بن بجيد بن رؤاس بن كـلاب

---

(1) ابن سعد، الطبقات جـ١ ص٣٠٠.

(2) الواقدي، المغازي ص٢٦٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص٥٤٨؛ الزهري، المغازي النبوية ص٩٥.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية ص٦٢٤.

على النبي ﷺ فأسلم، ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: حتى نصيب من بني عقيل بن كعب مثل ما أصابوا منا، فأغاروا على بني عقيل واستاقوا نعمهم فلحقهم فارس من بني عقيل، من أبناء المنتفق بن عامر، فقال عمرو بن مالك لمحرس بن عبد الله بن عمرو بن عبيد بن رؤاس: اخرج إلى هذا الفارس فصده عنا، فخرج إليه فطعنه العقيلي في عضده فلوى المحرس عنق فرسه إلى قومه وصاح بهم: يا بني رؤاس، فخرج عمرو بن مالك إلى العقيلي فطعنه وقتله[1].

ولما قتل عمرو العقيلي سُقط في يده وقال قتلت رجلاً وقد أسلمت وبايعت النبي ﷺ فشدّ يده في غلٍ[2] إلى عنقه ثم خرج يريد النبي ﷺ، فبلغه أن الرسول ﷺ قد عرف خبره وأنه قال: "لئن أتاني لأضربن ما فوق الغل من يده"، يقول عمرو: "فأطلقت يدي ثم أتيته فسلمت عليه فأعرض عني فأتيته عن يمينه فأعرض عني، ثم عن يساره فأعرض عني، فأتيته من قبل وجهه وقلت: يا رسول الله، إن الرب ليترضى فيرضى، فارض عني رضي الله عنك"، فقال الرسول ﷺ: "رضيت عنك"[3].

ومن الوفود الكلابية كذلك وفد بني سوآءة، قال ابن سعد: قدم أبو جحيفة السوائي في وفد من قومه لمبايعة النبي ﷺ فوجدوه بالأبطح[4]، يقول أبو جحيفة: فلما حضرت صلاة الظهر قام بلالٌ فأذّن وجعل يستدير في أذانه ثم أتى رسول الله ﷺ بإناء فيه ماء فتوضأ وفضلت منه فضلة، فجعلنا نتسابق على ما بقي

---

(1) ابن سعد، الطبقات جـ١ ص٣٠٠– ٣٠١.

(2) الغل: هو الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه، ويقال لها الجامعة (ابن الأثير الجزري، النهاية جـ٣ ص٣٨٠).

(3) ابن سعد، المصدر السابق جـ١ ص٣٠١.

(4) الأبطح: هو واد بين مكة ومنى (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص٧٤).

من وضوئه، ثم أقام بلال الصلاة فصلى بنا ركعتين، ولما حضرت صلاة العصر قام بلال فأذن، فتقدم رسول الله ﷺ وصلى بنا ركعتين[١].

وفد ثقيف (قسي بن منبه بن بكر):

سبق أن ذكرنا قدوم عروة بن مسعود على النبي ﷺ وإسلامه ورجوعه إلى قومه وقتله، فلما قُتل قال ابنه أبو مليح وابن أخيه قارب بن الأسود بن مسعود لأهل الطائف: والله لا نساكنكم فيها أبداً وقد قتلتم عروة، فلحقا بالنبي ﷺ فأسلما، فقال لهما الرسول ﷺ: "توليا من شئتما"، فقالا: نتولى الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: "وخالكما أبو سفيان بن حرب حالفاه"، ففعلا ذلك ونزلا على المغيرة بن شعبة وأقاما بالمدينة[٢].

أما ثقيف فقد بقيت في طائفها كالمحصورين، فقد أسلمت جميع القبائل المحيطة بهم وأصبحوا في عزلة تامة، وكان أشد الناس عليهم مالك بن عوف النصري، فلا يخرج لهم سرح إلا أخذه، ولا رجلٌ إلا قتله، وعندما اشتد عليهم الأمر ذهب عمرو بن أمية، أحد بني علاج، وهو من دهاتهم، إلى مترل عبد يا ليل ابن عمرو، وكان مهاجراً له، فلما خرج عبد يا ليل ورآه استغرب مجيئه لما بينهما من المشاحنة، ولكنه أدرك أنه لم يأت إلا لأمر مهم، فرحب به وأدخله داره ثم سأله عن سبب مجيئه، فقال: ألا ترى ما حل بنا من الضيق؟ فلا يخرج لنا سرح إلا أخذ ولا رجل إلا اقتطع، فلما سمع عبد يا ليل مقالته قال: هذا أمر لا بد أن نجتمع له ونرى رأينا فيه[٣].

---

[١] ابن سعد، الطبقات جـ١ ص٣١١.

[٢] الواقدي، المغازي ص٦٣٩.

[٣] ابن هشام، السيرة النبوية ص٦٠٩.

ولما اجتمعت ثقيف قالوا: إن العرب قد أسلمت كلها وهذا الرجل ليس لنا بحربه طاقة (يقصدون الرسول ﷺ)، وها أنتم ترون ما نحن فيه من الضيق، والرأي أن نبعث رجلاً منا إلى محمد ولينظر في أمره، وأن يأخذ لنا منه كتاباً نأمن فيه، ووقع اختيارهم على عبد يا ليل، وهو منهم بمنزلة عروة بن مسعود. ولكن عبد يا ليل خشي أن يفعل به قومه بعد رجوعه مثلما فعلوا بعروة، فرفض ذلك ما لم يبعثوا معه رجالاً غيره، فاستقر رأيهم أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك، بحيث يكون عددهم ستة: ثلاثة من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك، فاختاروا من بني مالك عثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونمير بن خرشة، واختاروا من الأحلاف الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب، وشرحبيل ابن غيلان بن سلمة بن معتب، بالإضافة إلى رئيس الوفد عبد ياليل[١]. وقيل سار معهم غيرهم فكان عددهم سبعة عشر رجلاً، ولكن رؤساءهم هؤلاء الستة [٢].

خرج هذا الوفد، وأَمَّرُهم جميعاً إلى عبد يا ليل، وعندما اقتربوا من المدينة رأوا إبلاً فذهبوا إلى صاحبها يريدون أن يعرفوا منه بعض الأخبار عن محمد، فإذا هو المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته إبل الصدقة[٣]، ولما عرفهم تركهم عند الإبل وذهب إلى المدينة ليبشر الرسول ﷺ بقدومهم، وعندما وصل إلى باب المسجد وجد أبا بكر الصديق فأخبره بشأنهم، فقال أبو بكر: أقسمت بالله عليك ألا تسبقني إلى رسول الله حتى أبشّره، فقد سمعته يذكرهم، فاشتد أبو بكر يعدو حتى دخل على النبي ﷺ فأخبره فسُرَّ بمقدمهم، وكان المغيرة في أثره، فقال يا رسول الله: قدم قومي يريدون الدخول في الإسلام على أن تشرط لهم شروطاً وتكتب

---

[١] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٩٨.

[٢] ابن سعد، الطبقات جـ١ ص٣١٣.

[٣] كان الصحابة رضي الله عنهم يرعون إبل الصدقة بالتناوب بينهم (الواقدي، المغازي ص٦٤٠).

لهم بذلك كتاباً، فقال رسول الله ﷺ: "لا يسألون شرطاً ولا كتاباً أعطيته أحداً من الناس إلا أعطيتهم"[١].

رجع المغيرة إلى وفد قومه وأخبرهم بما قاله رسول الله ﷺ، وشرح لهم كيفية التعامل معه من التحية والاحترام، وعدم رفع الصوت بحضرته وغير ذلك من الأمور التي تقتضي الأدب وحسن التعامل، ثم أقبلوا معه حتى دخلوا المدينة وفعلوا كل ما أمرهم به إلا التحية فإنهم قالوا: أنعم صباحاً، ولعل في هذا التصرف إشارة منهم إلى عدم رغبتهم في الإسلام ما لم يوافق الرسول ﷺ على شروطهم أولاً، وعند ذلك طلب المغيرة من الرسول ﷺ أن يستضيف قومه فأذن له، فأنزلهم في داره بالبقيع[٢]؛ وفي الوقت نفسه ضرب لهم الرسول ﷺ ثلاث خيام من حرير في المسجد، وكان يهدف من ذلك أن يجعلهم يسمعون القرآن ويرون تهجد الصحابة لعل قلوبهم تلين بسماع القرآن، فهم يقضون أكثر وقتهم بالمسجد، وإذا جاء وقت الطعام ذهبوا إلى منزل المغيرة حيث يبعث لهم الرسول الله ﷺ بطعامهم هناك[٣].

وكان المغيرة يهدف أيضاً من استئذان الرسول ﷺ في استضافة قومه إلى تلطيف الأجواء فيما بينه وبينهم بعد الجرم الذي فعله والذي على إثره فارقهم، وهو أن المغيرة خرج إلى المقوقس في ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك، ولما أتوه حياهم ورحّب بهم وأتحفهم بالهدايا ولم يحفل به[٤]، فحسدهم المغيرة، وعندما

---

[١] الواقدي، المغازي ص٦٤٠.

[٢] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[٣] المقريزي، إمتاع الأسماع جـ٢ ص٨٦.

[٤] يذكر عبد الجبار منسي أن السبب في ذلك هو انحياز الأحلاف لدولة الفرس، بعكس بني مالك الذين كان ولاؤهم للروم (عبد الجبار منسي، الطائف ص٩١).

رجعوا وجاءوا بموضع يقال له بيسان[١]،نزلوا فشربوا، وجعل المغيرة يسقيهم ويزيد لهم في الشراب حتى ثملوا وناموا، وبعدما ناموا عدا عليهم وقتلهم جميعاً وأخذ كل ما معهم، ثم لحق بالرسول ﷺ وأسلم، وكادت أن تقع بسبب عمله هذا فتنة كبيرة بين قومه الأحلاف وبني مالك، لولا أن عمه عروة بن مسعود سعى بينهم بالصلح وتحمل ديات القتلى[٢].

أقام الوفد على هذه الحالة أياماً، وأدركهم شهر رمضان وهم هناك، وكان عثمان بن أبي العاص أصغرهم، وكان حريصاً على تعلم شرائع الدين وقراءة القرآن فأسلم سراً، وكان يذهب خلسة إلى الرسول ﷺ ويسأله عن بعض أمور الدين، فإن لم يجده ذهب إلى أبي بكر أو ذهب إلى أبيّ بن كعب يتعلم منه القرآن، وكان الرسول ﷺ لا يفاتحهم بشيء، فلما طال عليهم المقام قال له عبدياليل: هل أنت مقاضينا حتى نرجع إلى أهلنا وقومنا؟ قال الرسول ﷺ: "نعم إن أنتم أقررتم بالإسلام قاضيتكم، وإلا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم"، وعندما سمعوا هذا الكلام من الرسول ﷺ بدأت الأسئلة تنهال منهم عليه، فسألوه عن الزنا والخمر والربا، فأخبرهم أن جميع هذه الأمور محرمة في الإسلام، وقرأ لهم الآيات التي تنص على تحريم ذلك[٣].

ولما سمع الثقفيون هذا الرفض القاطع من الرسول ﷺ خلا بعضهم ببعض، فقال عبد يا ليل: والله لا تصبر ثقيف عن الخمر أبداً، فقال له أحد أصحابه: إن

---

[١] بيسان: هو ماء ملح بين مكة والطائف يعرف الآن بنعمان، والسبب في ذلك كما يقول ياقوت أن الرسول ﷺ مر به فسأل عن اسمه فقالوا: بيسان وهو ملح، فقال الرسول ﷺ: "بل هو نعمان وهو طيب"، فغير الاسم وغير الماء (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص٥٢٧).

[٢] الواقدي، المغازي ص٤١٩، ٦٤٠.

[٣] المصدر نفسه ص٦٤١.

يرد الله بهم خيراً يصبروا عنه كما صبر غيرهم، وهذا الرجل قد دانت له القبائـــل ونحن قابعون في حصننا والإسلام محيط بنا من كل ناحية، فوالله لو أعاد الكَـــرّة علينا وحاصرنا شهراً لمتنا جوعاً، لذا استقر رأيهم على تجاوز أمر تحـــريم هـــذه العادات الثلاث، وأن يتجاوزوها إلى مناقشة غيرها[١].

تركز النقاش في الجولة الثانية من المفاوضات حول الآلهة الربة كما يسمونها، فسألوه أن يتركها لهم ثلاث سنين فأبى، فما زالوا يسألونه ويخفضون المدة حـــتى وصلوا إلى شهر، فأبى عليهم ذلك كله، ثم سألوه إعفاءهم من الصلاة، فقال لهم ﷺ: "لا خير في دين لا صلاة فيه"، عند ذلك أدرك الثقفيون أن الرسول ﷺ لن يوافقهم على أي أمر يخالف الشرع، فقالوا: يا محمد، أما الصلاة فسوف نؤديهـــا ولو أن فيها دناءة، ولكن نسألك أن تعفينا من هدم الربة، فوافقهم الرســـول ﷺ على ذلك وكلف بهذه المهمة أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة[٢].

والذي يتضح لنا من رضوخ الثقفيين لجميع هذه المطالب التي طلبها الرسول ﷺ منهم هو حراجة الوضع الذي يعيشونه من الحصار المفروض عليهم، لـــذا لم يجدوا بداً من قبول هذه الشروط على مضض، وكان دخولهم في الإسلام أقرب إلى الرهبة منه إلى الرغبة ما عدا عثمان بن أبي العاص الذي أسلم سراً قبل هـــذه المفاوضات.

كان خالد بن سعيد بن العاص في أغلب الأحيان هو حلقة الوصل بيـــنهم وبين الرسول ﷺ. ولما عزموا على الدخول في الإسلام وإقامة شرائعه طلبوا مـــن خالد بن سعيد أن يُبلغ الرسول ﷺ ببعض شروطهم التي لا تتعارض مـــع أمـــور

---

[١] الواقدي، المغازي ص٦٤٢.

[٢] ابن هشام، السيرة النبوية ص٦٠٩– ٦١٠.

الدين، وأن يكتب لهم بها كتاباً يكون لهم ولقومهم، وحينما بلَّغ خالد الرسول ﷺ برغبتهم أبدى موافقته على جميع ما يطلبون وأمرهم أن يقبلوا عليه[1].

ولما حضر الثقفيون عند رسول الله ﷺ أعلنوا إسلامهم ونطقوا بالشهادتين فأمر الرسول ﷺ خالد بن سعيد أن يكتب لهم كتاباً بعد أن تفهم جميع الشروط التي يريدونها، وهذا هو نص الكتاب كما أورده أبو عبيد في كتابه "الأموال":

"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ لثقيف، كتب: أن لهم ذمة الله الذي لا إله إلا هو وذمة محمد بن عبد الله النبي، على ما كتب عليهم في هذه الصحيفة: أن واديهم حرام محرم لله كله.. عضاه وصيده، وظلم فيه، وسرق فيه أو إساءة، وثقيف أحق الناس بوج، ولا يعبر طائفهم، ولا يدخله عليهم أحد من المسلمين يغلبهم عليه، وما شاءوا أحدثوا في طائفهم من بنيان أو سواه بواديهم. لا يحشرون ولا يعشرون ولا يستكرهون بمال ولا نفس وهم أمة من المسلمين يتولجون في المسلمين حيث شاءوا، وأن تولجوا ولجوا، وما كان لهم من أسير فهو لهم، هم أحق الناس به حتى يفعلوا به ما شاءوا".

"وما كان لهم في دَين من رهن فبلغ أجله فإنه لياط[2] مبرأ من الله... وما كان من دين في رهن وراء عكاظ فإنه يقضى إلى عكاظ برأسه، وما كان لثقيف في دين صحفهم اليوم الذي أسلموا عليه في الناس فإنه لهم، وما كان لثقيف من وديعة في الناس أو مال أو نفس غنمها مودعها أو أضاعها، فإنها مؤداة، وما كان لثقيف في نفس غائبة أو مال فإن له من الأمن ما لشاهدهم، وما كان لهم من مال بلية فإن له الأمن ما لهم بوج، وما كان لثقيف في حليف أو تاجر فأسلم فإنه له

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٩٩.

[2] المقصود باللياط هنا الربا، لأن كل شيء ألصق بشيء وأضيف له فقد أليط به، والربا ملصق برأس المال، ومنه حديث عمر: "إنه كان يليط أولاد الجاهلية بآبائهم" (ابن الأثير الجزري، النهاية جـ٤ ص٢٨٥).

مثل قضية أمر ثقيف، وإن طعن طاعن على ثقيف، أو ظلمهم ظالم، فإنه لا يطاع فيهم في مال ولا نفس، وأن الرسول ينصرهم على من ظلمهم والمؤمنين، ومن كرهوا أن يلج عليهم من الناس فإنه لا يلج عليهم".

"وأن السوق والبيع بأفنية البيوت، وأنه لا يؤمر عليهم إلا بعضهم على بعض، على بني مالك أميرهم، وعلى الأحلاف أميرهم، وما سقت ثقيف من أعناب قريش فإن شطرها لمن سقاها، وما كان لهم من دين في رهن لم يلط فإن وجد أهله قضاء قضوا، وإن لم يجدوا قضاء فإنه إلى جمادى الأولى من عام قابل، فمن بلغ أجله فلم يقضه فإنه لاطه، وما كان لهم في الناس من دين فليس عليهم إلا رأسه، وما كان لهم من أسير باعه ربه فإن له بيعه، وما لم يُبع فإن فيه ست قلائص، نصفان حقاق وبنات لبون كرام سمان، ومن كان له بيع اشتراه فإن له بيعه"[١].

ولما انتهى خالد من كتابة الكتاب أشهد الرسول ﷺ عليه الحسن والحسين ثم دفعه إلى نمير بن خرشة[٢]، ثم أمَّرَ عليهم عثمان بن أبي العاص يؤمهم في الصلاة لِما رأى من حرصه على تعلم الإسلام، وكان ذلك بمشورة من أبي بكر الصديق رضي الله عنه [٣]. وقد بقي هذا الكتاب عندهم يتوارثونه، حتى فُقد بقرية لقيم قرب الطائف في الحملة التي قادها الشريف قتادة ضد مشائخ ثقيف سنة ثلاث عشرة وستمائة من الهجرة/١٢١٦م[٤]. ويقول الميورقي: إنه كان عند شيخهم حمران الثقفي العوفي، الذي قُتل في المعركة، وإن ابنه تميما هو الذي أخبره بذلك[٥].

---

[١] أبو عبيد، كتاب الأموال. تحقيق محمد عمارة. دار الشروق. القاهرة ١٤٠٩هـ. ص٢٨٣– ٢٨٤.

[٢] ابن سعد، الطبقات جـ١ ص٢٨٥.

[٣] ابن هشام، السيرة النبوية ص٦١٠.

[٤] العجيمي، إهداء اللطائف من أخبار الطائف. تحقيق علي محمد عمر. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة ١٤١٧هـ. ص ٦٧.

[٥] الميورقي، بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج. تحقيق إبراهيم محمد الزيد. المأنوس. الطائف ١٤٠٤هـ. ص٣٨.

ومن خلال نص هذه المعاهدة، نجد أن قبيلة ثقيف قد حظيت بكثير من المزايا التي لم يحظ بها غيرهم، فقد أضفى الرسول ﷺ على واديهم (وادي وج) طابع الحرمة، أسوة بحرم مكة، وأن لوادي ليّة من الأمان ما لوادي وج، وأن لهم الشطر من مزارع قريش التي تستثمرها في أراضيهم، وأن لا يحشروا ولا يعشروا، أي لا يجبرون على الخروج للجهاد، فلا يذهبون إلا برضاهم، ولا يؤخذ العشر من أموالهم[1]، وأن لهم حق الاحتفاظ بأسراهم الذين أسروهم في الجاهلية، فمن أراد أهله استرجاعه ليس له ذلك إلا برضاهم أو دفع فدية، وأن لهم حق التمسك بمدينتهم لا تنزع منهم ولا يدخلها أحد إلا برضاهم، وإذا ما تعرضوا للعدوان فعلى الرسول ﷺ مناصرتهم، وأن جميع أراضيهم ملك لهم، ولهم أن يحدثوا عليها من البنيان ما شاءوا، وأن لا يؤمّر عليهم إلا رجلاً منهم، ويتضح لنا من فرح الرسول ﷺ بمقدمهم، وهذه المزايا التي حظيوا بها، مدى حرصه ﷺ على إسلامهم لما يعرف عن هذه القبيلة من النجابة وشدة المراس.

لم يكن إسلام وفد ثقيف عن قناعة كما سبق أن أسلفنا بقدر ما هو رضوخ للأمر الواقع، لذا لا بد أن يضعوا قومهم أمام الأمر الواقع الذي عاشوه أثناء مفاوضتهم للنبي ﷺ، وهنا تتجلى حنكة عبد يا ليل، إذ قال لأصحابه: أنتم تعرفون قومكم فوالله لا يصبرون عن الأمور التي نهانا عنها الرسول ﷺ، ولا يرضون بهدم آلهتهم، ولكن إذا أقبلنا عليهم فأظهروا الوجوم والكآبة، وابدأوا بالآلهة حتى لا ينكروا منكم شيئاً، فلما أقبلوا على قومهم فعلوا ما أمرهم به، وكانوا قد استأذنوا الرسول ﷺ أن ينالوا منه، وعندما رأت ثقيف وجوههم قالوا:

[1] هذا الشرط يخالف ما ذكره أبو يوسف من أن الرسول ﷺ كان يأخذ عليهم في العسل العشر (أبو يوسف، كتاب الخراج. تحقيق محمد عبد الحفيظ المناصير. كنوز المعرفة. عمّان ١٤٣٠هـ. ص٢٥٢).

ما أتوكم بخير، ثم سألوهم عن سبب همهم وغمهم، فقال عبد يا ليل: أتيناكم من عند رجلٍ فظٍ غليظ، قد أداخ العرب وأرعب بني الأصفر في حصونهم، وقد عرض علينا أموراً عظاماً فأبيناها، فقد حرم علينا الزنا والخمر والربا، وأمرنا أن نهدم آلهتنا، فقالت ثقيف: والله لا نفعل ذلك أبداً[1].

ولما رأى عبد يا ليل رفض ثقيف لهذه الأمور قال: وقد تهددنا وتوعدنا ولكن اجمعوا أسلحتكم ورمموا حصنكم وانصبوا عليها المجانيق والعرادات واحفروا حول حصنكم خندقاً واجمعوا لكم طعاماً يكفيكم لسنة أو سنتين، فإننا لا نأمنه أن يغزونا[2].

مكث الثقفيون عدة أيام في حيرة من أمرهم، وقد أرعبهم عبد يا ليل بما ذكره من تهديد الرسول ﷺ لهم، فألقى الله في قلوبهم الرعب فرجعوا إلى عبد يا ليل وقالوا: لا طاقة لنا بحرب محمد، فارجعوا إليه ووافقوا على جميع شروطه قبل أن يغزونا، فلما سمع عبد يا ليل ذلك منهم وتأكد أن كلمتهم قد اجتمعت على ذلك قال: جئناكم من عند أتقى الناس وأرحمهم، وقد قاضيناه وأعطانا ما أحببنا، وأعفانا من هدم آلهتنا، وسوف يقدم أبو سفيان والمغيرة ويهدمونها، فقال شيخ منهم: ذلك مصداق ما بيننا وبينه، فإن قدرا على هدمها فهو محق ونحن مبطلون، وإن امتنعت فما زال في نفسي من هذا الدين شيء[3].

هدم اللات:

وبعد فترة وجيزة من قدوم عبد ياليل وأصحابه قدم أبو سفيان والمغيرة بن شعبة في بضعة عشر رجلاً يريدون هدم الربة، فخرج الثقفيون على بكرة أبيهم

[1] الواقدي، المغازي ص٦٤٣.

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه ص٦٤٣– ٦٤٤.

الشيوخ والعبيد والصبيان والنساء مكشوفات الرؤوس يبكين على آلهتهن، فقال المغيرة لأبي سفيان: تقدم واهدمها كما أمرك رسول الله ﷺ، قال: بل تقدم أنت فإنك بين قومك، فتقدم إليها المغيرة وأحاط به قومه بنو معتب خشية أن يحدث له مثلما حدث لعمه عروة بن مسعود[1].

ويذكر لنا الواقدي هنا نادرة لطيفة فيها حكمة وموعظة بليغة عن طريق السخرية، فعندما تقدم المغيرة لهدم الربة قال لمن معه: والله لأضحكنكم اليوم على قومي، فلما ضربها بالمعول سقط كأنه مغشي عليه، فصاحت ثقيف: زعمتم أن الربة لا تمتنع، بلى والله إنها لتمتنع، ثم مكث المغيرة على حاله فترة يسيرة ثم نهض واستوى جالساً ثم قال: يا معشر ثقيف، كانت العرب تقول ما من حي من أحياء العرب أعقل من ثقيف، ووالله ما من حي من أحياء العرب أحمق منكم، ويحكم، ما اللات والعزى، وما الربة إلا حجر مثل هذه الأحجار لا تنفع ولا تضر، ولا تدري من عبدها ومن لم يعبدها، ثم واصل هدمه لها، وكان سدنة الربة بنو العجلان من ثقيف، وكان سادنها آنذاك عتاب بن مالك بن كعب، فأخذ الناس ينظرون إليه نظرة ازدراء، فقال: سترون إذا انتهى إلى أساسها فسوف تغضب وتخسف به، فلما سمعه المغيرة واصل الحفر حتى حفر تحتها نصف قامة واستخرج خزانتها[2].

وعندما استخرج المغيرة الأموال التي في خزانتها نفّذ ما أمره به رسول الله ﷺ من تسديد دين أبي مُليح بن عروة وقارب بن الأسود، لأن أبا مليح قد سأل الرسول ﷺ أن يقضي ديناً على أبيه من الأموال التي في خزانة الصنم، فقال له

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص١٠٠. الواقدي، المغازي ص٦٤٤.

[2] المصدر نفسه ص٦٤٤– ٦٤٥.

الرسول ﷺ: "نعم"، وكذلك سأله قارب أن يقضي أيضاً ديناً كان على أبيه، فقال الرسول ﷺ: "إن الأَسْود مات مشركاً"، فقال قارب: إنما الدَّين عليَّ وأنا المكلف بسداده، فأمر الرسول الله ﷺ المغيرة أن يقضي دينهما جميعا[1].

وهكذا نرى كيف استطاع عبد يا ليل بحنكته والمغيرة بدهائه أن يسهلا أمر دخول قبيلتهم في أحضان الدولة الإسلامية بعد أن وضعهم الأول أمام الأمر الواقع، واستطاع الثاني أن يقنعهم بطريقة ذكية ساخرة تبين لهم بطلان معتقداتهم التي سيطرت عليهم ردحاً من الزمن. وبدخول ثقيف في الإسلام تكون قبيلة هوازن قد دخلت في الإسلام بكافة فروعها.

وقد كان لإسلام ثقيف أثره البالغ على بقية القبائل التي ما زالت على الشرك، إذ كانت هذه القبائل تعوِّل على قبيلة ثقيف في التصدي لهذا الدِّين بعد استسلام مشركي مكة وإسلامهم، ولا سيما أن الرسول ﷺ سبق أن حاصرهم ولم يستطع الوصول إليهم، فقد ولّد انسحابه عنهم لدى زعماء هذه القبائل وخاصة البعيدة منها عن مركز الدولة انطباعاً بأن ثقيفاً لديها من القوة ما يمكنها من حمل راية التصدي لهذا الدِّين، لذا جاء إسلام الثقفيين ضربة قاصمة لهذه الآمال التي ما زالوا يتشبثون بها، فتقاطرت وفودهم إلى النبي ﷺ، وهذا ما أشار إليه المقريزي بقوله: "ولما أسلمت ثقيف ضربت إليه وفود العرب من كل وجه لمعرفتهم أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته"[2].

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية ص٦١١.

[2] المقريزي، إمتاع الأسماع جـ٢ ص٨٩.

وفد عامر بن الطفيل ومحاولة اغتيال النبي ﷺ:

كان عامر بن الطفيل من أشهر فرسان بني عامر وشياطينهم، وكان له مطامح كبيرة، ولما دخلت سنة عشر من الهجرة هـ/٦٣١م وفشا الإسلام في الناس قال له قومه: أسلم يا عامر فقد أسلم الناس، فقال: والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش، وعندما أكثر عليه قومه في ذلك قدم على النبي ﷺ ومعه إربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر[١]، فلما أتاه قال: يا محمد، ما لي إن أسلمت، قال الرسول ﷺ: "لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين"، قال: أتجعل لي الأمر من بعدك، قال الرسول ﷺ: "ليس ذاك لك ولا لقومك"، قال: أتجعل لي الوبر ولك المدر، قال الرسول ﷺ: "لا ولكني أجعل لك أعنة الخيل، فإنك امرؤ فارس"، فقال عامر: أوليست لي؟ فوالله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً، ثم انصرف من عنده، فقال الرسول ﷺ: "اللهم أكفنيهما، اللهم واهد بني عامر وأغن الإسلام عن عامر"[٢].

هذه هي الرواية التي وردت عند ابن سعد في "الطبقات"، وهناك رواية أخرى وردت عند ابن هشام ونقلها عنه الطبري ومفادها أن عامراً وإربداً قدما على النبي ﷺ وهما يريدان اغتياله، فقال عامر لإربد: إذا قدمت على محمد فإني سوف أشاغل وجهه عنك فإذا رأيتني فعلت ذلك فأعله بالسيف، فلما قدما عليه قال عامر: يا محمد خالني، فقال الرسول ﷺ: "لا حتى تؤمن بالله وحده"، فأخذ عامر يكررها عليه مراراً وهو ينتظر أن يعلو إربد رأسه بالسيف، وحينما رأى

---

[١] وبما أن إربد أخ للبيد بن ربيعة من أمه، فقد التبس الأمر على ابن سعد فجعله أخاً للبيد من أبيه، والتصحيح من: ابن هشام، السيرة النبوية ص٦٢٤.

[٢] ابن سعد، الطبقات جـ١ ص٣١٠.

عامر أن الرسول ﷺ لا يستجيب له وإربد لا يقدم على شيء قال: والله لأملأنها عليك خيلا... إلى آخر الرواية التي وردت عند ابن سعد[1].

ولكن الذي يظهر لنا من الجمع بين الروايتين أن عامر بن الطفيل قد استغل قدوم الوفود على النبي ﷺ فوفد عليه ليساومه من ناحية، وليحاول اغتياله من ناحية أخرى إن لم يستجب لشروطه، فلما رفض الرسول ﷺ شروطه حسب رواية ابن سعد طلب من الرسول ﷺ أن يخلو بصاحبه وينظر في الأمر الذي عرضه عليه من جعله على أعنة الخيل، وعندما خرجا من عنده وضعا خطة الاغتيال حيث يطلب عامر من الرسول ﷺ أن يبرز له كأنه يريد أن يناجيه، فإذا انشغل الرسول ﷺ مع عامر ينقض عليه إربد بالسيف ويقتله، فعادا إليه وكان منهما ما كان حسب رواية ابن هشام.

وعلى أية حال فعندما خرجا من عند رسول الله ﷺ حسب رواية ابن هشام قال عامر لإربد: ويلك، أين ما أمرتك به؟ والله ما كان على وجه الأرض رجلٌ أخافه على نفسي غيرك، وايم الله لا أخافك بعد هذا اليوم أبداً، فقال إربد: لا تعجل علي، والله ما هممت بالأمر الذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبينه حتى لا أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟[2].

وقد استجاب الله لدعاء رسوله ﷺ فسلط على عامر داء في عنقه، فاندلع لسانه في حنجرته كضرع الشاة، فلما أحس بالموت لجأ إلى بيت امرأة من بني سلول وجعل يقول: "غدة كغدة البكر، وموت في بيت سلولية"[3]، أما إربد فقد واصل سيره حتى أتى قومه، فقالوا: ما وراءك يا إربد؟ فقال: والله لقد دعانا (يعني

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية ص٦٢٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص١٤٤.

[2] ابن هشام، المصدر السابق ص٦٢٤.

[3] ابن سعد، الطبقات جـ١ ص٣١١.

الرسول ﷺ) إلى عبادة شيء وددت لو أنه عندي الآن فأرميه بنبلي هــذه حــتى اقتله، ثم خرج بعد قوله هذا بيومين ومعه جمل له يريد أن يبيعه، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته[1].

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص١٤٥.

موقف قبيلة هوازن من حروب الردة:

عندما توفي النبي ﷺ ارتدت أكثر قبائل العرب كتميم وبنو حنيفة وأسد وسليم وغطفان... وغيرهم، فمنهم من ارتد عن الإسلام بالكلية وادعى النبوة كمسيلمة الكذاب والأَسْود العنسي وسجاح التميمية، واتبعتهم قبائلهم في ذلك، ومنهم من اقتصر ارتداده على منع الزكاة إما بسبب الشح أو اعتبارها نوعاً من الإهانة، ومنهم من كان يعتقد أنها مقصورة على النبي ﷺ، ومادام أنه قد توفي فليس لأحد غيره الحق في أخذها[1].

كما أن تعنت بعض الولاة في جباية الزكاة مع قوم حديثي عهد بالإسلام قد تسبب في ارتدادهم، من ذلك ما ذكره الطبري أن زياد بن لبيد الأنصاري، والي حضرموت، عندما أوكلت له جباية صدقات كندة سار إليها ليتولى أمرها بنفسه، فكان أول من لقيه غلام منهم يقال له شيطان بن حجر، فرأى زياد بكرة فأعجبته فعقلها ووضع وسم الصدقة عليها، فصادف ذلك مجئ أخ الغلام واسمه العداء بن حجر، فقال: هذه بكرتي شذرة، وليس عليَّ صدقة، فأطلقها وخذ غيرها، وقال الغلام: صدق أخي، فقد وهمت في إخراجها؛ ولكن زياداً أصر على أخذها واتهم العداء بالكفر، ولما رأى حارثة بن سراقة بن معدي كرب خطأ زياد وشدة تعنته أطلق عقال البكرة وقام من دونها مما أغضب زياداً فأمر أصحابه بتكتيف حارثة واسترجاع البكرة[2]. فغضب بنو كندة لما حدث لصاحبهم وأظهروا الردة، ولم يستطع زياد السيطرة عليهم[3]. أما قبيلة هوازن فقد تباينت مواقف فروعها من الردة وحروبها حسب ظروفها وأهواء زعمائها.

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٣٥٢.

[2] المصدر نفسه جـ٢ ص٣٧٨، ٣٧٩.

[3] انظر تفاصيل هذه الردة لدى (الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٣٣٠– ٣٣٥).

أولاً ـــ هوازن:

هناك بعض الفروع الهوازنية أطلق عليها المؤرخون مسمى (هوازن)[1] انضمت إلى سليم وغطفان في مساندتهم لطليحة الأسدي ومن معه من طيء بداعي العصبية، وقد أوقع بهم خالد بن الوليد في بزاخة[2]، ولما حلت بهم الهزيمة عاودت فلولهم الاجتماع مرة أخرى مع أمّ زمل[3] سلمى بنت مالك بن حذيفة ابن بدر، وكانت عزيزة في نفسها، مطاعة في قومها، حيث يذكر الطبري عن قوة امتناعها بقومها أنها في أثناء المعركة كانت على جمل لها تحرض الناس على القتال ولا يستطيع أحد أن يصل إليها، مما جعل المسلمين يجعلون لمن استطاع أن ينخس بعيرها مائة من الإبل، فلم يستطع المسلمون الوصول إليها حتى قتلوا مائة من قومها ممن يحيطون بجملها[4].

ولما حلت الهزيمة بأمّ زمل وقُتلت، أتى خالد بن الوليد بعض رجال غطفان وسليم وهوازن مذعنين، وكان رجال من قومهم قد اعتدوا على جماعة من المسلمين فقتلوهم وحرقوهم، فلم يقبل خالد منهم حتى يأتوه بأولئك الرجال

---

(1) لم نستطع تحديد هذه الفروع التي أطلق عليها المؤرخون مسمى هوازن، لأن من الأخطاء الشائعة عندهم أنهم يتحدثون عن الفروع الهوازنية وكأنها قبائل منفصلة عن القبيلة الأم.

(2) بزاخة: ماء بأرض نجد، قال الأصمعي إنه لطيء وقال غيره إنه لبني أسد (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص٤٠٨).

(3) ومما تجدر الإشارة إليه أن أم زمل هذه هي التي ذكر الرسول ﷺ أنها سوف تنبحها كلاب الحوأب، وليست عائشة رضي الله عنها، كما يذكر بعض المؤرخين انظر مثلاً (المصدر نفسه جـ٢ ص٣١٤؛ ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٢١٠). وذلك أن أم زمل كانت قد سُبيت في إحدى الغزوات فأعطاها النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها، فدخل الرسول ﷺ يوماً على زوجاته وهي معهن، وأخبرهن أن إحداهن سوف تنبحها كلاب الحوأب، وبعد ارتداد سلمى مرت على ماء الحوأب لكي تجمع فلول قومها المنهزمين، فنبحتها كلابه؛ مما يدل على أنها هي المقصودة بحديث النبي ﷺ وليست عائشة رضي الله عنها (الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٢٦٤).

(4) المصدر نفسه جـ٣ ص٢٦٤.

الذين قتلوا وحرقوا، فأتوه بهم فقتلهم وحرقهم ومثّل بهم ورماهم من رؤوس الجبال ونكسهم في الآبار على حد تعبير ابن الأثير[1].

ثانياً ـــ بنو عامر:

وأما بنو عامر فقد وقفوا موقف المراقب المتردد، فهم على حسب تعبير المؤرخين يقدمون رِجْلاً ويؤخرون أخرى[2]، وقد انقسموا إلى قسمين، فبنو كلاب اجتمعوا على علقمة بن علاثة، بينما اجتمع بنو كعب على قرة بن هبيرة، وقد وقفوا جميعاً موقف المتردد من الحرب الدائرة بين جيوش المسلمين وأنصار طليحة الأسدي.

كان علقمة بن علاثة قد أسلم ووفد على النبي ﷺ كما سبق أن ذكرنا[3]، ولكنه سرعان ما ارتد، فلما حلت الهزيمة بالهوازنيين في معركة حنين، وحاصر الرسول ﷺ الطائف هرب إلى الشام، وعندما علم بوفاة النبي ﷺ أقبل مسرعاً فالتفّت عليه بنو كلاب، فأرسل إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه القعقاع بن عمرو، وقيل قعقاع بن سور، في سرية لعله يقتله أو يأسره[4].

وبما أن علقمة كان متخوفاً من غزو المسلمين؛ لذا لا تجده إلا مستعداً، وعندما علم بقدوم جيوش المسلمين ترك أهله وولده وركب فرسه ونجا، فأخذهم القعقاع وقدم بهم على أبي بكر، ولما أتوه أنكروا أن يكونوا قد وافقوا علقمة على ردته، وقالوا: ما ذنبنا فيما فعل علقمة، وبما أن أبا بكر لم يبلغه عنهم خبر يؤكد

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٣٥٠.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٢٦١.

[3] انظر الرساله ص١٧٥.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٢ ص٣٤٩.

ردهم قام بإطلاقهم، ثم إن علقمة أتى بعد ذلك إلى أبي بكر فأسلم فقبل ذلك منه[1].

وأما بنو كعب فقد كانوا مترددين حتى قام فيهم ربيعة بن خويلد العقيلي، وهو يومئذ من خيرة فرسانهم، فقال: مهلاً، يا بني عامر قد قتلتم رسل رسول الله ﷺ في بئر معونة، وأخفرتم ذمة أبي براء، وخذلكم عامر بن الطفيل، وقد أضلكم خالد في المهاجرين والأنصار وليس لكم بهم طاقة[2]، فثبط عزيمتهم على العصيان، فلما سمع قرة بن هبيرة ذلك منه ورأى ظهور خالد على المرتدين في بزاخة ذهب إلى خالد بن الوليد معلناً الولاء والطاعة، فأوثقه خالد وأرسله إلى أبي بكر رضي الله عنه ومعه كتاب يقول فيه: "إن بني عامر أقبلت بعد إعراض، ودخلت في الإسلام بعد تربص، وإني لم أقبل من أحد قاتلني أو سالمني شيئاً حتى يجيئوني بمن عدا على المسلمين منهم، فقتلتهم، وبعثت إليك بقرة وأصحابه"[3].

ونستطيع أن نفهم من كتاب خالد بن الوليد الذي بعثه إلى أبي بكر أن قرة لم يكن متورطاً في أعمال عدائية ضد المسلمين، ولكن خالداً عاب عليه موقفه السلبي من نصرة المسلمين. فلما قدم قرة على أبي بكر أنكر الردة وأنه ما زال باقياً على الإسلام، واستشهد على ذلك باستضافته لعمرو بن العاص عند عودته من عُمان، وكان عمرو بن العاص قد نزل على قرة فأكرمه ولكنه عندما أراد الانصراف خلا به وقال له: إن العرب لا تطيب لكم نفساً بهذه الأتاوة، فلو أعفيتموهم منها لسمعت لكم وأطاعت، وإن أبيتم فإنها لا تجتمع عليكم[4]،

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٢٦٢.

[2] الكلاعي، حروب الردة. تحقيق أحمد غنيم. دار الاتحاد العربي للطباعة. القاهرة ١٣٩٩هـ. ص٥٨.

[3] الطبري، المصدر السابق جـ٣ ص٢٦٢– ٢٦٣.

[4] ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٣٥٢.

فغضب عمرو بن العاص من كلامه وقال: أتخوفنا بالعرب يا قرة، وردّ عليه ردّاً قاسياً ثم انصرف وتركه[1].

ولما رأى أبو بكر الصديق ﷺ، استشهاد قرة بعمرو بن العاص بعث إليه وسأله، فقص عليه خبر مروره على قرة وإكرامه له حتى وصل إلى طلب قرة الخلوة به، فقال قرة سألتك بالله ألا تكمل، فقال عمرو: والله لأخبرن خليفة رسول الله بما جرى كله، ولكن أبا بكر ﷺ، الذي تأدب بأدب المصطفى ﷺ عفا عنه وأطلق سراحه[2].

ثالثاً ــ ثقيف:

كانت ثقيف من آخر القبائل إسلاماً وتسليماً، ولكنها ثبتت مع جارتها قريش على الإسلام. يقول الطبري: "لما فصل أسامة (يقصد جيش أسامة بن زيد) كفرت الأرض وتضرمت وارتدت من كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشاً وثقيفاً"[3]، بل إن ثقيفاً أصبحت قدوة لغيرها، فقد اقتدت بهم عوام جديلة والأعجاز[4]. ويقول الحسيني: ولما ارتدت العرب ثبتت ثقيف على دينها وأول من ارتد منهم قتلوه وقالوا: ما دخلنا في هذا الدين إلا آخر الناس لما تبين لنا الحق فمن ارتد منا قتلناه[5].

وفي رأينا أن هناك ثلاثة أسباب رئيسة أدت إلى ثبات ثقيف على الإسلام، أولها أن ثقيفاً لم يدخلوا في الإسلام إلا بعد أن تيقنوا أن هذا الدين هو دين الحق،

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٣٥٢.

[2] المصدر نفسه جـ٢ ص٣٥٣

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٢٤٢.

[4] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[5] الحسيني، نزهة الجليس جـ٢ ص٢٤٩.

وأنه ظاهر لا محالة، لذلك ثبتوا عليه، وثانيها أنهم أهل مدر، حالهم في ذلك حال قريش، فلما رأوا ثباتهم ثبتوا معهم، وثالثها أن أكثر القبائل التي ارتـــدت كـــان بسبب التهرب من دفع الزكاة، وهذا الأمر لا يهم ثقيفاً كثيراً نظراً للظـــروف المعيشية الجيدة التي يعيشونها، بدليل أن هذا الركن لم يكن موضع نقـــاش أثنـــاء وفودهم على النبي ﷺ، وسيتضح مدى رغد عيشهم أثناء حديثنا عن الأحـــوال الاقتصادية فيما بعد.

موقف الثبات والنصرة أثناء حروب الردة:

كان من أولى العقبات التي واجهت الدعوة الإسلامية بعد وفاة النـبي ﷺ ارتداد معظم القبائل، فمنهم من ارتد عن الإسلام عامة، ومنهم من منع الزكـاة فقط كما سبق أن أشرنا، وقد أشار بعض الصحابة على أبي بكر الصـديق ﷺ، بمقاتلة الذين ارتدوا عن الإسلام وادعوا النبوة كمسـيلمة الكـذاب، والأَسْـود العنسي، وتأجيل النظر في أمر الذين منعوا الزكاة، ولكن أبا بكر غضب ورفـض تلك المشورة، وقال مقولته المشهورة: والله لو منعوني عقالاً كـانوا يؤدونـه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه، وكان في عزم أبي بكر على قتـال المرتـدين جميعـاً واستنفار الناس لقتالهم أكبر تمحيص لصدق القبائل[1].

وكانت بوادر هذه الردة قد ظهرت قبيل وفاة النبي ﷺ، فبعدما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع وعلم مسيلمة بمرضه أرسل إليه كتابه المشهور الذي يخـبره فيه بأنه شريك له في النبوة، وأن له نصف الأرض ولقريش النصف، ولكن قريشاً قوم لا يعدلون؛ فكتب إليه الرسول ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم، مـن محمـد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين"[2]، وأرسل الكتاب مع السـائب ابن العوام أخ الزبير بن العوام، ولكن المنية عاجلت الرسول ﷺ قبل تجهيز الجيوش لقتاله، فكان على أبي بكر أن يضطلع بهذه المهمة الصعبة في مثل هذه الظـروف العصيبة، وقد ظهر بعض المقلدين لعمل مسيلمة بعد وفاة النـبي ﷺ كسـجاح التميمية وطليحة الأسدي.

---

[1] المبرد، الكامل في اللغة والأدب. كتب هوامشه نعيم زرزور وتغاريد بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٠٧هـ. جـ١ ص٣٢٠.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص١٤٦.

مساهمات بني عامر في حروب الردة:

لم أجد لبني عامر مساهمات تذكر في حروب الردة سوى ما ذكره الطبري: أن أهل صنعاء عندما ثاروا على واليهم فيروز الديلمي بزعامة قيس المكشوح هرب منهم، فقبضوا على أولاده، وعندئذ أرسل إلى أبي بكر يستمده وفي الوقت نفسه استمد من بقي من عك على الإسلام، واستنصر ببني عقيل من بني عامر فنهضوا إليه وعليهم رجل من الخلعاء[1] يقال له معاوية، فاستنقذوا أبناءه ومن معهم ثم التقوا مع قيس قرب صنعاء فهزموه، فهرب واجتمعت عليه فلول الأَسّود العنسي بعد مهلكه، فأخذ يعيث في الأرض فساداً بين صنعاء ونجران، وهي ما تسمى لدى المؤرخين بردّة اليمن الثانية[2].

مساهمات قبيلة ثقيف:

كانت أولى هذه المساهمات تتمثل في إرسال الخليفة أبي بكر مالك بن عمرو الثقفي إلى مسيلمة لمناصحته لعله يرجع إلى دائرة الإسلام، فذهب مالك إلى مسيلمة فخطبه خطبة بليغة حثه فيها على الرجوع إلى الحق وعدم شق عصا المسلمين، فأغضبت خطبته مسيلمة وهمَّ بقتله غير أنه هرب منه[3].

وقد كان لأمير الطائف عثمان بن أبي العاص الثقفي مساهمة فعالة في محاربة أهل الردة، فعندما رأى ارتداد الناس قام في قومه خطيباً، وقال: يا معشر ثقيف، كنتم آخر القبائل دخولاً في الإسلام، فلا تكونوا أول من يخرج منه، وهذا لا يعني أنهم هموا بالردة كما يذكر ابن حجر[4]، فقد قال عنهم ابن سعد –وهو المتقدم–:

---

[1] وردت عند الطبري (الحلفاء)، وهي تصحيف للخلعاء.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٣٢٣– ٣٢٦.

[3] ابن حجر، الإصابة جـ٥ ص٥٤٧.

[4] المصدر نفسه جـ٤ ص٣٧٤.

"فلا أعلم قوماً من العرب بني أب ولا قبيلة كانوا أصح إسلاماً ولا أبعد عن أن يوجد فيهم (يقصد ثقيف) غش لله ولكتابه منهم"[1].

ولم يقتصر دور قبيلة ثقيف على الثبات بل تعداه إلى دور التطلع للمشاركة في محاربة هؤلاء المرتدين، فقد كتب عثمان بن أبي العاص إلى أبي بكر يخبره بثبات قومه على الإسلام ورغبتهم المشاركة في حرب المرتدين، فأمره أبو بكر أن يقاتل بهم من ارتد من أهل الأعمال التابعة له، فأرسل عثمان بن أبي العاص عثمان بن أبي ربيعة الثقفي في جيش من أهل الطائف إلى شنؤة وقد تجمعت بها جموع كثيرة من الأزد وبجيلة وخثعم، وعليهم حميضة بن النعمان، فأوقع بهم عثمان بن أبي ربيعة فانهزموا وتفرقوا وهرب زعيمهم حميضة بن النعمان[2].

ومن مساهمات الثقفيين في حروب الردة أنه عندما ارتدت اليمن للمرة الثانية أرسل واليها آنذاك فيروز الديلمي إلى أبي بكر يستنجده، ولما وصل كتاب فيروز إلى أبي بكر استدعى المهاجر بن أبي أمية وأمره بالتجهز للغزو، وبعث إلى عثمان بن أبي العاص يأمره أن يستنفر من لديه، وأن يكون على أهبة الاستعداد للانضمام إلى جيش المهاجر إذا مرَّ به، فأرسل عثمان إلى زعماء المخاليف التابعة له أن يبعث كل واحد منهم بعشرين رجلاً، وحينما اجتمعوا عنده أمَّر عليهم أخاه عبد الرحمن بن أبي العاص[3].

ولما سار المهاجر من المدينة مرَّ في طريقه على مكة والطائف، فانضمت إليه الجيوش التي جهزها أمراؤها، وعندما رأى المرتدون جيوش المسلمين طلبوا الأمان فأبوا أن يؤمنوهم، وعند ذلك افترق المرتدون إلى فرقتين، فرقة سارت إلى

[1] ابن سعد، الطبقات جـ١ ص٣١٤.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٣١٩– ٣٢٠.

[3] المصدر نفسه جـ٣ ص٣٢٢.

عجيب[1]، والأخرى سارت في طريق الأخابث[2]؛ فكلف المهاجر بعض الفرسان بملاحقة من سلكوا طريق الأخابث، وتوجه بمن معه إلى عجيب، فالتقى معهم وهزمهم، وكذلك أوقع أصحابه بالفرقة الأخرى، وأخذ قيس المكشوح وعمرو ابن معدي كرب أسيرين، وقدِم بهما على أبي بكر فاستتابهما وعفا عنهما[3].

---

[1] عجيب: يسمى عجيب الغولة، وهو شعب عظيم له غول من مخاليف اليمن شمال ريدة (الهمداني، صفة جزيرة العرب ص١٥٨، ٣٦٢).

[2] طريق الأخابث: هو الطريق الذي سلكه المهاجر لمحاربة بني عك بن عدنان بالأعلاب حيث سمي هؤلاء بالأخابث، وسمي الطريق الذي سلكه إليهم فيما بعد بطريق الأخابث (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص١١٨– ١١٩).

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٣٢٩.

الفصل الرابع:

الدور السياسي لقبيلة هوازن في الأحداث الداخلية خلال العهدين الراشدي والأموي

موقف هوازن من فتنة مقتل عثمان والأحداث المترتبة عليها

تمهيد:

لقد مرت الدولة الإسلامية في القرن الأول بفترتي اضطراب عمت جميع أرجائها، الأولى هي التي أعقبت مقتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ، والثانية هي التي واكبت وفاة معاوية بن أبي سفيان ورفض بعض أبناء كبار الصحابة المبايعة لابنه يزيد، ومن الصعوبة بمكان أن نحدد موقفاً عامّاً للقبيلة من هذه الأحداث بشكل دقيق، لأن هناك ولاة يمثلون الموقف الرسمي للحكام الذين عينوهم، وهناك أفراداً وجماعات ما زال يسيطر عليهم الانتماء والتعصب القبلي، كما أن أشكال الانتماء قد تعددت بعد قيام الدعوة الإسلامية؛ فبينما كان الانتماء في العصر الجاهلي يكاد ينحصر في الولاء للقبيلة، أصبح هناك ولاء حسب التوجه الديني، وهناك ولاء حسب التوزيع الجغرافي فرضته طبيعة الحياة الجديدة، ولكننا سوف نحاول بقدر الإمكان في هذا الفصل إبراز ما تبين لنا من هذه المواقف حسب ما أمدتنا به المصادر التاريخية.

وبداية نحب أن ننبه أنه من مذهب أهل السنة والجماعة عدم الخوض في الخلافات التي حدثت بين الصحابة، رضوان الله عليهم، ولكن منهجية مبحثنا تحتم علينا التعرض لهذه الفتنة التي كانت من أعظم الفتن التي ابتلي بها المسلمون بعد وفاة النبي ﷺ، والتي كان لها أثرها السيئ في تفتيت وحدة المجتمع الإسلامي، وهو ما زال في القرن الذي وصفه الرسول ﷺ بأنه أفضل القرون، وذلك لأن بعض أعداء الدين المتربصين به استغلوا هذه الفتنة لنشر مبادئهم الهدامة من خلال ادعائهم الغيرة على هذا الدين، والله يشهد أنهم من ألد أعدائه الذين يسعون لشق وحدته وجعل أهله شيعاً وأحزاباً.

ومنهجنا في مناقشة هذه الفتنة أن جميع هؤلاء الصحابة مجتهدون، وكل منهم يرى أنه على الحق، ولكن بعضهم اجتهد وأصاب، والبعض الآخر اجتهد ولم يكتب له الله التوفيق في اجتهاده، وبعضهم لم يوصله اجتهاده إلى رؤية واضحة يسير عليها فآثر الاعتزال. ويجب علينا كباحثين إسلاميين أن لا ننجرف وراء بعض التحليلات التي تصف بعض كبار الصحابة، رضوان الله عليهم، بالانتهازية وبالمطامع السياسية، فهو قول باطل ويخشى على صاحبه لقوله ﷺ: "لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه"[1].

ومن الأفضل أن نورد هنا نصّاً لابن الأثير يصور الحالة التي كان عليها كبار الصحابة والأمة الإسلامية عند مقتل عثمان قبل أن تمتد إليها بعض الأيدي الخفية التي تريد التأجيج، يقول ابن الأثير: "لما قُتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير، فأتوا عليّاً فقالوا له: إنه لا بد للناس من إمام، قال: لا حاجة لي في أمركم، فمن اخترتم رضيت به، فقالوا: ما نختار غيرك، وترددوا إليه مراراً، وقالوا له في آخر ذلك: إنا لا نعلم أحداً أحق به منك، لا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله ﷺ، فقال: لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً، فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: في المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفية ولا تكون إلا في المسجد... فخرج إلى المسجد...وكان أول من بايعه من الناس طلحة بن عبيدالله... وبايعه الزبير، وقال لهما علي: إن أحببتما أن تبايعاني وإن أحببتما بايعتكما، فقالا: بل نبايعك"[2].

---

[1] الألباني، الجامع الصغير جـ٢ ص١٢٢٢.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص١٩٠– ١٩١.

ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن هذه الفتنة، ولكن أحببنا أن نمهد بهــذا التوضيح لعل الله أن ينفع به من ناحية، وليوضح منهجنا في التعامل مع ما نحتاج التطرق إليه من ملابسات هذه الفتنة، وهو موقف قبيلة هوازن من أحداثها.

موقف الهوازنيين من مقتل عثمان:

عندما اختار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، عثمان رضي الله عنه، للخلافة حسب وصية عمر رضي الله عنه، استقبل الثقفيون هذا الاختيار بالارتياح، يظهر ذلك من قول المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن بن عوف: "يا أبا محمد، قد أصبت إذ بايعت عثمان"[(١)]، وقوله أيضاً لعثمان: "لو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا"[(٢)]؛ وقد كان عثمـــان عنـــد حسن ظن الثقفيين به، إذ أقر المغيرة بن شعبة على ولاية الكوفة وعثمان بـــن أبي العاص على البحرين وعمان.

ومع العلم أن عثمان قام بعزل الولاة الثقفيين فيما بعد، إلا أننا لا نجد مـــن بين الثوار من ينتمى إلى هذه القبلية، بل نجد أن المغيرة بن شعبة كان من ضـــمن المتواجدين مع عثمان أثناء الحصار، وقد طلب من عثمان أن يأذن له بالخروج إلى الثوار ليتفاوض معهم فأذن له، ولكن الثوار رفضوا التحاور معه وسبّوه وقـــالوا: ارجع يا أعور، لأن إحدى عينيه قد فُقئت يوم اليرموك[(٣)]. ولما رأى المغـــيرة أن الثوار يرفضون التحاور معه رجع إلى عثمان وقال: أعرض عليك ثلاث خصال، إما أن تخرج وتقاتلهم، فإن معك عدداً وقوة، وإما أن نخرق لك في هذا الجـــدار باباً غير الذي هم عليه فتخرج إلى مكة فإنهم لن يستحلوك بها، أو تخرج وتلحق

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٢٣٤.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف. تحقيق إحسان عباس. المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٤٠٠هـ. جـ٥ ص٦٣.

بأهل الشام فإن فيها معاوية، ولكن عثمان رفض هذه الحلول كلها[1]. وأيضاً كان المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي قد تعجل في القدوم من الحج في عصابة من قومه للدفاع عن عثمان، فلما اقتحم الثوار الباب كان هو أول من برز لهم فقاتلهم حتى قُتل[2]. ولعل هذا الموقف الفدائي من المغيرة بن الأخنس دون عثمان بسبب نصرة عثمان له عندما ضربه المنذر بن الزبير بن العوام، حيث قام عثمان خطيباً مدافعاً عنه[3].

وبعد مقتل عثمان بايع الناس علياً كما سبق أن ذكرنا، وقد علم المغيرة بن شعبة بثاقب بصره وفطنته أن علياً سوف يدير الدولة بعقلية الفارس الشجاع، والفرسان غالباً لا تطول مدهم في الحكم، لأهم يريدون الحمل الفوري للناس على ما يرونه دون النظر إلى العواقب السيئة التي قد يجرّها هذا التسرع، فأتاه وقال له: ثبت ولاة عثمان حتى تأخذ بيعتهم وتستقيم لك الأمور ثم افعل بعد ذلك ما شئت، فأبى عليه، فقال له المغيرة: أما وقد أبيت عليّ فأرى أن تولّي طلحة اليمن والزبير اليمامة والبحرين وتثبت معاوية فإن معاوية متمكن في بلاد الشام وأهلها مطيعون له، فقال له علي: والله لا أثبت معاوية يومين، عند ذلك أيس منه المغيرة وتركه[4].

وفي أحد الأيام رأى ابن عباس المغيرة مختلياً بعلي، ولما انصرف من عنده قال لعلي: ماذا كان يقول لك؟ قال: إنه قد أتاني قبل هذه المرة ونصحني بأن أثبت ولاة عثمان، فأبيت عليه، ثم جاءني الآن وقال لي إنني قد أشرت عليك

---

[1] السيوطي، تاريخ الخلفاء. تحقيق محمد محيي الدين حميد. بدون تاريخ. ص٦١٦.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٣٨٢.

[3] ابن حجر، الإصابة جـ٦ ص١٥٥.

[4] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص١٩٧.

بتثبيت ولاة عثمان، فأبيت عليّ، وإنني الآن أرى أن الحق معك، فأرى أن تعزلهم وتولي من تثق به، فقال له ابن عباس: أما في الأولى فقد نصحك، وأما الثانية فقد غشك[1]. وكان رأي ابن عباس موافق لرأي المغـيرة الأول، ولكـن عليّـاً أبى عليهما.

هذا ما يخص الثقفيين، أما بنو عامر فقد انغمسوا في هذه الفتنة، حيث يذكر الطبري أن من ضمن الفرق الأربع التي خرجت من الكوفة، فرقة من بني عـامر وعليهم عبد الله بن الأصم، وهو أيضاً زعيم لجميع الفرق ومتحدث بـاسمهم[2]. وهذا لا يعني عموم بني عامر، فقد قام شريك بن خباشة النميري في أهل الشـام يستحثهم على الإسراع في نجدة عثمان[3].

موقف الهوازنيين من موقعة الجمل:

بعدما رفض علي مشورة المغيرة بن شعبة خرج المغيرة إلى مكة فلما خرجت عائشة ومعها طلحة والزبير إلى لقاء علي في موقعة الجمل خرج معهما، حـتى إذا كانوا بذي عرق لقيهم سعيد بن العاص فقال لطلحة والزبير: إن ظفرتم بعلي لمن تجعلون الأمر؟ قالا: لأحدنا، قال: بل تجعلونه لولد عثمان، فإنكم خرجتم تطلبون بثأره، فلمّا أبيا عليه قال: والله لأسعى لإخراجها من بني عبد مناف، وانصـرف وتركهما، فقال المغيرة بن شعبة: الرأي ما قاله سعيد، من كان هنا مـن ثقيـف فليرجع، فرجع الثقفيون و لم يشاركوا في موقعة الجمل[4].

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٤٣٩.

[2] المصدر نفسه جـ٤ ص٣٤٩.

[3] المصدر نفسه جـ٤ ص٣٥٢.

[4] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٢٠٩.

وقد اختلف بعض المؤرخين المحدثين[1] على مشاركة ثقيف في موقعة الجمل، ولكن الذي اتضح لنا من سير الأحداث أن المغيرة بن شعبة قد رجع بثقيف الطائف عن جيش طلحة والزبير، أما ثقيف الكوفة فقد شاركوا في موقعة الجمل بجانب الإمام علي وعليهم سعد بن مسعود الثقفي، عم المختار[2].

أما بنو عامر فقد شاركوا في الموقعة بجانب عائشة رضي الله عنها، بقيادة زفر بن الحارث الكلابي، وكانوا هم المسؤولين عن حماية جملها، وقد استبسلوا في الدفاع عنها. يقول الضبي: "فلم يبق شيخ من بني عامر إلا أصيب قدام الجمل"، وكان من ضمن القتلى في ذلك اليوم ربيعة جد إسحاق بن مسلم العقيلي [3].

وهكذا نرى كيف غيّر الإسلام مفاهيم الولاء من الولاء للقبيلة إلى الولاء للمعتقد، حيث انقسمت قبيلة هوازن إلى قسمين، فمنهم من يقاتل مع علي، لأنه يرى أن الحق معه، ومنهم من قاتل مع عائشة، لأنه يرى أن الحق معها؛ وكذلك كيف حولت طبيعة الحياة الجديدة الولاء من القبيلة إلى الولاء للمدينة "وظهرت يمن البصرة على يمن الكوفة فهزمتهم، وربيعة البصرة على ربيعة الكوفة فهزمتهم"[4].

موقعة صفين وموقف القبيلة منها:

لقد انتهت موقعة الجمل بهزيمة عائشة رضي الله عنها، ومقتل طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام، وكان سعد بن أبي وقّاص قد اعتزل الفتنة منذ وقت مبكر، وهؤلاء هم الثلاثة الذين بقوا من الستة أهل الشورى الذين عيّنهم عمر بن

---

[1] انظر مثلاً: عبد الجبار منسي، الطائف ص٢٣٧.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٢٣٢.

[3] الضبي، الفتنة ووقعة الجمل. ط٢. جمع وتصنيف أحمد راتب عرموش. دار النفائس. بيروت ١٣٩٧هـ. ص١٦٥.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٣ ص٢٤٦.

الخطاب عند وفاته، وبغياب هؤلا الثلاثة عن الساحة السياسية ازدادت مطـــامع معاوية بن أبي سفيان ﷺ، في الخلافة، ورفع راية العصيان في بلاد الشام، و لم يكن معاوية قد بايع علياً ﷺ، وترددت الرسل فيما بينهما، وكان آخرها وفد أرســله معاوية إلى علي قبيل بداية المعركة، فيهم معن ين يزيد بن الأخنس بن شـــريق، ولكن هذا الوفد لم يحقق أيّ تقدم في تقريب وجهات النظر بين علي ومعاويــة، فمعاوية يطالب علياً بتسليم قتلة عثمان، وعلي يتبرأ من فتنة عثمان ومقتله، وأن المهاجرين والأنصار هم الذين بايعوه وليس قتلة عثمان[1].

ولما رأى الإمام علي عزم معاوية على الخلاف وإصراره علـــى التمســك بالمطالبة بدم عثمان أمر مرثد بن الحارث الجشمي أن ينادي في أهل الشـــام وأن يؤذهم بالحرب، وفي اليوم التالي نشب القتال بينهم واستمر عدة أيام، ثم انتهـــى برفع أصحاب معاوية للمصاحف وطلب تحكيم كتاب الله بينهم فاستقر رأيهـــم على ذلك، وكتبوا بينهم صحيفة بهذا الشأن، على أن يكون أبو موسى الأشعري حكماً من قبل علي، وعمرو بن العاص حكماً من قبل معاوية، وأن يكون النطق بالحكم في شهر رمضان، وكان من ضمن شهود هذه الصحيفة من جانب علـــي عبد الله بن الطفيل العامري[2].

ومن تتبع سير الأحداث في موقعة صفين نجد أن هناك عدة إشارات تـــدل على أن قبيلة هوازن قد شاركت في هذه الموقعة، ففي حين نجد أن ابن الأثير يشير إلى أن زياد بن النضر الحارثي –وهو من جيش علي– طلب المبارزة فبرز له رجل من أهل الشام فإذا هو أخوه لأمه عمرو بن معاوية من بني المنتفق من بني عـــامر،

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٢٩١.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص١٠، ٥٤ ؛ ابن مزاحم. وقعة صفين. تحقيق وشرح عبدالسلام هارون. دار الجيل. بيروت ١٤١٠هـ. ص٥١١.

فلما عرفه انصرف عنه[1]؛ نجد أن الطبري يذكر أن عبد الله بن الطفيل البكـــائي العامري عندما حمل على أهل الشام وانصرف اعترضه رجل من بني تميم يقال له قيس بن قرة، فوضع الرمح بين كتفيه، فأبصره ابن عم لعبد الله يقال له يزيد بـــن معاوية، فوضع الرمح بين كتفي التميمي وقال: والله لئن طعنته لأطعننك، فلمـــا تعاهدا ورفع الرمح عنه سأله التميمي: ممن هو؟ قال: من بني عامر، فقال التميمي: جعلني والله فداكم، أينما ألفكم ألفكم كراماً، فقد قتلتم اليوم عشرة رجال مـــن أهل بيتي ورهطي وكدتم أن تلحقوني بهم[2].

وعلى الرغم من هذه الإشارة التي وردت عند ابن الأثير، والتي تدل على أن للعامريين مشاركة فعالة في هذه المعركة إلى جانب معاوية، إلا أننا نستطيع القول بأن أكثر قبيلة هوازن كانوا في جانب الإمام علي، فنراه عندما أراد المســـير إلى معاوية استخلف سعد بن مسعود الثقفي على المدائن[3]؛ وأيضاً نرى كثرة تنوع الفروع التي شاركت معه، حيث شارك معه بنو نمير، فنرى عقبـــة بـــن حديـــد النميري يبايع على الموت، ويلحق به في ذلك إخوته عبيد الله ومالك وعـــوف، فقاتلوا حتى قتلوا، ونرى شمر بن ذي الجوشن من بني كلاب يخرج لأهل الشـــام ويطلب المبارزة، ونرى مالك بن العقدية الجشمي[4] يفعـــل في جـــيش معاويـــة

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٢٩٥.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٢٩.

[3] ابن الأثير، لمصدر السابق جـ٣ ص٢٨٠.

[4] هو مالك بن الجلاح الجشمي، ولكن هذه التسمية غلبت عليه، وقد ندم بشر على طعنته لابن العقدية فقال:

وإني لأرجو من مليكي تجاوزا ... ومن صاحب الموسوم في الصدر هاجس
دلفت له تحت الغبار بطعنة ... على ساعة فيها الطعان تخالس

ولما بلغت أبياته ابن العقدية قال:

ألا أبلغا بشر بن عصمة أني ... شغلت وألهاني الذين أمارس
فصادفت مني غرة وأصبتها ... كذلك والأبطال ماض وخالس

(الطبري، المصدر السابق جـ٥ ص٢٩).

الأفاعيل مما أثار حفيظة بشر بن عصمة المزني، وجعله يتحيّن الفرصة عليه حتى إذا سنحت له حمل عليه وطعنه، ولكنه لم يقتله[1]. وكذلك نرى النابغة الجعدي يسير مع علي وينشده الأشعار الحماسية[2].

والذي نلاحظه في أحداث هذه الفتنة أن العصبية القبلية قد ارتبطت بالتوزيع الجغرافي، فعندما سأل الإمام علي عن قبائل الشام وأخبروه، قال لمن معه من أهل العراق: لتكفني كل قبيلة أختها، فجعل أزد العراق في مواجهة أزد الشام، وخثعم العراق في مواجهة خثعم الشام، وهكذا إلا قبلية بجيلة لم يكن منهم بالشام إلا عدد قليل فجعلهم علي في مواجهة لخم[3].

بداية أمر الخوارج وموقف القبيلة منهم:

عندما رفع معاوية وأصحابه المصاحف في موقعة صفين، قال الإمام علي لأتباعه: إنها خدعة فلا تلتفتوا إليهم وواصلوا القتال، فأبى عليه بعضهم وقالوا كيف نُدعى إلى تحكيم كتاب الله ونرفض؟ ولما فشلت جميع محاولات الإمام علي في إقناعهم رضخ لرغبتهم. وبعدما توقف القتال وتم الاتفاق على كتابة الصحيفة كما سبق أن ذكرنا، خرج بها الأشعث بن قيس الكندي[4] وجعل يطوف بها على شيعة علي ويقرأها عليهم حتى مرَّ بطائفة فيها عروة بن أدية، فقال: تحكمون الرجال في أمر الله عز وجل؟ لا حكم إلا لله؛ ثم نهض وضرب عجز دابة الأشعث بالسيف، فاندفعت الدابة وصاح أصحاب الأشعث وغضبوا، فتدخل الأحنف بن

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٢٧– ٢٩.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٢٨٠.

[3] الطبري، المصدر السابق جـ٥ ص١٤.

[4] الأشعث بن قيس هو من سلالة ملوك كندة وكان ريئس وفد كندة الذي قدم على النبي ﷺ ثم ارتد فعفا عنه أبو بكر رضي الله عنه، وشارك مع قومه في االفتوح الإسلامية، وكان من ضمن الوفد الذي أرسله سعد بن أبي وقاص لمفاوضة يزدجرد، ملك الفرس (ابن الأثير، المصدر السابق جـ٢ ص٢٩٨، ٣٨٢، ٤٥٢).

قيس السعدي التميمي وجماعة من بني تميم واعتذروا للأشعث وأصحابه فقبل ذلك منهم[1].

ولما عاد أصحاب علي إلى الكوفة عادوا متباغضين يتبادلون السب والشتائم ويتجالدون بالسياط من أثر حادثة التحيكم، فلم يدخل الخوارج الكوفة، بل انعزلوا وساروا في اثني عشر ألفاً إلى حروراء[2]، وجعلوا شبث بن ربعي التميمي[3] أميراً للقتال، وعبد الله بن الكواء اليشكري أميراً للصلاة[4]. ومن هنا نشأ مذهب الخوارج. و لم يكن من بين هولاء الخوارج أحد من القيسيين فضلاً عن هوازن[5].

وحينما دخل علي الكوفة وعلم أصحابه باعتزال الخوارج أتوا إليه وقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت ولك في أعناقنا بيعة ثانية، فبعث علي عبد الله بن عباس إلى الخوارج لمناظرتهم، ونصحه ألا يتعجل في الخلاف معهم حتى يأتيه، ثم لحق به علي وأفهمهم بأن الحكم لله حسب ما ورد في كتابه، ولكن القرآن لا ينطق وإنما ينطق بحكمه الرجال، فقالوا له: لماذا جعلت الأجل؟ قال: ليعلم الجاهل وليتثبت العالم، فاقتنعوا ودخلوا الكوفة عن آخرهم[6].

وعندما جاء موعد التحكيم وأراد علي أن يبعث أبا موسى الأشعري لحضور التحكيم أتاه زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي التميمي،

---

[1] ابن مزاحم، وقعة صفين ص٥١٣.

[2] حروراء: اسم موضع بظاهر الكوفة (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص٢٤٥).

[3] هو شبث بن ربعي الرياحي، أسلم ثم ارتد في من ارتد من بني تميم، وكان مؤذن سجاح التميمية، ثم رجع إلى حظيرة الإسلام فكان مع علي في موقعة الجمل، وكان معه أيضاً في موقعة صفين، فأرسله لمفاوضة معاوية، ثم خرج عليه في من خرج (ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٣٥٦، جـ٣ ص٢٨٤– ٢٨٥).

[4] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٥٥، ٦٣.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٤ ص٤٣٧.

[6] المصدر نفسه جـ٣ ص٣٢٧– ٣٢٨.

فقالا له مقولتهما الأولى: لا حكم إلا لله، ولكن تب من خطيئتك واخرج بنا لقتال عدونا، فأخبرهم أن بينه وبين خصومه كتاباً وشروطاً يجب الوفاء بها، فلما راجعوه وأبى عليهم اجتمع نفر منهم في بيت عبد الله بن وهب الراسبي وقرروا الخروج عليه، فقال لهم حمزة بن سنان الأسدي: لا بد لكم من أن تولّوا رجلاً منكم، فعرضوها على زيد بن الحصين الطائي فرفضها، ثم على حرقوص فأبى منها، ثم على حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسي فلم يقبلا بها، ثم عرضوها على عبد الله بن وهب فقبلها وقال: والله إنني لم آخذها رغبة في الدنيا ولن أتركها فرقاً من الموت، ثم قرروا الاجتماع مرة أخرى في بيت شريح بن أوفى ليتدارسوا أمر خروجهم، وكان ذلك في العاشر من شوال سنة سبع وثلاثين من الهجرة /٦٥٧م[1].

ولما اجتمعوا في مترل شريح قال عبد الله بن وهب: نرى أن نخرج إلى بلدة نجتمع بها ونرسل إلى إخواننا في البصرة يأتون إلينا، فقال شريح: نخرج إلى المدائن، فقال زيد بن الحصين: إنكم إن خرجتم مجتمعين اتبعوكم، ولكن اخرجوا آحاداً مستخفين، وأما المدائن فإن بها من يمنعكم، ولكن سيروا حتى تترلوا على جسر النهروان، فاستقر رأيهم على ذلك؛ فخرجوا متفرقين، وكتب عبد الله بن وهب إلى أهل البصرة يخبرهم بما أجمعوا عليه، ولما جاءهم كتاب عبد الله خرجوا في خمسمائة رجل وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي، وعندما علم ابن عباس أمير البصرة بخبرهم أرسل أبا الأَسْود الدؤلي، قاضي البصرة، لكي يردّهم، ولكنه

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٧٢، ٧٤– ٧٥.

لم يستطع أن يصدهم عن مرادهم فمضوا حتى اجتمعوا بمن وصل من أهل الكوفة عند جسر النهروان(١).

أما من كانوا بالكوفة فقد خرجوا متفرقين، فخرج عبد الله بن وهب في حوالي ثلاثين رجلاً ومعهم طرفة بن عدي بن حاتم، فلحقه أبوه ليرده، ومضى حتى بلغ المدائن و لم يستطع اللحاق به، وعندما رجع اعترضه عبد الله بن وهب في عشرين فارساً فأراد أن يقتله فمنعه عمرو بن مالك النبهاني وبشر بن زيد البولاني، فأرسل عدي إلى سعد بن مسعود الثقفي، عامل علي على المدائن، يحذره منهم، فخلف سعد ابن أخيه المختار على المدائن وخرج في أثرهم في خمسمائة فارس، فأدركهم عند المساء في الكرخ، فكر عليهم عبد الله بن وهب بمن معه، فاقتتلوا ساعة فلم يقدر سعد منهم على شيء، ولما حل الظلام عبر عبد الله نهر دجلة إلى جوخى(٢)؛ ثم سار منها إلى النهراون، فوصل إلى أصحابه وقد أيسوا منه، فأراد سعد أن يتتبعهم، فأشار عليه أصحابه أن يتركهم ويكتب إلى أمير المؤمنين علي بأمرهم، فرجع عنهم(٣).

كان علي قد عزم على المسير إلى أهل الشام بعد فشل أمر التحكيم، فأرسل عتبة بن الأخنس بن قيس، من بني سعد بن بكر، إلى عبد الله بن عباس ليستحث أهل البصرة في الخروج إليه، وكذلك أرسل زياد بن خصفة إلى سعد بن مسعود الثقفي يستحثه على أن يبعث إليه من يستطيع القتال من أهل الكوفة، فلما خرج علي بهم يريد أهل الشام بلغه اشتداد شوكة الخوارج وقتلهم رجالاً من المسلمين،

---

(١) تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٧٥– ٧٧.

(٢) جوخى: كورة واسعة على الجانب الشرقي من النهر، ولم يكن ببغداد خراج أفضل من خراجها (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص١٧٩).

(٣) الطبري، المصدر السابق جـ٥ ص٧٥– ٧٦.

منهم عبد الله بن خبّاب بن الأرت، حيث قتلوه وبقروا بطن زوجته، فأرسل إلى سعد بن مسعود ليوافيه بمن معه من أهل المدائن، فلما وصله سعد بن مسعود، التقى بالخوارج عند النهروان وهم في نحو ألفين وثمانمائة، فأبادوهم جميعاً إلا من بقي جريحاً وهم نحو أربعمائة، فأمر علي أهلهم أن يحملوهم ويداووا جراحهم[1].

ثم عاود الخوارج الخروج مع سعيد بن قفل التيمي وكانوا مائتي رجل، فأتوا درزيجان[2]، وهي من المدائن على فرسخين، فخرج إليهم سعد بن مسعود فقتلهم، وكان ذلك في رجب سنة ثمان وثلاثين من الهجرة /٦٥٨م [3].

موقف هوازن من مطامع معاوية في العراق:

لقد انشغل الإمام علي بقتال الخوارج، أما معاوية فإنه عندما استطاع الاستيلاء على مصر اتجهت أطماعه إلى البصرة؛ لأن أكثرهم عثمانية، وقد شاركوا إلى جانب عائشة رضي الله عنها، في موقعة الجمل، فاستغل خروج ابن عباس واليها آنذاك إلى الكوفة واستخلافه لزياد بن أبيه، فأرسل عبد الله بن الحضرمي إليها وأمره أن يترل في مضر، وأن يتودد للأزد، وأن يحذر من ربيعة؛ لأنَّ أكثرهم ترابية، وهذه هي العصبيات الثلاث صاحبة النفوذ في البصرة[4].

سار ابن الحضرمي، ولما وصل البصرة نزل في بني تميم المضرية، فأتاه العثمانية للسلام عليه، فخطبهم وبيَّن لهم أن إمامهم عثمان قُتل مظلوماً، وشكرهم على خروجهم لنصرته في موقعة الجمل، ومنَّاهم بأن يجعل لهم عطاءين

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٧٨–٨٣، ٨٠–٨٨.

[2] درزيجان: هي إحدى المدن السبع التي كانت للأكاسرة، وبها سميت المدائن المدائن (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص٤٥٠).

[3] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٣٧٣.

[4] المصدر نفسه جـ٣ ص٣٦٠. ترابية: أي أتباع لعلي لأنه كان يعرف بأبي تراب.

في السنة، وطلب منهم النصرة فقام الضحاك بن عبد الله الهلالي[1] وكان على شرطة ابن عباس وقال: قبّح الله ما جئتنا به وما تدعونا إليه، أتيتنا والله بمثل ما أتانا به طلحة والزبير، أتيانا وقد بايعنا علياً واستقامت أمورنا فحملانا على الفرقة حتى ضرب بعضنا رقاب بعض، ونحن الآن مجتمعون على بيعته، ولا نرضى سواه[2].

هذا الموقف المعارض من الضحاك يمثل الموقف الرسمي لأنصار علي؛ لأنه صاحب الشرطة، أما الموقف الشعبي فقد انقسم أصحاب علي إلى ثلاثة أقسام، فمنهم من رأى الاعتزال وعدم الميل لطرف دون آخر كالأحنف بن قيس، ومنهم من رأى لزوم الطاعة ومناصرة علي كالمثنى بن مخربة العبدي، ومنهم من أظهر التأييد لابن الحضرمي كعبد الله بن خازم السلمي وعباس بن صحّار العبدي، الذي صرح بتأييده علانية وقال: والله لننصرنك بأيدينا وألسنتنا[3].

ولما رأى زياد أن أكثر هوى قومه المضريين مع ابن الحضرمي استدعى اثنين من زعماء ربيعة حضين بن المنذر ومالك بن مسمع[4]، وقال لهما: يا معشر بكر ابن وائل: أنتم أنصار أمير المؤمنين وثقاته، وقد كان من ابن الحضرمي ما ترون، فامنعوني حتى يأتيني أمر أمير المؤمنين، فقال حضين بن المنذر: نعم، وقال مالك وكان مائلاً لبني أمية: هذا أمر لي فيه شركاء أستشير فيه وأنظر، فلما رأى زياد اختلافهم استدعى صبرة بن شيمان الأزدي وطلب منه أن يجيره ويحفظ بيت مال

---

(1) عند ابن الأثير الضحاك بن قيس الفهري، والتصحيح من (الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص١٤٢).

(2) ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٣٦٠.

(3) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٦١.

(4) هو مالك بن مسمع البكري، كان على قبائل بكر في يوم الجمل مع عائشة رضي الله عنها، وقد أجار مروان بن الحكم بعد الهزيمة في موقعة الجمل فحفظ بنو مروان ذلك له ولأبنائه فنالوا منزلة رفيعة طوال عهدهم (المصدر نفسه جـ٣ ص٢٤١، ٢٥٩).

المسلمين، فقال صبرة: إن حملته إلى داري منعتك ومنعته، فنقل زياد بيت المال إلى دار صبرة بالحدان، ونقل منبره أيضاً فكان يصلي الجمعة بالحدان[1].

كتب زياد إلى أمير المؤمنين علي يخبره بما جرى، فأرسل له علي أعين بن ضبيعة التميمي ليفرق قومه عن ابن الحضرمي، وإن أبى بعضهم قاتلهم بالبعض الآخر، فلما أتى قومه سبّوه وشتموه فانصرف من عندهم، وعندما وصل إلى داره تبعه جماعة منهم وقتلوه، فأراد زياد أن يقاتلهم بمن معه من الأزد، فقال بنو تميم للأزد: نحن لم نتعرض لجاركم فلماذا تتعرضون لجارنا؟ فكف الأزد عن قتالهم، وكتب زياد إلى علي يخبره بما جرى لأعين، فأرسل له جارية بن قدامة السعدي في خمسمائة من تميم، فانضم إليه جماعة من قومه وزياد ومن معه من الأزد فالتقوا بابن الحضرمي ومن معه من تميم، فاستمر القتال ساعة ثم انهزم ابن الحضرمي وتحصن في قصر سنبيل، فأحرق قدامة القصر بمن فيه[2].

وهكذا نرى كيف استطاع زياد بن أبيه بحكمته وحسن تصرفه من المحافظة على مدينة البصرة والتخلص من ابن الحضرمي، وهذا ما لفت انتباه جارية بن قدامة وأثار إعجابه بزياد، وجعله يشير على علي بتوليته بلاد فارس وكرمان[3] عندما اضطربت على واليها سهل بن حنيف، بعدما رأوا اختلاف الناس على علي أثناء فتنة ابن الحضرمي، حيث امتنعوا عن أداء الخراج، وثار أهل كل ناحية بعاملهم وأخرجوه، فقام علي بعزل سهل بن حنيف وولّى زياداً مكانه، فسار إليها زياد في جمع كثير، وأخذ يتهددهم ويتوعدهم ويرسل إلى رؤسائهم يعد من

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص١١٠– ١١١.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٣٦٢– ٣٦٣.

[3] كرمان: اسم إقليم من أقاليم فارس، وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي تشبه البصرة في كثرة التمور (ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٤٥٤).

ينصره منهم ويمنّيه ويخوّف من يخالفه منهم ويحذّره، وضرب بعضهم ببعض، فدل بعضهم على عورة بعض، وهكذا حتى دانت له بلاد فارس بلا قتال، ثم نزل اصطخر[1] وبنى بها قلعة عرفت باسمه فيما بعد، وهذا ما جعل أهل فارس يقولون: ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنوشروان من سيرة هذا العربي[2].

موقف الهوازنيين من معاوية بعد مقتل علي:

عندما قُتل الإمام علي رضي الله عنه كان ابن عباس على البصرة، وسعد بن مسعود الثقفي على المدائن، وزياد بن أبيه على بلاد فارس وكرمان، وأما الكوفة فقد بقيت شاغره بعد مقتل علي رضي الله عنه، فلما آلت الأمور إلى معاوية عيَّن عبد الله بن عمرو بن العاص والياً عليها، فأتاه المغيرة بن شعبة وقال: ولّيت عمراً مصر وولّيت ابنه الكوفة، فوضعت نفسك بين لحيي الأسد، فتنبه معاوية لهذا الأمر فقام بعزل عبد الله بن عمرو عن الكوفة وولاها المغيرة[3].

فأما ابن عباس فكان قد عتب على علي قبيل مقتله، فحمل أمواله وخرج من البصرة يريد مكة، فأراد أهل البصرة أن يمنعوه بحجة أن هذه الأموال لهم، فاستدعى أخواله بني هلال واجتمعت معهم قيس كلها، فاتبعه أهل البصرة فأدركوه بالطف[4] فقالت قيس: والله لن تصلوا إليه وفينا عين تطرف، فقال صبرة بن شيمان: يا معشر الأزد، إن قيساً إخواننا وجيراننا وعوناً لنا على العدو، والذي يصيبكم من هذا المال قليل، وهم خير لكم من هذا المال، فأطاعوه

---

[1] اصطخر: من أقدم مدن فارس وأشهرها تقع في الأقليم الثالث وكانت عاصمة ملكهم (ياقوت، معجم البلدان جـ1 ص211).

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ5 ص137.

[3] ابن الأثير، الكامل جـ3 ص413.

[4] الطف: من ريف العراق، وسمي بهذا الاسم لأنه مشرف على العراق، لأن معنى أطف أطل (ياقوت، المصدر السابق جـ3 ص36).

وانصرفوا؛ أما بنو تميم فقاتلوهم، فنهاهم الأحنف فلم يسمعوا منه، فاعتزل القتال وأخذ يحجز بينهم حتى رجعوا عنهم، ومضى ابن عباس إلى مكة[١].

ولما قُتل علي وتم الصلح بين الحسن ومعاوية استغل حمران بن أبان[٢] خلوّ البصرة فوثب عليها، فأرسل إليه معاوية بسر بن أرطأة فانتزعها منه وقبض على أبناء زياد وهم عبيد الله وعبد الرحمن وعبَّاد، وزعم أن معاوية أمره بقتلهم إن لم يسلم زياد نفسه، فلما أتاه رد زياد برفض التسليم أخرجهم ليقتلهم، فقام دونهم أبو بكرة أخو زياد لأمه، وطلب من بسر أن يمهله حتى يأتي معاوية ويكلمه في أمرهم، فذهب أبو بكرة إلى معاوية وأتى بكتاب يأمر فيه بسراً بإطلاق سراحهم[٣]. ولعل بسراً يريد من هذا التصرف التقرب إلى معاوية لعله أن يوليه بلاد فارس المشهورة بكثرة خراجها.

أما سعد بن مسعود الثقفي، والي المدائن، فقد أشار عليه ابن أخيه المختار أن يقبض على الحسن ويسلمه إلى معاوية ليأمن على نفسه، ولكن سعداً رفض هذه المشورة وبقي على ولائه للحسن حتى تم الصلح بين الحسن ومعاوية فدخل فيما دخل فيه الناس[٤].

لقد استتبت جميع الأمور لمعاوية ولم يتبق لديه إلا عقبة زياد، فهو لم يبايع ولم يعلن العصيان، فأرسل إليه معاوية يطلب منه إرسال الأموال التي لديه، فكتب إليه زياد: لم يتبق عندي شيء، ولقد صرفت كل ما عندي في وجهه واستودعت

---

[١] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٣٨٦– ٣٨٧.

[٢] هو حمران بن أبان، مولى عثمان بن عفان ﷺ، وكاتبه فارسي الأصل، كان من فقهاء الكوفة، وحدث عن عثمان ومعاوية، طال عمره وتوفي نحو سنة ٨٢هـ/٧٠١م (الذهبي، سير أعلام النبلاء جـ٤ ص١٨٢).

[٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص١٦٨– ١٦٩.

[٤] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٤٠٤.

بعضه تحسباً للنوازل وحملت ما فضل منه لأمير المؤمنين رحمة الله عليه. ولما رفض زياد إرسال الأموال طلب منه معاوية أن يقدم عليه، فإن حصل بينهما وفاق وإلا رجع إلى عمله، فأبى، ثم أرسل إليه يتهدده فقال لمن عنده: عجباً لمعاوية يتهددني وبيني وبينه أبناء عم رسول الله ﷺ في تسعين ألفاً واضعين سيوفهم على عواتقهم، فلما رأى معاوية أن هذا التهديد لا يجدي معه كف عنه[١].

يعتبر زياد بن أبيه من دهاة العرب الأربعة، وهم كما يقـــول المؤرخـــون: قرشيان وثقفيان، فأما القرشيان فهما معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العـــاص، وأما الثقفيان فهما زياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة[٢]؛ لذا لم يستطع معاوية إخفـــاء تخوفه من زياد، فحينما دخل عليه المغيرة في أحد الأيام عرض عليه أمر زياد، فقال المغيرة: وما زياد؟ فقال معاوية: زياد داهية العرب، ومعه أموال فارس، فلا آمن أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت فإذا هو قد أعادها علينا جذعة، فقال المغـــيرة: أتأذن لي في إتيانه؟ قال: ذاك لك[٣].

ذهب المغيرة إلى زياد وقال: إن معاوية قد أبدى تخوفه منك، وليس هنـــاك شخص يطمع في هذا الأمر إلا صاحبك وقد بايع (يعني الحسن)، وأرى أن تتقرب منه قبل أن يستغني عنك، فقال: أشر عليّ والمستشار مؤتمن، قال: أرى أن تطلب منه الأمان، فإذا وصلك عليك أن تحكم أمورك وتقدم عليه وتصدقه القول[٤].

ولما وصل كتاب معاوية إلى زياد بالأمان سار إليه فأخذ معاوية يسأله عـــن الأموال التي لديه، فلم يُعدل و لم يُبدل في كلامه الذي قاله من قبل، وعندما رأى

---

[١] الطبري، المصدر السابق جـ٥ ص١٦٨، ١٧٠.

[٢] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٥ ص٢٤١.

[٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص١٧٧.

[٤] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

كثرة سؤال معاوية عن الأموال التي استودعها أرسل كتباً إلى الأشخاص الـــذين استودعهم يستحثهم على حفظها، ووضع فيها المبالغ نفسها التي صرح بها لمعاوية وأمرهم أن يتعرضوا للعيون التي يبثها معاوية لعلهم أن يأخذوها ويبلغوها معاوية، وفعلاً تم له ذلك، فلما اطلع عليها معاوية صدقه أو تظاهر بتصديقه، وحـــتى لا يعتقد زياد بأنه قد خدعه قال: "أخاف أن تكون مكرت بي فصالحني"، فصـــالحه زياد على مبلغ من المال ثم سأل معاوية أن يأذن له بالإقامة في الكوفة، فأذن لـــه معاوية، وأمر المغيرة أن يتعاهده بالصلاة في المسجد مخافة أن يخرج عليه[1].

وهكذا نرى كيف ظل الهوازنيون على ولائهم لعلي فلم يسلموا إلا بعـــد مقتله وعقد الصلح بين ابنه الحسن ومعاوية، فعند ذلك دخلوا فيما دخـــل فيـــه الناس.

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٤٢٣– ٤٢٤.

جهود الولاة الهوازنيين في تثبيت دعائم الحكم الأموي:

لعل من يتتبع تاريخ الدولة الأموية يجد أن للولاة الهوازنيين دوراً كبيراً في تثبيت دعائمها، وإن كان بنو عامر هم أكثر الفروع الهوازنية تسجيلاً للأحداث في العصر الجاهلي، إلا أن الثقفيين كانوا هم الأبرز في المجال الإداري والسياسي في العصور الإسلامية المتقدمة؛ وذلك لكونهم معدودين من المجتمع المدني في جاهليتهم، مما أكسبهم النبوغ في هذا المجال بحكم أن مدينتهم مدينة الطائف كانت من المدن ذات العلاقات الواسعة بحكم تجارتها النشطة وجوها المعتدل، لذلك كانت معظم أسواق العرب تقام لديهم أو قريباً منهم، أضف إلى ذلك ما يتمتع به أبناؤها من الدهاء والعبقرية، وهذا ما جعل عيينة بن حصن يقول يوم حصار الطائف: "إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم، ولكنني أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية... لعلها تلد لي رجلاً، فإن ثقيفاً قومٌ مناكير"[(١)]. لذا نرى أن الخلفاء الأمويين قد اعتمدوا على رجال ثقيف في الولايات المهمة كالبصرة والكوفة مما كان له دور كبير في ضبط الأمور فيها، وهذا ما حدا ببعض المؤرخين أن يقول بأن الدولة الأموية قامت منذ نشأتها وطوال عصرها على عقول وسيوف الثقفيين[(٢)].

لقد كانت الكوفة تحتوي على مائة ألف مقاتل، وكانوا مصدر إزعاج للحكومة الإسلامية في المدينة[(٣)]، ولهم تأثير كبير في سير الأحداث، وكانوا متقلبي الأهواء، ولا يستطيع أحد أن يثق بهم، فهم الذين كان لهم الدور الأكبر في فتنة مقتل عثمان، وهم الذين خذلوا الإمام علي في قتاله مع معاوية، ثم خرج

[(١)] ابن هشام، السيرة النبوية ص٥٨٤. مناكير: أي يتصفون بالدهاء والفطنة (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص٦٢٧).

[(٢)] نادية صقر، الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام. دار الشروق. جدة ١٤٠١هـ. ص١٤٠.

[(٣)] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٣٢.

بعضهم عليه وقتله، وهم الذين استدعوا ابنه الحسين فخذلوه ثم تجرأوا على قتله ثم أصبحوا ينوحون عليه ويطالبون بالأخذ بثأره، وهم المركز الرئيس لتفريخ الخوارج الذين كفّروا أئمة المسلمين واستحلّوا قتلهم، وكانت ثوراتهم من أهم أسباب تشتيت جهود الأمة الإسلامية وإضعافها، مما جعل بعض الأقاليم المفتوحة تنتقض عليها، وهم الذين قال عنهم عمر بن الخطاب ﷺ: "من عذيري من أهل الكوفة إن وليت عليهم الضعيف حقروه، وإن وليت عليهم القوي فجروه"[1].

وكان عمر ﷺ، قد ولّى عليهم مجموعة من خيار الصحابة كسعد بن أبي وقاص وعمار بن ياسر وأبي موسى الأشعري، فلم يسلم منهم أحد، وهذا ما دعاه لقول العبارة السابقة. ولما احتار عمر فيمن يولّيه عليهم استشار المغيرة بن شعبة، وقال: هل أولّي عليهم رجلاً مسلماً ضعيفاً أو رجلاً قوياً مسدداً؟ قال: يا أمير المؤمنين، الضعيف المسلم خيره لنفسه وضعفه عليك، وأما القوي المسدد فإن سداده لنفسه وقوته للمسلمين؛ فقام عمر بإعادة ولايته على الكوفة بعد أن عزله عن البصرة بعد قصته المشهورة[2] مع أبي بكرة، فبقي عليها حتى مات عمر[3].

هذه المقدمة التي مهدت بها لا تعتبر دفاعاً عن قسوة الولاة الثقفيين الذين حكموا العراق كزياد بن أبيه وابنه عبيد الله والحجاج بن يوسف بقدر ما هي رسم صورة حقيقية للمجتمع العراقي آنذاك، حسب المصادر التاريخية التي تتبعناها ولم نضف إليها أي معلومة جديدة، أما قسوة الولاة الثقفيين فهي كما قال المغيرة ابن شعبة محسوبة عليهم، وأما أثرها الإيجابي فهو لصالح الدولة الإسلامية بصفة

[1] البلاذري، أنساب الأشراف جـ١٢ ص٣٢٢.

[2] هذه القصة موجودة في كتب التاريخ والسِّيَر. انظر مثلاً: ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٥٤١، ٥٤٢.

[3] المصدر نفسه جـ٣ ص٣٢.

عامة والدولة الأموية بصفة خاصة، وقد ثبت عن النبي ﷺ "إن الله يؤيد الـــدين بالرجل الفاجر"[١]. وهذا الأثر الإيجابي هو ما نريد إبرازه في هذا المبحث بشكل مختصر، فهؤلاء الولاة هم الذين ضبطوا المشرق الإسلامي، وهم الـــذين تتبعـــوا ثورات الخوارج وقضوا عليهم، وهم الذين سيروا الجيوش لإتمام فتح بلدان المشرق كما سنرى فيما بعد، وهم الذين لهم الفضل -بعد الله- على الدولـــة الأمويـــة بالقضاء على طموحات الطامعين في الخلافة، ومن يتتبع سيرة هؤلاء الولاة يشعر بأنهم يتصرفون وكأنهم مستقلين عن الدولة الأموية، فهم الذين يحـــددون قـــواد الجيوش، وهم الذين يعينون أمراء البلدان التابعة لهم ويعزلونهم، ونادراً مـــا نجـــد تدخلاً من الخلفاء في أمور هذه الولايات، مما جعل بعض المؤرخين يعتبر أن سلطة الحجاج أعظم من سلطة الخليفة الوليد بن عبدالملك نفسه[٢]، ولقد جاء اعتراف الدولة الأموية بجهود هذا القائد على لسان اثنين من خلفائها، فقد قال الوليد بن عبد الملك في إحدى خطبه تأبيناً لوفاة الحجاج: كان أبي يقول: الحجاج جلدة ما بين عيني، وأنا أقول: الحجاج جلدة وجهي كله[٣].

أما الاعتراف الآخر بكفاءة هؤلاء الولاة فقد جاء من تصرف أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، مؤسس هذه الدولة، عندما ألحق زياد بن أبيه بنسبه، ومن المترجح لدى أغلب المؤرخين أن زياد بن أبيه ابن غير شرعي لأبي سفيان، ولكنه

---

[١] الزبيدي، مختصر صحيح البخاري جـ٢ ص٣٧٦. وإيراد هذا الحديث لا يعني حكمنا على الولاة الثقفيين بالفجور وخاصة الحجاج الذي كثرت حوله المؤلفات الحديثه بين مؤيد لسياسته ومعارض لها. انظر مثلاً: ا الشمري، الحجاج بن يوسف وجه حضاري في تاريخ الإسلام. محمد زيادة، الحجاج بن يوسف المفترى عليه. رياض رويحة، جبار ثقيف الحجاج ابن يوسف مالىء الدنيا وشاغل الناس.

[٢] دائرة المعارف الإسلامية. مركز الشارقة للإبداع الفكري. الشارقة ١٤١٨هـ. جـ٢١ ص٦٧٥٠.

[٣] البلاذري، أنساب الأشراف جـ١٢ ص٣٥٤.

في عرفهم وعرف علماء النسب محسوب على موالي ثقيف، حاله في ذلك كحال أخيه لأمه أبي بكرة، ومثل هؤلاء الأبناء متعارف عليهم عند العرب في الجاهلية حسب أنواع الزواجات المتعددة لديهم والعلاقات غير الشرعية الشائعة في ذلك الزمن، من ذلك ما ذكره ابن الأثير أن عمر بن الخطاب كلف زياداً بإحدى المهام فأداها على أكمل وجه، ثم رجع إلى عمر وكان عنده عدة رجال من قريش فخطبهم خطبة بليغة لم يسمعوا بمثلها، فقال عمرو بن العاص: لله هذا الغلام، لو كان أبوه من قريش لساق الناس بعصاه، فقال أبو سفيان: والله إني أعرف أباه يقصد نفسه[1].

وقد اطلعنا على عدة روايات متباينة حول استلحاق معاوية لزياد، ولكن الذي تبين لنا أن ذلك كان بمشورة من المغيرة بن شعبة عندما استدعاه معاوية وشكا له أمر زياد واعتصامه ببلاد فارس، ولا نستبعد أن هذه المشورة صاحبتها رغبة من معاوية نفسه فرضتها عليه طبيعة الدهاء السياسي، ومن الأسباب التي دعتنا لترجيح ذلك ما يلي:

أولاً: أن المغيرة من الدهاة الذين يحسنون استغلال الفرص، فأراد أن يحظى بهذا الاقتراح لدى معاوية كحل لهذه الإشكالية التي استعصت عليه.

ثانياً: أن زياداً سبق أن أنقذ حياة المغيرة بكلمة واحدة في قصته مع أبي بكرة، ومن الأولى أن يكون هذا الاقتراح من قبل المغيرة لرد الجميل لزياد، وقد وجدنا بعض الشواهد التي تدل على اعتراف المغيرة بهذا الجميل لزياد، من ذلك ما قاله لعبد الرحمن بن أبي بكرة: "لئن أساء أبوك لقد أحسن لي زياد"[2].

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٤٤٣.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص١٧٦.

ثالثاً: أن المغيرة، وهو الرجل المحنك البصير بعواقب الأمـــور، يـــدرك أن القضاء على المتمردين في إقليم فارس من مهام ولاة الكوفة، وهـــذا ســـيجعله في مواجهة مع زياد الرجل الذي سبق أن أحسن إليه، لذا طرح هذا الاقتراح كحل لهذه المشكلة وإنهائها بطريق سلمي.

رابعاً: أن المغيرة قال لزياد عندما استشاره بالقدوم على معاويـــة "أرى أن تصل حبلك بحبله"[(١)].

خامساً: إعجاب معاوية بكفاءة زياد ووصفه بداهية العرب.

سادساً: أن استلحاق معاوية لزياد كان من أول مقابلة وليس بعد ذهابه إلى البصرة كما تذكر بعض الروايات، بدليل قصة ابن عامر، والي البصـــرة، عنـــدما قال: لقد هممت أن آتي بقسامة من قريش يحلفون بالله أن أبا سفيان لم ير سميـــة، حيث كان زياد عند معاوية فأخبره بما قال ابن عامر، فغضب معاوية علـــى بـــن عامر وحجبه حتى تدخّل يزيد في الأمر، فأمر معاوية ابن عامر أن يعتـــذر لزيـــاد ويترضاه، ففعل ذلك[(٢)].

أما عن عزل معاوية لزياد عن ولايته وإرساله مع المغيرة ليكون تحت مراقبته فهو إجراء احترازي من معاوية حتى يتثبت من ولاء زياد وانقياده لأمر العـــزل، وأن ليس لديه مطامع انفصالية أو أي رغبة في التمرد، هذا من ناحية، وأن يكون لدى معاوية الوقت الكافي لمصالحة ابن عامر وتطييب خاطره بعد المشـــادة الـــتي حصلت بينهما بشأن زياد، وذلك تمهيداً لعزله، حيث استدعى معاوية ابن عامر وطلب منه بحكم القرابة ثلاثة مطالب أحدها أن يرد عليه عمله ولا يغضـــب[(٣)].

---

(١) ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٤٢٣.

(٢) المصدر نفسه جـ٣ ص٤٤٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٢١٣.

فلما انتهى معاوية من ذلك كله عزل ابن عامر وولى زياداً البصـــرة وخراســـان وسجستان ثم أضاف له الهند والبحرين وعُمان[1]. وهناك ما يشير أيضـــاً إلى أن تولية زياد للبصرة أمر مبيّت سلفاً قبل قدومه، بدليل تعرض ابن عامر لزيـــاد في طريقه لمحاولة القبض عليه، قبل أن يصل لمعاوية[2]، وبدليل العبارة التي قالهـــا في حق زياد، والتي أشرنا إليها آنفاً.

وعلى أية حال فقد كان للولاة الثقفيين جهود كبيرة في تثبيت دعائم الحكم الأموي، سواء من ناحية الإبقاء على استمرار الخلافة فيهم والقضاء على أطماع المنافسين لهم، أو إخماد ثورات الخوارج والمحافظة على استقرار المشرق الإسلامي الذي يعتبر من أكثر الأقاليم اضطراباً في الدولة الإسلامية وسيتضح ذلك كله من خلال هذا المحور.

توريث الحكم:

كان المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة كما سبق أن ذكرنا[3]، وقد حاول في آخر عمره عندما ضعف أن يحسن سيرته لدى الكوفيين، فأصـــبح لا يأخـــذ بالوشايات، فإذا جاءه أحد وقال: إن فلاناً يرى رأي الخوارج، أو أن فلاناً يرى رأي الشيعة، قال: قضى الله أن لا يزالوا مختلفين، وسيحكم الله بين عباده[4].

ولعل بعض هذه الأخبار تصل إلى معاوية ولا يرى أن المغيرة اتخـــذ شـــيئاً بشأن هؤلاء الأشخاص، فأراد أن يعزله ويولي سعيد بن العاص، فلما علم المغيرة بذلك عن طريق عيونه الذين يبثهم حول معاوية، أخذ يدير فكره في حيلة جديدة

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ5 ص217.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ3 ص423.

[3] انظر الرسالة ص218.

[4] المصدر نفسه جـ3 ص421.

يحتال بها على معاوية حتى يبقيه في ولايته، فهداه تفكـــيره إلى التـــزيين لمعاويـــة بتوريث الحكم لابنه يزيد، فسار إلى الشام وأظهر لأهل الكوفة أنه يريد الاستعفاء من الولاية تحسباً لأي أمر قد يحول دون نجاح خطته[1].

سار المغيرة إلى الشام، ولما وصل إلى هناك وسلّم على معاوية بادر بالدخول على يزيد وقال له: لقد ذهب أعيان أصحاب النبي ﷺ، وكبراء قـــريش، وذوو الأسنان فيهم، ولم يتبق إلا أبناؤهم، وأرى أنك من أفضلهم وأحســـنهم رأيـــاً، وأعلمهم بالسنة والسياسة، ولكن لا أدري ما الذي يمنع أمير المؤمنين أن يعهد لك بالخلافة، فقال له يزيد: أوترى ذلك يتمّ، قال: نعم[2].

قام يزيد ودخل على أبيه وأخبره بما قال له المغيرة، فأحضر معاوية المغـــيرة وسأله عن صحة ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأيت ما كان من الاخـــتلاف وسفك الدماء بعد مقتل عثمان، وأرى أن تعقد ليزيد حتى لا تكون هناك فتنـــة، وهو أهل لذلك؛ فقال معاوية: وكيف يكون ذلك؟ قال: أنا أكفيك أهل الكوفة، وزياد يكفيك أهل البصرة، وليس غير أهل هذين المصرين أحد يخالفك. فقال له معاوية: ارجع إلى عملك وتحدث مع من تثق به وترى ونرى[3].

رجع المغيرة إلى الكوفة وأخذ يحدث من يثق به من شـــيعة بـــني أميـــة في استخلاف يزيد، وأغراهم بالمال حتى جمع منهم أربعين رجلاً، فبعثهم وفداً مـــع ابنه عروة إلى معاوية، فقالوا له: يا أمير المؤمنين، إنما أقدمنا عليك خوفنـــا علـــى مصير أمة محمد ﷺ، ولقد كبرت سنك ونخاف الفتنة وسفك الدماء مثلما حدث بعد مقتل عثمان، ونرى أن تعهد إلى شخص نعلمه حتى لا تكون فتنة؛ فقال لهم:

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٥٠٣.

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه جـ٣ ص٥٠٤.

وبمن تشيرون عليّ؟، قالوا: ابنك يزيد، فإنه أهلٌ لذلك. ويقال إن معاوية التفت إلى عروة وقال له سراً: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم، قال: بأربعمائة دينار، فقال له: لقد وجد دينهم عندهم رخيصاً؛ ثم قال لهم معاوية: ارجعوا وسوف ننظر فيما قدمتم له[١].

وبعد قدوم هذا الوفد بدأ معاوية التفكير الجاد فيما عرضه عليه المغيرة، فأرسل إلى زياد يستشيره، فلما جاءه رسول معاوية أرسل إلى عبيد بن كعب النميري أن يحضر إليه، فلما أتاه قال له: إن معاوية أرسل إلي يستشيرني في ولاية يزيد، والاستشارة أمانة، وأمر الخلافة أمر عظيم، ويزيد فيه غفلة وتهاون وولع بالصيد، فاذهب إلى معاوية وأبلغه رأيي بأن الخلافة لا يصلح لها من فيه مثل هذه الصفات، فقال له عبيد: مهلاً، لا تفسد على أمير المؤمنين رأيه، أنا أذهب إلى يزيد وأخبره سراً بأن أمير المؤمنين أرسل إليك يستشيرك، في بيعته فتخوف من إبداء رأيه فيك لما يرى عندك من بعض الهنات وولعك بالصيد الذي قد يمنع الناس من الموافقة على بيعتك، ومن ثم النقمة على أبيك، فإن تركتها رجوت أن تكون قد أقمت الحجة لأبيك على الناس، وظفرت بما تريد، فإن أجابك يزيد تكون قد نصحت له وأرضيت أمير المؤمنين، فقال له زياد: نعم ما رأيت، اذهب إليه فلعل الله أن يجعل له الخير على يديك[٢].

ذهب عبيد إلى يزيد وأخبره بما كان من استشارة أبيه لزياد، وتخوف زياد من الأمور التي سبق ذكرها، فوعده يزيد بالكف عنها، فلما رجع عبيد إلى زياد وأخبره أرسل إلى معاوية يشير عليه بالتريث وعدم الاستعجال[٣].

---

[١] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٥٠٤– ٥٠٥.

[٢] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٣٠٢– ٣٠٣.

[٣] المصدر نفسه جـ٥ ص٣٠٣.

والذي يظهر لنا من عبارات المؤرخين كالطبري وابن الأثير أن زياداً لم يكن موافقاً على بيعة يزيد، فالطبري عندما تحدث عن أمر البيعة قال: "لما مات زياد دعا معاوية بكتاب فقرأه على الناس باستخلاف يزيد[1]؛ أما ابن الأثير فإن عبارته تبدو أكثر وضوحاً، حيث قال: "ولما مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد"[2].

كما أننا لم نر زياداً قام بإرسال وفود إلى معاوية كما فعل المغيرة، ونلاحظ أيضاً أن بعض العراقيين لم يكن راضياً عن هذه البيعة، فبعدما تمت البيعة، وقدمت الوفود العراقية على معاوية وتكلمت بالتأييد، لم يتكلم الأحنف بن قيس، فقال له معاوية: ما تقول يا أبا بحر؟ قال: "نخافكم إن صدقنا، ونخاف الله إن كذبنا". وقد عقب ابن الأثير على عبارته بقوله: فخرج الناس وهم يحكون قول الأحنف، فكان معاوية يعطي المقارب ويداري المباعد حتى استوثق له أكثر العراقيين وبايعوه[3].

ولعل من أسباب عدم رضا زياد عن البيعة ليزيد أنه كانت له مطامع في الخلافة، فمات قبل أن تتحقق؛ لذا نرى أن ابنه عبيد الله عندما بلغه موت يزيد وكان بالبصرة صعد المنبر وسبه وأخذ يذكّر الناس بولادته فيهم ونشأته بين ظهرانيهم وإغداقه الأموال عليهم، ويذكّرهم بقوتهم وكثرة عددهم، وطلب منهم أن يرشحوا للخلافة رجلاً منهم، فقام خطباؤهم وقالوا: قد سمعنا مقالتك، ولا نرى أحداً أحق بها منك، فهلم نبايعك؛ فأخذ يتمنع عليهم ويكرر عبارته حتى إذا جاء في الثالثة بسط يده فبايعوه[4].

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٣٠٣.

(2) ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٥٠٦.

(3) المصدر نفسه جـ٣ ص٥٠٨.

(4) المسعودي، مروج الذهب جـ٣ ص٩٣.

وعلى أية حال، فعندما استوثق معاوية من أكثر العراقيين أرسل رسله إلى أهل الحجاز يدعوهم لبيعة يزيد، فبايعوه ولم يخالف عليه إلا أربعة نفر وهم: الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر.

لم تكن هذه هي المحاولة الوحيدة التي يسعى فيها الولاة الهوازنيون إلى إبقاء الحكم في بني أمية، فعندما ثار أهل الكوفة بعبيد الله بن زياد ونكثوا بيعته وهرب إلى الشام كما سيأتي فيما بعد، وجد مروان على وشك المسير إلى ابن الزبير لمبايعته بالخلافة، فقال له: أنت كبير قريش وسيدها وتسير إلى ابن الزبير لتبايعه بالخلافة؟[1].

والواقع أن مروان قد تقدم به العمر وقد رأى قوة نفوذ ابن الزبير، حيث استطاع إخراجهم من المدينة واستطاع الاستيلاء على أغلب البلاد، حيث انحصر نفوذ الأمويين في نطاق ضيق من بلاد الشام، وقد بلغت به الجرأة أن يرسل دعاته إلى عقر دارهم في دمشق، كما أن قيامه بالدعوة لنفسه قد يضعه في مواجهة مباشرة مع الكلبيين الذين يريدون إبقاء الخلافة في خالد بن يزيد، الذين هم أخوال أبيه، حتى يسهل لهم التحكم في تسيير أمور الخلافة[2]. لذا فإنه عندما رأى إطباق الناس على مبايعة ابن الزبير رأى أن يسير إليه ويبايعه لعله يحظى بإحدى الولايات المهمة، فلما جاءه عبيد الله وشجعه على الدعوة لنفسه جعله يعيد التفكير في قراره، ولا سيما أن كلام عبيد الله قد فتح له باب العزف على عامل

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص١٤٥.

[2] المصدر نفسه جـ٤ ص١٤٧.

السن ليكون حجة له على مقارعة الكلبيين؛ لأن الناس لن ترضى بترك عبد الله بن الزبير، أحد كبار أبناء الصحابة، وتبايع صبياً مثل خالد بن يزيد.

أما ما يراه بعض المؤرخين بأن رغبة مروان بن الحكم في مبايعة ابن الزبير هو ما رآه من كثرة الشقاق والخلاف، ومن كثرة القتلى من الصحابة في موقعة الحرة، فلا نراه صحيحاً، لأن مروان لا يكترث بما عمل، وهو الذي يتحمل الإثم الأكبر في نقمة الناس على عثمان، وخلق الفتنة التي أدت إلى مقتله، ولأن هناك من المؤرخين من يرى أنه هو الذي قتل طلحة بن عبيد الله وهو معه في جيشه[1].

وهكذا نرى كيف استطاع الولاة الهوازنيون إبقاء الخلافة للمرة الثانية في أيدي الأمويين، فلو أن مروان سار إلى ابن الزبير وبايعه لما التفت الناس إلى خالد ابن يزيد الذي تلوثت أيدي أبيه بدم الحسين، ومات أخوه معاوية و لم يعهد له. لذا فإن مروان عندما سمع كلام ابن زياد المتقدم قال ما فات شيء بعد، واستطاع استقطاب أقاربه من بني أمية فبايعوه[2]. وقد كان لهذه المشورة ضررها البالغ على الأمة الإسلامية فيما بعد، ولاسيما بعد استحداث العهد لاثنين من الأبناء.

خروج الحسين ومقتله:

سبق أن ذكرنا رفض الحسين وعبد الله بن الزبير البيعة ليزيد، فلما مات معاوية خرجا إلى مكة فأتت الحسين رسل الشيعة من الكوفة يسألونه القدوم عليهم، فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل ومعه كتاب يدعو فيه الناس لبيعته ويتوثق منهم في نصرته، فسار عقيل حتى نزل على المختار بن أبي عبيد الثقفي، فكان الشيعة يأتون إليه، فإذا قرأ عليهم كتاب الحسين أخذوا يبكون ويعدونه

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٢٤٤.

[2] المصدر نفسه جـ٤ ص١٣٠.

بالنصرة، وكان والي الكوفة آنذاك النعمان بن بشير، فلما علم بأمرهم صعد المنبر وخطبهم وقال: لا تسارعوا إلى الفتنة فإن فيها هلاك الرجال وسفك الدماء، وإني لن أقاتل من لم يقاتلني، ولكن إن نكثتم بيعتكم وخالفتم إمامكم لأضربنكم بسيفي هذا ما ثبت في يدي[1].

لم يعجب هذا الموقف من النعمان عبد الله بن مسلم الحضرمي، أحد أنصار بني أمية، فأرسل إلى يزيد يخبره بضعف موقف النعمان من دعاة الشيعة، فأرسل يزيد إلى والي البصرة عبيد الله بن زياد يخبره بأنه قد جمع له الكوفة مع البصرة، ويأمره بالمسير إليها، فسار إليها عبيد الله في وجوه أهل البصرة، ودخلها وهو متلثم، فكان لا يمر بأحد ويسلم عليه إلا قال: وعليك السلام يا ابن ابنة رسول الله، فساءه ما رأى منهم[2]. ثم مضى حتى أتى مترل النعمان بن بشير، فلما سمع النعمان الجلبة أغلق عليه بابه وأرسل إليه: أنشدك الله أن تتنحى عني، فما أنا بمسلم أمانتي إليك، وما لي في قتالك حاجة، فأتاه من أخبره أنه عبيد الله بن زياد وليس الحسين، ففتح له باب القصر فدخل وتفرق الناس الذين كانوا يسيرون خلفه من الشيعة[3].

ولما جاء من الغد استدعى عبيد الله وجوه أهل الكوفة وأشرافهم، ثم خطبهم وخوفهم مغبة العصيان، ثم طلب منهم أن يوافوه بأسماء الغرباء فيهم والحرورية وأهل الريب ومن يرى الخلاف من قومهم، فإن لم يأتوه بهم فليضمنوهم، وأن من وجد مسلم بن عقيل فعليه أن يسلمه إليه، ومن وُجِد في بيته صُلِبَ على باب داره، فلما سمع المختار بذلك خرج بمسلم وذهب به إلى دار

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٣٥٧.

[2] المصدر نفسه جـ٥ ص٣٤٨.

[3] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٢٤.

هانئ بن عروة المرادي[1]، ولما خرج هانئ ورآهما كره مجيئهما، فقال له مسلم: أريدك أن تجيرني، فقال: لقد كلفتني شططاً، ولكن لا أستطيع أن أمتنع عنك وقد أتيت إلى داري، فأقام مسلم عنده وأخذت الشيعة تأتي إليه وتبذل له البيعة[2].

ولما عميت أخبار مسلم على عبيد الله استدعى مولاه معقل وأعطاه ثلاثة آلاف درهم وأمره أن يُظهر أنه من أهل الشام، وأنه يريد مسلم لكي يبايعه ويعطيه هذا المال ليتقوى به، فأخذ المولى يسأل عن مسلم حتى عرف خبره وأنه في دار هانئ فأتاه وأعطاه المال وأخذ يتردد عليه ويأخذ أخبار الشيعة ويوصلها إلى عبيدالله، فلما عرف عبيد الله جميع أخبار مسلم وأنه قد بايعه ثمانية عشر ألفاً من أهل الكوفة، وقد أرسل إلى الحسين يطلب منه القدوم عليه أرسل إلى هانئ من يحضره[3].

كان هانئ مقرباً من عبيد الله، فلما أحضره وسأله عن مسلم أنكر ذلك، فأخرج عليه عبيد الله مولاه الذي أعطاه المال فسُقط في يده فاعترف ولكنه كان يرى أنه في موقع القوة من كثرة ما يرى من الناس الذين بايعوا مسلماً، فقال لعبيد الله: لن أضيع يدك عندي، فأنت آمنٌ فسر بأهلك حيث شئت[4].

لقد أذهل جواب هانئ عبيد الله، ولا سيما أن لديه علماً بكثرة الأشخاص الذين بايعوا مسلماً، فأطرق، وهنا تبرز شجاعة القائد المحنك وقدرته على سرعة اتخاذ القرار، فإما أن يعترف بالهزيمة ويستغل فرصة الأمان التي عرضها عليه هانئ،

---

[1] كان من أعيان الكوفة وزعمائها فلما قتل رثاه الفرزدق بقوله:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري   إلى هانئ في السوق وابن عقيل

إلى بطل هشم السيف وجهه   وآخر يهوي من طمار قتيل   (ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٣٦).

[2] المصدر نفسه جـ٤ ص٢٤– ٢٥.

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص ٣٦٢– ٣٦٥.

[4] المصدر نفسه جـ٥ ص٣٦١.

أو أن يؤدب هانئ على جرأته بأن يقول له مثل هذا الكلام وهو ما زال في سلطانه، وسرعان ما رفع عبيد الله رأسه وتناول قضيباً كان بجانبه وأخذ يضرب به هانئاً على وجهه حتى كسر أنفه ومزق وجهه، ثم أمر بإلقائه في السجن[١].

ولما وصل خبر سجن هانئ إلى مسلم نادى في أصحابه وعقد لهم الألوية، فعقد لعبد الله بن عزيز الكندي على كندة، ومسلم بن عوسجة الأسدي على مذحج وأسد، ولأبي ثمامة الصائدي على تميم وهمدان، ولعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة[٢]؛ وأقبل نحو قصر عبيد الله فامتلأ المسجد والسوق بالناس، فلما علم عبيد الله بذلك أغلق باب الإمارة وتحصن بقصره، فأحاط مسلم بالقصر، وبدأ الناس يتوافدون إليه حتى صلاة العصر[٣].

لقد اشتد الأمر على عبيد الله، حيث لم يكن معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشراف الكوفة وأهله ومواليه، ولكن هدوءه ورباطة جأشه مكّناه من الصمود والتصرف بحنكة، حيث أمر الأشراف الذين كانوا معه أن يخرجوا من الباب الخلفي للقصر ويُخذِّلوا قومهم عن نصرة مسلم، ويخوفوهم أمر العصيان، فخرج كثير بن شهاب الحارثي إلى قومه من مذحج، ومحمد بن الأشعث[٤] إلى قومه من كندة ونصب راية أمان لمن جاءه من قومه، وكذلك فعل القعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي وأبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن، فلما سمع الناس مقولة أشرافهم تفرقوا عن مسلم، فلم يصلِّ المغرب معه إلا حوالي

---

(١) ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٢٩.

(٢) كانت الكوفة مقسمة إلى سبعة أقسام، فلما جاء زياد قسمها إلى أربعة (الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٤٨).

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق جـ٤ ص٣٠.

(٤) هو ابن الأشعث بن قيس الذي سبق أن ذكرنا وفادته على النبي ﷺ كان من أعيان الكوفة، فولاه مصعب بن الزبير على الموصل. وعندما استولى المختار على الكوفة بايعه ثم هرب منه إلى ابن الزبير وقتل في المعركة التي نشبت بين ابن الزبير والمختار وابنه عبد الرحمن هو الذي خرج على الحجاج (المصدر نفسه جـ٤ ص٣١، ١٤٤، ٢٢٧).

ثلاثين رجلاً، فلما توجه إلى باب كندة ليخرج بهم ووصل الباب لم يجد معه أحداً، فمضى يهيم على وجهه في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب حتى أتى امرأة منهم من بني كندة يقال لها طوعة -كانت للأشعث فأعتقها فتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً- فسقته ولما رأته لم يذهب سألته عن حاله فكشف لها عن نفسه وطلب أن يختبئ عندها فأشفقت عليه وأذنت له بذلك وخبأته في دارٍ بجانب دارها[1].

أما ابن زياد فإنه لما صلى المغرب وفقد أصوات الناس أمر بعض أصحابه أن يشرفوا من أعلى القصر ويكشفوا له جلية الأمر، فعادوا وأخبروه أنهم لم يروا أحداً، فأمر مناديه أن ينادي برئت الذمة من شخص لا يشهد صلاة العشاء معنا، فلما صلى بهم خطبهم وقال: من أتاني بمسلم بن عقيل فله ديته، ومن وُجد في داره صلبناه على بابه، ثم أمر الحسين التميمي، صاحب شرطته، أن يقفل مداخل السكك وأن يقوم بتفتيش الدور، فنهض في قومه بني تميم وفعل ما أمره به، ولما انصرف ابن تلك المرأة مع الناس ورجع إلى أمه شك في كثرة تحركاتها ودخولها إلى ذلك البيت، فسألها فلم تخبره، ولما ألح عليها أخبرته، فلما جاء الصباح ذهب إلى ابن زياد وأخبره، فأرسل ابن زياد بعض أصحابه فأحضروه، فلما أتاه حاوره قليلاً ثم أمر بعض أصحابه أن يصعد به القصر ويضرب عنقه، ثم يرمى به على الناس من أعلى القصر[2].

أما الحسين، فعندما جاءه كتاب مسلم ببيعة الناس له أسرع بالمسير إلى الكوفة، فلما وصل الثعلبية[3] أتاه خبر مقتل مسلم، فأشار عليه بعض أصحابه

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٣٠- ٣١.

[2] المصدر نفسه جـ٤ ص٣٢.

[3] الثعلبية: من منازل الحاج من الكوفة إلى مكة، وهي على بعد ثلث الطريق (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص٧٨).

بالرجوع فأبى ذلك، ووافقه بنو عقيل وقالوا نمضي في طريقنا إما أن نأخذ بثأر أخينا أو نموت معه، فواصل سيره رغم تفرق الناس عنه حيث لم يبق معه إلا أهل بيته ونفر قليل في اثنين وسبعين رجلاً، فأرسل لهم عبيد الله جيشاً بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص فقتلهم جميعاً ما عدا زين العابدين علي بن الحسين بن علي لصغره، وأكثر من حضر هذه المعركة من هوازن الضباب من بني كلاب، وكان رئيسهم شمر بن ذي الجوشن من أكبر المحرضين على قتل الحسين ولكنه لم يباشر ذلك حسب ما هو شائع في بعض المراجع، بل إن الذي تولى قتله سنان بن أنس النخعي[١]. ويقال إن الهوازنيين هم أكثر القبائل إحضاراً للرؤوس، حيث أحضروا اثنين وعشرين رأساً من أصحاب الحسين، يليهم بنو تميم بسبعة عشر رأساً[٢].

ويبدو أن عبيد الله بن زياد كان غير راضٍ عن قتل الحسين، يظهر ذلك من قوله عندما سأله أحد أصحابه وقت خروجه من الكوفة: هل أنت نادم على قتل الحسين؟ قال: لا، فإن يزيداً قد خيرني بين قتلي وقتله، فاخترت قتله؛ وقد برهن على صحة قوله هذا بفعله، فعندما أرسل إليه يزيد يأمره بالتوجه لأهل المدينة لمحاربتهم ومن ثم المسير إلى مكة لمحاصرة ابن الزبير قال لمن عنده: والله لا جمعتهما لفاسق، قتل ابن ابنة رسول الله وغزو الكعبة، وأرسل إليه يعتذر عن ذلك[٣]. وهناك من يقول: إن يزيد بن معاوية لم يكن راضياً عن قتل الحسين، وإنه أنكر ذلك ووبخ عبيدالله بن زياد[٤].ومهما يكن الأمر فالخليفة يزيد هو المسؤول الأول عن مقتل الحسين.

---

[١] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٣٩٧، ٤٥٣.

[٢] الدينوري، الأخبار الطوال. تصحيح فلاديمير جرجاس. مطابع بريل. ليدن ١٨٨٨م. ص٢٧٠.

[٣] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص١١٢، ١٤٠.

[٤] الأندلسي، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان. حققه محمد يوسف زايد. دار الثقافة. بيروت ١٩٦٤م. ص٢٣٩.

ثورة أهل الكوفة على عبيدالله بن زياد وهروبه إلى الشام:

وبعد مقتل الحسين في العاشر من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة/٦٨٠م اضطربت الأمور على يزيد، فكره الناس ولايته، فثار عليه نجدة بن عامر الحنفي في أهل اليمامة والبحرين، وخلعه أهل المدينة وولوا عليهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وأخذ ابن الزبير في مكة يدعو الناس إلى بيعته سراً، أما العراق فقد بقيت أمورها مستقرة بفضل جهود واليها عبيد الله بن زياد؛ فلما توفي يزيد سنة أربع وستين من الهجرة /٦٨٣م أظهر ابن زياد طمعه في العراق، فدعا أهل البصرة إلى مبايعته فبايعوه، كما سبق أن ذكرنا، ولكنهم ما لبثوا أن خرجوا من عنده وأخذوا يمسحون أيديهم بالحيطان ويقولون: أيظن ابن مرجانة أنّا ننقاد له في الجماعة والفرقة؟ ولما رأى ابن زياد مبايعتهم له ولم يعلم بما فعلوه بعدما خرجوا؛ أرسل إلى أهل الكوفة يدعوهم إلى مبايعته، وعندما قام رسوله وصعد المنبر ليخطبهم حصبوه وطردوه، ولما وصل إلى أهل البصرة ما عمله أهل الكوفة برسوله قالوا: أيخلعه أهل الكوفة ونبايعه نحن؟ فضعف سلطانه عندهم، فكان يأمر بالأمر ولا يُنفذ، ويأمر بحبس المخطئ فيقوم دونه من يحميه[1].

وفي هذه الأثناء قام رجل من أهل البصرة يقال له سلمة بن ذؤيب التميمي، فوقف في السوق ورفع لواءً ودعاهم لمبايعة ابن الزبير، فأقبل الناس إليه يبايعونه، فلما علم ابن زياد بذلك جمعهم وخطبهم فقال: تبايعوني ثم تخرجون من عندي وتمسحون أيديكم بالحيطان وتقولون "أيظن ابن مرجانة أننا ننقاد له بالفرقة" وها أنتم تبايعون سلمة لابن الزبير، فقال الأحنف بن قيس: نحن نأتيك بسلمة، فذهبوا ليأتون به فإذا هو قد كثر جمعه فلم يقدروا عليه، فلما رأى ابن زياد أن

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص١٣٢. انظر أيضاً: البلاذري، أنساب الأشراف جـ٤ ص٣٩٦.

أمور العراقيين قد ساءت وليس هناك خليفة يمده استنجد بالحارث بن زيد الأسدي لكي يساعده على الهرب، فواعده ليلاً وخرج به من البصرة ثم واصل مسيره إلى الشام[1].

قتال عبيدالله بن زياد للزبيريين والتوابين:

لما وصل عبيد الله إلى الشام وأشار على مروان بالدعوة إلى نفسه وتمت مبايعته كما سبق أن ذكرنا، كان الضحاك بن قيس الفهري بدمشق والنعمان بن بشير بحمص وزفر بن الحارث الكلابي بقنسرين، وجميعهم يدعون لابن الزبير، فحاول الأمويون استمالة الضحاك فأبى عليهم، وعند ذلك قرر مروان المسير إليه، فخرج الضحاك إلى مرج راهط، ودمشق ما زالت بيده، وأرسل إلى النعمان بن بشير وإلى زفر بن الحارث يستمدهما فأمداه، وكانت غالبية جيش الضحاك من القيسيين بما فيهم هوازن، فالتقوا بمرج راهط واستمرت المنازلات بينهم عشرين يوماً انتهت بمقتل الضحاك وقُتل القيسيون مقتلة عظيمة؛ يقول بعض المؤرخين إنهم لم يقتلوا مثلها قط[2].

ولما انتهت معركة مرج راهط بهزيمة القيسيين فرَّ زفر بن الحارث من قنسرين واستولى على قرقيسيا من عياض الحَرشي الموالي للأمويين واجتمعت عليه قيس، فعند ذلك جهَّز مروان جيشين أحدهما مع حبيش بن دلجة وأمره بالتوجه إلى المدينة، والآخر مع عبيد الله بن زياد وأمره بالقضاء أولاً على تمرد القيسيين الذين يمثلون نفوذ ابن الزبير في إقليم الجزيرة، فإذا انتهى منهم سار إلى العراق وانتزعه من أيدي ابن الزبير، وجعل له الولاية على ما يفتحه من البلاد، فأخذ ابن

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٥٠٧– ٥٠٨.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص١٤٩– ١٥٠. انظر أيضاً: الطبري، المصدر السابق جـ٥ ص٥٣٦– ٥٣٧.

زياد يقاتل زفر بن الحارث ومن اجتمع عليه من القيسيين سنة كاملة و لم يظفر منهم بطائل. وفي هذه الأثناء خرج التوابون من الكوفة يريدون الأخذ بثأر الحسين من ابن زياد، فتوجه إليهم ابن زياد، وعندما تمكن من هزيمتهم قرر الرجوع إلى زفر ومواصلة قتاله[1]. غير أن عمير بن الحباب السلمي الذي كان قد بايع مروان بعد معركة مرج راهط وفي نفسه من الغيظ ما فيها من مقتلة القيسيين، فسيَّره مروان مع ابن زياد، وبعدما انتصر ابن زياد على التوابين وأراد الرجوع إلى قرقيسيا لقتال زفر ثبطه عمير عن ذلك، وأشار عليه بالتوجه إلى العراق للقضاء على فتنة المختار قبل أن يتقوى أمره فوافقه ابن زياد على رأيه وتوجه إلى العراق وكان من أمره مع المختار ما سنتطرق له لاحقاً[2].

فتنة المختار وتتبع قتلة الحسين:

يعتبر المختار بن أبي عبيد الثقفي من الثوار المغامرين، وكان يرى في نفسه أنه لا يقل مقدرة عن مروان بن الحكم أو ابن الزبير[3]؛ وقد سبق أن ذكرنا نزول مسلم بن عقيل عليه عندما جاء إلى الكوفة، ولما علم بقدوم عبيد الله بن زياد أمر مسلماً بالتحول إلى دار هانئ بن عروة المرادي وهرب إلى قريته لقفا، وعندما بلغه ظهور مسلم أقبل في مواليه يريد نصرة مسلم، فلما انتهى عند باب الفيل بعد المغرب وجد الناس قد تفرقوا عن مسلم فاحتار في أمره، فأرسل إليه عمرو بن حريث[4] وأمَّنه، ولما كان من الغد بلغ عبيد الله خبر حضوره فاستدعاه وقال: أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل؟ فأنكر ذلك وقال: إنما أتيت ودخلت

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٢٢٨، ٣٠٩.

[2] المصدر نفسه جـ٤ ص٣٠٩.

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص١٠٧.

[4] كان من أعيان الكوفة وريئس ربع أهل المدينة وغالباً ما تسند ولاية الكوفة إليه (ابن الأثير، المصدر السابق جـ٣ ص٤٨٣).

تحت راية عمرو بن حريث، فشهد له عمرو فضربه عبيد الله على وجهه وأصاب عينه وقال: لولا شهادة عمرو لقتلتك، ثم ألقى به في السجن فمكث فيه حتى قُتل الحسين، ثم إنه أرسل إلى عبد الله بن عمر يسأله أن يشفع فيه؛ لأن ابن عمر زوج أخته، فأرسل ابن عمر إلى يزيد يتشفع فيه فشفعه، وأرسل إلى عبيد الله يأمره بإطلاقه؛ فأطلقه واشترط عليه أن لا يقيم بالعراق أكثر من ثلاثة أيام فخرج إلى الحجاز، وقد علم أن ابن الزبير يطلب بيعة الناس سراً، فلما أتاه كتم ابن الزبير أمره عنه فتركه وذهب إلى الطائف[1].

مكث المختار في الطائف سنة كاملة ثم أتى إلى مكة يريد العمرة، فطاف وصلى وجلس ولم يأت ابن الزبير، فدس له ابن الزبير عباس بن سهل ليسأله عن عدم بيعته لابن الزبير وقد بايعه الناس، فقال: أتيته العام الماضي فكتم عني أمره، ولما رأيته قد استغنى عني أحببت أن أشعره بأني مستغنٍ عنه، فقال له عباس: ألقه معي هذه الليلة، وعندما أتى المختار ابن الزبير طلب مبايعته فقال المختار: أبايعك على أن أكون أول داخل عليك، وألا تقضي الأمور من دوني، وإن ظهرت توليني أفضل أعمالك، فبايعه ابن الزبير على ذلك، فأقام عنده وشهد معه قتال الحصين ابن نمير[2] وأبلى بلاءً حسناً، وكان أشد الناس على أهل الشام، ولما توفي يزيد وبايع أهل العراق ابن الزبير أقام عنده خمسة أشهر ينتظر ولايته عليها، فلما رآه لا يستعمله عزم على مفارقته وأخذ يسأل عن أخبار الكوفة، فأخبره بعضهم أن فيها من يرى الخلاف على ابن الزبير، ولكن ليس عندهم من يجمعهم قال: أنا والله أجمعهم، وأسرع بالمسير إليها[3].

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٥٦٩– ٥٧٤.

[2] الحصين بن نمير هو القائد الأموي الذي أرسله يزيد بن معاوية لقتال ابن الزبير (المسعودي، مروج الذهب جـ٣ ص٨١).

[3] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص١٧٠– ١٧١.

كان المختار يدرك أن أهل الكوفة لن ينقادوا له ما لم يجد حيلة يتذرع بها للثورة، وكان يرى أن أقرب الناس إلى قلوب أهل الكوفة من يتشيع لأهل البيت، غير أنه يعلم أن الشيعة لا تكن له أي محبة منذ أن أشار على عمه سعد بن مسعود، والي المدائن، بالقبض على الحسن وتسليمه إلى معاوية، كما أن هناك منافساً آخر هو سليمان بن الصرد الخزاعي، وقد قام في الشيعة يستحثهم على الأخذ بثأر الحسين وقد بايعه منهم ستة عشر ألفاً، ولما دخل الكوفة انعزل في ناحية منها وأخذ يبكي على الحسين، ويزعم أن محمد بن الحنفية أرسله ليأخذ له البيعة ويطلب بثأر الحسين فاستمال طائفة منهم فأحبوه وقاموا يدعون الناس إلى مبايعته[1].

بدأت الشيعة تتوافد على المختار، وكان يأمر أصحابه بتثبيط الناس عن سليمان بحجة أن ليس لديه بصيرة بالحرب، وأنه هو المفوض من قبل ابن الحنفية للأخذ بثأر الحسين، فاستمال أكثرهم، أما أعيانهم فإنهم مع سليمان لا يعدلون به أحداً وهو أثقل عباد الله على المختار[2].

ولما أراد سليمان الخروج إلى الجزيرة لقتال ابن زياد لم يخرج معه إلا أربعة آلاف، فسأل عن البقية فقيل له: إن المختار يثبط الناس عنك فأقام بالنخيلة ثلاثة أيام ينتظر من تخلف منهم، فلم يلحق به إلا قرابة الألف، فقال له المسيب بن نجبة[3]: لا تنتظر أحداً، فإنه لا ينفعك قتال المكره، فخرجوا إلى قبر الحسين وأخذوا يبكون عنده يوماً وليلة ويترحمون عليه وتابوا عنده، ولذلك سموا

---

(1) ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص١٧٣، ١٧٥.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٥٨٠.

(3) هو المسيب بن نجبة الفزاري من أعيان الشيعة الذين كاتبوا الحسين بالقدوم عليهم (ابن الأثير، المصدر السابق جـ ٤ ص٢٠).

بالتوابين، ثم توجهوا لقتال ابن زياد بالجزيرة؛ لأنهم يرون أنه هو الـــذي أجـــبر الحسين بالنزول على حكمه، ولما وصلوا إلى عين الوردة أرسل إليهم ابن زيـــاد جيشاً ضخماً فحلت بهم الهزيمة كما سبق أن ذكرنا، وقتل أكثرهم وعلى رأسهم سليمان والمسيب بن نجبة[1].

وكان سليمان بن الصرد عندما أراد الخروج لقتال ابـــن زيـــاد أراد والي الكوفة عبدالله بن يزيد الخطمي أن يمنعه، فقال له أشراف الكوفة: إن المختار أشد خطراً عليك من ابن الصرد، فابن الصرد ذهب ليقاتل عدونا، أما المختـــار فإنـــه يريد الاستيلاء على مدينتنا فاحبسه حتى يستقيم أمر الناس، فأرسل إليه من أتى به ثم ألقى به في السجن[2].

ولما رجع المنهزمون من التوابين وجدوا المختار في السجن، فأرسل إلـــيهم يثني عليهم ويعدهم بالنصر، وكان قد أرسل إلى ابن عمر للمرة الثانية ليتشفع له عند عبد الله بن يزيد، فأرسل ابن عمر إلى عبد الله بن يزيد يتشفع له فأطلقـــه، ويبدو أن هذا التصرف من ابن يزيد لم يعجب ابن الزبير، فقام بعزلـــه وجعـــل الولاية لعبد الله بن مطيع[3].

وعندما قدم ابن مطيع الكوفة أراد أن يستدرج المختار لكـــي يعيـــده إلى السجن، فأرسل إليه اثنين من أعوانه ولكنه تظاهر بالمرض، وعندما رأى أن ابـــن مطيع يريد إعادته للسجن استدعى أنصاره وعقد لهم الألوية وسار بهم إلى قصـــر الإمارة، ولما رأى ابن مطيع أن ليس له القدرة على مقاومته هـــرب إلى البصـــرة فدخل المختار القصر فضبط أمور الكوفة وعقد الرايات، فولى عبد الله بن الحارث

---

(1) ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص١٧٥– ١٨٦.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٥٨٠– ٥٨١.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق جـ٤ ص٢١١– ٢١٢.

أخا الأشتر على أرمينية، ومحمد بن عمير بن عطارد على أذربيجان، وعبد الرحمن ابن سعيد بن قيس على الموصل، وإسحاق بن مسعود الثقفي على المدائن وأرض جوخى، وقدامة بن أبي عيسى النصري على بهقباذ الأعلى[1]، ومحمد بن كعب على بهقباذ الأوسط، وسعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان، وجعل شريحاً على قضائه، ولكنه اعتذر بالمرض فعيَّن عبد الله بن عتبة بن مسعود، ثم عزله وعيَّن عبدالله بن مالك الطائي[2].

توجه عبيدالله بن زياد إلى قتال المختار ومقتله:

توجه عبيد الله بن زياد إلى العراق للقضاء على فتنة المختار حسب مشورة عمير بن الحباب كما سبق أن ذكرنا والذي يقال إنه كان على اتفاق مع المختار لكي ينهزم بمن معه من القيسيين عند بداية المعركة، فأرسل فرقة من جيشه إلى الموصل فتنحى عنها عبد الرحمن بن سعيد أميرها من قبل المختار، وأرسل إليه يستنجده، فبعث إليه المختار يزيد بن أنس الأسدي في ثلاثة آلاف فارس وأمره أن يسرع في مناجزة جيش بن زياد قبل أن تصله الإمدادات، فسار يزيد حتى نزل بباتلي من أرض الموصل، والتقى بجيش ابن زياد في يوم عرفة سنة ست وستين من الهجرة /٦٨٥م وهم ثلاثة آلاف وعليهم ربيعة بن مخارق فتمكن من هزيمتهم وقتل ربيعة[3].

ولما وصل خبر الهزيمة إلى ابن زياد قال: والله لأبعثن إلى كل ألف منهم بألفين، فبعث إليهم من فوره عبد الله بن جملة ومعه ثلاثة آلاف، فرد المنهزمين، ثم

---

[1] بهقباذ: منسوبة إلى قباذ بن فيروز، والد أنوشروان، وهي ثلاث كور من نواحي بغداد يقال لها بهقباذ الأعلى والأوسط والأسفل (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص٥١٦).

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٢١١– ٢٢٨.

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٤٠– ٤١.

التقوا في يوم عيد الأضحى فحلت الهزيمة بأهل الشام أيضاً، وقتل قائدهم عبد الله بن جملة، فاستولى أهل الكوفة على معسكرهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا منهم ثلاثمائة، فأمر يزيد بن أنس بقتلهم[١].

كان يزيد بن أنس مريضاً فتوفي في آخر النهار، وتولى ورقاء بن عازب الأسدي القيادة من بعده، فصلى عليه ثم قال لأصحابه: إنه قد بلغني أن ابن زياد قد أقبل علينا ومعه جيش عظيم لا طاقة لنا به، ورجوعنا بسبب موت أميرنا خير لنا من رجوعنا بعد هزيمتنا، حيث لا تنفعنا انتصاراتنا السابقة، فوافقوه على رأيه وتراجعوا[٢].

ولما بلغ أهل الكوفة خبر تراجع الجيش قالوا: إن قائدهم قُتل و لم يصدقوا بموته، فأرسل المختار مالك بن الأشتر في سبعة آلاف وقال: إذا لقيت الجيش فردهم معك وأنت الأمير عليهم[٣].

كان أهل الكوفة الذين شاركوا في قتل الحسين يتوجسون خيفة من المختار منذ قدومه، وكانوا قد سمعوا بعزم عبيد الله بن زياد على غزوه، فأرادوا أن يكفيهم مسألة القضاء عليه، ولما انتصر جيشه على عبيد الله ساءهم ذلك، لذا فإنهم عندما رأوا خروج ابن الأشتر الذي يعتبر الساعد الأيمن للمختار أرادوا أن يستغلوا هذه الفرصة فاجتمع أشرافهم وقالوا إن المختار قد تأمّر علينا بغير رضا منا، وقد أبعدنا وأدنى موالينا، فقال شبث بن ربعي، وهو كبيرهم: دعوني ألقاه، وأذكر له ما عتبتم عليه؛ فذهب إليه شبث وذكر له جميع الأشياء التي أنكروها عليه، وكان لا يذكر له شيئاً إلا ويقول المختار: أنا أرضيهم في هذه الخصلة ولهم

---

[١] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٢٣٠.

[٢] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٤٣.

[٣] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٤ ص٢٣١.

ما أحبوا، فلما وصل عند مشاركة الموالي في الفيء قال المختار: إن أنا منعتهم هل تقاتلون معي بني أمية وابن الزبير وتعطوني من العهود والمواثيق ما أطمئن له؟ قال شبث: حتى أخرج إلى أصحابي وأستشيرهم في ذلك[1].

ولما عاد شبث إلى أصحابه وأخبرهم بما قال المختار لم يعجبهم ذلك، وقالوا: لن تجدوا عليه فرصة مثل الآن، فثاروا عليه وملأوا السكك فأرسل إليهم المختار ماذا تريدون؟ قالوا: نريد أن تعتزلنا، فإنك قد زعمت أن ابن الحنفية أرسلك و لم يرسلك، فقال: ابعثوا إليه وسوف ترون بأنفسكم الحقيقة، وكان يريد أن يريثهم حتى يرجع إليه ابن الأشتر، فأرسل من فوره إلى ابن الأشتر وهو بساباط فعاد من يومه[2].

لقد كشفت أصداء هذين الانتصارين وتسيير هذين الجيشين حقيقة أهل الكوفة، فقد عرف المختار من خلال مشاركتهم في هذا الجيش من هم المؤيدون له من المتربصين به، فقرر أن يتخلص من هؤلاء المتربصين قبل أن يقدم على أي تحرك خارجي، ولما رجع جيش ابن الأشتر دخل الكوفة على تعبئة وقد قسمه إلى أربع فرق، فوجه المختار إلى كل ربع من أرباع الكوفة فرقة، على أن يكون التقاؤهم بجبانة السبيع، وقد حرص أن يوجه كل أناس إلى غير قومهم حتى يكونوا أصدق في قتالهم، ثم أمر مناديه أن ينادي: من دخل بيته فهو آمن إلا من شرك في دماء آل محمد ﷺ، فقُتل من قُتل وتفرق من تفرق، ثم تتبع كل من شارك في قتل الحسين وآل بيته وقتلهم و لم ينج منهم إلا من هرب، وكان على رأس هؤلاء القتلى عمر بن سعد بن أبي وقاص، قائد الجيش، وشمر بن ذي الجوشن، أكبر

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٢٣١.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٤٥– ٤٦.

المحرضين على قتل الحسين وخولي بن يزيد الأصبحي، الذي حمل رأسه إلى ابـــن زياد، وقد عُرفت هذه الوقعة بوقعة السبيع[1].

ولما فرغ المختار من قتل قتلة الحسين أرسل ابن الأشتر إلى مناجرة ابن زياد، فسار حتى نزل بإزائه على نهر الخازر[2]، وعندما اقترب الصباح صـــلى الفجـــر بغلس ثم حرَّض أصحابه على القتال وأمرهم أن يصدقوا القتال، وأن يشدوا شدة رجل واحد، فحملوا على جيش ابن زياد من كل ناحية فما هي إلا ساعة حـــتى حلت الهزيمة بابن زياد وقُتل، قتله ابن الأشتر، وقُتل الحصين بن نمـــير الســـكوني الذي حاصر الكعبة في عهد يزيد قتله شريك بن جدير التغلبي[3].

وبعد انتهاء الوقعة بعث ابن الأشتر برأس ابن زياد إلى المختار الذي كـــان بالمدائن سنداً له، ثم أقام في الموصل وفرَّق العمال على أقاليم الجزيرة التي انسحبت منها الجنود الشامية، فولى أخاه عبد الرحمن على نصيبين، فغلب علـــى ســـنجار ودارا وما والاهما من أرض الجزيرة، وحاتم بن النعمان الباهلي على حرَّان والرها وسميساط ونواحيها، وعمير بن الحباب السلمي الذي انضم إليه بعد المعركة على كفر توثا[4] وطور عبدين[5]، وأقرَّ زفر بن الحارث على قرقيسيا[6].

مقتل المختار:

وبعد أن أوقع المختار بأهل الكوفة في جبانة السبيع هرب نفـــر مـــنهم إلى البصرة، وكان واليها آنذاك مصعب بن الزبير من قبل أخيه عبد الله، وشكوا لـــه

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٢٣٧، ٢٤٠– ٢٤١.

[2] نهر الخازر: نهر بين أربل والموصل، عليه كورة يقال لها نخلا (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص٣٣٧).

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٨٦– ٩٠.

[4] كفر توثا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة، بينها وبين دارا خمسة فراسخ (ياقوت، المصدر السابق جـ٤ ص٤٦٨).

[5] طور عبدين: بليدة من أعمال نصيبين في بطن الجبل المتصل بجبل الجودي (المصدر نفسه جـ٤ ص٤٨).

[6] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٤ ص٢٦٥.

ما حلَّ بهم من المختار، ومن هؤلاء شبث بن ربعي ومحمد بن الأشعث، فاستقبلهم وأكرمهم ووعدهم بالنصر، وأرسل من فوره إلى المهلب بن أبي صفرة، عامله على بلاد فارس، فلما أتاه سار إلى الكوفة في جموع كثيرة، وأمر من عنده من أشراف الكوفة أن يعودوا إليها ويثبطوا الناس عن المختار(١).

أما المختار فإنه عندما بلغه مسير مصعب استنفر من عنده من أهل الكوفة وأكثرهم من الموالي وأمَّر عليهم أحمر بن مشيط، فسار بهم حتى نزل المذار، وتقدم مصعب حتى عسكر بالقرب منه، ولما جاء الصباح تقدم أحمر إلى عباد بن الحصين وكان على خيل مصعب وقال: إنّا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله وبيعة المختار على أن نجعل الأمر شورى فيمن يرتضيه الناس من آل الرسول ﷺ، فرجع عباد وأخبر مصعب فغضب وقال له: ارجع واحمل عليهم، فرجع عباد وحمل عليهم فنشبت المعركة وانهزم أصحاب المختار فاتبعهم أهل البصرة وأكثروا فيهم القتل، ولم ينج منهم إلا أصحاب الخيل، أما المشاة فقد أُبيد أكثرهم(٢).

ولما وصل المختار خبر الهزيمة خرج وعسكر بحروراء ليصد جيش مصعب عن دخول المدينة، ولكن جيشه لم يستطع الثبات حيث تفرق عنه أكثر أصحابه، فرجع إلى القصر وتحصن به، وعندما اشتد عليه الحصار خرج في تسعة عشر من أصحابه فقاتل حتى قتل(٣).

لقد ارتكب ابن الزبير خطأً جسيماً بقضائه على المختار الذي يعتبر شبه حليف للقيسيين، ويشاركهم في العداوة للأمويين، فكان الأجدر به أن يستغل قدرات هذا المغامر الثقفي عندما عرضها عليه، أو على الأقل أبقى عليه حتى يحسم

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٩٤– ٩٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٢٦٩.

(٣) الطبري، المصدر السابق جـ٦ ص٩٩، ١٠٧.

أموره مع الأمويين، فلو أنه فعل ذلك لضبط له المختار أمور العراق وكـــان ردءاً لأتباعه القيسيين الذين يسيطرون على أغلب إقليم الجزيـــرة، ولَمَـــا اســـتطاع عبدالملك أن يتسلل لأخيه مصعب في أقصى العراق، كما أنه بعمله هذا قد أثـــار عليه حقد أهل الكوفة بما أكثر فيهم من القتل أثناء حربه مع المختار؛ مما جعلهـــم يكاتبون عبد الملك بن مروان ويطلبون منه القدوم عليهم[1]. وكان عبدالملك قبل ذلك يرسل الجيش في أثر الجيش إلى ابن الزبير فيعودون إليه مهزومين[2].

الصراع بين عبد الملك والقيسيين:

إذا كان الولاة الثقفيون ما عدا المختار قد وقفوا إلى جانب الأمويين فـــإن الموقف العام لغالبية القيسيين وخاصة قبيلة هوازن التي تولت زعامتهم قد وقفـــت إلى جانب ابن الزبير، وازدادت عداوتهم للأمويين بعد معركة مرج راهط، وقـــد ذكرنا مبايعة عمير بن الحباب السلمي لمروان بعد هذه المعركة وفي نفســـه مـــن الغيظ ما فيها، ولما قُتل عبيد الله بن زياد وفرّ عمير إلى المختار مكث عنده مدة ثم التحق بزفر بن الحارث وانضم معه وأخذا يطلبان ثأرهما من قبيلة كلب واليمانية، وقد استعانا بقوم من تغلب يدلوهم ويقاتلون معهم، ثم إن عميراً ملَّ من المقـــام بقرقيسيا، فطلب الأمان من عبد الملك بن مروان الذي آلت إليه الأمور بعد وفاة والده فأمَّنه ثم غدر به وسجنه[3].

وعندما سجن عبد الملك عميراً كتب إلى واليه على حمص، أبَّان بن عقبـــة بن أبي معيط، بالتوجه إلى زفر، فأمر أبَّان عبد الله بن زميت الطائي أن يســـير في مقدمته إلى زفر فسار إليه واشتبك معه قبل قدوم أبّان فهزمه زفر وقتل ثلاثمائة من

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٣٢٣.

[2] أبو علي القالي، الأمالي. دار الكتب العلمية. بيروت. بدون تاريخ. جـ١ ص١٣.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٤ ص٣٠٩.

أصحابه، وعندما لحق به أبّان لامه على تسرعه واشتبك مع زفر، فتمكن من هزيمته وقتل ابنه وكيع، فرجع زفر إلى مدينته وتحصن بها[١].

لقد أعاق تمسك زفر بقرقيسيا تحركات الأمويين، فأراد عبد الملك قبل المسير إلى قتال مصعب القضاء على زفر، فتوجه بنفسه إلى قرقيسيا وحاصرها ونصب عليها المجانيق، فأرسل إليهم زفر: لا تنصبوا علينا المجانيق، نحن لسنا ممن يقاتل من وراء الحيطان وسوف نخرج إليكم؛ وقال الكلبيون لعبد الملك: إنا إذا التقينا مع زفر انهزمت المضرية الذين معك فلا تخلطهم معنا، فوافقهم عبد الملك على ذلك، وعندئذٍ كتب المضريون على نبلهم "أنه ليس فيمن يقاتلكم غداً أحد من مضر" ورموا بها إلى داخل المدينة[٢].

ولما جاء الصباح استدعى زفر ابنه الهذيل وقال له: اخرج فشد عليهم ولا ترجع حتى تضرب فسطاط عبد الملك، والله لئن رجعت دون أن تطأ أطناب فسطاطه لأقتلنك، فجمع الهذيل خيله وحمل عليهم فصبروا قليلاً ثم انكشفوا فتبعهم الهذيل بخيله حتى أوطأها أطناب الفسطاط وقطع بعضها، ثم رجع فلما رجع إلى أبيه قبّل أبوه رأسه وقال: لا يزال عبد الملك يحبك بعدها أبدا، فقال الهذيل: والله لو شئت أن أدخل الفسطاط لفعلت[٣].

ولما جاء من الغد قال لعبد الملك بعض أقاربه: لو قاتلتهم بقضاعة لملكتهم ففعل ذلك وقاتلهم حتى المساء فانكشفت قضاعة وكثر فيهم القتل، فأقبل روح ابن زنباع الجذامي إلى أحد بروج الحصن فقال: سألتكم بالله كم قتلنا منكم؟ قالوا: والله لم يُقتل منا أحد، ولم يجرح إلا رجل واحد ولا بأس عليه، ولكن

---

[١] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٣٠٩.

[٢] المصدر نفسه جـ٤ ص٣٣٨.

[٣] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

سألناك بالله كم قتلنا منكم؟ قال: عدة فرسان وجرحتم ما لا يحصى فلعن الله ابن بحدل[1].

وقد أثارت شجاعة الهوازنيين واستبسالهم إعجاب عبد الملك، يتضح ذلك من قوله عندما تمكنوا ليلاً من اختطاف أحد أصحابه الذي كان يسبّهم فألبسوه ثياب امرأة وردوه إلى معسكر عبد الملك، وقالوا: هذه جارية هدية لعبد الملك، فلما أخبره أصحابه بما فعلوا ضحك وقال: "والله إن قتلهم لذل وإن تركهم لحسرة" فقرر الإبقاء عليهم وأمر أخاه محمداً أن يعرض على زفر وابنه الهذيل ومن معهما الأمان على أنفسهم وأموالهم وأن يعطيهم ما أحبوا، فأجابهم الهذيل إلى ذلك، وقال لأبيه: لو أطعت هذا الرجل فقد أطاعه أكثر الناس، وهو خير لك من ابن الزبير، فقال زفر: لا أصالحه إلا على أن لي الخيار في بيعته سنة، وأن أنزل حيث شئت، وألا أعينه على قتال ابن الزبير، فأجابه عبد الملك إلى ذلك[2].

ويظهر أن في جند عبد الملك من لا يريد مصالحته لزفر، فكثّفوا القصف على الحصن، فتهدم منه أربعة أبراج، وبينما الرسل يترددون بينهم بالصلح إذ جاء عبد الملك رجلٌ من كلب فقال: لا تصالح، فقد تهدم أربعة أبراج، فلم يشأ عبدالملك أن يخالفهم على الرغم من رغبته في الصلح، فقال: أنتم وشأنكم، فزحفوا عليهم فهزمهم الهوازنيون، واتبعوهم حتى أدخلوهم معسكرهم، فقال عبد الملك: أعطوهم ما أرادوا، فاستقر الصلح بينهم على أمان الجميع، ووضع الدماء والأموال، وأن يُعطى زفر مالاً يقسمه بين أصحابه، وألا يبايع عبد الملك

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٣٣٨.

[2] المصدر نفسه جـ٤ ص٣٣٩.

حتى يموت ابن الزبير للبيعة التي في عنقه[1]. وقد ضرب زفر بن الحارث بشـــرطه الأخير أروع الأمثلة في الوفاء الذي كان محل تقدير الأمويين فيما بعد.

ولما تم الصلح بين عبد الملك وزفر، طلب عبد الملك مقابلته فخاف زفر أن يغدر به كما فعل بعمير بن الحباب، فلم يترل إليه حتى أرسل إليه بقضيب النـــبي ﷺ أماناً له، فترل إليه، ولما دخل عليه أجلسه معه على سريره، فقال ابن عضـــاة الأشعري: أنا كنت أحق بهذا المجلس منه، فقال زفـــر: كـــذبت، إني عاديـــت فضررت وواليت فنفعت؛ ثم أمر زفر ابنه الهذيل أن يذهب مع عبد الملك لقتـــال مصعب؛ لأنه لا عهد عليه من ابن الزبير، فسار معه وعندما قرب عبد الملك من مصعب هرب الهذيل وقاتل مع ابن الأشتر بجانب مصعب بن الزبير فلما قُتل ابن الأشتر اختفى الهذيل بالكوفة حتى أمَّنه عبد الملك فأتاه ووفى له[2].

القضاء على ابن الزبير:

وبعد انتهاء الأمر بين عبد الملك وزفر بالصلح سار إلى مصعب فالتقى بـــه بالقرب من نهر الدجيل فتمكن من هزيمته ومقتله، وبهذا استطاع تضييق الخنـــاق على أخيه عبد الله من جهة الشمال والشرق، فعند ذلك أرســـل الحجـــاج بـــن يوسف الثقفي في ألفين، وقيل ثلاثة آلاف لقتال ابن الزبير، فســـار في جمـــادى الأولى سنة اثنتين وسبعين من الهجرة /٦٩١م حتى نزل على الطائف وأخذ يرسل الغارات إلى ابن الزبير فتلتقي خيله بخيل ابن الزبير بعرفة وتعود إليه منتصرة، ولما طال الأمر على الحجاج ورأى إصرار ابن الزبير على عدم الاستسلام رغم تفرق أكثر أصحابه عنه أرسل إلى عبدالملك يستأذنه في دخول الحرم فأذن له، فتقـــدم

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٣٤٠.

[2] المصدر نفسه جـ٤ ص٣٤٠– ٣٤١.

حتى نزل على بئر ميمون ونصب المنجنيق على أبي قبـــيس وأخـــذ يرمـــي بـــه الكعبة[1].

ولما اشتد الحصار على أهل مكة ورأى الحجاج كثرة تفرق الناس عن ابـــن الزبير ومجيئهم إليه يطلبون الأمان منه وكان من ضمن هؤلاء ابناه حمزة وخبيـــب جمع الناس وخطبهم وأخبرهم بقلة المقاتلين مع ابن الـــزبير ووعـــدهم بالنصـــر، فتقدموا حتى ملأوا ما بين الحجون والأبواء، وعندما رأى ابن الزبير تقدم الحجاج وتخاذل الناس عنه ذهب إلى أمه وودعها ثم خرج إليهم شاهراً سيفه فقاتلهم حتى قتل[2].

وبمقتل ابن الزبير انتهت حالة الفوضى التي عمت البلاد الإسلامية منذ وفاة معاوية، حيث إن بعض المؤرخين كالذهبي لا يعتدّون بخلافة يزيد ولا ابنه معاوية ولا مروان بن الحكم ولا الفترة الأولى من حكم عبد الملك بـــن مـــروان حـــتى استطاع القضاء على ابن الزبير في جمادى الآخرة ســـنة ثـــلاث وســـبعين مـــن الهجرة/٦٩٢م، وقد استمر حصار الحجاج لابن الزبير أكثر من سنة.

وكان من أهم عوامل نجاح الحجاج في القضاء على ابن الزبير واحتلال هذه المكانة المرموقة لدى الأمويين هو جرأته على سفك الدماء الحرام في البلد الحرام، لذا لا نستغرب ما فعله فيما بعد مع العراقيين. وبعد مقتل ابن الزبير دخل الحجاج مكة وأخذ البيعة من أهلها ثم سار إلى المدينة وكان عبد الملك قـــد ولاه مكـــة والمدينة فأساء السيرة في أهلها، وختم على أيدي جماعة من الصحابة، رضوان الله عليهم، بالرصاص، مثلما يُفعل بأهل الذمة وذلك استخفافاً بهم ، منهم جابر بن

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٣٤٩- ٣٥٠.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص١٨٨- ١٩٠.

عبدالله وأنس بن مالك، فكتبوا إلى عبد الملك يطلبون منه إخراجه عنهم، فأرسل إليه عبد الملك يأمره بالخروج فخرج عنهم وعاد إلى مكة[١].

---

[١] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٣٥٩.

جهود الولاة والقادة الثقفيين في قمع ثورات الخوارج:

يعتبر العراق أكثر البلدان الإسلامية اضطراباً في العهد الأموي، فقد شهد الكثير من ثورات الخوارج ومن حركات بعض القواد المتمردين على السلطة كقتيبة بن مسلم ويزيد بن المهلب... وغيرهم، وكان للولاة الهوازنيين دور كبير في ضبط الأمور فيه، وخاصة الثقفيين، وقد تباينت هذه الثورات من حيث عدد الخارجين وقوة شوكتهم، فقد يكون الخارج فرداً أو يكون جماعة، وقد تطول مدة مناجزتهم أو تقصر حسب قوة الخارجين وكثرة عددهم، وقد تميز هؤلاء الخوارج بالشجاعة النادرة والاستماتة في القتال، وقد حالفتهم بعض الانتصارات على جيوش الولاة رغم قلتهم وكثرة أعداد الجيوش الموجهة لهم، وكان من أبرز هؤلاء الولاة الذين ساهموا في قمع هذه الثورات المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه وابنه عبيد الله والحجاج بن يوسف.

ولاية المغيرة بن شعبة:

يعتبر المغيرة من الولاة المخضرمين الذين مارسوا الولايات في العهدين الراشدي والأموي، وقد ساعدته حنكته وتجاربه على تقليص عدد الخارجين عليه، وحتى الثورات التي حدثت في عهده لم تكن في قوة وأهمية الثورات التي قامت في عهد الولاة المتأخرين عليه. وهذه أبرز الثورات التي قامت في عهده:

ثورة الأشجعيَين شبيب بن بجرة وفروة بن نوفل:

كان شبيب بن بجرة الأشجعي ممن ساهم في مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فلما تم الصلح بين الحسن بن علي ومعاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة/٦٦١م دخل معاوية الكوفة، فأتاه شبيب كالمتقرب إليه، وقال: أنا وابن ملجم قتلنا علياً ففزع معاوية ونهض من مكانه مسرعاً ودخل مترله وبعث إلى

أشجع وقال: والله لئن رأيت شبيباً ببابي لأهلكنكم، أخرجوه من بلدكم، وكان شبيب إذا جنَّ عليه الليل خرج فلا يلاقي أحداً إلا قتله. وعندما تولّى المغيرة خرج عليه شبيب بالقف قرب الكوفة، فبعث إليه المغيرة خيلاً عليها خالد بن عرفطة وقيل معقل بن قيس، فتمكن من هزيمتة وقتله وقتل جميع أصحابه. وبعد قتل المغيرة لشبيب خرج عليه فروة بن نوفل الأشجعي فأرسل إليه المغيرة شبث بن ربعي فلقيه بشهروز وقتله[1].

ثورة معين المحاربي:

وفي سنة إحدى وأربعين من الهجرة /٦٦١م بلغ المغيرة أن معين بن عبد الله المحاربي يريد الخروج عليه، فأرسل إليه من أحضره ثم ألقى به في السجن، وأرسل إلى معاوية يستشيره في أمره، فكتب إليه معاوية: إن شهد أني خليفة فخلِّ سبيله، فأحضره المغيرة وقال له: أتشهد أن معاوية خليفة وأنه أمير المؤمنين، قال: أشهد أن الله عز وجل حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، فأمر المغيرة قبيصة الهلالي أن يضرب عنقه، وفي أثناء ولاية بشر بن مروان جلس رجل من الخوارج على باب قبيصة ينتظر خروجه، فلما خرج قتله، ولم يتبين أن قاتل قبيصة من الخوارج حتى جاءت ثورة شبيب بن يزيد على الحجاج فخرج معه ذلك الرجل ولما دخل شبيب الكوفة قال قاتله: يا أعداء الله، أنا قاتل قبيصة[2].

ثورة أبي مريم:

وكان من ضمن الخارجين على المغيرة أبو مريم، مولى الحارث بن كعب، ومعه امرأتان، فعاب عليه أبو بلال بن أدية ذلك، فقال: قاتل النساء مع النبي ﷺ،

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٤١١– ٤١٢.

[2] المصدر نفسه جـ٣ ص٤١٢.

فبعث إليه المغيرة جابر البجلي، فالتقى معه ببادوريا[1] فقتله وقتل جميع أصحابه وكان ذلك في سنة إحدى وأربعين من الهجرة/٦٦١م[2]

ولاية زياد بن أبيه ولمحات من سياسته:

سبق أن ذكرنا عزل ابن عامر عن البصرة وإرسال زياد والياً عليها، فلما دخلها خطبهم خطبته المشهورة بالبتراء، وعندما انتهى منها قال له عبد الله بن الأهتم: لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب، قال: كذبت، ذاك نبي الله داود، فقام الأحنف بن قيس وقال: أحسنت أيها الأمير، والثناء بعد البلاء، والحمد بعد العطاء، وإنّا لن نُثني حتى نُبتلى، فقال: صدقت. فقام إليه أبو بلال مرداس بن أدية، وهو من الخوارج، فقال: أنبأنا الله بغير ما قلت، قال الله تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى {*} أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}[3] فأوعدنا خيراً مما أوعدتنا؛ فقال زياد: إننا لن نجد إلى ما نريد سبيلاً حتى نخوض في الدماء[4].

هذه الردود الثلاثة تمثل أطياف المجتمع العراقي، فمنهم المتزلفون الذين إن رأوا الشدة استقاموا، وإن رأوا لحظة ضعف استغلوها، وغالبية هؤلاء من الشيعة، ومنهم من يرى المجاهرة بعدم الرضا، وأغلبهم من الخوارج، ومنهم طائفة تمثل منهج الاعتدال كالأحنف بن قيس، وهم قليل.

وقد فرض زياد على أهل البصرة حظر التجول من بعد صلاة العشاء، فاستعمل على شرطته عبد الله بن حصن، فكان يؤخر صلاة العشاء، فإذا صلى

---

[1] بادوريا: طسوج من كورة الأستان بالجانب الغربي من بغداد، وهو اليوم محسوب من كورة نهر عيسى بن علي (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص٣١٧).

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٤١٢– ٤١٣.

[3] سورة النجم، الآيتان ٣٧،٣٨.

[4] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٢٢١؛ المبرد، الكامل جـ٢ ص١٧٧– ١٧٨.

أمر رجلاً أن يقرأ سورة البقرة أو نحوها ثم يمهلهم بقدر ما يصل أبعدهم داراً إلى سكنه، ثم يأمر صاحب شرطته أن يضرب عنق من وجده، فوجد صاحب الشرطة ذات ليلة أعرابياً فقال: أنا قدمت للتو من البادية ولا علم لي بما أمر الأمير، فتعاطف معه صاحب الشرطة وأتى به إلى زياد، فقال له زياد: أظنك والله صادقاً ولكن في قتلك صلاح للأمة، ثم أمر بضرب عنقه[1].

ولما مات المغيرة بن شعبة جمع معاوية لزياد البصرة والكوفة ولم تجمع لأحد قبله، وعندما أتاه أمر معاوية استخلف على البصرة سمرة بن جندب[2]، وسار إلى الكوفة وحينما وصلها خطبهم فحصبه أهلها وهو على المنبر، فلما فعلوا ذلك جلس وتركهم حتى أمسكوا، ثم دعا بعض حرسه من خاصته وأمرهم بالوقوف على أبواب المسجد ثم قال للكوفيين: كل رجل يخرج مع جليسه الذي بجانبه، وحدد لهم الباب الذي يخرجون منه، ثم أمر بأن يوضع له كرسي عند الباب الذي حدده، وأمر بإخراجهم أربعة أربعة، وأخذ يحلفهم أن ليس منهم من حصبه فمن حلف خلى سبيله ومن لم يحلف حبسه، حتى إذا تكامل خروجهم من المسجد أمر بقطع أيدي من رفض الحلف، وكان عددهم ثلاثين وقيل ثمانين[3].

يقول ابن الأثير: "وكان زياد أول من شدد أمر السلطان وأكّد الملك لمعاوية وجرّد سيفه وأخذ بالظنة وعاقب على الشبهة، فخافه الناس خوفاً شديداً حتى أمن بعضهم بعضاً، وحتى كان الشيء يسقط من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه ويأخذه"، وكان يقيم ستة أشهر في البصرة وستة أشهر في

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٤٥٠.

[2] هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري قال عنه الذهبي: إنه من علماء الصحابة بالبصرة، توفي سنة ٥٨هـ وقيل سنة ٥٩هـ/٦٧٨م (الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء جـ٣ ص١٨٣).

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص ٢٣٥.

الكوفة، ولم يكن سمرة بن جندب خليفته على البصرة بأقل شراسة منه، فيقال إنه قتل خلال استخلاف زياد له على البصرة ثمانية آلاف، وعندما سأله زيـــاد: الا تخشى أن تكون قد قتلت بريئاً؟ قال: لو قتلت مثلهم معهم ما خشيت[1].

وكان زياد يحاول أن يتشبه بعمر بن الخطاب ولكنه أسرف في القتل، ومع ذلك كان يغض الطرف عن بعض الأمور، يظهر ذلك من قوله "قد كانت مـــن قوم هنات جعلتها تحت قدمي ودبر أذني، فلو بلغني أن أحدكم قد أخذه السل من بغضي ما هتكت له ستراً ولا كشفت له قناعاً حتى يبدي لي عن صفحته، فـــإذا فعل لم أناظره"[2].

ومن المميزات التي يتميز بها زياد عن بقية الولاة الثقفيين أنـــه لا يقتـــل إلا المعلن، أما المُسِر فإنه يحاول استصلاحه، فقد بلغه أن رجلاً من أهل البأس والنجدة يقال له أبو الخير؛ غير أنه يرى رأي الخوارج، فاستدعاه وولاه جنـــد يســـابور، وجعل عطاءه أربعة آلاف في الشهر، فكان أبو الخير يقول: ما رأيت شيئاً خـــير من لزوم الطاعة، والتقلب بين أظهر الجماعة، فلم يزل والياً عليها حتى رأى زياد منه أشياء أنكرها، فعزله وحبسه فلم يزل في سجنه حتى مات زياد[3].

وكان زياد يبعث إلى الجماعة ويقول: قد علمت أنه ما يمنعكم عن زيارتي إلا عدم وجود المركب؟ فيقولون: أجل فيبعث إليهم بالمراكب لـــتحملهم إليـــه ويقول: اغشوني واسمروا عندي، وعندما بلغ عمله هذا عمر بن عبدالعزيز قـــال: قاتله الله جمع لهم كما تجمع الذرة، وحاطهم كما تحوط الأم البرة، وأصلح العراق

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٤٦٢.

[2] المبرد، الكامل جـ١ ص٢٢١– ٢٢٢.

[3] المصدر نفسه جـ٢ ص٢١٠– ٢١١.

بأهل العراق، وكان خراج العراق في عهده مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف[١].

وكان أول قتيل قتله زياد بالكوفة أوفى بن حصن، حيث بلغه عنه ما يكره، فأراد إحضاره فهرب، ثم صادفه بعد مدة فقال له من معه: هذا أوفى بن حصن، فاستدعاه وقال له: ما تقول في عثمان؟ قال: ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه، قال: فما تقول في معاوية؟ قال: جواد حليم، قال: فما تقول في؟ قال: بلغني أنك قلت لأهل البصرة: والله لأخذنَّ البرئ بالسقيم، والمقبل بالمدبر، قال زياد: نعم قلته، قال: لقد خبطتها خبط عشواء[٢]، قال زياد: ليس النفاخ بشر الزمرة[٣]، فأمر به فقتل[٤]. وقد وصف الغربيون حكمه بالقبضة الحديدية[٥].

ثورة سهم الهجيمي:

كان سهم بن غالب الهجيمي قد خرج على ابن عامر سنة إحدى وأربعين من الهجرة/٦٦١م في سبعين رجلاً، منهم يزيد بن مالك الباهلي، المعروف بالخطيم، لضربة كانت بوجهه، فمر بهم عبادة بن فرس الليثي ومعه ابنه وابن أخيه، فقال لهم الخوارج: من أنتم؟ قالوا: قوم مسلمون، قالوا: كذبتم، قال عبادة: سبحان الله، اقبلوا منا ما قبله مني رسول الله ﷺ، كذبته وقاتلته ثم أتيته فأسلمت فقبل مني، قالوا: إذاً أنت كافر، وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه، فخرج

---

[١] المبرد، الكامل جـ٢ ص٢١٠.

[٢] العشواء: هي الناقة التي لا تبصر في الليل، تطأ كل شيء (ابن منظور، لسان العرب. ط٣. دار صادر. بيروت جـ١٠ ص١٦٢).

[٣] أي ليس المحرض على الحرب دون المقاتل (الميداني، مجمع الأمثال جـ٢ ص١٩٤).

[٤] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٢٣٥– ٢٣٦.

[٥] Nicholson: a literary hist. of the arabs, p. 195.

إليهم ابن عامر بنفسه وقاتلهم وقتل منهم عدة رجال وانحاز بقيتهم إلى أجمة[1]، وفيهم سهم والخطيم، فعرض عليهم ابن عامر الأمان فقبلوه فأمنهم، ثم جاءه كتاب معاوية يأمره بقتلهم ولكنه رفض وقال: لقد جعلت لهم ذمتك ووفى لهم[2].

فلما تولى زياد البصرة سنة خمس وأربعين من الهجرة/٦٦٥م طلب سهماً والخطيم فهربا إلى الأهواز، فاجتمع إلى سهم مجموعة من الخوارج فهاجم بهم البصرة، وعندما وصلها تفرق عنه أصحابه، فاختفى سهم وطلب الأمان من زياد، وكان يعتقد أن زياداً سوف يؤمنه كما فعل ابن عامر، ولكن زياداً رفض ذلك وأخذ يبحث عنه حتى دلوه على مكانه فأخذه وصلبه على باب داره، أما الخطيم فإن زياداً سأله عن قتل عبادة فأنكر ذلك، فسيره إلى البحرين ثم عفا عنه وأعاده[3].

ثورة قريب الأزدي وزحاف الطائي:

وكان من ضمن الذين خرجوا على زياد قريب الأزدي وزحاف الطائي، من أهل البصرة؛ وهما أبناء خالة، فخرجا بمن معهما حتى أتوا بني ضبيعة فقتلوا منهم شيخاً كبيراً، ثم جعلوا لا يمرون بقبيلة إلا قتلوا من وجدوه، حتى مروا ببني علي بن سود من الأزد، وكان فيهم مائة يجيدون الرمي فرموهم بسهام كثيرة، فلما أكثروا فيهم القتل طلبوا منهم الكف عنهم ليخرجوا، فأمسكوا عنهم، فخرجوا وتوجهوا إلى مقبرة بني يشكر ينتظرون من يلحق بهم، فلحق بهم ثمانون

---

[1] أجمة: جمعها آجام، وآجام المدينة حصونها. (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص١٠٣).

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٤١٦– ٤١٧.

[3] المصدر نفسه جـ٣ ص٤١٨.

من أنصارهم، فخرج بنو طاحية بن سود وقبائل مزينة في أثرهم فكـر علـيهم الخوارج واستقتلوا، فقُتل الخوارج عن بكرة أبيهم[١].

ثم أقبل زياد على الناس وقال: ألا ينهى كل قوم سفهاءهم، يا معشر الأزد لولا أنكم أطفأتم هذه النار لقلت إنكم من أشعلها، فكانت القبائل بعـدها إذا أحست بخروج أحد أبنائها شدت وثاقه وسلمته لزياد، وكان زياد إذا وجـد في الخوارج امرأة قتلها ثم عراها؛ فكان النساء إذا دعين للخروج يأبن ويقلن لـولا التعرية لخرجنا، مما جعل بعض المؤرخين يعتبر ذلك من حسن تدبيره[٢].

وقد اشتد زياد على الخوارج فتتبعهم وقتل بعضهم، ثم صعد المنبر وقال: يا أهل البصرة، والله لتكفونني هؤلاء أو لأبدأن بكم، والله لئن أفلت رجل منهم لا تأخذون من عطائكم درهما، فثار بهم الناس وقتلوهم[٣].

ثورة زياد العجلي:

وفي سنة اثنتين وخمسين من الهجرة/٦٧٢م خرج على زياد، زياد بن خراش العجلي في ثلاثمائة فارس، فأتى أرض مسكن بالسواد فأرسل إليه زياد خيلاً عليها سعد بن حذيفة فقتلوهم[٤].

وفاة زياد:

وفي رمضان سنة ثلاث وخمسين من الهجرة/٦٧٣م توفي زيـاد، وقيـل إن سبب موته أنه كتب إلى معاوية أني قد ضبطت العراق بشمالي، ويميني فارغـة، فأشغلها بالحجاز، فكتب معاوية له بالعهد على الحجاز، ولما بلغ الخبر أهل الحجاز

---

[١] المبرد، الكامل جـ٢ ص١٩٨– ١٩٩.

[٢] المبرد، الكامل جـ٢ ص١٩٩.

[٣] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٤٦٣.

[٤] المصدر نفسه جـ٣ ص٤٩١.

أتى نفر منهم عبد الله بن عمر فأخبروه، فقال: ادعوا الله عليه، ثم استقبل القبلة ودعا ودعوا معه، وكان من ضمن دعائه: اللهم اكفنا شر يمين زياد، فأصاب الطاعون أصبع يده اليمنى فمات منه، وكان قد استخلف مكانه سمرة بن جندب[1].

ولاية عبيد الله بن زياد:

بعد وفاة زياد قدم ابنه عبيد الله على معاوية يريد أن يوليه مكان أبيه، فقال له معاوية: من ولى أبوك على الكوفة والبصرة؟ فأخبره، فقال: لو استعملك أبوك استعملتك، فقال: أنشدك الله أن لا يقولها لي أحدٌ بعدك، فولاه معاوية خراسان، ثم قام معاوية بعزل سمرة بن جندب عن البصرة وولاها عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي، ولكن أمورها لم تستقم فعزله عنها وأسندها إلى عبيد الله بن زياد، فقام عبيد الله بتولية أسلم بن زرعة الكلابي خراسان وتحول إلى البصرة، وكان ذلك سنة خمس وخمسين من الهجرة/٦٧٥م[2]. وهذه أبرز الثورات في عهده:

ثورة طواف بن غلاق:

لما قدم عبيد الله البصرة وجد قوماً من الخوارج يجتمعون إلى رجلٍ يقال له جدار ويذكرون معائب السلطان، فأمر بإحضارهم وإدخالهم السجن، وهنا اتخذ ابن زياد مع الخوارج أسلوباً جديداً نكاية بهم، فعندما أحضرهم وأدخلهم السجن عرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً، بحيث يخلي سبيل القاتلين ففعلوا ما أمرهم به، فأطلق سبيل القاتلين فلاموهم أصحابهم وقالوا: قتلتم إخوانكم، فقالوا:

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٤٩٣– ٤٩٨.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٢٩٦، ٣٠٠.

أكرهنا، وقد يكره الرجل وقلبه مطمئن بالإيمان، وكان ممن قتل وأُطلق سراحه طواف بن غلاق[1].

وقد ندم طواف وأصحابه على ما فعلوا وأخذوا يبكون وعرضوا على أولياء المقتولين الدية فرفضوا، وسألوهم القود فرفضوا، فلقي طواف الهثهاث بن ثور الدوسي فقال: هل من توبة، قال: لا أجد لك إلا آية في كتاب الله {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}[2]، فدعا طواف أصحابه للخروج فبايعوه سنة ثمان وخمسين من الهجرة /٦٧٨م وكانوا سبعين رجلاً من بني عبد القيس، فعلم ابن زياد بخبرهم عن طريق أحد أصحابهم، فلما شعروا بانكشاف أمرهم سارعوا بالخروج فأرسل ابن زياد الشرط البخارية (نسبة إلى بخارى) في أثرهم، فكر عليهم الخوارج وهزموهم واتبعوهم حتى دخلوا البصرة، فخرج عليهم أهل البصرة وقاتلوهم فقتلوهم جميعهم، وكان ذلك يوم عيد الفطر[3].

مقتل عروة بن أدية وثورة أخيه مرداس:

وكان ممن خرج على ابن زياد مرداس بن حدير التميمي، وكان يعرف هو وأخوه عروة ببني أدية، نسبة إلى أمهما، وكان السبب في ذلك أن ابن زياد خرج لكي يسلي نفسه بسباق الخيل، وكان يجلس بجانبه عروة بن أدية، فأقبل على عبيدالله يعظه، وكان من ضمن ما قال له: {أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ {*} وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ {*} وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ}[4]، فلما سمع ابن زياد ذلك منه ظن أنه لن

---

(1) ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٥١٦.

(2) سورة النحل، آية ١١٠.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق جـ٣ ص٥١٦– ٥١٧.

(4) سورة الشعراء، الآيات ١٢٨– ١٣٠.

يجترئ أن يقول مثل هذا الكلام إلا إذا كان معه جماعة، فخاف على نفسه ونهض مسرعاً وركب فرسه ورجع إلى قصره فقال لعروة أحد أصحابه: إنــه ســوف يقتلك فاختفى عروة، فطلبه ابن زياد فهرب منه إلى الكوفة فأرسل ابن زيــاد في طلبه من قبض عليه وأحضره، فلما أتاه قام ابن زياد بمحاورته فرد عليه عروة رداً قبيحاً فأمر زياد بقطع يديه ورجليه ثم قتله وقتل ابنته[1].

ثم إن ابن زياد اشتد في طلب الخوارج، وكان من ضمن هؤلاء امرأة من بني يربوع يقال لها البثجاء، كانت تحرض الناس على ابن زياد، وتذكر تجبره وســوء سيرته، ولما وصل خبرها إلى ابن زياد أخذ يسأل عنها فقال لها أبو بلال مــرداس ابن أدية، أخو عروة: إن التقية لا بأس بها، فتغيبي عن هذا الجبار فإنه قد ذكرك، فقالت: أخشى أن يلقى أحد مكروهاً بسببي، فأخذها ابن زياد فقطــع يــديها ورجليها، فقال أبو بلال في نفسه: أهذه أطيب نفساً بالموت منك، فقرر الخروج ولكن ابن زياد تمكن من القبض عليه وأمر بإلقائه في السجن[2].

كان أبو بلال من العباد الزهاد، وكان الخوارج كلهم يتولونه، فلما أدخل السجن ورأى السجان كثرة عبادته أذن له أن يخرج كل ليلة إلى أهله علــى أن يعود مع الصباح الباكر، واستمر على ذلك مدة، وعندما عزم ابن زياد على قتل جميع الخوارج المسجونين، كان أحد ندماء ابن زياد من أصدقاء أبي بلال، فأخبره بذلك، وكان أبو بلال وقتئذٍ خارج السجن، فاشتد الأمر على السجان خشية أن يعلم أبو بلال بالخبر فلا يرجع، ولما جاء الصباح رجع أبو بــلال، فقــال لــه السجان: أما تعلم بما عزم عليه الأمير؟ قال: علمت، ولكن أكــره أن تعاقــب

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٣١٢- ٣١٣.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٥١٨. المبرد، الكامل جـ٢ ص٢٠١.

بسيي، فأخرج ابن زياد جميع المسجونين فقتلهم، وعندما جاء دور أبي بلال قام السجان من دونه وتشفع فيه وأخبر ابن زياد بقصته معه، وكان السجان صـــهراً لابن زياد، فوهبه له وخلى سبيله[١].

ثم إن أبا بلال خاف أن يعيد ابن زياد الكرة عليه فخرج في أربعين رجـــلاً من أصحابه إلى الأهواز، فلما سمع ابن زياد بخبرهم بعث لهم جيشاً يتكون مـــن ألفي مقاتل بقيادة أسلم بن زرعة الكلابي وقيل أبو حصين التميمي، وعندما وصل إليهم قائد الجيش ناشدهم بالله أن يرجعوا ولا يقاتلوه، فأبوا عليه وقالوا: لا نرجع إلى هذا الفاسق، ونشب القتال بينهم، فشد عليهم الخوارج شدة رجـــل واحـــد فانهزموا، وحينما وصل قائدهم البصرة مهزوماً عنفه ابن زياد على تخاذله وقـــال: ألفان ويهزمكم أربعون؟ وقد قال شاعر الخوارج في هذه المناسبة:

أألفا مؤمنٍ فيـــما زعمتـــم	ويقتلهم بآسك[٢] أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم	ولكن الخوارج مؤمنـــونا
هي الفئة القليلة قد علمتـــم	على الفئة الكثيرة ينصرونا[٣]

وبعد هزيمة جيش ابن زياد في آسك بعث إليهم جيشاً آخر قوامـــه ثلاثـــة آلاف بقيادة عباد بن الأخضر التميمي، فاتبع أبا بلال حتى أدركـــه بتـــوج[٤]، فقاتلهم أبو بلال فثبتوا له، ثم دارت الدائرة على الخوارج فقـــتلهم عبـــاد عـــن آخرهم، ولما رجع عباد إلى البصرة ترصد له ثلاثة من الخوارج وقتلوه[٥].

---

[١] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٣١٣.

[٢] آسك: بلد من نواحي الأهواز قرب أرجان. (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص٥٣).

[٣] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٥١٩– ٥٢٠. المبرد، الكامل جـ٢ ص٢٠٣– ٢٠٤.

[٤] توج: مدينة بفارس قريبة من كازرون شديدة الحر (ياقوت، المصدر السابق جـ٢ ص٥٦).

[٥] الطبري، المصدر السابق جـ٥ ص٤٧١.

ولاية الحجاج بن يوسف للعراق:

يعتبر الحجاج من أشهر الولاة الذين عُرفوا بالقسوة في العصر الأموي، وشخصية كهذه من البديهي أن تدور حولها الكثير من الأساطير والمبالغات، وخاصة في عدد الأشخاص الذين قتلهم، من ذلك ما ذكره أحد المؤرخين أن رجلاً رأى الحجاج يتبختر في مشيته فقال لخالد بن يزيد: من هذا؟ فقال خالد من باب السخرية: هذا عمرو بن العاص، فسمعها الحجاج فقال: والله ما يسرني أن العاص ولدني ولكنني ابن الأشياخ من ثقيف وأنا الذي ضربت بسيفي هذا مائة ألف كلهم يشهدون أن أباك يشرب الخمر ويضمر الكفر[1]. ومن المؤسف أننا نرى أن المؤرخين القدامى أكثر واقعية من مؤرخي العصر الحديث، فالقدامى يذكرون إيجابياته وسلبياته[2]. أما مؤرخو عصرنا فهم طرفا نقيض، إما التركيز على الإيجابيات أو الاقتصار على السلبيات[3].

سبب تولية الحجاج العراق:

لقد اختلف المؤرخون في سبب تولية الحجاج العراق فمنهم من يرى أنه بغرض إبعاده عن مكة والمدينة لسوء معاملته للصحابة، رضوان الله عليهم، وأن ذلك بمشورة من إبراهيم بن محمد بن طلحة عندما اصطحبه الحجاج معه إلى الشام لمقابلة الخليفة عبدالملك[4]. ومنهم من يرى أنه كان بسبب تردي الأوضاع في العراق بعد وفاة بشر بن مروان ورجوع الجنود الذين أرسلهم بشر لمؤازرة

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٥٨٧.

[2] انظر مثلا: البلاذري، أنساب الأشراف جـ١٢ ص٣٣١– ٤١٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان. تحقيق إحسان عباس. دار صادر. بيروت١٤٠٠هـ.جـ٢ ص٢٩– ٥٤.

[3] انظر الرسالة ص٢٢٤، حاشية: ١.

[4] المقري، المختار من نوادر الأخبار. تحقيق أنور أبو سويلم. مؤسسة الرسالة. دار عمار ١٤٠٧هـ. ص١٦٨– ١٦٩؛ ابن خلكان، المصدر السابق جـ٢ ص٤١– ٤٢.

المهلب في قتاله للأزارقة؛ فيذكر ابن الأثير أن المهلب أرسل إلى عبدالملك يستمده فأمر عبد الملك أخاه بشر أن يرسل إليه مدداً فأرسل إليه بشر جيشاً بقيادة عبدالرحمن بن مخنف فسار هذا الجيش حتى نزل قريباً من المهلب[1]، فلما أتاه نعي بشر بن مروان وتولي خالد بن عبد الله القسري، نائبه على البصرة، زمام الأمور تفرق أكثر الجيش و لم يبق منهم مع المهلب إلا نفر يسير، وعندما انصرف أهل الكوفة وصاروا بالأهواز جاءهم كتاب خالد يأمرهم بالرجوع إلى المهلب ويتهددهم بالعقاب والقتل، فاستخفوا بالرسول وواصلوا سيرهم إلى الكوفة، حتى إذا صاروا قريباً منها أرسلوا إلى عمرو بن حريث، نائب بشر على الكوفة، يخبرونه بتفرق الناس عن المهلب مما دعاهم إلى العودة، ويستأذنونه في الدخول، فأرسل إليهم بعدم الإذن وطالبهم بالعودة، ولكنهم لم يحفلوا به فانتظروا حتى المساء ودخلوا الكوفة بغير إذنه، ورفضوا العودة إلى المهلب، فما زالوا مقيمين بها حتى قدم الحجاج[2].

مسير الحجاج إلى العراق:

وكما اختلف المؤرخون في سبب توليته اختلفوا أيضاً في المكان الذي توجه منه إلى العراق، فمنهم من يرى أن التكليف جاءه وهو على المدينة، ومنهم من يرى أنه جاءه بعد أن عاد إلى مكة، بعد تضجر أهل المدينة منه، ومنهم من يرى أن التكليف جاءه وهو بالشام فسار منها إلى العراق[3].

---

[1] يرجع السبب في عدم نزول هذا الجيش مع المهلب إلى توجيهات بشر حيث أمر قائد الجيش بمخالفة أوامر المهلب والشقاق عليه، لأن تعيين المهلب كان من قبل عبد الملك ولم يكن من قبله، وهذا ما أغاظه (ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٣٦٦).

[2] المصدر نفسه جـ٤ ص٣٦٦– ٣٦٧.

[3] المقري، المختار من نوادر الأخبار ص١٦٨– ١٦٩.

وعلى أية حال فقد سار الحجاج إلى الكوفة في اثني عشر رجلاً من ثقاته، فدخلها فجأة وقت الضحى وتوجه إلى المسجد وصعد المنبر وجلس عليه ينتظر اجتماع الناس، فلما كثر جمعهم تجاهل ذلك واستمر في جلوسه حتى هموا بحصبه، وعند ذلك نهض وخطبهم الخطبة المشهورة في كتب التاريخ والأدب، ثم أمر بقراءة كتاب عبد الملك عليهم الذي يأمرهم فيه باللحاق بجيش المهلب، فلما قال القارئ: أما بعد، سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم، قال للقارئ أمسك، ثم قال: يا عبيد العصا، يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام؟ أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب، ثم قال للقارئ: أعد، فلما قال: سلام عليكم قالوا بأجمعهم: وعلى أمير المؤمنين سلام الله ورحمته وبركاته[1].

ولما انتهى الحجاج من قراءة كتاب الخليفة عليهم قال: بلغني رفضكم البقاء مع المهلب وانصرافكم عنه، وإني أقسم بالله أن لا أجد رجلاً من هؤلاء العسكر بعد ثلاثة أيام إلا ضربت عنقه ونهبت داره، فخرج الناس وتزاحموا على الجسر حتى كاد أن يسقط بهم، وكان الحجاج أول من عاقب على التخلف بالقتل[2].

ثم استخلف الحجاج على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة، وخرج إلى أهل البصرة وخطبهم بمثل خطبته لأهل الكوفة، وتوعد من وجده منهم بعد ثلاثة أيام بالقتل، فأتاه شريك بن عمرو وقال له: إن بي فتقاً وقد رآه بشر بن مروان فعذرني، وهذا عطائي مردود إلى بيت المال، فأمر بقتله، فلما ضربت عنقه تملك الناس الذعر فلم يبق بالبصرة أحد من ذلك الجيش إلا ولحق بالمهلب[3].

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٢٠٢– ٢٠٨؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح جـ٧ ص٥– ٩.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٣٧٦– ٣٧٩.

[3] الطبري، المصدر السابق جـ٦ ص٢١٠.

ثورة ابن الجارود:

ومن سوء حظ الحجاج أن تعيينه على العراق قد صادف اشتداد أمر الخوارج وكثرهم، فأوقعته شدته وقسوته عليهم في عدة مآزق لم يكن ليخرج منها لولا شجاعته ورباطة جأشه، فقد قام في أحد الأيام خطيباً في أهل الكوفة فقال: إن الزيادة التي زادكم ابن الزبير إنما هي زيادة مخسرة باطلة من ملحد منافق ولسنا نجيزها، فقام عبد الله بن الجارود وقال: إنما هي زيادة أمير المؤمنين عبدالملك، وقد أقرها على يد أخيه بشر، فقال الحجاج: ما لك وللكلام، لتحسنن حمل رأسك أو لأسلبنك إياه، فقال ابن الجارود: أنا لك ناصح أمين، وهذا ليس قولي وحدي وإنما هو قول من ورائي[1].

ثم إن الحجاج أقام أشهراً لا يتكلم في هذه الزيادة، ثم تطرق لها في إحدى خطبه، فرد عليه ابن الجارود مثل رده الأول، وقد وجد بعض التأييد من بعض كبار الخوارج كالهذيل بن عمران البرجمي وعبد الله بن حكيم المجاشعي، وقالوا: إن الحجاج لن يكف عن ذكر هذه الزيادة حتى يسلبنا إياها، فهلم بنا نبايعك على إخراجه، ونكتب إلى عبد الملك ليولي علينا غيره، فوافقهم على ذلك وأعلن العصيان وبايعه غالبية أهل الكوفة؛ وخرجوا معه، فبقي الحجاج وليس معه إلا خاصته وأهل بيته[2].

ولما بلغ الحجاج أمرهم أرسل إلى ابن الجارود يستدعيه، وعندما جاءه الرسول قال: أجب الأمير، قال: ومن الأمير، لا حباً ولا كرامة لابن أبي رغال[3]،

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٣٨١.

[2] المصدر نفسه جـ٤ ص٣٨١، ٣٨٢.

[3] هناك من يقول إن الله أهلك ثمود قوم صالح إلا رجلاً كان في الحرم يقال له أبو رغال، وإن ثقيفاً هؤلاء من نسله. (المصدر نفسه جـ١ ص٩٣).

فليخرج عنا مذموماً وإلا قاتلناه، وكان الحجاج قد حمَّل الرسول رسالة تهديد وتنكيل لابن الجارود إن رفض الاستجابة للحضور "لئن لم تأتني لأدعن قومك عامة وأهلك خاصة حديثاً للغابرين"، ولكن ابن الجارود لم يحفل بهذه الرسالة وقال للرسول: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك، ووجأه في عنقه وأمر بإخراجه[1].

قام ابن الجارود ومن معه من الخوارج بالزحف إلى الحجاج، وكان الوقت متأخراً فنهبوا دوابه وما قدروا عليه من متاعه، وكانوا لا يريدون قتله بل يريدون إخراجه عنهم، فلما حلَّ المساء انصرفوا وتركوه وقد تيقنوا من سهولة إخراجه من الغد لضعف مقاومته وقتاله لهم، فقال الغضبان بن القبعثري لابن الجارود: تعشَّ بالجدي قبل أن يتغدى بك، فقال ابن الجارود: لقد قرب المساء وسوف نعاجله في الغداة[2].

لقد ضاقت على الحجاج الأرض بما رحبت، وكان معه عثمان بن قطن وزياد العتكي صاحب شرطته، فاستشارهما، فقال زياد: أرى أن آخذ لك أماناً من القوم وتخرج إلى أمير المؤمنين وتأخذ رأيه، فقد تحول أكثر الناس عنك، أما عثمان فقد قال له: إن أمير المؤمنين قد وضع فيك ثقته فأرسلك إلى ابن الزبير، وهو أخطر من هؤلاء، وقد تمكنت من القضاء عليه، ثم رفعك وولاك الحجاز، ثم ولاك العراقين[3]، ولا يحسن بك أن ترجع إليه مهزوماً، والرأي أن نمشي إليهم بسيوفنا فنقاتلهم، فإما أن ننتصر أو نموت؛ فقال الحجاج: الرأي ما رأيت، وقد استغل الحجاج مجيء مالك بن مسمع، فعندما جاءه يعرض عليه الأمان، جعل يرفع صوته ويقول: والله لا أؤمنه أبداً حتى يأتي بالهذيل وعبد الله بن حكيم،

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٣٨٢.

[2] المصدر نفسه جـ٤ ص٣٨٢– ٣٨٣.

[3] المقصود بالعراقين: البصرة والكوفة.

وكان الحجاج يهدف من رفع صوته إلى إيهام من معه بأن القوم قد تفرقوا عن ابن الجارود وأنه قد جاء الآن يطلب الأمان منه[1].

لقد حاول الحجاج أن يبحث عن مناصرين من عصبيته، فأرسل إلى عبيد ابن كعب النميري أن هلمَّ إليَّ وامنعني، فقال له: إن أتيتني منعتك، فرفض الحجاج ذلك وأرسل إلى محمد بن عمير بن عطارد القشيري فأجابه بمثل جواب عبيد[2]. ويظهر أن عدم تحمس العامريين إلى مناصرته كان بسبب عدم استفادهم من مركزه المرموق في الدولة الأموية، فيذكر المبرد أن الحجاج عندما توفي أخوه محمد، بعث إلى الوليد بن عبدالملك إن أخي محمد توفي وقد خلف مائة وخمسين ألف دينار، فإن أصابها من حلها فرحمه الله، وإن أصابها من خيانة فلا رحمه الله، فكتب إليه الوليد إنما أصابها من تجارة قد أحللناها له فترحم عليه يرحمه الله، وقد جعلت هذه الحادثة الحجاج يتنبه لهذا الأمر فيما بعد ويسند بعض الولايات إلى نفر من قومه[3].

وعلى الرغم من حرج الموقف الذي يمر به الحجاج إلا أن هناك بعض المؤشرات التي بدأت تلوح في الأفق لتحوّل موازين القوى لصالح الحجاج، فقد مرَّ عباد بن الحصين الحبطي بابن الجارود والهذيل وعبد الله بن حكيم وهم يتناجون، فقال: أشركونا في نجواكم، فقالوا: هيهات أن نشرك أحداً من الحبط[4] في نجوانا، فغضب وسار إلى الحجاج في مائة رجل من قومه، كما أن قتيبة بن مسلم أخذته العصبية وقال: والله لا ندع قيسياً يُقتل ويُنهب ماله، فانضم إلى الحجاج،

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٣٨٣.

[2] المصدر نفسه جـ٤ ص٣٨٤.

[3] المبرد، الكامل جـ١ ص٤١٥.

[4] الحبط: بطن من تميم، وهم أبناء الحبط، واسمه الحارث بن عمرو بن تميم (القلقشندي، نهاية الأرب ص٥٨).

وكان الحجاج قد يئس من الحياة، فلما أتاه هؤلاء اطمأن بهم، ثم إن العصبية أيضاً دفعت بني كلاب إلى الوقوف بجانبه، فجاءه سبرة بن علي الكلابي وأسلم بن زرعة الكلابي ثم أرسل إليه مسمع بن مالك بن مسمع، وقال: إن شئت أتيتك، وإن شئت أقمت مع القوم وثبطتهم عنك، فقال الحجاج: بل أقم معهم وثبطهم، فلم يصبح الصباح إلا وقد اجتمع لدى الحجاج ستة آلاف[1].

ولما جاء الصباح عبأ الحجاج أصحابه وخرج بهم وأخذ يحرضهم على القتال ويعدهم بالنصر رغم كثرة عدوهم، فدارت بينهم معركة حامية، ولما شارف ابن الجارود وأصحابه على الانتصار أتاه سهم غرب[2] فقتله، فانهزم أصحابه ونادى الحجاج بالأمان لجميع الناس إلا الهذيل وعبد الله بن حكيم[3].

ثورة الزنج:

لقد أدى انشغال الحجاج بفتنة ابن الجارود إلى إعادة تجمع الزنج بعد أن كان خالد بن عبد الله القسري، والي البصرة، قد ألحق بهم الهزيمة وفرقهم، فعندما رأوا انشغال الحجاج بهذه الفتنة اجتمعوا على رجل منهم يقال له رباح ويلقب "شير زنجي"، أي أسد الزنج، وكثر إفسادهم للزروع والثمار، فلما فرغ الحجاج من فتنة ابن الجارود أمر صاحب شرطته على البصرة زياد بن عمرو أن يرسل لهم جيشاً، بقيادة ابن حفص، فسار إليهم ابن حفص وقاتلهم فقتلوه وهزموا أصحابه ثم أرسل إليهم جيشاً آخر فتمكن من هزيمتهم وقتل أكثرهم[4].

---

(1) ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٣٨٤ .

(2) السهم الغرب: هو السهم الذي يصيب الشخص ولا يعرف من رماه.

(3) المصدر نفسه جـ٤ ص٣٨٤– ٣٨٥ .

(4) المصدر نفسه جـ٤ ص٣٨٨.

ثورة شبيب بن يزيد الشيباني:

وفي ولاية الحجاج قامت أشهر ثورات الخوارج، وهي ثورة شبيب بن يزيد الشيباني، وكان السبب في ذلك أن صالح بن مصلح التميمي كان رجلاً ناسكاً فدعا أصحابه بدارا[1] وأرض الموصل والجزيرة إلى الخروج وإنكار الظلم فأجابوه، وبينما هو يستعد للخروج إذ أتاه كتاب شبيب يقول: إن كنت تريد الخروج فلن نعدل بك أحداً، وإن كنت تريد تأخير ذلك فأعلمني فإنني لا آمن أن يأتيني أجلي ولم أجاهد الظالمين، فكتب إليه صالح: لم يمنعني من الخروج إلا انتظارك، فأقبل عليّ فإنك ممن لا يستغنى عن رأيه ولا تُقضى الأمور من دونه، فلما وصل إلى شبيب رد صالح دعا نفراً من أصحابه، منهم أخوه مصاد، والمحلل بن وائل اليشكري ثم خرج والتقى بصالح في دارا وقال: اخرج بنا رحمك الله فلا تزداد السنة إلا دروساً ولا يزداد المجرمون إلا طغياناً[2].

فلما عزموا على الخروج قصدوا دواب محمد بن مروان أمير الجزيرة فأخذوها، فأرسل إليهم محمد بن مروان جيشاً بقيادة عدي بن عدي الكندي فهزموه، ثم أرسل لهم جيشين أحدهما بقيادة الحارث بن جعونة العامري، والآخر بقيادة خالد بن جزء السلمي فقاتلوهم يوماً حتى المساء ولم يتمكن أحد منهم من هزيمة الآخر، فلما حلَّ الظلام سار الخوارج من ليلتهم حتى انتهوا إلى الدسكرة[3]، وعندما علم بهم الحجاج أرسل إليهم الحارث بن عميرة الشَّعار في ثلاثة آلاف من أهل الكوفة فهزمهم وقتل صالحاً فانحاز شبيب بمن بقي معه وهم سبعون رجلاً إلى أحد الحصون، فقام الحارث بإحراق الباب عليهم حتى صار

---

[1] دارا: بلدة صغيرة بجانب جبل بين نصيبين وماردين (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص٤١٨).

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٣٩٣.

[3] الدسكرة: قرية كبيرة بنواحي نهر الملك غرب بغداد (ياقوت، المصدر السابق جـ٢ ص ٤٥٥).

جمراً وظن أنهم لا يستطيعون الخروج فيباشرهم غداً ويقــتلهم، فقــال شــبيب لأصحابه: إن صبحكم هؤلاء قتلوكم، ولكن بايعوني أو من شئتم ودعونا نخرج إليهم ونقاتلهم فإنهم آمنون، فقالوا: بل نبايعك، فلما بايعوه أتوا بــاللبود (جمــع لباد) فبلوها وجعلوها على الجمر وخرجوا، فلم يشــعر الحــارث إلا وشــبيب وأصحابه قد هجموا عليهم ووضعوا فيهم السيوف، فقُتل الحارث وانهزم أصحابه إلى المدائن واستولى شبيب على جميع ما في معسكرهم[1].

ولما علم الحجاج بما حل بأصحابه من الهزيمة ومقتل الحارث بــن عمــيرة وكان قد أرسل سفيان بن أبي العالية الخثعمي في ألف فــارس إلى طبرســتان[2] ليفتحها، أمره بالرجوع إلى الدسكرة حتى يأتيه بقية جيش الحارث ويأتيه جــيش آخر بقيادة سورة بن الحر التميمي، فصالَح سفيان صاحب طبرستان ورجــع إلى الدسكرة وأقام بها حتى أتاه جيش الحارث وكتب إليه سورة يخبره بقدومــه، وفي هذه الأثناء أتى سفيان الخبر بتوجه شبيب إلى الكوفة، فتعجل سفيان في طلــب شبيب ولم ينتظر قدوم سورة، فلحق شبيباً بخانقين[3] فارتفع عنهم شبيب كأنه لا يريد قتالهم فقالوا: هرب عدو الله ولحقوا به، وكان شبيب قد وضع أخاه مصاداً كميناً في خمسين رجلاً فلما جاوزه سفيان كرَّ عليهم شبيب وخــرج علــيهم الكمين من خلفهم فانهزموا من دون قتال وثبت سفيان في مائتي رجــل ولكــن الهزيمة حلت به وكاد أن يُقتل، فأرسل إلى الحجاج يخبره بما جرى له وبتخلــف

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٢٢٣. والذي يظهر من كلام الطبري أن ليس لديهم من الماء ما يكفي لإطفاء النار فقاموا بوضع اللباد.

[2] طبرستان: من أشهر أقاليم بلاد فارس، وقد استعصى فتحه على المسلمين، فلم يفتح إلا في عهد المأمون (ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص١٥).

[3] خانقين: بلدة في نواحي السواد بينها وبين قصر شيرين عدة فراسخ (المصدر نفسه جـ٢ ص٣٤٠).

سورة عنه، فأرسل الحجاج إلى سورة يلومه ويتهدده ويأمره أن ينتخب من المدائن خمسمائة فارس ويسير بهم إلى شبيب(١).

أرسل سورة عدي بن عميرة إلى المدائن فانتخب منها خمسمائة فارس، فلما أتاه خرج في طلب شبيب، وكان شبيب يصول ويجول في جوخى، وحينما علم بمسير الفرسان عن المدائن توجه إليها فتحصنوا منه فأخذ بعض دوابهم، ولما شعر شبيب بدنو سورة منه خرج حتى أتى النهروان(٢) فخرج سورة في أثره حتى نزل بقطرأثا فأتته عيونه وأخبرته بمنزل شبيب وليس معه إلا مائة من أصحابه، فقرر أن ينتخب ثلاثمائة من فرسان جيشه وشجعانهم لعله يأتي شبيب ويبيته على غـــرة، فلما أتى شبيب وجده قد أذكى الحراس واستعد لهم فحمل علـــيهم فثبتـــوا لـــه وصدوا هجومه فرجع إلى عسكره منهزماً ثم سار بهم إلى المدائن فلحقه شـــبيب ولكن سورة فاته ودخل المدائن وتحصن بها، فارتفع شبيب عـــن المـــدائن ومـــرّ بكلواذا(٣) فأخذ منها دواباً كثيرة للحجاج ثم عاد إلى جوخى وســـار منهـــا إلى تكريت(٤) وقد أثار شبيب الذعر في الجند الذين في المدائن فهربوا منها إلى الكوفة مما أثار غضب الحجاج على سورة فحبسه ثم عاد وأطلقه(٥).

ويرجع الفضل في هذه الانتصارات المتلاحقة التي حققها الخوارج إلى مهارة شبيب القيادية من حرصه وخفة حركته وكثرة تنقله حتى يرهـــق خصـــومه ثم يباغتهم وينقض عليهم، فعندما رجعت فلول هذا الجيش إلى الكوفـــة اســـتدعى

---

(١) ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٣١٩– ٣٢٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٢٢٨– ٢٢٩.

(٣) بكلواذا: بلدة قريبة من بغداد وقد صارت خرابا في عصر ياقوت (ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٤٧٧).

(٤) تكريت: بلدة مشهورة بالسواد بين بغداد والموصل وبها قلعة حصينة (المصدر نفسه جـ٢ ص٣٨).

(٥) الطبري، المصدر السابق جـ٦ ص٢٢٨– ٢٣٠.

الحجاج الجزل بن سعيد الكندي وأوصاه بالاحتياط وترك العجلة، فقال له الجزل: لا تبعث معي أحداً من الجند المهزومين، فإنهم قد دخلهم الرعب ولا ينتفع بهـــم، قال الحجاج: أحسنت، وجهز معه جيشاً قوامه أربعة آلاف، فوضع الجزل علـــى مقدمته عياض بن أبي لبنة الكندي، وخرج في طلب شبيب، فجعل شبيب يتراجع وينسحب من رستاق (إقليم) إلى رستاق ولا يقيم في موقع معين لعل الجزل يفرق أصحابه أو يدرك منه غرة، فكان الجزل لا يسير إلا على تعبئـــة، ولا يـــترل إلا خندق على أصحابه، فلما طال الأمر على شبيب ورأى حـــرص الجـــزل دعـــا أصحابه وكانوا مائة وستين رجلاً ففرقهم أربع فرق وأمرهم أن يهاجموا جـــيش الجزل من الجهات الأربع، ففعلوا ما أمرهم به ولكنهم لم يستطيعوا النيـــل منـــه، فسار شبيب إلى جوخى واستولى على خراجها [١].

ولما طال الأمر على الحجاج أرسل إلى الجزل يلومه على التأخر في مناجزة شبيب، وأرسل إلى سعيد بن مجالد أن يتوجه إلى الجيش ويتولى القيادة، وحينما أتاهم سعيد بالنهروان وبخهم وعجزهم وأخرجهم من خنادقهم، فقال له الجزل: ماذا تريد أن تفعل، قال: أريد أن أرسل الخيل في جرايد (أي دفعات متتابعة) إلى شبيب وأترك الباقين مكانهم، فنهاه الجزل فلم يلتفت له، فجلس الجزل في العسكر وخرج سعيد في جرايد خيله إلى شبيب، وكان شبيب قد دخل قطيطيـــا وأمـــر دهقانها أن يصنع لهم طعاماً، فلما خرج شبيب ورأى سعيداً ينتظره على بـــاب المدينة ركب بغلته وقال: "لا حكم إلا للحكم الحكيم، أنا أبو مدلـــه اثبتـــوا إن شئتم"، ثم حمل عليهم فانهزموا وثبت سعيد وأخذ ينادي في أصحابه فحمل عليه شبيب وقتله وانهزم أصحابه حتى انتهوا إلى الجزل، والخوارج في أثرهم، فخـــرج

---

[١] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٤٠١– ٤٠٣.

عليهم الجزل وقاتلهم قتالاً شديداً حتى انصرفوا عنه وقد جُرح جراحات كثـــيرة فأرسل إلى الحجاج يخبره بمقتل سعيد وكثرة الجراح التي أصابته، فأرســـل إليــه حسان بن أبجر الكناني ليداوي جراحه[1].

وبعد هزيمة سعيد بن مجالد ومقتله سار شبيب إلى الكوفة فأخرج له الحجاج سويد بن عبد الرحمن السعدي ليصده، ولما علم شبيب بذلك رجع عنها، وعندما أتى الحجاج خبر انصرافه استخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة وســـار إلى البصرة ولكنه لم يلبث أن أتاه خبر رجوع شبيب إلى الكوفة فأغـــذ الســـير يسابق شبيباً عليها، فترلها صلاة العصر، ووصلها شبيب صلاة المغـــرب، فـــترل بالسبخة واستراح قليلاً ثم ركب ودخل الكوفة وقد أرعبت انتصاراته الســـابقة أهل الكوفة فلم يعرض له أحد، فمضى حتى بلغ السوق وضرب بـــاب قصـــر الحجاج بعموده ثم ذهب في أصحابه إلى المسجد فأجلس أمه وزوجته على المنبر ثم وضع السيف في من وجده بالمسجد فقتلهم جميعهم، ثم خرج من الكوفة وتوجه إلى المردمة، فجهز الحجاج ثلاثة جيوش كل جيش يحتوي على ألفي مقاتل، وعلى الجميع زائدة بن قدامة الثقفي[2]، وقد صادف ذلك قدوم محمد بن موســـى بـــن طلحة لكي يجهزه الحجاج ويرسله إلى عمله على سجستان حسب أمر الخليفـــة عبد الملك بن مروان، فجهز معه الحجاج ألف رجل وأمره أن يسير مـــع هـــذه الجيوش، فإذا انتهى من أمر شبيب سار إلى عمله، فسارت هذه الجيوش ونزلـــت بأسفل الفرات، وفي الوقت نفسه انتخب ألفاً وثلاثمائة فارس من الشجعان وجعل

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٢٣٤– ٢٣٩.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٤٠٤– ٤٠٨.

عليهم زحر بن قيس وأمره بتتبع شبيب، فخرج إلى السليحين[1] فلما علم شبيب بمكانه توجه إليه فهزم جيشه وصرعه وتركه وكان يعتقد أنه قتله[2].

وبعد هزيمة شبيب لزحر قال له أصحابه: لنكتف بهذا النصر ونرجع، فقال: إن هذه الهزيمة قد أرعبت جيوش الحجاج، فدعونا نسير إليهم، فوافقوه على رأيه، فسار إليهم وهزم هذه الجيوش جميعاً وقتل محمد بن موسى، فأراد أن يواصل مسيره إلى الكوفة ولكنه رأى كثرة الجراح في من معه فعاد إلى خانيجار وأقام بها[3].

ولما بلغ الحجاج هزيمة هذه الجيوش دعا عبد الرحمن بن الأشعث وأمره أن ينتخب ستة آلاف فارس ويسير بهم إلى شبيب وقد توعدهم الحجاج بالقتل والتنكيل إن انهزموا، فسار بهم ابن الأشعث وأخذ يتتبع شبيب وكل منهم يحاول أن يحصل من صاحبه على غرة، ولما طال الأمر على الحجاج أتاه كتاب عثمان بن قطن، أمير المدائن، يتهم ابن الأشعث بالمطاولة، فكتب إليه الحجاج بالمسير إلى الجيش وتولي القيادة، فذهب إلى هناك وتولى القيادة والتقى مع شبيب فحلت به الهزيمة وقُتل، ولم يكن مع شبيب إلا مائة وثمانون رجلاً، فلما انهزم هذا الجيش جهز الحجاج جيشاً آخر يتكون من خمسين ألفاً وجعل عليه عتاب بن ورقاء الرياحي، فالتقوا مع شبيب وليس معه إلا نحو ستمائة فحلت بهم الهزيمة أيضاً وقُتل عتاب، فأمر شبيب برفع السيف عن الناس ودعاهم إلى البيعة فبايعوه[4].

---

[1] السليحين: اسم موضع بين الحيرة والقادسية (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٢٩٨).

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٢٤٢– ٢٤٣. انظر أيضاً : ابن أعثم الكوفي، الفتوح. جـ٧ ص٦٣.

[3] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٤٠٩– ٤١١. خانيجار: بلدة صغيرة بين بغداد وأربل (ياقوت، المصدر السابق جـ٢ ص٣٤١).

[4] الطبري، المصدر السابق جـ٦ ص٢٤٩– ٢٦٥.

ومع أننا لا ننكر شجاعة الخوارج النادرة واستماتتهم في القتال، إلا أننا لا نُرجع إليها السبب في كثرة هذه الهزائم التي حلت بجيوش الحجاج رغـم هـذه الفوارق الكبيرة في الأعداد والتي لاشك أنه قد دخلها بعض المبالغات مـن قبـل المؤرخين بل إن من أهم أسباب هذه الهزائم عدم إخلاص أهل الكوفة في قتـال الخوارج نظراً لكراهيتهم للحجاج ورغبتهم في التخلص منه، وقد رأينـا بعـض الشواهد التي تدل على ذلك، منها ما ذكر ابن الأثير أن عبد الرحمن بن الأشعث عندما حلت به الهزيمة وتوجه إلى دار البقار أتاه فارسان وصعدا إليه فخلا أحدهما بعبد الرحمن طويلاً ثم نزلا فتبين بعد ذلك أن هذا الرجل هو شبيب[1]. ومنها ما ذكره الطبري أن الحجاج صعد المنبر بعد هزيمة جيش عتاب وقال: يا أهل الكوفة، لا أعز الله من أراد بكم العز، ولا نصر من أراد بكم النصر، اخرجوا عنـا فـلا تشهدوا معنا قتال عدونا، انزلوا بالحيرة مع اليهود والنصارى[2].

وعلى أية حال، فقد اضطر الحجاج بعد هذه الهزائم المتلاحقة أن يسـتنجد بالخليفة عبد الملك، فأرسل إليه عبد الملك سفيان بن الأبرد الكلبي في أربعة آلاف فارس من أهل الشام ليكونوا عوناً له في صد شبيب عن دخول الكوفـة، أمـا شبيب فعندما هزم جيش عتاب توجه إلى سورا[3] وقتل عاملهـا ثم توجـه إلى الكوفة فنزل على حمام أعين فأرسل له الحجاج الحارث بن معاوية الثقفي في ألف فارس من أهل الكوفة ممن لم يشهدوا موقعة عتاب، فانقض عليه شـبيب وقتلـه فانهزم أصحابه ودخلوا الكوفة فتبعهم شبيب ونزل السبخة وابتنى بها مسجداً[4].

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٤١٦.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٢٦٦.

[3] سورا: موضع بالعراق بالقرب من بابل، وهي مدينة السريانيين (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٢٧٨).

[4] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٤ ص٤٢٠، ٤٢٤– ٤٢٦.

ولما علم الحجاج بنزول شبيب على السبخة وإقامته فيها خرج إليه بنفسه في جند أهل الشام، فأقبل عليهم شبيب وقد قسَّم جيشه إلى ثلاثة كراديس، فثبتوا له ولم يقدر منهم على شيء، فتراجعوا حتى تجاوزوا مسجدهم فصعده الحجاج وقال: هذا أول النصر، ثم أتاه خالد بن عتاب فقال: إني موتور، فائذن لي في قتالهم فأذن له، فتعقبهم وجاءهم من خلفهم في جماعة من أصحابه فقتل زوجة شبيب وأخاه مصاداً فانهزم الخوارج وتخلف شبيب في بعض أصحابه لحمايتهم، ثم دعا الحجاج حبيب بن عبد الرحمن الحكمي فبعثه في ثلاثة آلاف فارس من أهل الشام في إثر شبيب فسار حتى نزل على الأنبار، فبيته شبيب فوجده على تعبئة فقاتله حتى مضى أكثر الليل، فانهزم شبيب وقد قُتل ثلاثون من أصحابه، فذهب إلى كرمان وأقام بها فأرسل له الحجاج سفيان بن الأبرد في جند أهل الشام، فالتقى معه بقرب جسر دجيل الأهواز فاقتتلوا حتى المساء وألجأهم سفيان إلى الجسر، فلما حلَّ الظلام أراد شبيب أن يعبر الجسر فزلت قدم فرسه وغرق[1].

وبموت شبيب انتهت هذه الثورة التي كادت أن تعصف بالحجاج، وهذا ما دعاه إلى إبقاء جنود أهل الشام عنده، وقام بإنزالهم على أهل الكوفة، فلما كثرت شكاوى الناس منهم ابتنى لهم مدينة واسط[2].

ثورة مطرف بن المغيرة:

لما قدم الحجاج الكوفة وجد أبناء المغيرة بن شعبة من أشراف قومهم، فاستعمل عروة على الكوفة وحمزة على همذان[3] ومطرف على المدائن، وعندما

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٢٦٧– ٢٨٠. واسط: مدينة بناها الحجاج، وسميت واسط لتوسطها بين البصرة والكوفة، وتبعد عن كل منهما خمسين فرسخا (ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص٣٤٧).

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٤٩٦.

[3] همذان: مدينة كبيرة مشهورة، عذبة الماء، طيبة الهواء، غير أن شتاءها قارس (ياقوت، المصدر السابق جـ٥ ص٤١٠).

قامت ثورة شبيب طلب منه مطرف أن يبعث إليه بعض أصحابه لينظر فيما يدعون إليه، فبعث شبيب منهم عدة رجال فلما أطلعوه على منهجهم وافقهم عليه ولكنه يرى أن يخلعوا عبد الملك ويجعلوا الأمر شورى فيمن يرتضيه الناس من قريش، فأبوا عليه فلم يلحق بهم، وعندما انصرفوا من عنده أحضر ثقاته ونصحاءه وذكر لهم ظلم الحجاج وما جرى بينه وبين أصحاب شبيب، ولو أنهم تابعوه لخلع عبدالملك واستشارهم فيما يفعل، فقالوا له: اخف هذا الكلام ولا تظهره لأحد، فقال يزيد بن أبي زياد مولى أبيه المغيرة: وهل يخفى على الحجاج شيء؟ ولكن النجاة النجاة، فسار عن المدائن نحو حلوان[1] فأوقع بالأكراد وأرسل إلى أخيه حمزة يستمده المال والسلاح، فأرسل إليه الامدادات سراً وسار مطرف حتى بلغ قم[2] وقاشان[3] وأصبهان[4] وفرق عماله على تلك النواحي[5].

ولما انتشر خبر خروج مطرف أرسل البراء بن قبيصة، عامل الحجاج على أصبهان، إلى الحجاج يخبره بذلك ويستمده فأمده الحجاج بدواب البريد وعليها الرجال، وأرسل إلى عدي بن زياد، عامله على الري، أن يجتمع مع البراء لقتال مطرف، وكان حمزة بن المغيرة قد أرسل إلى الحجاج يعتذرعمّا بدر منه، فأظهر الحجاج قبول عذره حتى يتمكن من عزله مخافة أن لا يمتثل لأمر العزل ويلحق بأخيه، فأرسل إلى غيث بن سعد العجلي صاحب شرطته يأمره بالقبض على

---

[1] حلوان: المقصود هنا حلوان العراق، وهي آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص٢٩٠).

[2] قم: هي مدينة إسلامية استحدثها المسلمون في بلاد فارس، وأول من عمرها طلحة بن الأحوص الأشعري، وبها آبار لا يوجد في البلدان أعذب ولا أبرد منها (المصدر نفسه جـ٤ ص٣٩٧).

[3] قاشان: مدينة قرب أصبهان مرتبطة مع قم وأهلها شيعة إمامية (المصدر نفسه جـ٤ ص٢٩٦).

[4] أصبهان: مدينة عظيمة من أشهر المدن الفارسية، ومنبع للكثير من العلماء (المصدر نفسه جـ١ ص٢٠٦).

[5] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٢٨٦– ٢٩٢.

مطرف وأن يكون هو الأمير مكانه، فقبض عليه غيث وأدخله السجن، وعند ذلك أَمِن الحجاج جانب حمزة، فأمر عدي بمناجزة مطرف فسار إليه في ستة آلاف مقاتل ومعه البراء بن قبيصة فتمكنا من هزيمته وقتله[1].

وعلى الرغم من كثرة الخوارج في عهد الدولة الأموية إلا أنه لا يوجد بينهم من ينتمي إلى القبائل القيسية، وهذا ما دعا الحجاج أن يقول عندما خرج عليه مطرف: لو كان ابناً للمغيرة بن شعبة ما خرج، بل إنه ابن مصقلة بن هبيرة الشيباني، حيث سبق أن اختصم المغيرة ومصقلة في مطرف فحكم القاضي بمطرف للمغيرة وجلد مصقلة الحد[2].

ثورة ابن الأشعث:

لقد أدى سوء إدارة الحجاج وتدخله في أمور قواده إلى عصيان بعضهم عليه، من ذلك ما حدث لعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فعندما أرسله الحجاج إلى قتال رتبيل وحقق بعض الانتصارات رأى التريث حتى يضبط أمور البلدان التي فتحها، فاتهمه الحجاج بالمماطلة وكتب إليه يأمره بالتقدم أو التنحي وجعل القيادة لأخيه إسحاق بن الأشعث، فرفض ابن الأشعث أوامره وبايعه من معه على خلع الحجاج وعبد الملك، وكان الحجاج قد تلقن درساً من ثورة شبيب فأرسل على الفور إلى عبد الملك يوضح له خطورة الموقف ويستمده الجنود فأجابه عبد الملك إلى ذلك وبدأ في إرسال الجنود إليه مع البريد، وعندما علم الحجاج بقرب ابن الأشعث خرج من البصرة إلى تستر[3] وأرسل فرقة من جيشه لتصد

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٤٣٥– ٤٣٦.

[2] المصدر نفسه جـ٤ ص٤٣٧.

[3] تستر: افتتحها أبو موسى الأشعري في عهد عمر بن الخطاب، فجعلها عمر من أعمال البصرة، قال عنها ياقوت: إنها أعظم مدن خوزستان في عصره (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص٢٩– ٣٠).

ابن الأشعث، فالتقوا معه عند الدجيل[1] في يوم عيد الأضحى سنة إحدى وثمانين من الهجرة/٧٠٠م فهزمهم ابن الأشعث، فلما أتى خبر الهزيمة الحجاج، وأن ابن الأشعث يريد البصرة تركها وسار إلى الزاوية[2] وتحصن بها وخندق على نفسه[3].

أقبل ابن الأشعث إلى البصرة فدخلها في أواخر ذي الحجة، فبايعه أهلها ثم سار إلى الحجاج وعنده أهل الشام، وجرى بينه وبين جند الحجاج عدة وقعات، وفي آخر يوم من المحرم اشتد القتال بينهم فانهزم أصحاب الحجاج ورجعوا حتى صاروا يقاتلون على خنادقهم[4]، فخرج عليهم سفيان بن الأبرد الكلبي في جند أهل الشام فانهزم أصحاب ابن الأشعث وكثر فيهم القتل ففرَّ ابن الأشعث إلى الكوفة وتبعه أهل القوة وأصحاب الخيل من أهل البصرة، وكان والي الكوفة من قبل الحجاج عبد الرحمن بن عبد الرحمن الحضرمي، ولما علم بقدومهم تحصن منهم في قصر الإمارة فأرسل إليه ابن الأشعث مطر بن ناجية اليربوعي فثار معه أهل الكوفة وأخرجوا ابن الحضرمي ومن معه من جند أهل الشام وعددهم أربعة آلاف، واستولوا على القصر، أما الحجاج فقد سار إلى البصرة وخدع أهلها حيث أمر مناديه أن ينادي لا أمان لفلان بن فلان فسمى عدة رجال فقال العامة: قد أَمّن الناس فحضروا عنده فقتل منهم أحد عشر ألفاً حسب قول ابن الأثير[5].

---

[1] الدجيل: نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك، أحد ملوك الفرس (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص٤٤٣).

[2] الزاوية: اسم موضع قريب من البصرة (المصدر نفسه جـ٣ ص١٢٨).

[3] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٤٦٤– ٤٦٥.

[4] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٣٤٢.

[5] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٤٦٧– ٤٦٩.

ولما انتهى الحجاج من أمر البصرة استخلف عليها الحكم بن أيوب الثقفي وسار إلى الكوفة فخرج منها ابن الأشعث إلى دير الجماجم[1] فسار الحجاج حتى نزل عليه وخندق على نفسه، وكذلك فعل ابن الأشعث. ويقول الطبري: إنه قد اجتمع على ابن الأشعث مائتا ألف من أهل البصرة وأهل الكوفة، ولعل هذا هو السبب الذي جعل عبد الملك يحس بخطورة الموقف ويرسل ابنه عبد الله وأخاه محمد بن مروان إلى أهل العراق ليعرض عليهم إعادة أعطياهم، أسوة بأهل الشام، وأن يعزل الحجاج إذا كان وجوده سبب المشكلة، وأن يختار ابن الأشعث ولاية أي بلد يريده لا يُترع منه ما دام عبد الملك خليفة، فإن قبلوا ذلك فأخوه محمد أميرٌ على العراق، وإن رفضوا فالحجاج أمير القتال وهما تحت طاعته. وقد نزل هذا الأمر على الحجاج نزول الصاعقة، فكتب إلى عبد الملك: والله لئن أرضيت أهل العراق بعزلي لم يلبثوا قليلاً حتى يخالفوك ويخلعوك، ولا يزيدهم هذا الأمر إلا جرأة عليك، فأبى عبد الملك إلا عرض هذا الأمر على أهل العراق[2].

ويبدو أن إصرار عبد الملك على هذا العرض هو اقتناعه بصحة تصرف ابن الأشعث وتعنت الحجاج وسوء إدارته، فلما أتى أمر عبد الملك بالإصرار على عرض هذا الأمر على أهل العراق ناداهم ابنه عبد الله وقال: أنا ابن أمير المؤمنين وهو يعرض عليكم كذا وكذا، فقالوا: نرجع إليك ونعطيك رأينا، وعندما اجتمع أهل العراق أشار عليهم ابن الأشعث بقبول هذا العرض ولكنهم أبوا عليه وجددوا له البيعة فلم يقدر على مخالفتهم، فلما أخبروا الشاميين برفض العرض قال عبد الله بن عبد الملك للحجاج: أنت الأمير وشأنك بعسكرك، فتنفس

---

[1] دير الجماجم: بلدة صغيرة على بعد سبعة فراسخ من الكوفة على طريق البصرة يقال إنها بنيت من جماجم الرجال الذين قتلوا في إحدى المعارك (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص٥٠٣).

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٣٤٦– ٣٤٨.

الحجاج الصعداء وقال: ألم أقل لكم: إنه لم يرد بهذا الأمر غيركم، وقام بتعبئة أصحابه وكذلك فعل ابن الأشعث، واستمرت المنازلات بينهم أكثر من ثلاثة أشهر في كل يوم يتقاتلون ويعودون إلى خنادقهم، وحينما جاء يوم الحسم حمل سفيان بن الأبرد، وهو على ميمنة الحجاج، على الأبرد بن قرة التميمي، وهو على ميسرة ابن الأشعث، فانهزم ابن الأبرد التميمي من غير قتال يذكر، فاضطربت صفوف ابن الأشعث وحلت به الهزيمة فهرب إلى البصرة[1].

ولما هرب ابن الأشعث إلى البصرة لحقت به فلول المنهزمين، فأعاد تنظيم صفوفه وخرج يريد الحجاج، فالتقيا بمسكن فحلت به الهزيمة أيضاً، وهرب إلى سجستان فأتبعه الحجاج ابنه محمداً ومعه عمارة بن تميم اللخمي، فأدركاه بالسوس[2] فقاتلهم ولكنه لم يستطع المقاومة فانهزم إلى سابور ومنها إلى كرمان[3]، ثم سار منها إلى بست[4] حيث قبض عليه عاملها عياض بن هميان الشيباني وسجنه، فتوسط فيه رتبيل وأطلقه وسار به معه، فأرسل الحجاج إلى رتبيل يتهدده ويعده بأن يكف عن بلاده سبع سنين إن هو سلم ابن الأشعث أو قتله، فقام رتبيل بقتل ابن الأشعث وبعث برأسه إلى الحجاج[5].

ولاية يوسف بن عمر وثورات العلويين:

كان يوسف بن عمر الثقفي والياً على اليمن، وفي أثناء ولايته تمكن من القضاء على بعض ثورات الخوارج هناك، فولاه هشام بن عبد الملك العراق،

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٤٧٠– ٤٧٢، ٤٧٨– ٤٨٢.

[2] السوس: اسم بلدة في إقليم خوزستان يقال إن فيها قبر النبي دانيال عليه السلام (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٢٨٠).

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٣٦٦– ٣٦٨.

[4] بست: مدينة بين سجستان وهراة، وهي من البلاد الحارة رغم أنها كثيرة الأنهار والبساتين (ياقوت، المصدر السابق جـ١ ص٤١٤).

[5] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٤ ص٤٨٥، ٥٠١– ٥٠٢.

وكان ذلك سنة عشرين ومائة للهجرة/ ٧٣٧م[١]. وهذه بعض ثورات العلويين التي حدثت في عهده.

ثورة زيد بن علي بن الحسين:

عندما قدم يوسف الكوفة وجد أن خالد القسري قد أجاز زيد بن علي بن الحسين بعشرة الآف وقد اشترى منه أرضاً فأعطاه ثمنها ولم يقبضها، فأبلغ يوسف هشاماً بذلك فاستدعاه هشام فأقر بالجائزة وأنكر الأرض فصدقه هشام، وطلب منه أن يعود إلى الكوفة فاستعفاه من ذلك خوفاً من يوسف، فقال: أنا أكتب إليه ألا يتعرض لكم، فسار إليها وهو مكره ويقال إن هشاماً قال له كلاماً أغضبه فقال: سوف أخرج ولن تراني إلا في موضع تكرهه[٢].

عاد زيد إلى الكوفة وسار يتنقل متخفياً بين منازل أهلها والشيعة يبايعونه سراً، فلما شاع أمره استدعاه يوسف فتظاهر بالمرض، ثم دعاه مرة أخرى فاعتذر بأن لديه بعض المشاغل وإذا فرغ منها أتاه، ولما رأى يوسف كثرة أعذاره أمره بمغادرة الكوفة فذكر أن لديه خصومة مع أبناء طلحة بن عبيد الله في أملاك لهم بالمدينة، فطلب منه أن يوكل عليها ويخرج، وعندما رأى زيد إصرار يوسف في طلبه خرج إلى القادسية وقيل للثعلبية، فتبعه أهل الكوفة وقالوا: نحن أربعون ألفاً لا نختلف عليك، وسوف نضرب بأسيافنا دونك، فارجع إلينا وسوف نخرج معك، فنصحه بعض أقاربه عن الرجوع معهم فأبى وقال: قد أخذت عليهم العهود والمواثيق على النصرة، فمضى ابن عمه داود إلى المدينة ورجع زيد معهم إلى الكوفة[٣].

---

[١] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٢٢١، ٢٢٤.

[٢] المصدر نفسه جـ٥ ص٢٢٩– ٢٣٢.

[٣] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٢٣٣– ٢٣٤.

كان يوسف بن عمر آنذاك بالحيرة فأرسل إليه نائبه على الكوفة الحكم بن الصلت يخبره بعزم أهل الكوفة على الخروج مع زيد، فلما بلغه ذلك أخذ يتجهز بالمسير إليهم، وعندما علم الشيعة بعزم يوسف على طلب زيد أتاه مجموعة من رؤسائهم وقالوا له: ما تقول رحمك الله في أبي بكر وعمر؟ قال: رحمهما الله وغفر لهما، وما سمعت أحداً من أهل بيتي يقول فيهم إلا خيراً، فعندئذٍ تفرقوا عنه ونكثوا بيعته فسماهم الرافضة، لأنهم نقضوا بيعته ورفضوا نصرته، وليس بصحيح أن الذي أطلق عليهم هذا الاسم المغيرة بن شعبة، لأنه قد توفي قبل خروج الحسين ومقتله[١].

ولما جاء الصباح وخرج زيد لم يخرج معه إلا ما يقارب مائتي رجل، أما يوسف فإنه سار إلى تل قريب من الحيرة، ثم بعث إلى زيد الريان بن سلمة الأراشي في ألفين من الجند ومعهم ثلاثمائة من القيقانية[٢] المهرة في رمي النشاب، فتمكنوا من قتله، حيث أتاه سهم في جانب جبهته الأيسر فثبت في دماغه فلما نزعوه مات في الحال وكان ذلك سنة اثنتين وعشرين ومائة للهجرة /٧٣٩م[٣].

ثورة يحيى بن زيد:

ولما قُتل زيد سار ابنه يحيى إلى خراسان ثم أتى بلخ[٤] وأقام بها مختفياً عند الحريش بن عمرو حتى هلك هشام وتولى الوليد بن يزيد، فكتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يأمره بالقبض على يحيى، فأمر نصر، عقيل بن معقل العجلي

---

[١] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص١٨١– ١٨٦.

[٢] القيقانية: نسبة إلى قيقان من بلاد السند.

[٣] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٥ ص٢٤٤– ٢٤٦.

[٤] بلخ: مدينة مشهورة بخراسان، كثيرة الخيرات، بحيث تحمل خيراتها إلى جميع أنحاء خراسان وخوارزم (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص٤٧٩).

بأخذ الحريش وتعذيبه حتى يدله على مكان يحيى، وعندما أحضر عقيل الحـــريش أنكر معرفته بمكان يحيى، فعذبه عقيل حتى كاد يقتله فقال ابنه قريش بن الحريش لعقيل: لا تقتل أبي وأنا أدلك على يحيى، فدله عليه فأخذه عقيل وبعث به إلى نصر فسجنه وأرسل إلى الوليد يخبره بذلك، فأمره الوليد أن يطلقه وأن يرســـله إليـــه، فسار حتى انتهى إلى بيهق[١] فخاف يحيى أن يرسل له يوسف بن عمر من يغتاله وهو في طريقه فرجع إلى نيسابور فأرسل إليه نصر جيشاً فهزمه يحيى ثم أرسل له جيشاً آخر فلحقه بالجوزجان[٢] وتمكن من قتله[٣].

القائد عبدالملك بن محمد بن عطية السعدي:

ومن رجال هوازن الذين كان لهم دور بارز في قتال الخوارج في عهد مروان ابن محمد القائد عبدالملك بن محمد بن عطية من بني سعد بن بكر، ومن الثورات التي انتدبه عبدالملك للقضاء عليها ثورة أبي حمزة الخارجي وعبدالله بن يحيى.

ثورة أبي حمزة الخارجي:

كان أبو حمزة الخارجي، واسمه المختار بن عوف الأزدي مـــن الإباضـــية، وكان في كل سنة يأتي إلى مكة ويدعو الناس إلى مخالفة مروان بـــن محمـــد، وفي إحدى السنوات التقى بعبدالله بن يحيى الحضرمي المعروف (بطالب الحق)، وطلب منه أن يأتي إليه فإنه مُطاع في قومه، فلما وصل أبو حمزة إلى حضـــرموت خلـــع مروان وبايع ابن يحيى بالخلافة، ثم بعد ذلك سار إلى المدينة فـــأوقع بأهلهـــا في القديد[٤] وتمكن من الاستيلاء عليها، ويقال إنه قتل من أهلها ســـبعمائة وكـــان

---

[١] بيهق: كورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحي نيسابور (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص٥٣٧).

[٢] الجوزجان: أرض واسعة من أراضي بلخ بخراسان وهي بين مرو الروذ وبلخ (المصدر نفسه جـ٢ ص١٨٢).

[٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص٢٢٨– ٢٣٠.

[٤] القديد: اسم موضع قريب من مكة (ياقوت، المصدر السابق جـ٤ ص٣١٣).

ذلك في سنة ثلاثين ومائة للهجرة/٧٤٧م. وبعد أن مكث فيها ثلاثة أشهر ورتب أمورها، سار إلى الشام يريد القضاء على مروان بن محمد، ولما علم مروان بذلك انتخب أربعة آلاف فارس من أهل الشام وأمّر عليهم عبدالملك السعدي وأمره أن يسير إلى قتال أبي حمزة فإذا فرغ منه سار إلى عبد الله بن يحيى باليمن[١].

سار ابن عطية إلى أبي حمزة، فاستقبله أبو حمزة بوادي القُرى ولكنه قـال لأصحابه لا تقاتلوهم حتى تناظروهم، فقال أصحاب أبي حمزة لابن عطية: مـا تقولون في القرآن والعمل به؟ قال: نضعه في جوف الجوالق، قالوا: ما تقولون في مال اليتيم؟ قال: نأكل ماله ونفجر بأمه[٢]، فلما سمعوا كلامه قاتلوه حتى المساء، ثم صاحوا به: ويحك يا ابن عطية، إن الله قد جعل الليل سكناً فاسـكن، فـأبى عليهم وقاتلهم حتى هزمهم وقتل أبا حمزة وأكثر أصحابه، وفرَّ من بقي منهم إلى المدينة فتبعهم يقتل فيهم حتى دخلوها وأمنوا بها [٣].

ثورة عبدالله بن يحيى (طالب الحق):

أقام ابن عطية في المدينة شهراً ثم استخلف عليها ابن أخيه الوليد بن عروة ابن عطية، وسار إلى اليمن، ولما بلغ عبد الله بن يحيى مسيره خرج إليه فهزمه ابن عطية وقتله وبعث برأسه إلى مروان ومضى في طريقه إلى صنعاء[٤].

سار ابن عطية إلى صنعاء فدخلها وأقام بها فأتاه كتاب مـروان يـأمره أن يسرع بالسير إلى مكة ليتولى إمارة الحجيج، فسار إلى مكة ومعه أربعون ألـف

---

[١] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٣٥١، ٣٨٨– ٣٩١.

[٢] لم يكن هذا الجواب يعبر عن رأي ابن عطية الشرعي، وإنما قاله لهم من باب الاستهزاء بهم وإغاظتهم لمعرفته بضلالهم. والمقصود بالجوالق: الأوعية (الفيروزأبادي، القاموس المحيط ص ١١٢٦).

[٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص٣٩٩.

[٤] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٥ ص٣٩٢.

دينار، وبينما هو يسير في طريقه في اثني عشر رجلاً من أصحابه أتاه ابنا جهانـــة المراديان في جمع كثير، فقالوا له: أنتم لصوص، فقال لهم: أنا أمير الحـــج، وهـــذا كتاب مروان بعهدي على إمارة الحج، فلم يصـــدقوه وقـــاتلوه فقـــاتلهم هـــو وأصحابه حتى قُتلوا[1].

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٣٩٢.

موقف قبيلة هوازن من الصراع بين الأمويين والعباسيين حول السلطة:

كان من أهم عوامل سقوط الدولة الأموية توتر العلاقة بين يزيد بن عمرو ابن هبيرة الفزاري، والي العراق آنذاك، وبين الخليفة مروان بن محمد، وهذا ما جعل ابن هبيرة يتباطأ في إمداد والي خراسان، نصر بن سيار الذي كان يواجه هجمات أبي مسلم الخراساني، رغم أشعاره واستغاثاته المتواصلة لابن هبيرة وللخليفة، فكان مروان يرسل أوامره إلى ابن هبيرة بإمداد نصر ولكن ابن هبيرة لا ينفذ أوامره، فلما رأى نصر أن لا قدرة له على مقاومة أبي مسلم بعد هزيمته واستيلاء أبي مسلم على مرو تظاهر بالبيعة له ثم هرب منه(١).

هذه الحالة من الضعف والتفكك التي أضحى عليها المشرق الأموي مع بداية القرن الثاني الهجري، تعكس لنا مدى الفراغ الذي تركه الولاة الهوازنيون العظماء كزياد بن أبيه وابنه عبيد الله والحجاج بن يوسف، فلم يشرع العباسيون في رسم مخططاتهم السرية إلا بعد زوال هؤلاء الولاة؛ الذين اشتهروا بيقظتهم وبولائهم وإخلاصهم للامويين، لذا نرى أن الخراسانيين لم يجدوا أي صعوبة في الاستيلاء على هذه الولايات الشرقية الواحدة تلو الأخرى في ظل تخاذل أمرائها، وكان الأمراء الهوازنيون هم الأبرز في التصدي لهؤلاء الثوار الجدد كما سيتضح لنا فيما بعد.

ومما يدل على ولاء الهوازنيين للدولة الأموية أن نصر بن سيار جعلهم الملاذ الذي يلتجئ إليه بعد الله عندما ساءت أحواله وفقد ولايته، وذلك لأنه يعلم شدة ولائهم للأمويين ووفائهم لمن يلتجئ إليهم، ولكن هؤلاء الأمراء لم يستطيعوا أن يفعلوا أكثر من الإمكانات المتاحة لهم في ظل تقاعس ابن هبيرة عن نجدتهم

---

(١) ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٣٧٩– ٣٨١، ٤٣٨.

وانشغال الخليفة عنهم، يتضح ذلك من كتابه الذي بعثه إلى نصر "إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فأحسم الثؤلول قِبلَك"[(١)] وعندما وصل كتابه إلى نصر قـال لأصحابه: إن صاحبكم يخبركم أن لا نصر عنده، وقد أمركم بتدبر أمركم مـع عدوكم[(٢)].

مقاومة زياد القشيري أمير بلخ:

وبعد استيلاء أبي مسلم على مرو[(٣)] وهرب نصر كما مر معنا، أرسل أبـو مسلم أبا داود إلى بلخ: وكان أميرها آنذاك زياد بـن عبـدالرحمن القشـيري العامري، فحاول أن ينقذ ما يمكن إنقاذه بعد أن رأى هزيمة نصـر وتضعضـع أموره، فخرج في أهل بلخ وترمذ[(٤)] وغيرهمـا مـن كـوّر طخارسـتان[(٥)] إلى جوزجان، فلما دنا منهم أبو داود ورأى زياد أن لا طاقة له بحرب أبي داود تراجع إلى ترمذ لكي يبحث عن حلفاء جدد لعله يستطيع الوقوف في وجه هذه القـوة الفتية، فدخل أبو داود مدينة بلخ ثم جاءه كتاب أبي مسلم يأمره بتسليم القيـادة لأبي الميلاء يحيى بن نعيم والرجوع إليه، فعند ذلك أرسل زياد إلى يحيى أن يرجع عن مشايعة أبي مسلم وينضم إليه فوافقه يحيى على ذلك وكذلك توثق زياد مـن مسلم بن عبدالرحمن الباهلي وعيسى بن زرعة السلمي، وكلاهما مـن القبائـل

---

(١) هو تشبيه الخليفة مروان الخراسانيين بالثؤلول الذي يتطفل على سطح الجلد ويطلب من نصر أن يحسم أمره معهم ولا ينتظر مساعدته.

(٢) مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحدائق. مكتبة المثنى. بغداد. بدون تاريخ. جـ٣ ص١٨٩.

(٣) مرو: هي عاصمة إقليم خراسان ويقال لها مرو الشاهجان، تفريقاً بينها وبين مرو الروذ، القريبة منها (ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٣١٣).

(٤) ترمذ: مدينة مشهورة، من أمهات المدن، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي، ينسب إليها الترمذي، صاحب الصحيح. (المصدر نفسه جـ٢ ص٢٦).

(٥) طخارستان: اسم إقليم من أقاليم بلاد فارس من نواحي خراسان، وهي عليا وسفلى، ومن أكبر مدنها طالقان (المصدر نفسه جـ٤ ص٢٣).

القيسية، وكذلك من أهل بلخ وترمذ وملوك طخارستان على أن تكون كلمتهم واحدة في قتال المسودة، فلما أعطوه العهود والمواثيق على ذلك رجع حتى عسكر على بعد ميل من مدينة بلخ[1].

ولما علم أبو مسلم بما فعله يحيى بن نعيم أمر أبا داود بالعودة إلى حرب زياد ومن اجتمع معه، فسار إليهم حتى اجتمع بهم على نهر السرجنان، وكان زياد قد وجَّه أبا سعيد القرشي مسلحة[2] لكي لا يأتيهم أصحاب أبي داود من خلفهم، وعندما نشبت المعركة بين زياد وأبي داود أتى أبو سعيد وأصحابه ليشاركوهم في المعركة، وكانت راياتهم سوداً، فلما رآهم أصحاب زياد ظنوهم كميناً لأبي داود قد خرج عليهم فانهزموا فتبعهم أبو داود فوقع أكثر أصحاب زياد في نهر السرجنان وانهزم من بقي منهم إلى ترمذ؛ فاستولى أبو دواد على ما في معسكرهم وواصل مسيره إلى بلخ واستولى عليها[3].

مقاومة نباتة الكلابي أميرجرجان:

عندما هرب نصر بن سيار من مرو، كما سبق أن ذكرنا، لجأ إلى نباتة بن حنظلة الكلابي العامري، والي يزيد بن هبيرة على جرجان[4]، فأرسل إليهم أبو مسلم قحطبة بن شبيب الطائي، وكان نباتة قد خندق على نفسه ومعه أهل الشام في عدة لم ير الناس مثلها، فلما رآهم أهل خراسان هابوهم، فقال لهم قحطبة: أتدرون من تقاتلون؟ إنكم تقاتلون قوماً قد حرقوا بيت الله وسوف ينصركم الله

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص٣٨٦– ٣٨٧. المقصود بالمسودة الخراسانيون؛ لأن راياتهم سود.

(2) عن تعريف المسلحة: انظر الرسالة ص١٢٠، حاشية: ١.

(3) ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٣٨٤.

(4) جرجان: مدينة كبيرة مشهورة بين طبرستان وخراسان، ويقال إن أول من عمرها المهلب بن أبي صفرة (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص١١٩).

عليهم، وأن هذه البلاد كانت لآبائكم وقد وعدني الإمام بأنكم سوف تلقوهم في مثل هذه العدة وسوف تنصرون عليهم في مثل هذا اليوم. فدارت المعركة بينهم وانتهت بهزيمة أهل الشام ومقتل نباتة واستيلاء قحطبة على مدينة جرجان[1].

مقاومة أبي بكر العقيلي أمير خوار الري:

ولما حلت الهزيمة بالشاميين وقُتل نباتة سار نصر إلى خوار الري[2]، وكان أميرها أبو بكر العقيلي العامري، فوجه له قحطبة ابنه الحسن ثم أتبعه بأبي كامل وأبي القاسم محرز بن إبراهيم وأبي العباس المروزي، وعندما اقتربوا من العقيلي هرب إليه أبو كامل وصار معه وأخبره بمكان العسكر الذي تركه خلفه، فأرسل إليهم نصر جنداً وحينما رآهم أهل خراسان هربوا وتركوا متاعهم فاستولى عليه الشاميون، وفي هذه الأثناء خرج نصر من عند العقيلي وتوجه إلى الري حيث وافته المنية هناك[3].

مقاومة محمد بن نباتة:

عندما قُتل نباتة وسقطت مدينته توجه ابنه محمد إلى يزيد بن هبيرة ليشاركه في الدفاع عن الكوفة فولاه ابن هبيرة مقدمته وأرسله لمواجهة قحطبة وصده عن الكوفة ، فاشتبك مع قحطبة، وكان أبو مسلم يلعب على الجانب النفسي لدى الخراسانيين لتقوية معنوياتهم على القتال، فقال لهم قحطبة: إن الإمام قد أخبرني بأنه سوف يكون لنا في هذا المكان وقعة ننتصر فيها، مما جعل الخراسانيين

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص٣٩١– ٣٩٢.

(2) خوار الري: مدينة كبيرة من أعمال الري، ذكر ياقوت أنها كانت خراباً في عصره (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص٣٩٤).

(3) ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٣٩٥.

يصدقون القتال مع أهل الشام، فانتصروا في هذه الوقعة، غير أن قائدهم قحطبة قُتل؛ ولكن الشاميين لم يعلموا بموته إلا بعد نهاية المعركة[1].

ولما حلَّت الهزيمة بابن هبيرة هرب إلى واسط وتحصن بها ومعه محمد بن نباتة، فسيَّر إليهم أبو سلمة الخلال -الذي تولى الوزارة بعد قحطبة- الحسن بن قحطبة فسار حتى أتى واسط فخندق على أصحابه فأشار أهل الشام على ابن هبيرة بالخروج لقتالهم فاستجاب لهم، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فحمل خالد بن خزيمة على ابن هبيرة فانهزم وانهزم من معه حتى غص بهم باب المدينة، ولكن أهل الشام لم يستسلموا وعادوا إلى مقاتلة الخراسانيين وعليهم محمد بن نباتة، فحمل عليهم الحسن بن قحطبة وحال بينهم وبين المدينة فألجأهم إلى نهر دجلة فغرق أكثرهم في النهر، غير أن هذه الهزيمة لم توهن عزيمة ابن نباتة، فبعد مضي سبعة أيام عاودهم القتال ولكنه انهزم هزيمة قبيحة على -حد تعبير الطبري- فدخل المدينة واستسلم للحصار[2].

وبعد مضي فترة من الزمن خرج ابن نباتة ومعن بن زائدة[3] في جماعة من أهل الشام فقاتلوهم، ولكنهم لم يستطيعوا إزاحتهم فرجعوا، وقد استمر الحصار أحد عشر شهراً ولم يستسلموا، حتى أتاهم خبر قتل مروان، فطلبوا الأمان من أبي

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص٤١٢– ٤١٣.

(2) المصدر نفسه جـ٧ ص٤٥١.

(3) هو معن بن زائدة الشيباني، أحد الأبطال الشجعان والأجواد الكرماء، وعندما ظهر العباسيون طلبوه فاختفى عنهم حتى كان يوم ثورة الخراسانية على أبي جعفر المنصور، وحينما رجحت كفة الخراسانيين وكادوا ينتصرون تقدم معن وقاتل بين يدي المنصور قتال الأبطال حتى انكشف الخراسانيون وانهزموا وكان مقنعاً في الحديد فلما انجلت المعركة سأله المنصور من أنت؟ فقال: أنا طلبتك يا أمير المؤمنين، أنا معن بن زائدة، فعفا عنه المنصور وولاه اليمن، ثم ولاه سجستان، وقد وثب عليه أحد الخوارج وهو يحتجم فقتله، وكان ذلك سنة ٥٢هـ وقيل سنة ٥٨هـ/٦٧٨م (الذهبي سير أعلام النبلاء جـ٧ ص٢١٧).

جعفر فأعطاهم ذلك ولكن أبا العباس السفاح غدر بهم وقتلهم بإلحاح من أبي مسلم، وكان من ضمن الذين قتلوا محمد بن نباتة[1].

مقاومة مجزأة بن الكوثر الكلابي:

ومن المواقف المحمودة للهوازنيين في وفائهم للدولة الأموية، أنه عندما استولى أحد قواد عبد الله بن علي على بالس[2] أخذ أبناء مسلمة بن عبد الملك ونساءه، فاستغاثوا بأبي الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر الكلابي وكان مجاوراً لهم بقنسرين[3]، فخرج من مزرعته في عدة رجال من أهل بيته فاعترض طريق هذا القائد فقتله واستنقذ أبناء مسلمة ونساءه وأعلن خلع عبد الله بن علي فأجابه أهل قنسرين إلى ذلك، ولما علم عبد الله بن علي بذلك توجه إليه، فمر بدمشق وكان بها إحدى زوجاته فخلَّف على دمشق أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي في أربعة آلاف رجل وتوجه إلى حمص، حتى إذا قاربها بلغه أن أهل دمشق قد ثاروا على أبي غانم فهزموه وقتلوا من جنده مقتلة عظيمة ونهبوا ما خلَّفه من ثقله ومتاعه غير أنهم لم يتعرضوا لنسائه[4]. ففضَّل مواصلة سيره إلى أبي الورد، وكان قد تجمَّع معه أهل قنسرين وحمص وتدمر، وعندما اقترب منهم عبد الله أرسل إليهم أخاه عبدالصمد فواقعهم في مرج يقال له مرج الأخرم، فحمل عليه أبو الورد فانكشف عبدالصمد وقُتل من جيشه عدة آلاف حسب قول الطبري، مما اضطر عبد الله بن علي إلى التقدم في من بقي معه من الجنود، فالتقوا مرة أخرى

---

(1) ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٤٤٠– ٤٤٢.

(2) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص٣٢٨).

(3) قنسرين: مدينة من مدن الشام قرب حمص، وقيل في تسميتها إن ميسرة بن مسروق العبسي مر عليها فلما نظر إليها قال: كأنها قن نسر فسميت قنسرين (المصدر نفسه جـ٤ ص٤٠٣).

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص٤٤٣– ٤٤٤.

فاقتتلوا قتالاً شديداً فانكشف جنود عبد الله وتراجعوا ثم عادوا مرة أخرى فثبت لهم أبو الورد في خمسمائة من أهل بيته حتى قتلوا جميعاً[1].

مقاومة إسحاق بن مسلم العقيلي:

وعندما علم أهل الجزيرة بثورة أبي الورد على العباسيين نقضوا بيعة بني العباس وساروا إلى حران، وبها موسى بن كعب والياً من قبل العباسيين، في ثلاثة آلاف من الجند، فحاصروها وكان أمرهم مشتتاً وليست هناك قيادة تجمعهم، فلما قدم عليهم إسحاق بن مسلم العقيلي ولوه القيادة فاستمر في حصاره لموسى، وحينما بلغ أبا العباس حصار إسحاق لموسى أمر أخاه أبا جعفر المنصور الذي كان محاصراً لابن هبيرة بمدينة واسط أن يسير إلى موسى ليفكّ الحصار عنه[2].

تحرك أبو جعفر من مدينة واسط، وفي طريقه، مرَّ بقرقيسيا فأغلق أهلها أبوابها دونه، ثم سار إلى الرقة وبها بكَّار بن مسلم، أخو إسحاق، فلم يتعرض له، ولما علم إسحاق بقدوم أبي جعفر سار من حران إلى الرها، بعد أن استمر في حصارها نحو شهرين، فخرج موسى إلى أبي جعفر بمن معه من أهل حران، وفي هذه الأثناء لحق بكَّار بأخيه إسحاق فخلفه أخوه إسحاق على الرها وسار في معظم العسكر إلى سميساط[3] وخندق على عسكره[4].

سار أبو جعفر إلى الرها، فكان بينه وبين بكَّار عدة وقعات ولكنها لم تكن حاسمة، فأمر أبو العباس عبد الله بن علي بالمسير إلى إسحاق، فسار من الشام حتى

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٤٣٣– ٤٣٤.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص٤٤٦– ٤٤٧.

[3] سميساط: مدينة على غربي شاطئ الفرات، ولها قلعة في طرف منها يسكنها الأرمن. (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٢٥٨).

[4] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٥ ص٤٣٥.

نزل مقابل إسحاق على سميساط، وجاء أبو جعفر فنزل معه، وكان أهل الجزيرة في ستين ألف مقاتل، فأرسل أبو جعفر إلى إسحاق يطلب المصالحة، فقال: إن في عنقي بيعة لمروان ولن أنكث بها؛ فاستمر حصارهم لإسحاق سبعة أشهر، ولما قُتل مروان أرسلوا إليه أن مروان قد قُتل، وحينما تأكد من ذلك صالحهم فأمنوه وكان عظيم المنزلة عندهم[1]؛ وقد أعاد إسحاق بعمله هذا ما سبق أن فعله زفر ابن الحارث عندما حاصره عبد الملك ورفض بيعته حتى يتمكن من القضاء على ابن الزبير كما سبق أن ذكرنا.

الموقف العام لقبيلة هوازن:

ومن خلال تتبع سير الأحداث لم نجد من بين النقباء أو القواد أو الولاة من انضم إلى أبي مسلم أو قام بمساعدته من أفراد قبيلة هوازن ما عدا زياد بن زرارة القشيري، فعندما حلّت الهزيمة بنصر بن سيار وهرب من مرو بايع أبا مسلم فولاه نيسابور. فلما توجه قحطبة إلى الري جعله على مقدمته وقد ندم على مبايعته لأبي مسلم فهرب يريد ابن ضبارة[2]، فبعث قحطبة في أثره المسيب بن زهير الضبي فأدركه وقاتله فانهزم زياد وقُتل أكثر من معه فتركه المسيب ورجع عنه[3].

أما ما يخص الموقف العام للقبيلة، فهي بلا شك قد وقفت مع بقية القبائل القيسية إلى جانب مروان، وكانوا معه في معركة الزاب، ومما يدل على تأكيد ولاء القبائل القيسية للأمويين أنه عندما وقع المصاف بين عبد الله بن علي ومروان قال مروان لقضاعة: احملوا، فقالوا: قل لبني سليم، ثم قال للسكاسك: احملوا،

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ7 ص447.

(2) ابن ضبارة: هو عامر بن ضبارة المري، والي أصبهان من قبل الخليفة مروان بن محمد (ابن الأثير، الكامل جـ5 ص396).

(3) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

فقالوا: قل لبني عامر، ثم قال للسكون: احملوا، فقالوا: قل لغطفان؛ وجميع هـــذه القبائل التي أحالوه عليها من القيسية مما يدل على أن هذه القبائل تـــدرك مـــدى ولاء هذه القبائل القيسية، لمروان[١].

[١] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٤١٩.

الفصل الخامس:

دور قبيلة هوازن في الفتوح الإسلامية

تمهيد:

لقد بُعث النبي ﷺ والصراع على أشده بين أعظم دولتين في ذلك العصر، الدولة الفارسية والدولة البيزنطية أو دولة الروم كما يسميها المسلمون. وكان المسلمون يميلون إلى دولة الروم لأنهم أهل كتاب، لذلك تألموا عندما حلت بهم الهزيمة من الفرس، مثلما أخبرنا القرآن الكريم : الم {١} غُلِبَتِ الرُّومُ {٢} فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ {٣} فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ {٤}[١]ثم فرحوا عندما جاءهم البشرى أثناء صلح الحديبية بتحقق وعد الله بنصر الروم[٢]. فلما أعز الله الإسلام ودانت له معظم قبائل شبه الجزيرة العربية، إن لم يكن كلها، تطلعوا إلى نشره خارج حدودهم الجغرافية، وكان منهجهم في هذا التطلع يرتكز على ثلاثة أمور: الإسلام أو الجزية أو الحرب، وهذا بالطبع سوف يحتم عليهم الاصطدام بهاتين الدولتين القويتين. وكل ما يهمنا في هذا الفصل هو معرفة دور هذه القبيلة ومساهماتها في هذه الجيوش التي انطلقت لنشر هذا الدين الجديد.

لقد كان لرجال قبيلة هوازن مساهمة فعالة في ولاية البلدان أو قيادة الجيوش منذ وقت النبي ﷺ، وكان أول لواء يعقده الرسول ﷺ لرجل من رجال هذه القبيلة مالك بن عوف النصري، بعد هزيمة قبيلته في معركة حنين، حيث استدعاه النبي ﷺ، فلما أسلم على يديه أعطاه مائة من الإبل وعقد له لواء على أهل الوبر من قبيلة هوازن وما جاورها من القبائل المحيطة بالطائف، وأما على صعيد ولاية البلدان فكان أول من عينه منهم عثمان بن أبي العاص حين قدم عليه وفد ثقيف سنة تسع من لهجرة/٦٣٠م، حيث جعله أميراً على مدينة الطائف، أما على

---

[١] سورة الروم، الآيات ١- ٤.

[٢] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٤٧٩.

مستوى القيادة فكان أول من أوكل له الرسول ﷺ ذلك الضحاك بن سفيان الكلابي، حيث كلفه بقيادة بعض السرايا لتأديب بعض المتمردين الأعراب من أهل نجد، وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك كله أثناء حديثنا عن موقف القبيلة من الدعوة الإسلامية.

فتوح الشام:

سبق أن أشرنا إلى دور رجال قبيلة هوازن في قتال المرتدين في عهد أبي بكر الصديق، ولما انتهى أبو بكر من حروب الردة بدأ في بعث الجيوش إلى بلاد الروم، وهناك من الإشارات ما يدل على أن أعداداً كثيرة من هذه القبيلة قد شاركت في فتوح الشام، ولكن من المتعذر تحديد هذه الأعداد، لذا سوف نكتفي بما ورد عند المؤرخين من إشارات تدل على مساهمتهم في هذه الفتوح.

معركة اليرموك:

تعتبر معركة اليرموك من المعارك الحاسمة مع الروم، وقد كان لرجال هوازن بعض المساهمات في هذه المعركة، من ذلك ما أشار إليه الطبري أن خالد بن الوليد قد قسم جيشه في معركة اليرموك إلى ستة وثلاثين كردوساً[1]، كان منها اثنان تحت قيادة رجال هوازن، الأول بقيادة ابن ذي الخمار، من ثقيف، والآخر بقيادة قيس بن عمرو، من بني مازن بن صعصعة، وكان على أمور المحاسبة في تلك المعركة عبدالله بن مسعود الثقفي، كما يذكر أيضاً أن يزيد بن أبي سفيان بعث أبا الزهراء القشيري إلى البثينة وحوران ففتحهما وصالحهما على صلح دمشق[2].

---

[1] الكردوس: قطعة عظيمة من الخيل، وكردس الخيل أي جعلها كتيبة كتيبة. (الفيروزآبادي، القاموس المحيط ص٧٣٥).

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٣٩٦– ٣٩٧، ٤٤١. كان صلح دمشق على المناصفة (ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٤٢٩).

وهناك إشارة أخرى وردت عند ابن الكلبي حيث يذكر أن حياش بن قيس القشيري من الذين أبلوا بلاءً حسناً يوم اليرموك، وقد قطعت ساقه آنذاك[1].

وعندما نزل المسلمون على اليرموك وطال حصارهم لها، تضجر الروم من ذلك، لأن المسلمين كانوا في رخاء وتأتيهم إمداداتهم من الأردن، وهم يعانون من نقص المؤون لديهم، فأمر ماهان قائد الروم، أحد بطارقته العظام أن يخرج في خيل كثيرة ويأتيهم من خلفهم لكي يقطع الإمدادات عنهم لعلهم يفكوا الحصار، فلما علم أبو عبيدة بذلك أرسل خالد بن الوليد في ألفي فارس لكي يعترض هذا البطريق، فسار خالد، وعندما قرب منهم بعث قيس بن هبيرة على الخيل فحمل على خيل الروم فهزمهم ولحقوا برجالتهم، وعندئذٍ حمل خالد على الرجالة وتوغل فيهم حتى وصل إلى قائدهم فانهزم فرآه قيس بن هبيرة وكانت قد تعبت فرسه من الكر والفر، فقال لرجل من بني نمير: هذا البطريق، قائد الروم وقد تعبت فرسي فلا تتركه[2].

ولما علم النميري أن هذا البطريق قائدهم لحق به حتى أدركه، وعندما شعر البطريق بأنه قد أدركه كر عليه فاختلفا ضربتين ولكنهما لم يتأثرا بهما فاعتنقا ونزلا على الأرض فتعاركا ساعة، ثم إن النميري تمكن من صرعه وجثم على صدره، ولكن البطريق كبله بيديه ورجليه فلم يستطع أن يفعل له شيئاً فأبصرهما قيس بن هبيرة فركّض فرسه إليهما وقال للنميري: هل قتلته؟ قال: لقد ضمني بيديه وفخذيه فلم أستطع أن أفعل له شيئاً، فضرب قيس البطريق بالسيف وقطع

---

(1) ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٤٨.

(2) الأزدي، تاريخ فتوح الشام. تحقيق عبدالمنعم عبدالله عامر. مؤسسة سجل العرب. القاهرة ١٩٦٧م. ص١٧٩.

إحدى يديه ثم تركه وانصرف، فقام النميري وضربه بالسيف حتى قتله، فلما مرَّ به خالد سأل قيساً: من قتله؟ قال: قتله النميري و لم يخبره باشتراكه معه[1].

فتح فلسطين:

وكان لرجال هوازن مساهمة فعالة في فتح فلسطين، فعندما أتم عمرو بن العاص فتح قيسارية استعمل علقمة بن حكيم الفراسي القشيري ومسروق العكي على قتال أهل إيليا، وبعث عبد الله بن علقمة الفراسي إلى عمر بن الخطاب يبشره بفتح قيسارية، فلما قدم عمر وتم فتح فلسطين قسمها على رجلين فجعل علقمة ابن حكيم الفراسي على نصفها وأنزله الرملة، وعلقمة بن مجزز المدلجي[2] على نصفها الآخر وأنزله إيليا، فترل كل واحد منهما في عمله بالجنود التي كانت معه[3].

المشاركة في الإمدادت:

ومن مساهمات الهوازنيين في فتوح الشام أنه عندما أرسل أبو عبيدة إلى الخليفة عمر بن الخطاب يطلب منه الإمداد أرسل إليه جيشاً يتكون من ألف فارس من أهل مكة والطائف ونخلة وثقيف، فسار هذا الجيش وكان بقيادة سعيد ابن عامر الجمحي. وفي طريقه أوقع ببطريق من بطارقة الروم فقتلوه وقتلوا بعض أصحابه وأخذوا منهم ألف أسير فضربوا أعناقهم فور قدومهم على أبي عبيدة[4]،

---

[1] الأزدي، تاريخ فتوح الشام ص١٧٩.

[2] بنو مدلج: فرع من كنانة (القلقشندي، نهاية الأرب ص٣٧٢).

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٦٠٤– ٦١٠، ٦٠٥.

[4] الواقدي، فتوح الشام. دار الجيل للنشر والطباعة. بيروت. جـ١ ص١٨٠.

فتح حصن الرستن:

وعندما استعصى حصن الرستن[1] على أبي عبيدة جمع أصحاب الرأي والمشورة وقال: إن هذا حصن حصين، وليس لفتحه سبيل إلا بالخدعة، وأرى أن نضع عشرين رجلاً في عشرين صندوقاً وتكون مفاتيح أقفالها من الداخل، فوافقوه على رأيه، فاستدعى أبو عبيدة بطريق الحصن واسمه نقيطاس وقال: نحن نريد أن نسير عنكم لقتال هرقل، وما منعنا من ذلك إلا أمتعة قد أثقلتنا فإن قبلتم بأن نضعها عندكم حتى تنتهي الحرب سرنا عنكم، فوافقه البطريق على ذلك شريطة أن لا يتعرضوا لفلاحيهم، فقاموا بإدخال الصناديق في الحصن، وكان من ضمن الرجال الذين بالصناديق الأصيد بن سلمة الكلابي[2].

تظاهر المسلمون بالرحيل، فلما رأى أصحاب الحصن رحيلهم ذهبوا إلى البيعة ليصلوا صلاة الشكر برحيل المسلمين، فعندئذٍ فتح المسلمون الصناديق وقبضوا على امرأة البطريق وقالوا: نريد مفاتيح أبواب الحصن، ولما سلمتها لهم توجهوا إلى البيعة ورفعوا أصواتهم بالتكبير فلم يجسر النصارى على الخروج لهم لأنه ليس لديهم سلاح، وعندئذٍ أرسل قائد الفرقة عبد الله بن جعفر الطيار الأصيد بن سلمة في أربعة نفر منهم إلى الباب القبلي للحصن ففتحوه ودخل المسلمون الحصن فاستسلم من فيه وطلبوا الصلح[3].

---

[1] الرستن: قرية صغيرة تقع على نهر العاصي، يذكر ياقوت أنها كانت خراباً في عصره (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٤٣).

[2] الواقدي، فتوح الشام جـ١ص١٥٠.

[3] المصدر نفسه جـ١ ص١٥٠– ١٥١.

فتح قيسارية:

ومن مساهمات رجال هوازن في فتوح الشام أنه في أثناء حروب قيسارية[1]، كان هناك أحد فرسان الروم قد أجهد المسلمين، فأحياناً يحمل على ميمنتهم وأحياناً على ميسرتهم، وكان من أشهر رماتهم لايكاد يخطيء له سهم، فقال عمرو بن العاص لأصحابه: من يكفينا شر هذا العلج؟ فخرج إليه رجل من ثقيف عليه فروة خلقة فنظر إليه العلج فإذا لم يكن عليه درع يحميه ولم يكن معه سلاح إلا قوسه، بينما العلج في كامل عدته فازدراه ورماه بسهم فوقع في صدره واختلط بفروته ثم وقع ولم يصبه بأذى فاغتاظ العلج وأراد أن يرميه بسهم آخر فعاجله الثقفي بسهم فوقع في حلقه فخر صريعاً واستولى الثقفي على جواده وسلاحه[2].

حصار قلعة حلب:

وقد كان لرجال هوازن مشاركة في حصار قلعة حلب، فيذكر الواقدي أن يوقنا بطريق القلعة كان يراقب المسلمين، فلما رأى أن نيرانهم خمدت هجم عليهم في ألفين من بطارقته، فصادف غرة من الحرس فأوقع بالمسلمين وهم غافلون، فاستشهد منهم عدة رجال من بني كلاب من بني عامر منهم عطاف بن سالم الكلابي[3].

فتح قرية عزاز:

وعندما تم فتح قلعة حلب أسلم البطريق يوقنا السابق ذكره، فانتدب معه أبو عبيدة مائة فارس، من كل قبيلة عشرة فرسان وعليهم نقيب، وكان من ضمن

---

[1] قيسارية: مدينة على بحر الشام (البحر المتوسط) كانت من أمهات المدن، وتعد من أعمال فلسطين (ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٤٢١).

[2] الواقدي، فتوح الشام جـ١ ص٢٣– ٢٤.

[3] المصدر نفسه جـ١ ص٢٥٦.

هذه القبائل قبيلة نمير العامرية ونقيبهم أسد بن حازم فألبسهم أبو عبيـــدة لبـــاس الروم وجعل هذا البطريق أميراً عليهم وأمرهم بالسير لفتح قرية عـــزاز[1]، ولمـــا اقتربوا من عزاز قال لهم البطريق: إنكم قد شارفتم ديار القوم، فلا يتكلم مـــنكم أحد فأنا المتحدث عنكم، فإذا رأيتموني قد بطشت بصاحب الحصن فثوروا على بركة الله[2].

ولما سار البطريق سيَّر أبو عبيدة في إثره مالك بن الأشتر النخعي في ألـــف فارس ليكون ردءاً لهم، وعندما اقترب مالك وأصحابه من القرية نزلوا ينتظـــرون الصباح لكي ينظروا ما يكون من البطريق وأهل هذه القرية، فجاءهم رجل مـــن العرب المتنصرة وأخبرهم بأن لأهل هذه القرية جواسيس في عسكر المسلمين، وقد كشفوا له ما عزمتم عليه، فأرسلني إلى لوقا بن شـــاس صـــاحب الراونـــدات[3] يستنجد به عليكم، فأوصلت الرسالة إليه وهو مقبل عليكم في خمسمائة فارس[4].

أما البطريق يوقنا فإنه عندما وصل إلى عزاز وجد صـــاحبها واسمـــه دراس خارج الحصن ومعه ثلاثة آلاف من الروم وألف من متنصرة العرب فلم يُشـــعر يوقنا بأي تصرف يثير الريبة، وأقبل عليه ثم انحنى كأنه يريد أن يقبّل ركابـــه[5]، فقطع حزام السرج وجذبه، ولما سقط البطريق على الأرض بصق في وجهه ثم أدار كتافه وقال: الآن أبعث بك إلى هرقل لكي يصلبك على باب أنطاكية لتكـــون عبرة لغيرك، ثم حمل على المسلمين الذين معه وأخذهم أسارى وكلف بهم ابنـــه

---

[1] عزاز: قرية صغيرة تقع شمالي حلب، وتبعد عنها مسيرة يوم، وهي طيبة الهواء عذبة الماء (ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص١١٨).

[2] الواقدي، فتوح الشام جـ١ ص٢٧٤– ٢٧٥.

[3] الراوندات: وردت عند ياقوت باسم الراوندان، وهي قلعة حصينة في نواحي حلب (ياقوت، المصدر السابق جـ٣ ص١٩).

[4] الواقدي، المصدر السابق جـ١ ص٢٧٥– ٢٧٦.

[5] الرِكاب: غَرْز السرج التي توضع فيها الأرجل (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص١١٧).

لاون؛ أما مالك فإنه عندما أخبره الأعرابي بخبر صاحب الراوندات أيقظ أصحابه وبات ينتظره، وعندما سمع وقع حوافر خيولهم أمهلهم حتى توسطوا منهم ثم شدوا عليهم وأخذوهم أسارى، فأبقى مالك مائة من أصحابه على حراستهم وسار في بقية جيشه إلى عزاز[1].

ولما وصل مالك إلى عزاز وجد أن ابن دراس قد دخل في الإسلام بتأثير من يوقنا، وقام بقتل والده وأطلق أسرى المسلمين وردَّ عليهم أسلحتهم فثاروا في الروم، وحينما وصل مالك فتحوا له باب الحصن فدخل، وعندئذ طلب الروم الأمان من مالك فأعطاهم ذلك، ثم استدعى الأسرى الذين خلَّفهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا فضرب أعناقهم ثم ولَّى الحصن سعيد بن عمرو الغنوي وعاد إلى أبي عبيدة[2].

فتح قرقيسيا:

وعندما رأى هرقل مسير بعض الجيوش الإسلامية إلى العراق لمساعدة سعد ابن أبي وقاص في فتوح فارس حاول استعادة حمص، واستمد أهل الجزيرة فأمدوه بجيش، فتقدم هذا الجيش حتى نزل على هيت[3]، فبعث سعد إلى عمر يستشيره فأمره عمر بأن يرسل لهم جيشاً بقيادة عمر بن مالك بن عتبة، وأن يجعل على مقدمته الحارث بن يزيد العامري، فسار عمر حتى نزل على هيت، فوجدهم مخندقين على أنفسهم، فأمر الحارث بمحاصرتهم في نصف الجيش، وسار بالنصف الآخر إلى قرقيسيا فافتتحها عنوة ثم صالحهم، ثم كتب إلى الحارث إن هم استجابوا للصلح وإلا فخندق عليهم خندقاً، أبوابه مما يليك حتى أحضر إليك،

---

[1] الواقدي، فتوح الشام جـ١ ص٢٧٦– ٢٧٨.

[2] المصدر نفسه جـ١ ص٢٧٩.

[3] هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار (ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص٤٢١).

فلما أخبرهم الحارث بفتح قرقيسيا ومصالحتهم استجابوا له، فأفرج عنهم وعادوا إلى بلادهم[١].

فتح أرمينية الرابعة:

لما تمكن المسلمون من فتح أغلب مدن العراق والشام أرسل عمر إلى سعد بن أبي وقاص أن أرسل جيشاً إلى الجزيرة واجعل قيادته لعياض بن غنم، فأرسل سعد معه جيشاً وجعل فيه ابنه عمر، وهو غلام صغير، وأبو موسى الأشعري وعثمان ابن أبي العاص الثقفي، فخرج عياض وسار حتى نزل على الرها فصالحه أهلها، ثم بعث أبا موسى الأشعري إلى نصيبين ففتحها وسيَّر ابنه عمر إلى رأس العين ليكون ردءاً للمسلمين وسار هو بنفسه إلى دارا ففتحها وأرسل عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية الرابعة[٢] ففتحها بعد قتال يسير استُشهد فيه صفوان بن المعطل السلمي وصالح أهلها، على كل أهل بيت دينار، وكان ذلك في سنة سبع عشرة من الهجرة/٦٣٨م[٣].

غزو القسطنطينية:

وفي سنة تسع وأربعين من الهجرة/٦٦٩م جهَّز معاوية بن أبي سفيان جيشاً عظيماً لغزو الروم، وجعل عليه سفيان بن عوف ثم ألحقه بجيش آخر عليه ابنه يزيد ومعه كبار أبناء الصحابة كابن عباس وابن عمر وابن الزبير، وكان من ضمن هذا الجيش عبد العزيز بن زرارة الكلابي، فأوغل هذا الجيش في بلاد الروم حتى بلغ القسطنطينية، فاشتبك المسلمون مع الروم واشتد القتال بينهم وجعل

---

[١] ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٥٢٥.

[٢] أرمينية الرابعة: هي شمشاط وقاليقلا وخلاط وأرجيش وباجنيس، أما أرمينية الأولى: فهي السيسجان وأران، وأرمينية الثانية: جرزان، وأرمينية الثالثة: البسفرجان ودبيل وسراج طير وبغروند (البلاذري، فتوح البلدان ص١٨٥).

[٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٥٣.

عبدالعزيز يتعرض للشهادة ولكنها لم تكتب له، فقال أبياتاً يتمنى فيها الشهادة، فلما جاء من الغد حمل على الروم حملة شديدة وجعل يقتل كل من صادفه حتى انغمس بينهم، فتعاوره الروم برماحهم فقتلوه، وعندما بلغ خبر مقتله معاوية وكان زرارة عنده قال: هلك والله اليوم فتى العرب، فقال زرارة: ابني أو ابنك؟ فقال: بل ابنك وآجرك الله فيه[1].

الصوائف والشواتي:

كان للخلفاء الأمويين غزوات لبلاد الروم يسموها الصوائف والشواتي، ففي سنة اثنتين وخمسين من الهجرة/٦٧٢م غزا بالصائفة محمد بن عبد الله الثقفي[2]، وفي سنة ثلاث وخمسين من الهجرة/٦٧٣م غزا بالشاتية عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي[3].

الولاة الهوازنيون في البلاد الشامية:

وبما أنه لم يكن للولاة الهوازنيين في البلاد الشامية أدوار بارزة كما هو الحال في البلاد الفارسية التي تم فتحها، لذلك فضلنا الإشارة إلى مساهماتهم ضمن مشاركات الفتوح. فيذكر البلاذري أن الخليفة عثمان ولى المغيرة بن شعبة أذربيجان وأرمينية ثم عزله وولى القاسم بن ربيعة بن أمية بن أبي الصلت الثقفي، ويقال بل ولاها عثمان بعد المغيرة رجلاً من بني كلاب، فمكث عليها خمس عشرة سنة، ثم وليها بعد ذلك عمرو بن معاوية بن المنتفق العقيلي؛ وجميع هؤلاء الولاة من هوازن، ولما تولى مروان بن محمد الخلافة ولى أرمينية محمد بن إسحاق

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٤٥٩.

[2] المصدر نفسه جـ٣ ص٤٩١.

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٢٨٨.

العقيلي وأمره بمقاتلة مسافر بن القصاب، أحد زعماء الخوارج، فسار إليها ونزل في قلعة الكلاب بالسيسجان(١).

وعندما افتتح عبدالله بن عبد الملك طرندة سنة ثلاث وثمانين من الهجرة/٧٠٢م أسكنها جماعة من المسلمين، وكان يأتيهم جنود من الجزيرة يقيمون عندهم، فإذا جاء فصل الشتاء ونزلت الثلوج عادوا إلى بلادهم، وبما أن طرندة متوغلة في بلاد الروم، خاف عمر بن عبدالعزيز على أهلها، فلما تولى، أمر بتخريبها وأجلى من فيها من المسلمين وأسكنهم ملطية، وأمرهم بعمارتها، وولى عليهم جعونة بن الحارث العامري(٢). وكان ابنه منصور بن جعونة العامري من حراس الثغور، وكان معه جند كثيف من أهل الشام والجزيرة، وكان ينسب إليه حصن منصور الذي قام ببنائه في أيام مروان بن محمد(٣).

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان ص١٩٣– ١٩٦. السيسجان: بلدة صغيرة من بلدان أرمينية، وتبعد عن دبيل ستة عشر فرسخاً (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٢٩٧).

(٢) البلاذري، المصدر السابق ص ١٧٨.

(٣) المصدر نفسه ص١٨٣.

فتوح بلاد فارس وما وراء النهر:

لقد بدأت مملكة الفرس بالتدرج نحو الضعف بعد وفـــاة ملكهـــا العظـــيم كسرى أنو شروان، وظهر هذا الضعف واضحاً بعد مقتل ملكها كسرى أبرويز على يد ابنه شيرويه[1]، حيث كثرت الفتن والمشاكل الداخلية مما ســـهل علـــى المسلمين اقتلاع هذه الدولة في ظرف سنوات معدودة.

أما ما يتعلق بمشاركة أبناء قبيلة هوازن في فتوح فارس، فقد بدأت أكثـــر وضوحاً من مشاركاتاهم في فتوح الشام، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى قرب منازل هذه القبيلة من بلاد فارس، سواء كانوا من البادية الذين يسيطرون علـــى معظم الأراضي النجدية، أو الحاضرة الذين يمثلون أعداداً ليست بالقليلـــة مـــن سكان الكوفة والبصرة، بدليل أهم أول من سكنها وشارك في تخطيطها، أضف إلى ذلك أن معظم ولاة العراق أثناء هذه الفتوح من أبناء هذه القبيلـــة؛ ومـــن البديهي أن يكون لقبائلهم النصيب الأكبر من المشاركة في هذه الجيوش. وهـــذه بعض المساهمات التي قام بها أبناء القبيلة في فتوح بلاد فارس.

معركة قس الناطف (الجسر):

كان أبو بكر الصديق قد أعدَّ جيشاً بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني وأمـــره بالمسير إلى قتال الفرس، فتوفي ﵁ والجيش على وشك المسير، وقد أوصى لعمـــر أن يسرع بتسيير هذا الجيش، فلما انتهى عمر من دفن أبي بكر سيَّر جيش المثنى، ثم ندب الناس إلى قتال الفرس ثلاثة أيام، فلم يتقدم إليه أحد، وذلك لأنه أثقـــل الوجوه على الناس لشدة سلطان الفرس وقوة شوكتهم، وفي اليوم الرابع تقدم إليه أبو عبيد بن مسعود الثقفي، فانتخب عمر ﵁، معه ألف رجل وجعلـــه أمـــيراً

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٤٩٣.

عليهم فقال له الناس: لو وليت عليهم أحداً من أصحاب النبي ﷺ فأبى وقال: والله لا أفعل، إنما فضل الصحابة بسرعتهم في النهوض إلى محاربة أعدائهم، ولكن هذا لم يمنع عمر بأن يوصي أبا عبيد بأن يسمع من أصحاب النبي ﷺ وأن يشركهم في رأيه[١].

ولما جهَّز أبوبكر جيش أبي عبيد أمره أن يلحق بالمثنى، فإذا وصل إلى هناك كان هو القائد العام للجيش، فسار أبو عبيد ولحق المثنى بالحيرة، ثم سارا جميعاً والتقيا بجيش الفرس بقيادة جابان في النمارق[٢]، فكان النصر حليف المسلمين، حيث وقع جابان في الأسر، أسره مطر بن فضة التيمي، ولكنه لم يعرفه فافتدى نفسه بمبلغ زهيد، واتضح أمره قبل أن يغادر المعسكر، فأخذه المسلمون وأتوا به أبا عبيد وأشاروا عليه بقتله فرفض قتله بعد قبول فدائه وتأمينه وقام بإطلاقه[٣].

ولما بلغ نرسي ابن خالة كسرى هزيمة جابان، وكان في ضيعة له، أسرع إلى مدينته كسكر[٤] ليدافع عنها، وكذلك أمر رستم قائد الفرس الجالينوس بالتوجه إلى نرسي ليشاركه في الدفاع عن المدينة، ولكن أبا عبيد أسرع المسير إلى نرسي واشتبك معه قبل أن تصل إليه الإمدادات في مكان يدعى السقاطية[٥] فتمكن من هزيمته والاستيلاء على كسكر، ثم بعث المثنى إلى باروسما[٦] ووالقاً إلى الزوابي[٧] وعاصم إلى نهر جوبر[٨] فتمكنوا من هزيمة من فيهن، وجاء أصحابها إلى أبي عبيد

---

[١] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٤٤٤– ٤٤٧.

[٢] النمارق: اسم موضع قريب من الكوفة (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص٣٠٤).

[٣] الطبري، المصدر السابق جـ٣ ص٤٤٨– ٤٤٩.

[٤] كسكر: كورة واسعة وقصبتها خسرو سابور، وهي قلعة سهلية حصينة (ياقوت، المصدر السابق جـ٤ ص٤٦١).

[٥] السقاطية: اسم موضع بناحية كسكر من أرض واسط (المصدر نفسه جـ٣ ص٢٢٦).

[٦] باروسما: يطلق على ناحيتين من نواحي بغداد يقال لهما باروسما العليا وباروسما السفلى (المصدر نفسه جـ١ ص٣٢٠).

[٧] الزوابي: جمع زاب وتطلق على الأنهار الأربعة التي تحيط ببغداد (المصدر نفسه جـ٣ ص١٥٥).

[٨] نهر جوبر: اسم نهر من أنهار البصرة (المصدر نفسه جـ٥ ص٣١٩).

يطلبون منه الصلح على خراج يؤدونه، ثم نهض أبو عبيد واعترض طريق الجالينوس، فاشتبك معه في باقسياثا[١] بقرب باروسما فهزمه فهرب الجالينوس وأقام أبو عبيد هناك بعد أن فرض سيطرته على جميع البلدان التي ذكرناها[٢].

وعندما عاد الجالينوس إلى رستم منهزماً سأل من عنده: أي القواد أشد على العرب؟ قالوا: بهمن جاذويه، فاستدعاه وأرسله إلى قتال أبي عبيد وردَّ معه الجالينوس وأمره أن يجعله في مقدمته وأن يقتله إن انهزم أو رجع، واصطحب معه عدداً من الفيلة وسار حتى نزل على قس الناطف[٣] وأبو عبيد في مكان يقال له المروحة[٤] في الجهة المقابلة، وبينهما النهر، فأرسل جاذويه إلى أبي عبيد إما أن تعبر إلينا أو تمهلنا حتى نعبر إليك، فأشار عليه أصحابه أن يدعهم يعبرون إليه، ولكن يبدو أن انتصارات أبي عبيد السابقة جعلته يستهين بشأن الفرس، فعصى مشورة أصحابه وقرر العبور إليهم وقال: لن يكونوا أجرأ منا على الموت[٥].

ولما عبر أبو عبيد الجسر إلى الفرس ورأت الخيل الفيلة رأت منظراً غريباً لم تره من قبل، فجفلت وأحجمت عن التقدم، فعندئذ ترجل أبو عبيد وترجل المسلمون معه وقاتلوا قتالاً شديداً وقتلوا من الفرس مقتلة عظيمة وكاد النصر أن يتم لهم لولا ما يعانونه من الفيلة، فأراد أبو عبيد أن يقتل الفيل الأبيض الذي يقود

---

[١] باقسياثا: ناحية من نواحي بغداد من أعمال باروسما (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص٣٢٠).

[٢] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٤٥١– ٤٥٣.

[٣] قس الناطف: اسم موضع قرب الحيرة، وتعرف أيضاً بالجسر بشأن الجسر الذي يقيمه أهلها على نهر الفرات (ياقوت، المصدر السابق جـ٢ ص١٤٠).

[٤] المروحة: اسم موضع بالسواد على شاطىء الفرات الغربي وقس الناطف على الجانب الشرقي (المصدر نفسه جـ٥ ص١١٢).

[٥] ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٤٣٨. انظر أيضاً: البلاذري، فتوح البلدان ص٢٣٥.

الفيلة فتقدم إليه وضربه بالسيف فعاجله الفيل فخبطه بيده ولما سقط وطئه وحينما أبصر الناس قائدهم تحت أرجل الفيل انهزموا[1].

وقد عزَّ على الثقفيين أن ينهزموا وكأنهم وحدهم المعنيون بهذه الهزيمة، فلما رأى أحدهم وهو عبد الله بن مرثد الثقفي هزيمة الناس قام بقطع الجسر حتى لا ينهزموا وقال: أيها الناس موتوا على ما مات عليه أصحابكم، وتعاقب على حمل الراية سبعة منهم حتى قتلوا جميعاً، منهم أخو أبي عبيد الحكم وابنه جبر بن الحكم، فلما رأى المثنى هلاك الناس، أخذ الراية وأمر بعقد الجسر، ووقف المثنى ومعه مجموعة من شجعان فرسان المسلمين -كعروة بن زيد الخيل وأبي محجن الثقفي وأبي زبيد الطائي وكان نصرانياً ولكنه قاتل مع المسلمين حمية للعرب- بحماية ما بقي من المسلمين حتى عبروا، وقد هلك من المسلمين في هذه المعركة أربعة آلاف بين قتيل وغريق، وقُتل من الفرس ستة آلاف[2].

وعلى الرغم من هزيمة المسلمين في هذه المعركة إلا أن الانتصارات السابقة قد جرأت المسلمين على قتال الفرس، وقد كان وقع هذه الهزيمة أليماً على أمير المؤمنين عمر، فعندما بلغه خبر الهزيمة استخلف علي بن أبي طالب على المدينة، واستنفر المهاجرين والأنصار، وخرج بهم حتى أتى صراراً[3]، ولكن عبد الرحمن ابن عوف أشار عليه بعدم الخروج وقال: إن هزيمتك ليست كهزيمة غيرك، وأخشى إن هُزمت أو قُتلت أن يرتد الناس، فتريث في المسير، وأرسل إلى سعد بن أبي وقاص يستمده[4].

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٤٥٤– ٤٥٥.

(2) ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٤٣٩– ٤٤٠. انظر أيضاً: البلاذري ،فتوح البلدان ص٢٣٥ .

(3) صرار: اسم بئر ماء على طريق العراق المدينة (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٣٩٨).

(4) الطبري، المصدر السابق جـ٣ ص٤٨١– ٤٨٢.

معركة القادسية:

كان أبو بكرﷺ قد حظر على أهل الردة أن يشاركوا في غزوات الفتوح، فلما تولى عمر وجاءته الأخبار بهزيمة جيش أبي عبيد كما مرّ معنا آنفا أرسل إلى سعد بن أبي وقاص - وهو على صدقات هوازن- يأمره بانتخاب ذوي الـــرأي والنجدة منهم والذين لديهم القدرة على تسليح أنفسهم، فبينما الصحابة يحاولون ثني الخليفة عن المسير أتاه كتاب سعد "قد انتخبت لك ألف فارس كلهم له نجدة ورأي وصاحب حيطة يحوط حريم قومه" فاستشار عمر أصحابه فيمن يوليه عليهم فأشاروا عليه بعامله عليهم سعد بن أبي وقاص، فأرسل عمر إليه أن يقدم معهـــم فأمّره عليهم وولاه حرب العراق[1]؛ فكان هذا الجيش هو نواة الجيش الذي ألحق الهزيمة فيما بعد بالفرس في القادسية.

خرج سعد بهذا الجيش وقد أمده عمر بألفين من أهل اليمن وألفين من أهل نجد ثم أمده أيضاً بالمغيرة بن شعبة في أربعمائة من أهل المدينة، ولما وصـــل هـــذا المدد إلى سعد رحل إلى زرود[2] وأقام بها فصل الشتاء، وعندما أراد الارتحال منها أتاه كتاب عمر يأمره أن يبعث إلى أرض الهند[3] رجلاً يختـــاره بغـــرض قطـــع الإمدادت عن الفرس، فانتدب سعد المغيرة بن شعبة في خمسمائة فارس، فسار بهم حتى نزل بمحاذاة الأبلة[4] مما يلي أرض العرب[5].

---

(1) ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٤٥١.

(2) زرود: رمال كثيفة بين الثعلبية والحزيمية على طريق الحاج من الكوفة (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص١٣٩).

(3) يقصد بأرض الهند هنا موضع البصرة، وهي أرض فيها حجارة بيضاء خشنة. (الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٥٩١).

(4) الأبلة: بلدة على شاطىء دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل على البصرة، وهي أقدم من البصرة (ياقوت، المصدر السابق جـ١ ص٧٧).

(5) الطبري، المصدر السابق جـ٣ ص٤٨٨.

تقدم سعد بن أبي وقاص حتى نزل القادسية، وكان جيش المسلمين يقارب سبعة آلاف، أما الفرس فكانوا في حوالي ثلاثين ألفاً بقيادة رستم، ورغم كثرة جيش الفرس إلا أنهم رغبوا في المهادنة لبعض المشاكل الداخلية لديهم، فأرسل رستم إلى سعد أن يبعث إليه رجلاً من قومه يفاوضه، فبعث إليه المغيرة بن شعبة[1]؛ ولعل من الأسباب التي دعت سعد إلى بعث المغيرة أنه كان رجلاً جسيماً وعليه مهابة، كما أن لديه إلماماً باللغة الفارسية[2]، فلعله يلتقط بعض الأحاديث التي تدور بينهم أثناء تواجده عندهم، مما يساعده على معرفة بعض الأمور التي يريد الفرس الإقدام عليها.

ذهب المغيرة إلى رستم، وعندما دخل عليه تعمد الجلوس معه على سريره، فصاح به الفرس وحاولوا جذبه ليترلوه فقال المغيرة: كانت تبلغنا عنكم الأخبار بأنكم ذوي أحلام، ولكن لا أرى قوماً أسفه منكم، إنا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً ولا يرتفع بعضنا عن بعض، وكنت أظن أنكم مثلنا، ولكن ما أحسن ما صنعتم بي، فقد تبين لي أن بعضكم أرباب بعض، ثم إنني لم أطلب مجيئكم ولكن أنتم الذين دعوتموني، فقال ضعفاؤهم: صدق والله العربي، وقال الدهاقون: والله لقد قال كلاماً لا يزال في أذهان عبيدنا حتى ينقمون علينا[3].

ولما أخذ المغيرة مجلسه قال له رستم: ما الذي جاء بكم إلينا؟ فقال المغيرة: "إنا كنا قوماً في شر وضلالة، فبعث الله فينا نبياً فهدانا الله به ورزقنا على يديه، فكان مما رزقنا حبة زُعمت تنبت في هذا البلد، فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا لا صبر لنا عن هذه، أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبة"، فقال

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٤٩٦.

[2] المصدر نفسه جـ٤ ص٨٨.

[3] ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٤٦٤– ٤٦٥.

رستم: إذاً نقتلكم، فقال: إن قتلتمونا دخلنا الجنة، وإن قتلناكم دخلتم النار، ومن بقي منكم دفع الجزية، فلما سمعوا الجزية صاحوا به وقالوا: لا صلح بيننا وبينكم، فقال المغيرة: "تعبرون إلينا أو نعبر إليكم"، فقال رستم: بل نعبر إليكم، وعندما رجع المغيرة إلى سعد قال: لقد قلت لهم كلاماً لا يزالون يتذكرونه حتى يخلق الشقاق بينهم[1].

وبعدما فشلت المفاوضات بين المسلمين والفرس نشبت بينهم المعركة في سهل القادسية الذي يبعد عن الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وكانت راية الهوازنيين خلال الحرب في القادسية مع بشر بن عبد الله الهلالي، وقد أبلى منهم عدة رجال بلاءً حسناً، منهم ربيعة بن عثمان النصري الذي يقال إنه أول عربي قتل أعجمياً يوم القادسية، ومنهم الأعرف بن الأعلم العقيلي، حيث تقدم أحد فرسان فارس وطلب المبارزة فبرز له الأعرف وقتله، ثم برز له آخر فقتله ثم تكاثروا عليه وسقط سلاحه، فغبّر التراب في وجوههم حتى رجع إلى أصحابه[2]؛ وقد أبلى أبو محجن الثقفي بلاءً حسناً في معركة القادسية بعد أن قام سعد بسجنه لتمرده على أوامر خالد بن عرفطة الذي أنابه سعد عنه في إدارة المعركة بعد مرضه، فجعل يتوسل لسلمى زوجة سعد حتى أطلقته وأعطته البلقاء، فرس سعد. يقول ابن الأثير: فعندما أطلقته وأعطته الفرس ركبها فحمل على ميسرة الفرس حتى أوغل فيهم، ثم عاد وحمل على ميمنتهم وكان يقصف الناس قصفاً منكراً فأخذ الناس يتعجبون منه وهم لا يعرفونه، فقال سعد: لولا حبس أبي محجن لقلت إنه هو، فالضبر ضبر البلقاء والضرب ضرب أبي محجن، وقد بلغ الأمر من دهشة الناس من

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٤٨٥، ٤٩٦- ٤٩٧.

(2) المصدر نفسه جـ٣ ص٥٤٦. انظر أيضاً: ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٢٩١.

قتاله أن قال بعضهم: لولا أن الملائكة لا تباشر القتال لقلنا إنه من الملائكة، بل إن بعضهم قال: إنه الخِضر[١]. ومن الذين أبلوا في هذه المعركة ابـــن ذي الـــبردين الهلالي وكذلك المغيرة بن شعبة، حيث ذهبت إحدى عينيه في هذا اليوم، ويقـــال إن رستم قال لأصحابه عندما خرج المغيرة من عنده إذا قطع القنطرة فأخبروه أن إحدى عينيه ستفقأ غداً، فقال لهم المغيرة: بشرتموني بخير وأجر[٢].

ولم يقتصر دور قبيلة هوازن على الأمور القتالية فحسب، بل كان لهم بعض المشاركات الإدارية، حيث كان زياد بن أبيه هو كاتب قائد الجيش سعد بن أبي وقاص، كما أن هناك بعض الشعراء الهوازنيين الذين صاحبوا الجيش لكي يحثـــوا الفرسان على القتال، منهم أوس بن مغرا القشيري[٣].

فتح الأبلة:

وبعدما تمت الهزيمة على الفرس في معركة القادسية وجه عمر عتبـــة بـــن غزوان لفتح الأبلة، وكان من ضمن هذا الجيش بعض رجال ثقيف، كالمغيرة بن شعبة ونافع، ونفيع (أبي بكرة)، أبناء الحارث بن كلدة، وزيـــاد بـــن أبيـــه... وغيرهم، وكان الذي يقسم الغنائم بينهم زياد بن أبيه وكان عمره آنذاك أربـــع عشرة سنة[٤]. وقد أرسل عتبة إلى عمر يستمده فأمده بشريح بن عامر، أحد بني سعد بن بكر، فسار حتى انتهى إلى دارس فصـــادف مجموعـــة مـــن الأعـــاجم فقتلوه[٥].

---

[١] ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٤٧٠، ٤٧٥– ٤٧٦.

[٢] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٥٢٤، ٥٦٣. هناك من يذكر أن عين المغيرة ذهبت يوم اليرموك (ابن حجر، الإصابة جـ٦ ص١٥٧).

[٣] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٢ ص٤٥٣، ٤٧٠.

[٤] الطبري، المصدر السابق جـ٣ ص٥٩٥، ٥٩٧.

[٥] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٢ ص٤٨٦.

وبعدما أتم عتبة بن غزوان فتح الأبلة وفد على عمر واستخلف المغيرة بن شعبة فاستغل أبزقباذ، أحد عظماء الفرس، فترة غيابه، وجمع جيشاً كبيراً وأراد مهاجمة الأبلة، فخرج له المغيرة ولقيه بالمرغاب[1] وتمكن من هزيمته، و لم يقتصر القتال في هذه المعركة على الرجال، بل إن إحدى النساء الثقفيات، وهي أردة بنت الحارث بن كلدة، قالت لبعض نساء المسلمين: لو لحقنا بالمسلمين وكنا معهم، فشقت بعض خمارها وعقدت منه راية، وكذلك فعلت بقية النساء، وخرجن في أثر المسلمين فوصلن والمعركة على أشدها بينهم وبين الفرس، فلما رأى الفرس الرايات حسبوه مدداً فانصرفوا منهزمين فلحق بهم المسلمون وقتلوا بعضهم[2].

فتح اصطخر والبلدان المجاورة لها:

وفي سنة سبع عشرة من الهجرة/٦٣٨م أذن عمر بن الخطاب للمسلمين بالانسياح في أرض فارس، وكان عثمان بن أبي العاص الثقفي والياً على اليمامة والبحرين، فسار إلى أهل اصطخر والتقى بهم في جور[3] فهزمهم وفتحها، ثم سار إلى اصطخر فأوقع بأهلها ثم دعاهم إلى الجزية فأجابه الهربذ[4]، ثم سار إلى كازرون[5] والنوبندجان[6] وتغلب على أهلها ثم انضم إليه أبو موسى الأشعري

---

[1] المرغاب يطلق على عدة مواضع ولكن الذي يظهر لنا أن المقصود به هنا نهر من أنهار البصرة (ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص١٠٨).

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٥٩٥– ٥٩٦.

[3] جور: مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً (ياقوت، المصدر السابق جـ٢ ص١٨١).

[4] الهربذ: هو صاحب بيت النار لدى المجوس (ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص١٤).

[5] كازرون: مدينة كبيرة من مدن بلاد فارس، تقع بين البحر وشيراز، نعتها ياقوت بدمياط الأعاجم (ياقوت، المصدر السابق جـ٤ ص٤٢٩).

[6] النوبندجان: مدينة بأرض فارس تابعة لإقليم نيسابور (المصدر نفسه جـ٥ ص٣٠٧).

فسارا إلى مدينة شيراز[1] وأرجان[2] وسينيز[3] فافتتحوها، ثم سار عثمان إلى جناب[4] فافتتحها ثم التقى مع الفرس في جهرم[5] فهزمهم وافتتحها وصالحهم، ولما كان آخر ولاية عمر نقضوا العهد فسار إليهم عثمان فتمكن من هزيمتهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وقتل قائدهم شهرك وابنه، وكان الذي قتل شهرك أخو عثمان الحكم بن أبي العاص[6].

فتح تستر:

وقد كان لرجال هوازن مساهمة فعالة في جيش النعمان بن مقرن، فحينما استعصت تستر على النعمان خرج إليه رجل من العجم فاستأمنه على أن يدله على ثغرة يدخل منها المدينة، فانتدب النعمان عبد الله بن بشر الهلالي في بضعة نفر إلى تلك الثغرة فدخلوا منها وقاتلوا من فيها حتى استطاعوا فتح الباب لبقية الجيش فدخلها المسلمون وقتلوا من كان بها[7].

معركة نهاوند (فتح الفتوح):

كان المغيرة بن شعبة من ضمن جيش النعمان، وكان من ضمن النفر الذين أوصى لهم بالقيادة إن قُتل[8]، فلما نزل النعمان نهاوند أرسل إليه بندار العلج

---

[1] شيراز: مدينة كبيرة اشتهرت بصناعة السجاد، وهي عاصمة الإقليم الثالث ببلاد فارس (المصدر نفسه جـ٣ ص٣٨٠).

[2] أرجان: مدينة كبيرة كثيرة الخير، بها نخيل كثيرة وزيتون وفواكه، وهي برية بحرية سهلية جبلية، بينها وبين شيراز ستون فرسخاً (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص١٤٣).

[3] سينيز: بلدة على ساحل بحر فارس، قريبة من البصرة، يذكر ياقوت أنها كانت خراباً في عصره (المصدر نفسه جـ٣ ص٣٠٠).

[4] جناب: لم أعثر على موضع يعرف بهذا الاسم إلاموضع في أرض كلب بالسماوة بين العراق والشام، ولكن الواضح من سياق النص أنه ليس المقصود (المصدر نفسه جـ٢ ص١٦٤).

[5] جهرم: مدينة ببلاد فارس تشتهر بصناعة البسط (المصدر نفسه جـ٢ ص١٩٤).

[6] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٤٠.

[7] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٨٥.

[8] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٣ ص١٢.

يطلب منه أن يرسل إليه رجلاً يتفاوض معه، فأرسل له النعمان المغيرة بن شعبة، فلما أتاه قال: "إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير، وأطول الناس جوعاً، وأشقى الناس شقاءً، وأقذر الناس قذراً، وأبعده (وأبعدهم) داراً، وما منعني أن آمر هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالنشاب إلا تنجساً لجيفكم فإنكم أرجاس، فإن تذهبوا نخل عنكم، وإن تأتوا نريكم مصارعكم"[1].

قال المغيرة: فحمدت الله وأثنيت عليه ثم قلت: "والله ما أخطأت من صفتنا شيئاً ولا من نعتنا إن كنا لأبعد الناس داراً، وأشد الناس جوعاً، وأشقى الناس شقاءً، وأبعد الناس من كل خير حتى بعث الله عز وجل رسوله ﷺ، فوعدنا النصر في الدنيا والجنة في الآخرة، فوالله ما زلنا نتعرف من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتح والنصر حتى أتيناكم، وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى نغلبكم على ما في أيديكم أو نقتل بأرضكم"، فقمت وقد والله أرعبت العلج جهدي[2].

وعندما قُتل النعمان أثناء سير المعركة قال المغيرة: اكتموا خبر موت أميركم لعل الله أن يكتب لنا النصر، فلما جاء المساء انهزم المشركون وكتب الله النصر للمسلمين[3].

وكان السائب بن الأقرع الثقفي كاتب النعمان بن مقرن وحاسبه، ولما انتهت المعركة وأخذ السائب يقسم الأموال بين الناس جاءه أحد العجم وقال: أتؤمنني على نفسي وأهل بيتي وأدلك على كنوز النخيرجان، وهي كنوز آل كسرى، قلت: نعم؛ فبعثت معه رجلاً فجاءني بسفطين عظيمين ليس فيهما إلا اللؤلؤ والزبرجد والياقوت، وعندما فرغت من تقسيم الغنائم احتملتهما معي

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص١١٨.

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص١٣.

وقدمت بهما على أمير المؤمنين عمر، ولما رآني قال: ما وراءك يا سائب؟ قلت: فتح الله عليك أعظم الفتح، واستشهد النعمان بن مقرن، فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، فأعطيته السفطين، فباعهما على عمرو بن حريث بألفي ألف، فخرج بهما عمرو إلى ديار الفرس وباعهما بضعف ثمنهما، فما زال أكثر أهل الكوفة مالا بعدها[١].

فتح نيسابور:

لما بعث عمر الأحنف بن قيس لفتح خراسان سنة اثنتين وعشرين من الهجرة/٦٤٢م كان من ضمن الجنود الذين ساروا معه مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي، فوجهه إلى نيسابور ففتحها، وعندما بعث عمر الإمدادات إلى الأحنف كان من ضمن أمرائها الأربعة عبد الله بن أبي عقيل الثقفي[٢].

فتح بخارى:

وفي سنة أربع وخمسين من الهجرة/٦٧٣م ولّى معاوية عبيد الله بن زياد خراسان، فعبر النهر على الإبل إلى جبال بخارى، وكان أول من عبر النهر في جيش، ففتح رامني[٣] ونسف[٤] وبيكند[٥]، وغنم من البخارية مغانم كثيرة، وأخذ ألفين من مواليهم المهرة في رمي النشاب، ووصل إلى حدود الترك فهزمهم، وكان هو أول من قاتلهم وأبدى في قتالهم شجاعة نادرة[٦]

---

[١] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص١١٦.

[٢] المصدر نفسه جـ٤ ص١٦٧.

[٣] رامني: قرية على بعد فرسخين من بخارى، كانت خراباً في عصر ياقوت (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص١٧).

[٤] نسف: مدينة كبيرة كثيرة السكان بين جيحون وسمرقند (المصدر نفسه جـ٥ ص٢٨٥).

[٥] بيكند: بلدة بين بخارى وجيحون، ولها سور حصين. وقد ذكر ياقوت أنها كانت خراباً في عصره (المصدر نفسه جـ١ ص٥٣٣).

[٦] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٤٩٩.

فتح سمرقند:

لما تولى يزيد بن معاوية الخلافة كان عبد الرحمن بن زياد بن أبيه على خراسان وأخوه عباد على سجستان، فعزلهما يزيد وجعل ولايتهما لأخيهما سلم ابن زياد، وأرسل إلى أخيه عبيد الله بن زياد، وهو على البصرة والكوفة، أن يدع سلماً ينتخب معه من الفرسان ما يشاء، فانتخب سلم ستة آلاف فارس وسار بهم إلى خراسان ثم عبر النهر غازياً، وكان ولاة خراسان الذين قبله يغزون فإذا حلَّ الشتاء رجعوا إلى مرو، فإذا رآهم ملوك خراسان رجعوا واجتمعوا في إحدى مدنهم التي تلي خوارزم وتعاهدوا على أن لا يغزو بعضهم بعضاً، فكان المسلمون يطلبون من الأمراء الموالين لهم غزو من يليهم من ملوك خراسان الذين لم يدخلوا في طاعتهم فيأبون عليهم[1].

ولما غزا سلم شتا هناك ثم قصد هذه المدينة التي يجتمعون فيها وحاصرها فطلبوا منه أن يصالحهم على أن يفتدوا أنفسهم، فأجابهم إلى ذلك وصالحوه على عشرين ألف ألف وأن يأخذ ما يريده منهم من دابة أو متاع بنصف ثمنه، وفي إحدى غزواته غزا سمرقند[2] فافتتحها واصطحب معه امرأته، ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفية، فعبر بها النهر فكانت أول امرأة من العرب تعبر النهر[3].

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٩٦.

[2] سمرقند: مدينة كبيرة مشهورة تقع على جنوب وادي الصفد، وهي عاصمة ملكهم، ويقال لها بالعربية سمران (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٢٤٦– ٢٤٧).

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٤٧٣.

غزو بلاد الترك:

كان رتبيل من ملوك الترك المصالحين، وكان أحياناً يؤدي الخراج وأحياناً أخرى يمتنع، ولما تولى الحجاج العراق واستقامت له الأمور بعد قضائه على فتنة شبيب بن يزيد أمر عامله على سجستان عبيد الله بن أبي بكرة أن يناجز رتبيل بمن معه من المسلمين، وأن لا يرجع عنه حتى يهدم قلاعه ويستبيح أرضه، فخرج بمن معه من أهل الكوفة وعليهم شريح بن هانئ الضبابي، من بني عامر، وهو على أهل البصرة والأمير العام للجيش، فسار إلى رتبيل وأوغل في بلاده فأصاب مغانم كثيرة من البقر والغنم والأموال، وهدم عدة قلاع وحصون، وجعل الترك يتراجعون حتى لم يتبق على مدينتهم إلا ثمانية عشر فرسخاً، ثم التفوا من خلف المسلمين وقطعوا عليهم طريق الرجوع[1].

ولما أحس عبيد الله بخطورة الأمر رغب في مصالحتهم على بعض المال، فأرسل إليهم وصالحهم على سبعمائة ألف، على أن يخلوا له الطريق، ولما أرسل إلى شريح يخبره ويستشيره قال له شريح: لا تصالحوهم على مال إلا أنقصه السلطان من أعطياتكم، فقال عبيد الله: نقص أعطياتنا أهون علينا من هلاكنا، فقال شريح: قد تقدم بي العمر وإني أخاف إن لم أدرك الشهادة في هذا اليوم أن أموت قبل أن يأتي يوم مثله، ثم نادى في الناس: من أراد الشهادة فقد آن أوانها، فاتبعه بعض المتطوعة وفرسان الناس الذين أنفوا من الهزيمة فقاتلوا حتى أصيب أكثرهم وقُتل شريح ونجا بعض أصحابه[2].

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٣٢٢– ٣٢٣.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٤٥٠– ٤٥١.

وبعد هزيمة هذا الجيش خاف الحجاج أن يكون هذا الانتصار مشجعاً لرتبيل للتنقض على المسلمين والتوغل في ديارهم، فجهَّز جيشاً عظيماً يقدر بأربعين ألف مقاتل، عشرين ألفاً من أهل البصرة وعشرين ألفاً من أهل الكوفة، وجهزه بأفضل السلاح حيث أنفق عليه ألفي ألف سوى أعطيات الجند، وأمَّر عليه عبيد الله بن حجر بن ذي الجوشن العامري، ثم عدل عن رأيه وجعل ولايته لعبدالرحمن بن محمد بن الأشعث رغم كراهيته له[1]. ولعل الحجاج يهدف من إرسال ابن الأشعث أحد أمرين، إما تحقيق الانتصار أو التخلص منه.

وعلى أية حال فقد سار هذا الجيش الذي أطلق عليه جيش الطواويس لحسن هيئته وجودة تسليحه[2] حتى وصل سجستان فعسكر بها وأبلغ أهلها بولايته عليهم وأمرهم بالتجهز للخروج معه، ولما بلغ خبر هذا الجيش رتبيل أرسل إلى عبد الرحمن يعتذر عما حصل منه للمسلمين في بلاده، وأنهم هم الذين أجبروه على ذلك، وعرض عليه أن يقبل منه الخراج، فرفض عبد الرحمن قبول عذره وخراجه[3].

تقدم عبد الرحمن في أرض رتبيل، وكلما استولى على بلد بعث إليه عاملاً من عنده، وكلما استولى على حصن جعل فيه بعض المقاتلة وبثَّ العيون على الشعاب والمسالك حتى يأمن عدم مباغتتهم له أو الالتفاف من خلفه مثلما فعلوا بأبي بكرة، واستمر في التوغل، وتحصل على غنائم كثيرة من الأموال والأنعام، ثم رأى الاكتفاء بما حصل عليه من بلدان، واستشار ذوي الرأي من أصحابه فوافقوه

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٣٢٧- ٣٢٩.

[2] وقال الدينوري إنما سمي بذلك لكثرة ما فيه من الغلمان المنعوتين بالجمال (ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار. دار الكتاب العربي. بيروت. بدون تاريخ. جـ ٤ ص٢٣.

[3] الطبري، المصدر السابق جـ٦ ص٣٢٨.

على ذلك، فقرر الإقامة عليها حتى يضبط أمورها ويعرف مسالكها، ثم في العـــام القادم يواصل تقدمه حتى يقضي على آخر معاقل رتبيل[1].

ولما قرر ابن الأشعث الإقامة أرسل إلى الحجاج يخبره بما عزم عليه، ولكـــن يبدو أن أزمة الثقة التي بينه وبين الحجاج جعلت الحجاج يسفه رأيه الذي يرى أنه تريث ومكيدة، ويصفه بأنه جبن وحب للموادعة، ويأمره بمواصلة التقدم "ولكني رأيت أنه لم يحملك عليه إلا ضعفك فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم"؛ وبعث إليه بكتاب آخر إن لم ينفذ أوامره فليتخل عن القيادة لأخيه إسحاق بـــن الأشعث[2].

وعندما وصل كتاب الحجاج إلى ابن الأشعث قال لأخيه إسحاق: والله إن ذكرت أمر عزلي لأحد لأقتلنك، ثم جمع أصحاب الرأي والمشـــورة في جيشـــه وعرض عليهم كتاب الحجاج الذي يأمره بالتوغل في بلاد العدو الذي يخالف ما سبق أن عرضه عليهم ووافقوه عليه من عدم المسارعة بالتوغل في أرض العـــدو، وقال: إن الحجاج يضعفني ويعجزني، وهذه البلاد كما تعلمون هي البلاد الـــتي هلك فيها إخوانكم من قبل وأنا رجل منكم إن أردتم المضي مضيت وإن أبيـــتم أبيت، قالوا: بل نأبى على عدو الله ولا نسمع ولا نطيع، فعند ذلك أعلـــن ابـــن الأشعث العصيان وبايعه من معه وقرر الخروج على الحجاج[3]. وكان من أمـــره مع الحجاج ما أشرنا إليه سابقاً[4].

---

(1) ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٤٥٥.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٣٣٤– ٣٣٥.

(3) المصدر نفسه جـ٦ ص٣٣٥.

(4) انظر الرسالة ص٢٨٣–٢٨٤.

القضاء على تمرد أهل خوارزم وإعادة فتحها:

كان عامل قتيبة بن مسلم على خوارزم إياس بن عبد الله، وكان ضعيفاً، فاستخف به أهل خوارزم وجمعوا له الجموع، وكان على خراجه عبيد الله بن أبي عبيد الله، مولى مسلم الباهلي، فأرسل إلى قتيبة يخبره بضعف إياس وطمع الخوارزميين فيه، فقام قتيبة بعزله وتولية عبد الله بن المغيرة بن عبد الله الثقفي، ولما قدم عبدالله سار إليهم، وكان هناك بعض الناقمين على خوارزم شاه؛ لأنه قتل أبناءهم فاعتزلوا القتال معه، وحينما رأى أنهم لن يعينوه هرب إلى بلاد الترك، فتقدم عبدالله في بلاد خوارزم فسبى وقتل فصالحه أهلها وقاموا بدفع الجزية له، فعاد إلى قتيبة فاستعمله على نيسابور[1].

فتح بلاد السند:

لا تكاد تذكر بلاد السند إلا ويقفز إلى الذهن مباشرة ذلك الغلام الثقفي ذو السبعة عشر عاماً، الذي دوّخ أهالي تلك البلاد، فخرب حصونهم، واستولى على بلدانهم، ومع ذلك أحبوه وبكوا عليه ووضعوا له التماثيل[2].

وكان السبب في فتح هذه البلاد أن الحجاج عندما ولي العراق ولّى على مكران سعيد بن أسلم الكلابي، فخرج عليه معاوية ومحمد أبناء الحارث العلافيان فقتلاه، فولى الحجاج مجاعة بن سعر التميمي، فغزا وفتح بعض ضواحي قندابيل[3]، ثم عزل الحجاج مجاعة وولى محمد بن هارون النمري، وفي أثناء ولايته

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٥٧٥– ٥٧٦.

[2] البلاذري، فتوح البلدان ص٣٩٠.

[3] قندابيل: مدينة كبيرة من مدن إقليم السند، وهي عاصمة لولاية يقال لها الندهة (ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٤٠٢). ويقول كي لسترنج إنها مدينة كلاث الحديثة؛ مستنداً إلى وصف موقعها (كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية. ط٢. ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤٠٥هـ. ص٣٧٠).

أهدى ملك جزيرة الياقوت[1] إلى الحجاج نسوة ولدن في بلاده من آباء مسلمين كان آباؤهن من التجار فماتوا هناك، فأراد هذا الملك أن يتقـــرب إلى الحجـــاج بإهدائهن إليه، فعرض للسفينة قوم من ميد الديبل[2] في بوارج فأخذوا السفينة بما فيها، فصاحت امرأة منهن من بني يربوع من تميم: يا حجاج، فلما بلغ الحجـــاج منادالها له قال: يا لبيك، وأرسل إلى ذاهر يسأله التخلي عن النسوة وردهن، فقال ذاهر: إنما أخذهن اللصوص ولا أقدر عليهم، فأرسل الحجاج عبيد الله بن نبهـــان في جيش إلى الديبل فهُزم جيشه وقُتل، ثم أرسل جيشاً آخر مع بديل بن طهفـــة البجلي، وعندما لقيهم نفر به فرسه فقُتل أيضاً[3].

وبعد مقتل بديل ولّى الحجاج مكران محمد بن القاسم الثقفي وجهّز معـــه جيشاً قوامه ستة آلاف، وجهزهم بكل ما يحتاجون إليه، فسار محمد إلى مكران وأقام بها أياماً ثم سار إلى قنزبور[4] فافتتحها، ثم سار إلى أرمائيل[5] وافتتحها، ثم سار إلى الديبل وهناك وافته بعض سفنه التي كان قد حمل بهـــا بعـــض الرجـــال والسلاح، فترل على الديبل وخندق على جيشه، ونصب عليها منجنيقاً كان معه يقال له العروس، ولكنه لم يستطع التأثير في أسوارها، وكان بالديبل صنم عظـــيم على مكان مرتفع وعليه راية حمراء كلما هبت الريح أطافت بالمدينة[6]؛ ولما طال حصاره لها أرسل إلى الحجاج يستشيره، فأشار عليه الحجاج أن يرمـــي الصـــنم

---

[1] سميت هذه الجزيرة بهذا الاسم لحسن وجوه نسائها (البلاذري، فتوح البلدان ص٣٨٦).

[2] الديبل: من مدن السند. قال ياقوت: إنها تقع على ضفاف بحر الهند (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٢٦٧). وقد ذكر كي لسترنج إن اسم الديبل بالهندية برهمناباذ (كي لسترنج، المصدر السابق ص٣٦٩).

[3] البلاذري، المصدر السابق ص٣٨٧.

[4] قنزبور، هي عاصمة أقليم كرمان، وتعرف اليوم باسم بنج كور (كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ص٣٧١).

[5] أرمائيل: مدينة كبيرة من مدن السند، تقع بين مكران والديبل (ياقوت، المصدر السابق جـ١ ص١٥٩).

[6] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٥٣٧.

بالمنجنيق ففعل ما أمره به، فلما أصاب المنجنيق الصنم وتحطـم تطيّـر الكفـار وغضبوا، وخرجوا إلى محمد ليقاتلوه[1].

ولما خرج الكفار لقتال المسلمين حلت بهم الهزيمة فرجعـوا إلى مـدينتهم ليتحصنوا بها، فتبعهم المسلمون من فورهم وأمر محمد بنصب السلالم على السور، فصعد عليها المسلمون وفتحوا المدينة عنوة، فهرب عاملها واستباحها محمد ثلاثة أيام، ثم أنزل فيها أربعة آلاف من جنوده وبنى بها جامعاً ثم سار عنها إلى البيرون، وكان أهلها قد بعثوا إلى الحجاج وصالحوه، فاستقبلوا محمداً بالميرة فسار عنهـا وجعل لا يمر بمدينة إلا افتتحها حتى عبر نهراً دون مهران فأتاه أهـل سـربيدس وصالحوه فوضع عليهم الخراج، ثم سار عنها إلى سهبان وفتحها ثم سار إلى نهـر مهران[2] فنزل عليه وأرسل جيشاً إلى سدوستان فطلب أهلها الصلح فوضع عليها الخراج وعيَّن عليها محمد بن مصعب الثقفي عاملاً من قبله[3].

لم يحفل ذاهر بتقدم محمد بن القاسم؛ لأن بينه وبين محمد النهـر، ولكـن محمداً احتال على عبور النهر مما يلي بلاد راسل، أحد ملوك الهند، على جسـر عقده، ثم التقى مع ذاهر وهو على فيل وحوله الفيلة وعليها التكاكرة[4]، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم ترجل ذاهر وقاتل حتى قُتل، قتله رجل من بني كلاب، ثم سـار

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان ص٣٨٧.

[2] نهر مهران: نهر كبير تجري فيه السفن، يسقي بلاداً كثيرة، ويصب في بحر الهند عند الديبل (ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص٢٣٢). وقد ذكر كي لسترنج أن اسم هذا النهر بالهندية اندس (كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ص٣٦٩).

[3] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٥٣٧.

[4] التكاكرة: لقب لقواد السند (الفيروزآبادي، القاموس المحيط ص٤٥٥).

محمد إلى مدينة راور[1] وفتحها عنوة وبها زوجة ذاهر، فلما رأت تغلب المسلمين على زوجها أحرقت نفسها وجواريها وجميع أموالها[2].

وعندما أتم محمد فتح راور وضبط أمورها، تقدم إلى برهمناباذ العتيقة، وكان المنهزمون قد فروا إليها فقاتلهم وهزمهم وفتحها عنــوة وخربهــا، ثم ســار إلى الرور[3] فلقيه في طريقه أهل ساوندري فطلبوا منه الأمان فأمنهم واشترط عليهم ضيافة المسلمين، ثم تقدم إلى بسمد فصالحه أهلها، ولما وصل إلى الرور، وهي من أشهر مدنهم، على رأس جبل حاصرها شهوراً فصالحه أهلها، ثم سار إلى السكة ففتحها ثم قطع نهر بياس إلى الملتان[4] فقاتله أهلها فانهزموا ورجعوا فحاصــرهم محمد، ثم جاءه رجل وطلب منه الأمان على أن يدله على مصدر الماء الذي يدخل المدينة فأمنه ودله عليه فقطعه عنهم، فاشتد بهم العطش ونزلوا على حكمه فقتــل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وسدنة صنمهم وهم ستة آلاف[5]، وكان هذا الصنم من أشهر أصنامهم، وكانوا يحجون إليه من كل أنحاء البلاد، ويحلقــون رؤوســهم ولحاهم عنده، ويزعمون أن هذا الصنم هو أيوب عليه السلام، وقد عثر محمــد على أموال كثيرة من الذهب وغيره عند هذا الصنم، وعندما بعث بها إلى الحجاج وأحصاها وجدها مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف، قال: أنفقنا على هذا الجيش ستين ألف ألف فربحنا ستين ألف ألف ورأس ذاهر[6].

---

[1] راور: مدينة كبيرة من مدن السند (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص١٩).

[2] البلاذري، فتوح البلدان ص٣٨٨.

[3] الرور: مدينة بالسند قرب الملتان على شاطىء نهر مهران، وهي متجر أهل السند وميناؤهم، وهي مدينة حصينة عليها سوران (ياقوت، المصدر السابق جـ٣ ص٧٩).

[4] الملتان: مدينة كبيرة من مدن الهند قرب غزنة (المصدر نفسه جـ٥ ص١٨٩).

[5] المبالغة في الأعداد من سمات المؤرخين القدامى، ومن غير المناسب التشكيك فيها بدون دليل أو التنبيه عليها في كل حين؛ لذا يجب التنبه لها وتحكيم العقل فيها.

[6] ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٥٣٨– ٥٣٩.

وفي هذه الأثناء جاءت الأخبار إلى محمد بن القاسم بوفاة الحجاج فتراجع إلى رور فوجه له البيلمان جيشاً ولكنهم رفضوا مقاتلة محمد، وأعطوه الطاعة، ثم توجه إلى سرست فسالمه أهلها وصالحوه، ثم أتى الكنوج فخرج إليه دوهر فقاتله فهزمه محمد وقتله، وقيل: إنه هرب، ونزل أهل المدينة على حكم محمد فقتل منهم وسبى ثم أقام عليهم وأحسن السيرة فيهم فأحبوه[١].

لم يكد محمد بن القاسم يُفق من صدمة موت الحجاج حتى أتاه خبر موت الوليد بن عبد الملك وتولي أخيه سليمان، فأرسل إليه سليمان يزيد بن أبي كبشة وأمره بالقبض عليه وإرساله مقيّداً مع معاوية بن المهلب حيث سلمه لصالح بن عبد الرحمن فعذبه حتى مات في السجن، وذلك بسبب تأييده للوليد بخلع سليمان من ولاية العهد وجعلها لابنه عبد العزيز[٢].

غزو الصين:

كان قتيبة بن مسلم من ضمن القواد الذين أيدوا الوليد بن عبد الملك في عزل أخيه سليمان، وعندما أراد غزو الصين –وقد علم بمرض الوليد– أمر الناس أن يحملوا أولادهم معهم، وهو يريد بذلك أن يحرز أهله خوفاً من سليمان، فلما بلغ فرغانة[٣]، وهي أدنى مدن الصين، بلغه خبر موت الوليد، وفي الوقت نفسه أرسل إليه ملك الصين أن ابعث إلينا رجلاً من أشراف قومك حتى نسأله عن دينكم وما هو سبب مجيئكم، فاختار قتيبة وفداً من اثني عشر رجلاً لهم جمال وأجسام وفصاحة، وجعل عليهم هبيرة بن المشمرج الكلابي، وأمر لهم بعدة حسنة

---

[١] البلاذري، فتوح البلدان ص٣٩٠.

[٢] المصدر نفسه ص٣٩٠.

[٣] فرغانة: مدينة كبيرة من وراء النهر، متاخمة لبلاد تركستان، وهي مشهورة بكثرة خيراتها (ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٢٥٣).

من الثياب والسلاح ثم قال: يا هبيرة، ماذا عساك أن تفعل؟ قال: أصلح الله الأمير، قد كُفيت الأدب، وقل ما شئت آخذ به، فقال قتيبة: سيروا على بركة الله ولا تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا على ملك الصين، فإذا دخلتم عليه فأعلموه أني حلفت أن لا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم[1].

سار هذا الوفد وعليهم هبيرة، فلما قدموا على ملك الصين استدعاهم فلبسوا ثياباً بيضاً وجعلوا الغلائل من تحتها[2]، ثم تطيبوا ولبسوا النعال والأردية، فدخلوا عليه وعنده عظماء قومه، فلم يكلمهم الملك ولا أحد ممن عنده، فنهضوا فقال الملك لمن عنده: كيف رأيتموهم؟ قالوا: رأينا قوماً ما هم إلا نساء، فلما كان من الغد دعاهم، فلبسوا الوشي والعمائم والخز والمطارف، وعندما دخلوا عليه قال: ارجعوا، ثم قال لجلسائه: كيف رأيتموهم هذه المرة؟ قالوا: هذه أشبه بهيئة الرجال، وحينما جاء اليوم الثالث ودعاهم، شدوا سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر وأخذوا السيوف والرماح والقسي وركبوا خيولهم، ولما دنوا ركزوا رماحهم وأقبلوا عليه مشمرين، فقيل لهم: ارجعوا فرجعوا، وأخذوا رماحهم وركبوا خيولهم وجعلوا يتطاردون والملك ينظر إليهم، فالتفت إلى أصحابه وقال: كيف تروهم؟ قالوا: ما رأينا مثل هؤلاء قط[3].

ولما جاء المساء بعث إليهم أن ابعثوا لي زعيمكم، فبعثوا إليه هبيرة، وعندما دخل عليه قال: لعلكم قد رأيتم عظيم ملكي، وأنه ليس أحد يمنعكم مني وأنتم في بلادي، وسوف أسألك عن أمر فإن لم تصدقني قتلتكم، قال: اسأل ما بدا لك، فسأله عن سبب تغيير زيهم في الأيام التي دعاهم فيها، فقال هبيرة: أما زينا في

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٥٠٠– ٥٠١.

[2] الغلائل: الدروع (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص١٣٤٣).

[3] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٦.

اليوم الأول فلباسنا عند أهالينا وريحنا عندهم، وأما اليوم الثاني فلباسنا إذا أتينا أمراءنا، وأما اليوم الثالث فزينا لعدونا، فقال: ما أحسن ما فعلتم، ولكن ارجع إلى صاحبك وقل له أن ينصرف فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه، فقال هبيرة: كيف يكون قليل الأصحاب وأول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون؟ وكيف يكون حريصاً من خلَّف الدنيا وهو قادر عليها وقام بغزوك، أما تخويفك لنا بالقتل فإن لنا آجالاً محددة فإذا حضرت فأكرمها القتل[1].

ولما سمع ملك الصين من هبيرة هذا الكلام قال: وماذا يرضي صاحبك؟ قال: إنه قد حلف أن لا يرجع حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويأخذ الجزية منكم، فقال: نحن نخرجه من يمينه فنبعث إليه بتراب فيطأه، ونبعث إليه بعض غلماننا فيختمهم، ونبعث إليه بجزية يرضاها، ثم دعا بصحاف من ذهب ووضع فيها تراباً وأرسل معه أربعة من أبناء ملوكهم ثم أحسن جوائزهم وأعطاهم الجزية وهدية لقتيبة، فقبل قتيبة الهدية والجزية، ووطئ التراب، ثم ختم غلمانهم، وردهم إليهم ثم انصرف عنهم، وكان من ضمن هذا الجيش سوادة بن عبد الملك السلولي فقال قصيدة بهذه المناسبة يمدح بها هبيرة[2].

غزو بلاد الصفد والترك:

لقد بدأت أمور المشرق العربي تتضعضع بعد مصرع قواده العظام كقتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم ويزيد بن المهلب، وكان سعيد خدينة على خراسان، وكان ضعيفاً، فطمع فيه الأتراك، فجمع أحد زعمائهم، ويدعى كورصول،

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٥٠٢.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٧.

جيشاً وحاصر به قصراً كان قتيبة قد بناه، يعرف بقصر الباهلي، وكان فيه مائة بيت من المسلمين بأهلهم وذراريهم، فخاف المسلمون على أهلهم وذراريهم فصالحوهم على أربعين ألفاً وأعطوهم سبع عشرة رهينة من أبنائهم[1].

وكان عثمان بن عبد الله بن مطرف الحَرشي أحد الأمراء الهوازنيين الذين عينهم سعيد خدينة على سمرقند، ولما رأى تخاذل سعيد وضعفه انتدب المسيب بن بشر الرياحي ومعه أربعة آلاف من جميع القبائل لنصرة من في القصر، فسار بهم المسيب وعندما قرب من القصر عسكر في أصحابه وخطبهم وقال: إنكم ستقدمون على الترك وعوضكم إن صبرتم الجنة وعقابكم إن فررتم النار، فمن لم تكن لديه القدرة على الصبر فليرجع، فرجع عنه ألف وثلاثمائة، ثم تقدم قليلاً وأعاد عليهم مقالته فرجع عنه ألف، ولما أشرف على القصر أعاد مقالته فانصرف عنه ألف أخرى، فبقي في سبعمائة، وعند ذلك لقيه ترك خاقان، أحد ملوك الصفد، وقال له: إن جميع ملوك الصفد بايعوا الأتراك ولم يبق على الطاعة أحد غيري، وأنا في ثلاثمائة فارس وسوف أقاتل معكم، وأخبرهم بخبر الصلح والرهائن، وأن الأتراك حين بلغهم مسيركم قتلوا الرهائن، وأن المؤونة قد نفدت من عند أهل القصر وسوف يقاتلونهم غداً أو يستسلمون لهم[2].

وعندما علم المسيب بحال أهل القصر أرسل من ليلته رجلين، أحدهما من العرب والآخر من الترك، إلى أهل القصر ليخبرهم بقدومه، فذهب الرجلان وتسللا حتى وصلا إلى باب القصر فصاح بهم الحرس فقالا لهم: اخفضوا أصواتكم وادعوا لنا عبد الملك بن دثار، فلما أتاهم قالا له: أتاكم الغوث، فهل لديكم قدرة

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٦٠٧.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٩٢.

على الثبات هذه الليلة وغداً، فقالوا: والله لقد كدنا نهلك، وقد أجمعنا على تقديم نسائنا للموت أمامنا غداً حتى نهلك نحن وإياهم جميعاً، فأين أنتم الآن، فقالا: نحن قريب منكم وسوف نقاتلهم غداً، ولما رجعا إلى المسيب وأخبراه قال لمن معه: سوف نقاتل هؤلاء الكفار غداً، فمن أحب أن يذهب فليذهب، فلم ينصرف منهم أحد وبايعوه على الموت[1].

ولما جاء السحر عبأ المسيب أصحابه وحرضهم على القتال وقال: إذا دنوتم منهم فكبروا ثم شدوا عليهم شدة رجل واحد فإن سبعمائة سيف لا يضرب بها في جيش إلا أوهنته، وعليكم بالدواب فاعقروها، فإن عقرها أشد نكاية فيهم من القتل، وليكن شعاركم يا محمد، ثم سار إلى الترك من فوره ولما غشي معسكر الترك كبَّر وكبَّر المسلمون، فانتبه الترك مذعورين وخالطهم المسلمون فلم يستطيعوا الصمود لهم فانهزموا فنادى المسيب: لا تتبعوهم واذهبوا إلى إخوانكم فاحملوهم ولا تحملوا شيئاً غير المال، ومن حمل امرأة أو صبياً فأجره على الله، ومن أبى فله أربعون درهماً، فحملوهم حتى أنزلوهم على ترك خاقان فأطعمهم ثم ساروا بهم إلى سمرقند[2].

ولما رأى يزيد بن عبد الملك ضعف سعيد خدينة وعجزه عن مقارعة الترك قام بعزله وولى خراسان سعيد بن عمرو الحرشي، فتوجه الحرشي إلى خراسان حيث كان المسلمون الذين بإزاء العدو قد انهزموا ونُكبوا، فخطبهم وحثهم على الجهاد وقال: إنكم لا تقاتلون بكثرة العدد والعدة ولكن بنصر الله وعز الإسلام، فقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال:

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٦٠٩.

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٩٣– ٩٤.

فلست لعـــامر إن لم تـــروني أمام الخيل أطعن بالعـــــوالي

فما أنا في الحروب بمستكيـــن ولا أخشى مصاولة الرجـــال

إذا خطرت أمامي حي كعب وزافت كالجبال بـــنو هـــلال

أبى لي والـــدي من كـــل ذم وخالي في الحـــوادث خير خال[1]

وكان سعيد الحرشي شجاعاً، حيث قال عنه كارزنج، ملك الصفد: هـــذا فارس العرب[2]، وكان ابن هبيرة يعترف بشجاعته ولكنه يحسده، فعندما سمـــر عنده أصحابه ذات ليلة قال لهم: من سيد قيس؟ قالوا: الأمير، يعنونه، فقال: سيد قيس الكوثر بن زفر، لو نادى بليل أتاه عشرون ألفاً لا يسألونه لمـــاذا دعوتنـــا، وفارسهم هذا الحمار الذي في الحبس يعني سعيد[3]. لذا فإن يزيد بن عبد الملـــك عندما أرسل إلى ابن هبيرة يسأله عن أهل البلاء يوم العقر[4] لم يـــذكر ســـعيد الحرشي، فغضب يزيد وعلم أن ابن هبيرة يحسده، فأمره أن يعزل سعيد خدينـــة ويولي سعيد الحرشي مكانه[5].

ولما علم الصفد بقدوم سعيد الحرشي سُقط في أيديهم لأنهم قد أعانوا الترك في زمن سعيد خدينة، فأجمع عظماؤهم على الخروج من بلادهـــم، فقـــال لهـــم ملكهم: لا تفعلوا، أقيموا واحملوا له خراج ما مضى واضمنوا له خراج ما يـــأتي وعمارة الأرض والغزو معه إن أراد ذلك، واعتذروا عما كان منكم، وأعطـــوه

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٦٢١.

(2) ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص١١٥.

(3) الطبري، المصدر السابق جـ٦ ص٦٢٠.

(4) يوم العقر: هو اليوم الذي قتل فيه يزيد بن المهلب المتمرد على الخليفة يزيد بن عبد الملك (ابن الأثير، المصدر السابق جـ٥ ص٧٩).

(5) الطبري، المصدر السابق جـ٦ ص٦٢٠.

رهائن، فقالوا: نخاف أن لا يقبل منا، ولكنّا نأتي خجندة[1] ونستجير بملكها ونرسل إليه ونسأل الصفح ونعاهده على أن لا يرى منا شيئاً يكرهه، فقال: أنا رجل منكم، والذي أشرت به خيرٌ لكم، فأبوا وخرجوا إلى خجندة وأرسلوا إلى ملك فرغانة يسألونه أن يمنعهم وينزلهم مدينته، فأراد أن يفعل فقالت له أمه: لا تنزل هؤلاء الشياطين مدينتك، ولكن فرِّغ لهم شِعباً يكونون فيه، فأرسل إليهم يعتذر لهم عن دخول المدينة وطلب منهم أن يسموا شعباً حتى يفرغه لهم ويقيمون فيه، فاختاروا شعب عصام بن عبد الله الباهلي وكان قتيبة قد جعله لهم، فقال: أمهلوني أربعين يوماً حتى أفرغه لكم وليس لكم عندي جوار حتى تدخلوا فيه، فإن أدرككم المسلمون قبل دخوله لم أمنعكم، فرضوا وأخذ في تجهيز الشعب لهم[2]. وقيل إن ابن هبيرة أرسل إليهم قبل أن يخرجوا يسألهم أن يقيموا ويولي عليهم من أحبوا فأبوا، وخرجوا إلى خجندة[3].

وعندما علم سعيد بمسير الصفد نهض في أثرهم فقطع النهر وسار حتى نزل في قصر الريح[4] على مقربة فرسخين من الدبوسية[5] فأقام ينتظر وصول بقية جنده فأتاه ابن عم ملك فرغانة وقال له: إن أهل الصفد بخجندة، وأخبره بما تم بينهم وبين ابن عمه، وأشار عليه بمهاجمتهم قبل أن يصلوا إلى الشعب، فإن ليس لهم جوار عليهم حتى يدخلوه، فوجه معه سعيد عبد الرحمن بن عبد الله القشيري في جماعة وبعدما ساروا ندم سعيد وقال: جاءني عِلج لا أعلم صدقه من كذبه

---

[1] خجندة: بلدة مشهورة على شاطىء نهر سيحون، تبعد عن مدينة سمرقند مسيرة عشرة أيام بتجاه الشرق (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص٣٤٧).

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص١٠٤ – ١٠٥.

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٦٢٢.

[4] قصر الريح: قرية بنواحي نيسابور (ياقوت، المصدر السابق جـ٤ ص٣٥٧).

[5] الدبوسية: بلدة صغيرة من أعمال الصفد من وراء النهر، منها أبو زيد الدبوسي (المصدر نفسه جـ٢ ص٤٣٧).

وغررت بجند المسلمين بإرسالهم معه فارتحل في أثرهم حتى نـــزل أشرســـونة[١] فصالحهم على شيء يسير، وبينما هو يتعشى أقبل عليه عطاء الدبوسي، وكان مع الجند الذين بعثهم، فلما رآه سقطت اللقمة من يده وقال: ويلك هل قاتلتم أحداً، قال: لا، وأخبره بالأمر الذي جاء من أجله، ثم نهض سعيد وسار من ليلته حـــتى لحق بعبد الرحمن القشيري بعد ثلاثة أيام من نزوله علـــى خجنـــدة[٢]. ويقـــول الطبري: إن كارزنج قد أشار على الترك بالخروج إلى القشـــيري وتبييتـــه هـــو وأصحابه، قبل قدوم سعيد، فإذا علم سعيد بمقتله لم يقدم عليكم، فأبوا عليه[٣].

ولما نزل سعيد على خجندة قال له بعض أصحابه: نرى أن تعاجلهم، فقال: لا أرى ذلك، إن جُرح رجل إلى أين يرجع، وإن قُتل قتيل إلى أين يُحمل؟ ولكنّي أرى التأني والتزول عليهم ومحاصرتهم حتى يستسلموا أو يخرجوا إلينـــا، فمكـــث أياماً فلم يخرج إليه منهم أحد، وأخذ الناس يتكلمون في الحرشي وقالوا: كـــان يذكر بالشجاعة والديانة فلما صار بخراسان جَبن، ثم تقدم رجل منهم وضـــرب باب السور بعمود فانفتح فخرج عليهم الصفديون وقاتلوهم فانهزموا، وكانوا قد حفروا على أحد الأبواب من الخارج خندقاً وغطوه بالقصب والتراب وذلك من باب المكيدة ليسقط فيه المسلمون، فلما انهزموا غفل بعضهم عن الخندق أو ربمـــا أخطأوا الباب الذي خرجوا منه فوقعوا في الخندق فاستخرج المسلمون من الخندق أربعين رجلاً منهم، ثم ضربوا الحصار عليهم، فأرسل الصفد إلى ملك فرغانة أنك قد غدرت بنا وسألوه أن ينصرهم فقال: أتوكم قبل انقضاء الأجل، وليس لكـــم عليّ جوار، وعند ذلك طلبوا الصلح وسألوا الأمان وأن يـــردهم إلى الصـــفد،

---

[١] أشرسونة: بلدة كبيرة من وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص١٩٧).

[٢] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص١٠٧– ١٠٨.

[٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٦٢٢.

فاشترط عليهم أن يردوا ما سبوا من نساء المسلمين وذراريهم، وأن يؤدوا ما منعوه من الخراج، وأن لا يتخلف منهم أحد بخجندة، فإن أخلّوا بأي شرط من هذه الشروط حلت دماؤهم[1].

ولما تم الصلح فيما بينهم خرج إليهم كارزنج وقال لسعيد: إن لي حاجة أحب أن تشفعني فيها، قال: وما هي؟ قال: أحب إن جنى منهم أحد جناية بعد الصلح أن لا تؤاخذني بما جنى، فقال سعيد: وأنا لي حاجة فاقضِها، قال: وما هي؟ قال: لا يلحقني في شرطي ما أكره، ثم قال سعيد: أخرج الملوك والتجار من الجانب الشرقي، وأترك أهل خجندة الذين هم أهلها على حالهم، فقال كارزنج لسعيد: ولماذا تخرجهم؟ فقال: أخاف عليهم معرة الجند، فخرجوا من الباب الشرقي ونزلوا على معارفهم من جند المسلمين، ونزل كارزنج على أيوب بن أبي حسان ثم بلغ سعيداً أنهم قتلوا امرأة من نساء المسلمين اللواتي كنَّ في أيديهم، فقال لهم: بلغني أن ثابتاً الأشتيخني قتل امرأة ودفنها تحت حائط، فجحدوا، فأرسل سعيد إلى قاضي خجندة فتقصى القاضي الأمر فوجده صحيحاً فاستدعى سعيد ثابتاً وسأله عن خبر المرأة فجحد فلم يصدقه سعيد وقام بضرب عنقه، ولما سمع كارزنج أن سعيداً استدعى ثابتاً أرسل إليه غلاماً ليأتيه بالخبر، فأخبره أن سعيداً قتله، فظن كارزنج أن سعيداً سوف يستعرضهم ويقتلهم فقال لأيوب: إني ضيفك وصديقك فلا يجمل بك أن يُقتل صديقك في سراويل خلقة، قال: فخذ سراويلي، قال: لا يجمل بكم أن أُقتل في سراويلكم، ولكن أرسل غلامك إلى ابن أخي يأتيني بسراويل جديدة[2].

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص١٠٨.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص٩.

وقد تسبب سوء الفهم من كارزنج إلى خلق أزمة جديدة في المعسكر، فقد قال لابن أخيه خلنج قبل أن يخرج: إذا بعثت إليك أطلب سراويل فاعلم أنه القتل، ولما جاءه غلام أبي أيوب وطلب السراويل خرج لكارزنج ومعه شاكريته[1] وقد علّموا رؤوسهم بعصائب فثار بهم كارزنج في جند المسلمين وقاتل بهم حتى قُتل، قتله ثابت بن قطنة العكي. وعند ذلك قام الصفد بقتل من بأيديهم من أسرى المسلمين، وحينما علم سعيد بذلك قام بقتل زعمائهم ما عدا التجار فإنهم قد اعتزلوا القتال، ثم أمر بقتل من في المدينة فامتنعوا و لم يكن لديهم سلاح، فقاتلوا المسلمين بالخشب فقاتلهم المسلمون حتى أبادوهم عن آخرهم، ثم استدعى سعيد الفلاحين و لم يكونوا يعلموا بما حلّ بأصحابهم فجعل يختم على أعناقهم ويخرجهم إلى أصحابه فيقتلونهم حتى أتى عليهم. وقد بالغ المؤرخون في كثرة عدد من قُتل منهم، فقالوا: إنه قتل منهم ثلاثة آلاف، وقال بعضهم: بل كان عددهم سبعة آلاف، وقد قال ثابت بن قطنة في هذه الحادثة:

أقرَّ العين مصرع كارزنج وكشكيــر وما لاقى يباد
وديواشتي وما لاقى خلنج بحصن خجند إذ دمروا فبادوا[2]

ولما انتهى سعيد من أمر خجندة بعث سليمان بن أبي السري إلى حصن يطيف به وادي الصفد إلا من جهة واحدة، فجعل على مقدمته المسيب الرياحي، فتلقاه أصحاب الحصن فهزمهم وردهم إلى حصنهم فحاصرهم ثم طلبوا منه الصلح على أن لا يتعرض لنسائهم وذراريهم، فأجابهم إلى ذلك وسلموا الحصن، ثم سار سعيد إلى كش[3] فصالحوه على عشرة آلاف فكلف نصر بن سيار

---

[1] الشاكرية: الخدم أو الأُجراء (الفيروزآبادي، القاموس المحيط ص٥٣٨).

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص٩– ١٠؛ ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص١٠٨– ١٠٩.

[3] كش: قرية على رأس جبل على بعد ثلاثة فراسخ من جرجان (ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٤٦٢).

بقبضها وسار إلى زرنج[1] ففتحها ثم سار إلى خزائن[2] وكانت منيعة، فقال المجشر السلمي لسعيد: هل أدلك على من يسهل لك فتحها بدون قتال؟ قال: نعم، قال المسربل بن الحريث الناجي فإنه صديق لملكها، فوجهه إليها فأخبر المسربل ملكها بما فعل سعيد بأهل خجندة وخوفه فقال: ماذا ترى؟ قال: أرى أن تطلب الأمان لك ولمن معك، فصالحه سعيد وأمَّنه على نفسه وبلاده ثم استعمل سليمان بن أبي السري على ما فتح من البلاد وعاد إلى خراسان[3].

قتال الخزر:

عندما ولى هشام بن عبدالملك أخاه مسلمة أرمينية ووجهه لقتال الخزر جعل مسلمة على مقدمته سعيد بن عمرو الحرشي ومعه إسحاق بن مسلم العقيلي وإخوته وجعونة بن الحارث بن خالد العامري، فسار سعيد وواقع الخزر وقد حاصروا ورثان[4] فهزمهم وأزاحهم عنها، فأتوا ميمذ[5] من عمل أذربيجان، ولما تهيأ سعيد لقتالهم أتاه كتاب مسلمة يلومه على قتاله للخزر قبل قدومه ويخبره بأنه قد ولى أمر العسكر عبد الملك بن مسلم العقيلي. وعندما سلَّم القيادة لعبد الملك أخذه رسول مسلمة فقيده وحمله إلى برذعة[6] وسجنه بها، فتمكن الخزر من الانصراف فاتبعهم مسلمة وكتب إلى هشام بأمر سعيد الحرشي فغضب هشام من تصرف مسلمة وكتب إليه:

أتتركهم بميمذ قد تراهم وتطلبهم بمنقطع التراب

---

[1] زرنج: مدينة كبيرة وهي عاصمة إقليم سجستان (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص١٣٨).

[2] خزائن: لم أعثر على مدينة بهذا الاسم، ولعلهم يقصدون مدينة خزائن كسرى.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٥ ص١١٠.

[4] ورثان: مدينة في أقصى بلاد أذربيجان (ياقوت، المصدر السابق جـ٥ ص٣٧٠).

[5] ميمذ: مدينة من مدن أذربيجان (المصدر نفسه جـ٥ ص٢٤٤).

[6] برذعة: مدينة في أقصى إقليم أذربيجان وهي عاصمته (المصدر نفسه جـ١ ص٣٧٩).

وأرسل إليه يأمره بإخراج الحرشي من السجن وتسليم الولاية لــه، فأقــام سعيد في الثغر سنتين[١].

إخماد ثورة الترك (اللان):

اللان فصيلة من فصائل الترك تسيطر على إقليم أذربيجان. ولما بلغ هشاماً نقضهم للعهد وإيقاعهم بالجراح الحكمي في بلنجر[٢] وأسرهم عدداً من المسلمين استدعى سعيد الحرشي وقال: إنه قد بلغني أن الجراح انحاز إلى المشركين، قــال: كلا يا أمير المؤمنين، إن الجراح أعرف بالله من أن ينحاز للعدو، ولكنه قُتل؛ فقال له هشام: وما هو الرأي؟ قال: أن تبعثني على أربعين دابة من دواب البريــد، ثم تبعث إليَّ كل يوم أربعين دابة عليها أربعون رجلاً ثم اكتب إلى أمراء الأجناد أن يوافونّي، فأجابه هشام إلى ذلك، فقام سعيد بالتعرض للجيوش التي تحمل أسارى المسلمين إلى خاقان فأوقع بثلاثة منها، وأكثر فيهم القتل، واستنقذ ما معهم مــن أسرى المسلمين[٣]. ولما تم عزل سعيد الحرشي عن خراسان أُسندت ولايتهــا إلى سعيد بن أسلم الكلابي، فغزا أفشين فافتتحها وصالحه ملكها على ستة آلاف[٤].

غزو الختل:

وقد كان لرجال هوازن مساهمة فعالة في جيش أسد بن عبد الله القســري الذي غزا به الختل، وهم فصيلة من فصائل الترك، حيث أمر إبراهيم بن عاصــم الهلالي بالتقدم على أثقاله، وعندما أتى أسداً أحد الأتــراك وأخــبره أن لمدينــة

---

[١] البلاذري، فتوح البلدان ص١٩٤– ١٩٥.

[٢] بلنجر: مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص٤٨٩).

[٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص٧٠.

[٤] المصدر نفسه جـ٧ ص١٢١.

جرجان[١] التي يتحصن فيها خاقان الترك طريقاً يأتيها من الخلف أمر عثمان بن عبد الله بن الشخير الحرشي أن يسير معه، فسار في طريق يسمى ورادك حتى أشرف على الأتراك وهم آمنون، ولما رآهم الأتراك أرادوا الركوب لمناهضتهم ولكن المسلمين أعجلوهم فلم يستطيعوا الركوب فانهزموا وهرب خاقان، فاستولى المسلمون على ما في معسكرهم، وأراد أحد موالي خاقان المكلف بحماية أهله أن يحمل امرأته فأعجله المسلمون عنها فقام بطعنها[٢].

غزو طخارستان:

وكان لعثمان بن الشخير أيضاً مساهمة في جيش الجنيد عندما غزا طخارستان، حيث جعله الجنيد على مقدمته، وعندما أراد السير إلى فتح بخارى استخلفه على سمرقند في أربعمائة فارس وأربعمائة راجل[٣].

فتح قلاع تومان شاه:

وفي سنة عشرين ومائة من الهجرة /٧٣٧م غزا إسحاق بن مسلم العقيلي تومان شاه[٤] فافتتح قلاعها[٥].

فتح الشاش:

وفي سنة عشرين ومائة من الهجرة/٧٣٧م قام هشام بن عبد الملك بعزل خالد القسري عن ولاية العراق بعد أن مكث بها خمس عشرة سنة وولاها يوسف

---

[١] جرجان: مدينة مشهورة تقع بين طبرستان وخراسان، ويقال إن أول من بناها يزيد بن المهلب (ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص١١٩).

[٢] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص١٢٣– ١٢٤.

[٣] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص١٦٤، ١٦٩.

[٤] تومان شاه: لم أعثر لها على ذكر في المعاجم التي اطلعت عليها، ولكن من مسماها يبدو أنها من قلاع بلاد خوارزم.

[٥] الطبري، المصدر السابق جـ٧ ص١٣٩.

ابن عمر الثقفي. يقول ابن الأثير: كان الإسلام في العراق ذليلاً[١] والحكم فيه لأهل الذمة حتى قدم يوسف فاعتز الإسلام بقدومه، ويؤكد ذلك قول شاعرهم:

أتانا وأهل الشرك أهل زكاتنا وحكامنا فيما نسر ونجهر

فلما أتانا يوسف الخير أشرقت له الأرض حتى كل واد منور

وحتى رأينا العدل في الناس ظاهراً وما كان من قبل العقيلي يظهر[٢]

وقد تزامن تولية يوسف العراق مع ولاية نصر بن سيار لخراسان، فكان في ذلك خير للمسلمين على الرغم من ضعف سلطان الدولة الأموية وتفشي دعاة العباسيين، وقد تمكن نصر بن سيار من أسر كورصول، أشهر قواد الترك، فقتله رغم الفداء الكبير الذي بذله، وعند ذلك كتب يوسف إلى نصر بن سيار يأمره بالقضاء على حليفه الحارث بن سريج[٣]: "سر إلى هذا الغارز ذنبه في الشاش[٤] -يعني الحارث بن سريج- فإن أظفرك الله به وبأهل الشاش فخرب بلادهم واسب ذراريهم وإياك وورطة المسلمين"، فسار نصر إلى الشاش فتلقاه ملكها بالصلح والهدية والرهن، واشترط عليه نصر إخراج الحارث بن سريج من بلده فأخرجه إلى فاراب[٥]، واستعمل على الشاش نيزك بن صالح، مولى عمرو بن العاص، ثم سار حتى نزل على قبا من أرض فرغانة، وأرسل إلى صاحبها يطلب منه الصلح فأجابه إلى ذلك وأرسل أمه مع الرسول لمفاوضة نصر[٦].

---

[١] لم يوفق ابن الأثير في هذه العبارة، لأن الإسلام لا يضعف ولكن المسلمين هم الذين يضعفون.

[٢] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٢٢٤

[٣] هو الحارث بن سريج التميمي، كان والياً على خراسان، فعزله فتمرد عليه ولبس السواد، وأخذ يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه والبيعة للرضا من آل محمد ﷺ (المصدر نفسه جـ٥ ص١٨٣).

[٤] الشاش: مدينة وراء نهر سيحون وهي متاخمة لبلاد الترك (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٣٠٨).

[٥] فاراب: ولية من وراء نهر سيحون وهي أرض سبخة (المصدر نفسه جـ٥ ص جـ ٤ ص ٢٢٥).

[٦] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص١٧٤– ١٧٨.

فتوح إفريقية والأندلس:

أما عن مساهمات رجال قبيلة هوازن في فتوح إفريقية وضبط الأمور فيها، فلم تكن في مستوى مساهماتهم في المشرق، وإن كان يوجد لهم بعض المساهمات في السنوات الأخيرة من عمر الدولة الأموية، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى بعد مساكنهم عن هذه الديار وقلة من هاجر منهم إلى تلك البلاد كما سيتضح لنا من سياق الحديث عن هذه المساهمات.

ولاية يزيد بن أبي مسلم:

في سنة إحدى ومائة من الهجرة /٧١٩م قام يزيد بن عبدالملك بعزل محمد ابن يزيد عن ولاية إفريقية: واستعمل عليها يزيد بن أبي مسلم، مولى الحجاج بن يوسف، فأراد أن يسير فيهم بسيرة سيده الحجاج حينما رد أهل السواد المسلمين إلى ديارهم ورفض رفع الجزية عنهم، ولما رأوا ذلك منه اجتمع رأيهم على قتله فقتلوه وأعادوا واليهم السابق محمد بن يزيد، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك أننا لم نخلع أيدينا من طاعة، ولكن ابن أبي مسلم أراد أن يسير فينا بسيرة الحجاج فقتلناه وأعدنا عاملك السابق، فكتب إليهم يزيد: إنّي لم أكن راضياً بفعله ووافقهم على إعادة ولاية محمد بن يزيد[١].

ولاية عبيد الله بن الحبحاب السلولي:

كان عبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول، المعروف عند ابن الأثير بالموصلي، والياً على مصر، فأضاف إليه هشام ولاية إفريقية والأندلس سنة ست عشرة ومائة من الهجرة/٧٣٤م، فاستخلف ابنه القاسم على مصر وسار إلى

---

[١] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص١٠١.

إفريقية فأخرج المستنير[1] من السجن وولاه تونس وولى عقبة بن الحجاج السلولي القيسي بلاد الأندلس، فسار إليها وعزل عبد الملك بن قطـــن (ولايتـــه الأولى)، فضبط عقبة أمور الأندلس، وكان له في كل سنة غـــزوة، فـــافتتح جليقيـــة[2] والبتة[3].

مصالحة البجة:

كان عبيدالله بن الحبحاب هو أول من صالح البجة وكتب لهم كتاباً وفيه: أن عليهم ثلاثمائة بكرة في كل عام، وألا يقتلوا مسلماً ولا ذمياً، فإن قتلوه فـــلا عهد لهم، وأن لا يتستروا على عبيد المسلمين، وأن يردوا أبّـــاقهم إن وقعـــوا في أيديهم، ومن أخذ شاةً فجزاؤه أربعة دنانير، وللبقرة عشرة دنانير، وكان وكيلهم مقيماً بالريف رهينة عند المسلمين[4].

غزو بلاد السودان والسوس الأقصى:

وفي سنة سبع عشرة ومائة من الهجرة/٧٣٥م جهز عبيد الله جيشـــاً مـــع حبيب بن أبي عبيدة حفيد عقبة بن نافع، فغزا المغرب وبلغ السوس الأقصى[5]، ثم غزا السودان فكان لا يقاتل جيشاً إلا هزمه وظفر به واستولى على ما معه مـــن الغنائم، فامتلأت قلوب أهل المغرب منه رعباً، وكذلك قام بـــبعض الغـــزوات

---

[1] المستنير: هو المستنير بن الحارث الحريثي، أحد قواد بلاد الأندلس، غزا صقلية وتأخر في الرجوع حتى هجم عليه الشتاء فهلك أكثر جنده فقام عبيدة السلمي، عامل إفريقية من قبل هشام، بجلده والتشهير به ثم ألقاه في السجن (ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص١٧٤).

[2] جليقية: بلدة قرب ساحل البحر شمالي الأندلس في أقصاه من جهة الغرب (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص١٥٧).

[3] الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب. تحقيق: عبدالله الزيدان وعزالدين عمر موسى. دار الغرب الأسلامي، بيروت١٩٩٠م ص٧٢.

[4] ابن عبدالحكم، فتوح مصر والمغرب. تحقيق علي محمد عمر.مكتبة الثقافة الدينية. ١٤١٥هـ. ص ٢١٧.

[5] السوس الأقصى: إقليم بالمغرب، وعاصمته مدينة طرقلة، وسمي بالسوس الأقصى لأن وراءه بحر الرمل وليس وراء هذا البحر بلاد تعرف (ياقوت، المصدر السابق جـ٣ ص٢٨١).

البحرية فسيَّر جيشاً في البحر إلى السردانية[1]، فهزم أهلها واستولى على الكثير من الغنائم ثم عاد عنها[2].

غزو صقلية:

وفي سنة اثنتين وعشرين ومائة من الهجرة /٧٣٩م جهز عبيد الله مع حبيب جيشاً آخر وجعل معه ابنه عبدالرحمن بن حبيب، وسار إلى صقلية. حتى إذا ما نزل بأرضها وجه ابنه عبد الرحمن في مجموعة من الفرسان لفتح مدنها، فلم يلق أحداً منهم إلا هزمه حتى بلغ سرقوسة، وهي من أعظم مدن صقلية، فقاتلهم واستطاع هزيمتهم وحصرهم، ثم إنهم صالحوه على الجزية فقبلها منهم وعاد إلى أبيه. وكان حبيب بن أبي عبيدة قد عزم على الإقامة في صقلية حتى يملكها جميعاً، ولكن عندما قامت ثورة البربر بطنجة أرسل إليه عبيد الله يأمره بالرجوع إليه[3].

ثورة أهالي طنجة من البربر:

وكان السبب في هذه الثورة أن عبيدالله ولى ابنه إسماعيل طنجة وجعل معه عمر بن عبد الله المرادي مساعداً له، فأساء السيرة مع البربر وأراد أن يأخذ منهم الخمس بحجة أنه فيْءٌ للمسلمين، وهذا ما لم يفعله أحدٌ قبله. ولما سمع البربر بذهاب حبيب إلى صقلية ثاروا عليه واجتمعوا على رجل منهم يقال له ميسرة السقا، فنقضوا الصلح الذي كان بينهم وبين عبيدالله، واتفقت كلمتهم، مسلمهم

---

[1] السردانية: جزيرة كبيرة في بحر المغرب، ليس بعد الأندلس وصقلية وأقريطش أكبر منها (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص٢٠٩).

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص١٨٥. انظر أيضاً: البلاذري، فتوح البلدان ص٢١٨.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٥ ص١٨٥.

وكافرهم، على حربه، وبايعوا ميسرة بالخلافة، وخاطبوه بأمير المؤمنين، ثم ساروا إلى طنجة فقاتلهم عمر المرادي فهزموه وقتلوه واستولوا على طنجة[1].

ولما علم عبيد الله بما فعله البربر سيَّر إليهم جيشاً بقيادة خالد بن حبيب، وعندما وصل إليه حبيب بن أبي عبيدة سيَّره في أثره، ولكن البربر لم يمهلوا خالداً فخرجوا لقتاله، فاستقبلهم خالد وقاتلهم قتالاً شديداً فلم يصمدوا له، وتراجعوا إلى طنجة، ثم ثاروا على ميسرة وقتلوه وولوا عليهم خالد بن حميد الزناتي، ثم عاودوا قتال خالد ومعه عسكر هشام، فدار بينهم قتالٌ شديد، وصبرت العرب رغم قلتهم، ثم ظهر عليهم كمين من البربر فانهزموا، وكره خالد بن حبيب وأشراف العرب أن ينهزموا من البربر، فصبروا حتى قُتلوا جميعهم، ولذلك سميت هذه المعركة بموقعة الأشراف نظراً لكثرة من قُتل فيها من حماة العرب وفرسانهم[2].

ولما بلغ هشام بن عبدالملك خبر هزيمة خالد بن حبيب غضب وقال: والله لأغضبن للعرب غضبةً تشفيهم، وأسيِّر إليهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي، فاستدعى عبيد الله بن الحبحاب وعزله، وولى كلثوم بن عياض القشيري وجهز معه جيشاً كثيفاً، وكتب لسائر البلدان التي على طريقه أن يسيروا معه[3].

سار كلثوم بهذا الجيش في سنة ثلاث وعشرين ومائة من الهجرة/٧٤٠م وجعل على مقدمته بلج بن بشر القشيري، فتقدم بلج إلى القيروان، ولما وصلها قابل أهلها بالجفاء والتكبر، وأراد أن يُنزل العسكر معهم في منازلهم، فكتب أهلها

---

(1) ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص١٩١. انظر أيضاً: ابن الحكم، فتوح مصر والمغرب ص٢٤٦.

(2) ابن الأثير، المصدر السابق جـ٥ ص١٩٢.

(3) المصدر نفسه جـ٥ ص١٩٢. انظر أيضاً: ابن الحكم، المصدر السابق ص٢٤٧.

إلى حبيب بن أبي عبيدة وهو بتلمسان[١] في مواجهة البربر يشكون إليه ما فعله كلثوم وبلج، فكتب حبيب إلى كلثوم أن بلجاً فعل كذا وكذا، فقل له أن يرحل عن البلد وإلا رددنا أعنة الخيل إليك، فاعتذر كلثوم لحبيب واستدعى بلجاً وسارا معاً إلى حبيب. وعندما وصلا إلى هناك هجم بلج على حبيب وسبّه فتنازعا ثم اصطلحا واجتمع أمرهم على مقاتلة البربر، فقال لهم حبيب: اجعلوا الرجالة للرجالة والخيالة للخيالة، فأبوا عليه، فتقدم كلثوم بالخيالة على رجالة البربر فهزموه ورجع عنهم وقد أوهن تراجعه العرب ثم عادوا وحملوا عليهم مرة أخرى فانكشفت خيالة البربر وثبتت رجالتها، ثم تكاثر البربر على العرب فهزموهم وقُتل كلثوم وحبيب بن أبي عبيدة وانهزم العرب وتفرقوا[٢].

استيلاء بلج القشيري على الأندلس:

بعد هزيمة جيش كلثوم وتفرقه قام البربر بمحاصرة العرب الذين كانوا في إفريقية، وكان من ضمن هؤلاء المحاصرين بلج بن بشر القشيري، فأرسل إلى عبدالملك بن قطن، أمير الأندلس آنذاك، يستنجده، ولكن عبد الملك كان متخوفاً من دخول بلج إلى الأندلس فلم يمده ولم يسمح له بدخول الأندلس، غير أن عبدالملك عندما شعر باشتداد شوكة البربر في الأندلس، وأنهم يتأهبون للثورة عليه، اضطر إلى الاستنجاد ببلج، ولكنه اشترط عليه أن لا يقيم أكثر من سنة[٣].

ولما قدم بلج الأندلس كان الحصار قد أضر به فقصد بمن معه جمعاً من البربر بشدونة[٤] فقاتلوهم وظفروا بهم واستولوا على غنائمهم فتحسنت أحوالهم،

---

[١] تلمسان: مدينة بالمغرب تشتهر بالخيول الراشدية الأصيلة (ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص٤٤).

[٢] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص١٩٢– ١٩٣.

[٣] المصدر نفسه جـ٥ ص٢٥١.

[٤] شدونة: ذكرها ياقوت بالذال، وهي مدينة بالأندلس، من أعمال إشبيلية (ياقوت، المصدر السابق جـ٣ ص٣٢٩).

ثم إن عبد الملك أمرهم بالعودة إلى إفريقية حسب ما اشترط عليهم، فطلبوا منه مراكب يسيرون عليها، غير المراكب التي بالجزيرة الخضراء، حتى لا يتعرضوا للبربر الذين سبق أن حصروهم، ولكنه أبى عليهم فعند ذلك ثاروا عليه فهزموه وأسروه واستولى بلج على الأندلس وقام بقتل عبد الملك فهرب ابناه قطن وأمية واستعانوا بالبربر، ولكن بلجاً تمكن من هزيمتهم وعاد إلى قرطبة منصوراً، غير أنه توفي بعد سبعة أيام من جراح أصابته أثناء المعركة[1].

تحكم الصميل ببلاد الأندلس:

كان من ضمن الشاميين الذين دخلوا مع بلج إلى الأندلس الصميل بن حاتم ابن ذي الجوشن الضبابي، من بني عامر، وكان من أشراف مضر، ولما دخل الأندلس عرف له الناس شرفه ومكانته، وعندما آلت إمارة الأندلس إلى أبي الخطار، حسام بن ضرار الكلبي أخذ يتعصب لليمانية، فاتفق أن حصلت خصومة بين رجل من كنانة ورجل من غسان، فاستعان الكناني بالصميل ليكلم أبا الخطار في أمره، فلما كلم الصميل أبا الخطار أغلظ له الجواب، فرد عليه الصميل بمثل كلامه، فأمر أبو الخطار الحرس أن يدنوا الصميل منه ثم ضربه على قفاه فمالت عمامته، ولما خرج الصميل قال له الحُجاب نرى عمامتك قد مالت فقال: إن كان لي قوم فسوف يقيمونها[2].

وعندما حصل على الصميل ما حصل من أبي الخطار جمع قومه وقال: أريد أن أُخرج أبا الخطار من الأندلس، فقالوا: نحن تبع لك واستعن بمن شئت إلا أبا عطاء القيسي، وكان من أشراف قيس، ويضاهي الصميل في الرئاسة وينافسه

---

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٢٥١– ٢٥٢، ٢٥٩.

[2] المصدر نفسه جـ٥ ص٣٣٧– ٣٣٨.

عليها، وقال له آخرون: نرى أن تأتيه وتستعين به، وسوف تدفعه الحمية إلى الوقوف معك، فإن تركته مال إلى أبي الخطار وأعانه عليك[١].

سار الصميل من ليلته إلى أبي عطاء، وكان يسكن في مدينة استجه[٢]، فاستقبله أبو عطاء استقبالاً حسناً ورحب به ثم سأله عن سبب قدومه فأخبره، فنهض من عنده و لم يردّ عليه شيئاً، فلما لبس سلاحه وركب فرسه جاء حتى وقف على الصميل ثم قال: انهض حيث شئت فإني سائر معك، وكان قد أمر أصحابه وأتباعه باللحاق به، ثم ساروا إلى مرو وكان بها ثوابة بن سلامة الحداني، وكان مطاعاً في قومه، وكان أبو الخطار قد استعمله على أشبيلية ثم عزله فتمرد عليه فدعاه الصميل إلى نصرته ووعده أنه إذا ظهر على أبي الخطار أن يؤمره فأجابه إلى ذلك ودعا ثوابة قومه فأجابوه، ثم ساروا جميعاً إلى شدونة[٣].

ولما علم أبو الخطار بأمرهم سار إليهم والتقى بهم، فاقتتلوا، وصبر الفريقان ثم دارت الدائرة على أبي الخطار وقُتل أكثر أصحابه وتمكن الصميل من أسره، وبعد هزيمة أبي الخطار سار الصميل وثوابة إلى قرطبة فملكاها، وجعل الصميل الإمرة لثوابة وفاءً بوعده، وسلمه أبا الخطار فوضعه في السجن، وعندئذٍ ثار عبدالرحمن بن حسان الكلبي على ثوابة وأخرج أبا الخطار من السجن واستنصر اليمانية على ثوابة وأقبل بهم إلى قرطبة فخرج له ثوابة فيمن معه وأقبل الصميل بمن معه من المضرية، وعندما التقوا للقتال نادى رجل من مضر يا معشر اليمانية: ما لكم تُعرّضون أنفسكم للموت من أجل أبي الخطار وقد جعلنا الإمرة فيكم —لأن ثوابة بن سلامة من أهل اليمن– ولو أن الأمير منا لعذرناكم، وما يمنعنا من

---

(١) ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٣٣٨.

(٢) استجه: كورة بالأندلس تقع على نهر سنجل، وهي واسعة الأقاليم (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص١٧٤).

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق جـ٥ ص٣٣٨ .

قتالكم إلا عدم الرغبة في إراقة الدماء، فقال اليمانية: صدق والله، فتركوا القتال وتفرقوا فهرب أبو الخطار ولحق بباجة[1]، وقد سميت هذه الوقعة بوقعة العافية، لأن ليس فيها قتال[2].

استمر ثوابة في إمارة الأندلس سنتين وعدة أشهر، ولما توفي سنة تسع وعشرين ومائة من الهجرة /٧٤٦م اختلف الناس، فاليمانية يريدون أن تستمر الإمارة فيهم، والمضريون يريدون أن يكون الأمير منهم، فبقوا أربعة أشهر بدون أمير. ولما رأى الصميل خطورة الموقف وخاف الفتنة أشار بأن يكون الأمير من قريش، فرضوا كلهم بذلك، فاختار لهم الصميل يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وكان يومئذٍ بالبيرة[3]، فكتبوا إليه باجتماع أمرهم على تأميره فامتنع، فقالوا له: إن لم تفعل وقعت فتنة بين الناس ويكون إثمها عليك، فأجابهم وأقبل حتى دخل قرطبة فأطاعه الناس[4].

وحينما علم أبو الخطار بوفاة ثوابة وولاية يوسف قال: إنما أراد الصميل أن يجعل الإمرة في مضر، فأخذ يحرض الناس وأثار الفتنة بين اليمانية والمضرية، ولما رأى يوسف ذلك فارق قصر الإمارة وعاد إلى مترله، وسار أبو الخطار إلى شقندة فاجتمعت عليه اليمانية، واجتمعت المضرية على الصميل، وقامت الحرب بينهم، واستمرت أياماً، وكان بينهم قتالاً شديداً لم يكن بالأندلس أعظم منه، ثم تجلت الحرب عن هزيمة اليمانية وهروب أبي الخطار واختفائه، فأتى الصميل من أخبره

---

[1] باجة: بلدة بإفريقية كثيرة الأنهار تقع على جبل يقال له عين الشمس، سميت بباجة القمح لكثرة حنطتها (ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص٣١٤).

[2] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٣٣٨– ٣٣٩.

[3] البيرة: ميناء صغير يقع على ساحل البحر بالأندلس (ياقوت، المصدر السابق جـ١ ص٥٢٦).

[4] ابن الأثير، المصدر السابق جـ٥ ص٣٧٥، ٤٩٢.

بمكانه فذهب إليه واستخرجه وقتله فرجع يوسف إلى قصر الإمارة وازداد الصميل شرفاً فكان اسم الإمارة ليوسف والمتحكم فيها الصميل[1].

[1] ابن الأثير، الكامل جـ٥ ص٣٧٨.

الفصل السادس:

الدور الاجتماعي لقبيلة هوازن في الجاهلية وصدر الإسلام

تمهيد:

نقصد بالدور الاجتماعي مجموعة العلاقات التي تربط هذه القبيلة بالمجتمع الذي تعيش فيه، وكذلك التفاعل الاجتماعي، ومدى تأثيرها وتأثرها بالسلوكيات الموجودة في المجتمع آنذاك من عادات وتقاليد وديانات وأسلوب معيشة... الخ. وقد سبق أن تطرقنا لبعض هذه العلاقات بشكل عامّ، ولكن سوف نحاول في هذا الفصل إضفاء مزيد من التفصيل في بعض الجوانب كالحياة الاجتماعية والدينية والثقافية، وكذلك بعض الجوانب من الحياة الاقتصادية والتنظيمات السياسية.

المجتمع الهوازني:

الحياة الاجتماعية هي أسلوب حياة تفرضه طبيعة البيئة التي يعيش فيها الفرد أو الجماعة، وعليه أن يكيف حياته وفق معطيات هذه البيئة التي يعيش فيها، وبما أن أرض شبه الجزيرة العربية تعتبر أرضاً قاحلة وإن كان هناك بعض المناطق التي حباها الله بوفرة المياه والخصوبة كمنطقة الطائف وخيبر والأفلاج... وغيرها؛ إلا أن طابع البداوة هو الغالب على سكان شبه الجزيرة، لذا كانت الصراعات القبلية هي السائدة في ذلك العصر، وقد أدت هذه الصراعات بين القبائل إلى نشوء بعض الصفات التي أصبحت من السمات المميزة لأفراد ذلك المجتمع كالشجاعة والتمرس على المهارات القتالية وسرعة النجدة والأخذ بالثأر والعفو عند المقدرة وكلها فجرت المواهب لدى الشعراء فخلدوا هذه الصفات ورسموا معالمها بأشعارهم، فكان هذا الشعر من أهم المصادر التاريخية لدراسة تاريخ ذلك العصر.

ودراسة الحياة الاجتماعية من المسائل التي إذا حرص الباحث على أن يلم بشتاتها اتسعت عليه، وإذا أراد أن يحيط بتفصيلاتها تشعبت عليه وأعياه الإحاطة

بها[1]، ولكن ما لا يدرك جله يجب أن لا يترك كله، لذلك سوف نعطي بعض الومضات على الجوانب التي نرى أن فيها إفادة للموضوع، لرسم صورة تقريبية للحياة الاجتماعية لهذه القبيلة في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام؛ ولا شك أن هناك تبايناً كبيراً بين هذين العصرين سواء من ناحية ظهور دين جديد وتغيّر الكثير من المفاهيم لدى أفراد هذه القبيلة نظراً لما جاء به الإسلام من تشريعات جديدة أبطلت بعض العادات السيئة التي كانت موجودة في المجتمع الجاهلي آنذاك أو من ناحية وجود حكومة مركزية بدأت تستأثر بالولاء الذي كان في غالبه مصروفاً للقبيلة في عصر ما قبل الإسلام.

وبما أننا بصدد الحديث عن المجتمع الهوازني، فسوف نتطرق لبعض الجوانب الاجتماعية لهذه القبيلة، مع العلم أنها لا تختلف في كثير من الأحيان عن الجوانب الاجتماعية الموجودة لدى القبائل الأخرى، ولكن سوف نحاول بقدر الإمكان الاستشهاد ببعض الأمثلة التي تخص أبناء هذه القبيلة حسب ما تسعفنا به المصادر التاريخية. وبما أن المجتمع الهوازني يتكون من قسمين: فهناك المجتمع المدني، أو ما يطلق عليه هوازن المدر، والمتمثل في فرع ثقيف الذي يعيش في مدينة الطائف، وهناك سكان البوادي أو ما يطلق عليه هوازن الوبر، والمتمثل في الفروع الهوازنية الأخرى، إلا أن الاختلاف بينهما في النواحي الاجتماعية يكاد ينحصر في مسألة التوطن وحياة الاستقرار، وسوف نُفرد لكل منهما محوراً مستقلاً. أما الجوانب الاجتماعية الأخرى فلا نرى هناك ما يستحق الإفراد؛ لأن المدن في ذلك العصر لم تكن بمفهوم المدن الحديثة التي يظهر فيها التباين في هذه النواحي بشكل واضح وجلي.

---

[1] محمد بطاينة، الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام. ط٢. دار الكندي للنشر والتوزيع. إربد ١٤١٨م. ص٥.

مكونات المجتمع:

قال الله سبحانه وتعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا}[1] وقال جل شأنه {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً}[2]، فالزواج هو الأصل في تكوين المجتمعات بما يتمخض عنه من تكوين مجتمع صغير يتكون من الزوج والزوجة يطلق عليه لفظ الأسرة، ثم ما يلبث هذا المجتمع أن يكبر ويتطور بوجود الأبناء والحفدة ثم يتزايد عدد أفراد هذه الأسرة حتى يطلق عليها اسم عشيرة، ومن ثم يزداد أفراد هذه العشيرة ويطلق عليها اسم فخذ، ثم مسمى بطن، ثم مسمى عمارة، ثم قبيلة وهكذا... وبمثل هذا التطور تتكون القبائل التي تتكون منها الشعوب[3].

وكما نعلم جميعاً إن منشأ جميع هذه الشعوب من أبينا آدم عليه السلام حيث خلقه الله بيده وخلق له من نفسه زوجاً وهي أمّنا حواء، ومن ثم تكاثر أبناؤهم فصاروا أصلاً لهذه البشرية. قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا "[4]. ولقد أباح الله سبحانه وتعالى، وهو القادر على كل شيء، زواج الإخوة من أخواهم مع بداية الخلق، ومع تكاثر البشر خرجت بعض الضوابط الشرعية التي تحدد المحارم، وقد عرف الجاهليون بعض هذه الضوابط فحرم العرب تحديداً نكاح الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات[5]، ثم جاء الإسلام وأضاف بعض الضوابط التي تنظم عملية الزواج حيث حرم زوجات

---

(1) سورة الروم، آية ٢١.

(2) سورة النحل، آية ٧٢.

(3) الماوردي، الأحكام السلطانية ص٢٠٤– ٢٠٥.

(4) سورة الحجرات، آية ١٣.

(5) ابن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث. تحقيق محمد النجار. دار الجيل. بيروت ١٩٧٣م. ص١١١.

الآباء وزوجات الأبناء والجمع بين الأخوات، وكذلك حدد عدد الزوجات. قال تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا}[١] وقال تعالى: { فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ}[٢]. هذه لمحة سريعة عن كيفية تكون المجتمعات فمن الإيجاز إلى التفصيل.

تكوين الأسرة:

وبما أن الأسرة هي نواة تكوين المجتمعات فإن تكوينها يمر بعدة مراحل وسوف نعرض لكل منها بإيجاز:

١- البحث عن الزوجة:

ومع أن الهدف الرئيس من الزواج هو تكوين الأسرة، إلا أن هناك بعض ألأهداف والمواصفات التي يراعيها الجاهليون عند اختيار زوجاتهم ومن أبرزها:

أ- الكفاءة:

وكان من عادات العرب في الجاهلية أنهم لايزوجون ولا يتزوجون إلا من الأكفاء لهم في النسب، فالصرحاء في النسب لا يزوجون إلا الصرحاء، والموالي يزوجون أكفاءهم من الموالي. وقد ظل التقيد بهذه العادة مستمراً حتى بعد مجيء الإسلام، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: "تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء،

[١] سورة النساء، آية ٢٣.

[٢] سورة النساء، آية ٣.

وانكحوا إليهم"[1]، وروي أيضا عن عثمان بن أبي العاص قوله: "الناكح مغترس، فلينظر أين يضع غرسه فإن عرق السوء لابد أن يترع"[2].

ولم يقتصر هذا الأمر على العرب الصرحاء بل إن الموالي أيضاً يرفضون تزويج بناتهم إلى الصرحاء من العرب مخافة المشاكل التي تحدث من جراء هذا التقليد، من ذلك ما فعله عطاء بن يسار عندما خطب ابنته أحد الصرحاء من العرب فقال له: "لا ننكر نسبك ولا موضعك، ولكننا لا نزوج إلا مثلنا، وتزوج أنت من عشيرتك"[3]. ولم يبطل الإسلام هذه العادة إلا أنه كان يشجع المسلمين على تجاوزها من ذلك ما قام به الرسول ﷺ من تزويج زينب بنت جحش رضي الله عنها، من مولاه زيد بن حارثة[4].

ب- شرف المصاهرة:

وكلما كانت المرأة ذات عشيرة أو جاه كلما كثر خطابها رغبة في كسب مودة هذه العشيرة أو نيل شرف ذلك الجاه، فيذكر المبرد: أن المغيرة بن شعبة عندما كان والياً على الكوفة ذهب إلى هند بنت النعمان بن المنذر وهي عمياء مترهبة في دير لها فقالت: ما حاجتك؟ قال: جئتك خاطباً فقالت: لو أتيتني لمال أو جمال لأجبتك ولكن أردت أن تقول في محافل العرب تزوجت هند بنت النعمان بن المنذر، وإلا أي خير في اجتماع أعور وعمياء[5].

---

[1] الألباني، الجامع الصغير جـ1 ص564.

[2] ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق علي محمد البجاوي. دار الجيل. بيروت 1412هـ/1992م. جـ3 ص1036.

[3] ابن سعد، الطبقات جـ5 ص173.

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم جـ3 ص491.

[5] المبرد، الكامل ص378.

جـ- نجابة الولد:

وكانت العرب في الجاهلية ترغب في التكثر من الأولاد إضافة إلى البحث عن أفضل السبل التي يكون فيها نجابة الولد، فكانوا يرون أن في الزواج من الغرباء نجابة للولد، وفي ذلك يقول شاعرهم:

فتى لم تلده بنت عم قريبة   فيضوي[١] وقد يضوي رذيل الأقارب[٢]

وكانت العرب تقول: "بنات العم أصبر، والغرائب أنجب"[٣]. وقد روي عن عمر بن الخطاب ﵁، أنه قال: "يا بني السائب قد أضويتم، فانكحوا في النزائع"[٤]. وكانت العرب تبحث عن مصاهرة الأسر المشهورة بالشجاعة والفروسية أكثر من بحثهم عن حسن الخلق والجمال، ويرون أن المرأة الفروك[٥] أنجب من المرأة العاطفية[٦]. وكان من عاداتهم أيضاً أنهم يتعمدون إغضاب زوجاتهم قبيل معاشرتهن ثم يقعون عليهن بالإكراه لاعتقادهم بأن المرأة إذا أُكرهت على الجماع سبقها ماء الرجل فكان المولود ذكراً شبيهاً لأبيه في صفاته، وكانوا يسمونه ابن المذعورة، ويرون أنه لا يطاق، وفي ذلك يقول شاعرهم:

تسنمتها غضبى فجاء مسهدا   وأنفع أولاد الرجال المسهد[٧]

---

(١) الضوي: قليل الجسم، دقيق العظم من الهزال (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص١٦٨٣).

(٢) الألوسي، بلوغ الأرب جـ٢ ص١٠.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٧ ص١١٥.

(٤) المصدر نفسه جـ٧ ص١١٤.

(٥) المرأة الفروك: هي التي تبغض الرجال ولا ترغب في معاشرتهم (الفيروز آبادي، المصدر السابق ص١٢٢٧).

(٦) ابن عبد ربه، المصدر السابق جـ٧ ص١١٤.

(٧) الألوسي، المصدر السابق جـ٢ ص١٢. والمسهد: قليل النوم المتيقظ دائماً لما يحيط به (الفيروز آبادي، المصدر السابق ص٣٧١).

٢- الخطبة:

كان الجاهليون يخطبون المرأة من أبيها أو أخيها أو من يتولى أمرها فإذا قدموا عليهم قالوا: "نحن أكفاؤكم ونظراؤكم فإن زوجتمونا فقد أصبنا منكم رغبة وأصبتمونا وكنا لصهركم حامدين وإن رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين"[١] فإن كان الخاطب قريباً لهم وتم أمر الزواج قال له وليها: "أيسرت وأذكرت، ولا أنثت جعل الله منك عدداً وعزاً وجلداً"[٢]، وإن كان الزوج من قبيلة أخرى قال لها وليها: "لا أيسرتِ ولا أذكرتِ فإنك تلدين الأعداء"[٣].

ومن المفارقات الغريبة أن الجاهليين وإن كانوا يحرصون على التزوج من البعيدين في النسب، رغبة في نجابة الولد، إلا أنهم لا يحبذون تزويج بناتهم للغرباء، وكانت النساء أيضاً يتضايقن من ذلك ويعتبرنه بمثابة الرق، فقد قالت امرأة من بني كلاب زوّجها أخوها في طيء:

لا تحمدن الدهر أخت أخاً لها ولا ترثين الدهر بنت لوالد

هم جعلوها حيث ليست بحرة وهم طرحوها في الأقاصي الأباعد[٤]

وكان من عادة العرب في الجاهلية أن يسألوا عمّن يريد أن يتزوج منهم. فيذكر الدينوري أن رجلاً خطب امرأة من بني كلاب فقالت أمها: حتى نسأل عنك[٥].

---

[١] ابن حبيب، المحبر ص٣١٠.

[٢] المصدر نفسه ص٣١٠.

[٣] المصدر نفسه ص٣١١.

[٤] المبرد، الكامل جـ١ ص٣٨٣.

[٥] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار جـ٤ ص١٢.

٣- المهر:

جميع المصادر التي اطلعنا عليها تذكر أن الرجل هو الذي يدفع المهر[١]، غير أن ابن المجاور يذكر أن من عادة البوادي النجدية والتهامية أن يزوجوا بناهم الأبكار من أموالهم، وإذا تعسر عليهم وجود ذلك الزوج أركبوها على هودج عال وساقوا نعمها معها وذهبوا بها إلى السوق وأمروا منادياً أن ينادي عليها: ألا من يطلب عروساً وذوداً؟ فإن كانت ثيباً ينادى عليها: ألا من يطلب بحبحا ودواباً؟[٢]، فإذا وجدوا من يرغب فيها قالوا: تزوجها يا وجه العرب فإذا قلت رغبتك فيها فأنت وكيلها فزوجها من شئت[٣]. ولكن لا أرى أن ما ذهب إليه ابن المجاور صحيحاً، لأن ذلك يتعارض مع ما عرف عن العرب من القوامة على نسائهم، ومن الغيرة على محارمهم، ولكن أوردنا ما ذكره هنا من باب التنبيه عليه.

وكان الغالب على مهور أهل الجاهلية الإبل، وكلما كانت المرأة من عشيرة لها مكانة اجتماعية مميزة كان مهرها أغلى، فلقد زوج المحلق الكلابي أخواته الثلاث كل واحدة بمائة من الإبل[٤].

٤- حفل الزواج:

وكان من عادات البوادي النجدية في حفلات الزواج أن المرأة إذا تزوجت تُزين ويظفر شعرها، ومن ثم يأتيها نساء جيرانها ومع كل واحدة منهن جراب ملآن دقيقاً أو سويقاً أو زبيباً فيجتمع عندها من الزاد ما يكفيها مدة من الزمن

---

[١] انظر مثلاً: أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ٥ ص١٢٦؛ ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار جـ٤ ص٤٣- ٤٤.

[٢] البحبح: المرأة الثيب، والدواب: ما لها من نعم (ابن المجاور، المستبصر. بدون تاريخ. ص١٢٩).

[٣] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[٤] أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ٩ ص٧٧- ٧٨.

بحسب كثرة الجيران، وإن كان لدى إحدى هذه الجارات زواج قريب ردت إليها العروس الجراب ملآناً مثلما كان[1].

٥- الطلاق:

وهو يعني هدم أحد أركان هذا المجتمع الصغير، وكان الطلاق في الجاهلية بيد الرجل يوقعه على الزوجة متى شاء فإذا طلقها طلقة واحدة فهو أحق بها متى ما أراد مراجعتها، أما إذا طلقها ثلاثاً فهذا يسمى الطلاق البائن، وهو يعني الفراق التام بين الزوجين[2]. وفي بعض الأحيان يوجد بعض النسوة اللاتي يشترطن أن يكون طلاقهن بأيديهن وذلك لشرفهن وعلو قدرهن، فإذا أرادت إحداهن تطليق زوجها غيرت باب خبائها، فإن كان بتجاه الشرق حولته إلى الغرب، فإذا رأى زوجها ذلك علم أنها قد طلقته فلا يلج عليها. وكان من بين هؤلاء النسوة السوا بنت الأعيس وكانت تحت خالد بن جعفر بن كلاب[3].

وقد يكون الطلاق في بعض الأحيان لأسباب تافهة ومتسرعة وقد يوقعه على الزوجة من أجل تصرف قد لا يعرف سببه، من ذلك أن المغيرة بن شعبة دخل على زوجته الفارعة بعد صلاة الفجر فوجدها تخلل أسنانها فقال لها لئن كنت باكرت الأكل فأنت جشعة، وإن كنت تتخللين من طعام البارحة فأنت قذرة "كنت فبنت" وهي تعني الطلاق بالثلاث، فقالت: لم يكن ذا ولا ذاك وإنما باكرت السواك فعلق بعضه بين أسناني فبادرت بإخراجه، فخرج نادماً على

---

[1] ابن المجاور، المستبصر ص١٢٩.

[2] ابن حبيب، المحبر ص٣٠٩.

[3] المصدر نفسه ص٣٩٩.

ماكان منه، فلقيه يوسف بن أبي عقيل فأشار عليه أن يتزوجها فتزوجها وولدت له الحجاج بن يوسف[1].

ولم يكن للنساء عند الجاهليين عدة يعتدها؛ لذا وقع بينهم الكثير من الإشكاليات من جراء الخلاف على الأولاد، وقد بقيت بعض هذه المشاكل عالقة حتى أتى الإسلام فحكم فيها[2]، فلما جاء الإسلام أقر الطلاق وبين عدد مراته، مع جعله أبغض الحلال إلى الله وقد حث النبيﷺ، المسلمين على المقارنة بين الإيجابيات والسلبيات فقالﷺ: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها غيره"[3]، كما نظم الإسلام مسألة العدة فجعلها ثلاث حيضات قال تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ}[4]، أما النساء اللائي يئسن من المحيض، واللاتي لم يحضن، وأولات الأحمال فقد بين حكمهن في الآية التالية قال تعالى: {وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}[5].

العلاقات الأسرية:

الرجل في العصر الجاهلي هو عماد الأسرة وجميع زمام الأمور بيده، ولكن هذه السلطات التي بيد الرجل قد تختلف من شخص إلى آخر حسب قوة شخصية هذا الرجل، وهذا ما أشار إليه المغيرة بن شعبة، أحد أفراد هذه القبيلة، بقوله: "النساء أربع والرجال أربعة، رجل مذكر وامراة مؤنثة فهو قوام عليها، وامراة

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٧ ص١١٦.

[2] ابن حبيب، المحبر ص٣٣٨. انظر أيضاً الرسالة: ص٢٨٣.

[3] الألباني، الجامع الصغير جـ٢ ص١٢٧٩.

[4] سورة البقرة، آية ٢٢٧.

[5] سورة الطلاق، آية ٤.

مذكرة ورجل مؤنث فهي قوامة عليه، ورجل مذكر وامرأة مذكرة فهما يكـــادا يصطكان، ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة فهما لا يأتيان بخير ولا يفلحان[١]"، فلمـــا جاء الإسلام أقر هذه القوامة، وبين لكل منهما ماله من حقوق، وماعليـــه مـــن واجبات.

وعلى أية حال فالعلاقة بين أفراد الأسرة قائمة على أساس التضامن الوثيق بين أفرادها وغالباً ما تتكون الأسرة من الزوج والزوجة والأولاد والموالي والرقيق. وسوف نعرض باختصار لطبيعة التعامل بين أفراد هذه الأسرة.

أولا– معاملة الأولاد:

على الرغم من جفاء بعض الأعراب في التعامل مع الأولاد والتي عبّر عنهـــا الأقرع بن حابس التميمي بقوله للنبي ﷺ: إن لي عشرة من الأبناء ما قبّلت أحداً منهم[٢]، إلا أننا نجد أن هناك من الشعراء من يعبّر أبلغ تعبير عن حب الجاهليين لأبنائهم من كلا الجنسين، وفي ذلك يقول شاعرهم:

لولا بنيات كزغب القطا حططن من بعـــض إلى بعـــض

لكان لي مضطرب واسع في الأرض ذات الطول والعرض

وإنمـــا أولادنـــا بيننـــا أكبـــادنا تمشـــي عـــلى الأرض[٣]

ويقول أمية بن أبي الصلت الثقفي مخاطباً أحد أبنائه:

غـــذوتُك مولوداً وعلتك يافعاً تعـــل بما أدني إليك وتنهل

إذا ليلة نابتْك بالشكو لم أبت لشكـــواك إلا ساهر اتململ[٤]

---

[١] البلاذري، أنساب الأشراف جـ١٢ ص٣٢٢.

[٢] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. مؤسسة جمال. بيروت ١٤٠١هـ. ص٨٠.

[٣] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٢ ص٢٥٢– ٢٥٣.

[٤] بشير بموت، ديوان أمية بن أبي الصلت. المطبعة الوطنية. بيروت ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م. ص٤٥.

وأما ما ورد ذكره في القرآن الكريم عن وأد البنات فيبدو أنه كان موجوداً بكثرة في العصور الجاهلية المتقدمة وغالبا ما يكون بسبب الفقر، كما أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم}[١] ولكنه بدأ ينحسر تدريجياً قبيل ظهور الإسلام مع تحسن الظروف المعيشية وظهور بعض العقول المستنيرة التي بدأت تمقت هذا التصرف وتنقذ بعض هؤلاء البنات من الوأد[٢]. ونعتقد أن الوأد قد انحسر في الفترة الأخيرة على بعض القبائل التي اشتهرت بكثرة حروبها كبني تميم وبني شيبان وبني عامر، والذي مرده غالباً إلا خشية إلحاق العار بهم عند سبيهن بدليل قول الشاعر:

وما لقي الموؤود من ظلم أهله كما لقيت ذهل جميعاً وعامر[٣]

غير أن هذه المشاعر الجياشة من الآباء تجاه الأبناء لا تجعل الأب يتردد في خلع أحد أبنائه إذا ما خرج عن طوعه وخشي أن يسبب له المشاكل مع الآخرين، وطريقة الخلع عندهم هو أن يصطحب الأب هذا الابن إلى أحد الأسواق أو المواسم التي تقام آنذاك وينادي بأعلى صوته إنني قد خلعت ابني هذا -أو يسمه إن لم يستطع إحضاره- فإن جرّ جريرة لم أضمن، وإن جُرّ عليه لم أطلب، ثم يكون بعد ذلك في حل مما يعمله هذا الابن[٤].

وأما ما يخص أولاد الجاهليين من جواريهم فهم مخيرون بين الاعتراف بهم أو نفيهم، فقد اعترف الحارث بن كلدة الثقفي بابنه نافع من سمية ورفض الاعتراف بأخيه نفيع (أبو بكرة). أما زياد بن أبيه فقد ولدته أمه سمية بعد أن تخلى عنها

---

[١] سورة الإسراء، آية ٣١.

[٢] ابن خلكان، وفيات الأعيان جـ٦ ص٨٩.

[٣] الألوسي، بلوغ الأرب جـ٣ ص٣٦. ذهل: هو ذهل بن شيبان.

[٤] المصدر نفسه جـ٣ ص٢٤.

الحارث وزوجها لأحد مواليه فولدت زياداً على فراشه[1]بعد فترة وجيزة، وكان الجاهليون يمقتون أبناء السراري ويزدروهم حتى ظهر الإسلام ونشأ من أبنائهن من فاقوا أقرانهم فقهاً وعلماً وورعاً كعلي بن الحسين، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبدالله بن عمر، فأقبلوا على اتخاذ السراري[2]، وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ، عن مثل هؤلاء: "ليس قوم أكيس من أولاد السراري لأنهم جمعوا عز العرب ودهاء العجم"[3].

ثانيا- معاملة الزوجة:

إذا ما نظرنا نظرة متعقلة إلى معاملة الزوجة بشكل خاص أو المرأة على وجه العموم، فعلى الرغم من بعض الممارسات التي فيها امتهان لكرامة المرأة كحرمانها من الميراث والصداق وتوريثها للأبناء كسائر المتاع[4]، إلا أننا نجد أن للمرأة عند الجاهليين مكانة خاصة فنراهم يستهلون قصائدهم بأسمائهن، وهناك من النساء من تمتعت بمكانة مرموقة، فقد كان منهن الشاعرات اللاتي ينشدن في المحافل كليلى الأخيلية، وكان منهن الكاهنات والحكيمات اللاتي يستشيروهن ويصدرون عن رأيهن[5]، ومن يتتبع ما سبق أن تطرقنا له من أحداث يجد أن منهن من نُسب أولادها إليها، وهن كثير، كغاضرة وغويضرة وسلول، كما مر معنا أثناء دراسة الأنساب، بل إن بعضهم يعد الانتساب إلى أمه من المفاخر، كما سيأتي لاحقاً عند الحديث عن ديانة بني عامر، وكان منهن من طلاقها بيدها

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٥ ص٢٣٨.

[2] المصدر نفسه جـ٧ ص١٢٥.

[3] المبرد، الكامل جـ ١ ص ٤٢٦.

[4] ابن حبيب، المحبر ص٣٢٤.

[5] الألوسي، بلوغ الأرب جـ١ ص٣٠٨.

كالسوا بنت الأعيس، زوجة خالد بن جعفر بن كلاب[1]، ومنهن من يخرجـــون بهن معهم ويستأنسون برأيهن في إدارة الحروب[2]، بل إن بعضهن قد وصل بـــه الأمر إلى قيادة الجيوش[3].

هذه بعض الأمثلة التي لاحظناها من خلال هذه الدراسة؛ لذلك من غـــير الإنصاف أن نحكم بأن شخصية المرأة كانت ممتهنة في الجاهلية، ونرى أن هـــذا الأمر يحتاج إلى دراسة منصفة تقارن بين الإيجابيات والسلبيات، ونحن متفـــائلون بأنها سوف تغيّر الكثير من المفاهيم المترسبة في أذهان الكثيرين عن مكانة المرأة في المجتمع الجاهلي.

ولقد كان للمرأة أثر كبير في حياة الرجل والتأثير على مســـير حياتـــه في العصر الجاهلي، يتضح ذلك من خلال بعض قصص العشق والغرام التي وقع فيها بعض أفراد هذه القبيلة وعلى الرغم من مجيء الإسلام إلا أنه لم يستطع كبح جماح هذا العشق المتأصل في نفوس أبناء هذه القبيلة، وللدلالة على ذلك سوف نعرض بعضاً منها.

العشق والغرام:

لقد احتلت المرأة مكانة كبيرة في قلوب العرب، فعلى الرغم من جفـــائهم وانشغالهم بالمغازي والحروب؛ إلا أنهم يتمتعون بالإحساس المرهف، لذا كثر فيهم العشق والغرام، فدريد بن الصمة، رغم فروسيته وتعلق قلبه بالمغازي، إلا أنه قـــد وقع في حب الخنساء، وذلك أنه مرَّ بها وهي تطلي بعيراً لها وقد تبذلت[4]؛ فلما

---

[1] انظر الرسالة ص٣٦٥.

[2] انظر الرسالة ص١٠٤–١٠٥.

[3] انظر الرسالة ص١٩٤.

[4] تبذلت: أي خففت من ملابسها حتى لا تتسخ (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص١٢٤٧).

فرغت خلعت ثيابها واغتسلت ودريد ينظر إليها وهي لا تراه، فأعجبته ووقع في حبها، فذهب إلى أبيها وخطبها فرفضته لكبر سنه، فقال فيها عدة قصائد يهجوها، فلم تردّ عليه؛ فقالوا لها لماذا لا تردّي عليه؟ قالت: أكره أن أجمع عليه رده وهجاءه. وكان مما قال فيها:

حيوا تماضر وأربعوا صحبي ... وقفوا فإن وقوفكم حسبي

أخُناس قد هام الفؤاد بكم ... وأصابه تبلاً من الحبِ

ما إن رأيت ولا سمعت به ... كاليوم طالي أينقٍ جربِ

متبذلاً تبدو محاسنه ... يضع الهناء[1] مواضع النقبِ

فسليهم عني خناسُ إذا ... عفا الجميع الخطب ما خطبي[2]

وكان العشق عند العرب يتسم بالحشمة والعفاف، فيُروى أن توبة بن الحمير كان لا يرى ليلى الأخيلية إلا متبرقعة، وفي أحد الأيام أتاها فسفرت عن وجهها فأنكر ذلك وعلم أنها لم تسفر عن وجهها إلا لأمر خطير، فنهض وتركها وقال:

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت ... وقد رابني اليوم سفورها

وكان حدس توبة في مكانه، حيث إن إخوانها أمروها إذا أتاها توبة أن تخبرهم ليقتلوه، فسفرت عن وجهها لتنذره بذلك وينصرف. ومما قاله فيها:

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت ... عليَّ ودوني تربة وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أوزقا ... إليها صدى من جانب القبر صائح

ولو أن ليلى في السماء لأصعدت ... بطرفي إلى ليلى العيون اللوامح[3]

---

[1] الهناء: هي المادة التي يطلى بها الجرب، والنقب: مواضع الجرب (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص٧٢).

[2] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص١٠.

[3] ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء ص١٠٢– ١٠٣.

وقد قدمت ليلى على عبد الملك بن مروان وقد أسنَّت، فقال لها: ماذا رأى فيك توبة عندما عشقك؟ قالت: ما رآه فيك الناس حـين ولّـوك، فضـحك عبدالملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها[١].

وقد يتسبب العشق أحياناً في مفارقة الرجل لقومه، مثلما حصـل للصـمة القشيري، فقد عشق ابنة عم له يقال لها ريا، وأراد من عمه أن يزوجـه إياهـا، فغالى عمه في مهرها، فسأل عشيرته أن يعينوه فأعانوه ولكن عمه لم يرض بعدد الإبل التي ساقها، حيث كانت تنقص واحدة، فعند ذلك غضب الصمة وقطَّـع عقلها فرجعت إلى أصحابها، ثم حلف بأن لا يقيم بأرض فيها عمه ورحـل إلى أحد الثغور فأقام به حتى هلك، وقد ندم على مفارقة قومه وعدم رضوخه لطلب عمه، ومن جيّد شعره فيها:

حننت إلى ريا ونفسك باعـدت ... مزارك من ريا وشعـباكما معـا

فما حسن أن تأتي الأمر طائعـاً ... وتجزع أن داعي الصبـابة أسمعـا

بكت عيني اليمنى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معـا

وأذكر أيام الحمى[٢] ثم أنثـني ... على كبدي من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجـع ... عليك ولكن خل عينيك تدمعـا

وقد قال إبراهيم الأزدي عن هذه الأبيات: لو حلف حالف أنها أحسـن أبيات قيلت في الجاهلية والإسلام في الغزل ما حنث[٣].

ويأتي على قمة هرم العشاق قيس بن الملوح (قيس ليلى) أو مـا يعـرف بالمجنون أو مجنون بني عامر؛ ونسبه قيس بن الملوَّح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة

---

[١] ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء ص١٠٣.

[٢] لعل المقصود به حمى ضرية.

[٣] نقلاً عن أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ٥ ص١٢٦– ١٢٧.

ابن جعدة، ومعشوقته ليلى بنت مهدي بن سعد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش، وكان يعشقها منذ أن كانا صبيين يرعيان البهم عند جبل التوباد:

وعلقتها غــراء ذات ذوائــب   ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا   إلى اليوم لم نكبر ولم يكبر البهم

فلما كبرا خطبها فرفض أبوها أن يزوجه إياها، فساءت حاله، وعندما اشتد به العشق وخاف أهله عليه ذهب رجال من عشــيرته إلى أبيهــا وناشــدوه الله والرحم أن يزوجه، فإنه إن منعه هلك أو ذهب عقله، فأبى أبوها وحلف بطلاق أمها ألا يزوجه إياها أبداً، وقال: أتريدونني أن أفضح نفسي وعشيرتي وآتي بما لم يأت به أحد من العرب وأسم ابنتي بميسم فضيحة[1]؛ وكان من عادة العرب ألا تزوج من تشبب ببناهم وقال فيهن أشعاراً[2]. ولعل السبب في ذلك كما يبدو لنا أهم كانوا يخشون أن يقول الناس إنه قد حصل بينهما بعض الأمور، وإنه أخذها من باب التستر عليها.

وعندما يئس قوم المجنون من أبيها انصرفوا عنه فقام من فــوره بتزويجهــا رجلاً من قومه بني الحريش، فلما علم قيس بذلك تدهورت حاله وجن جنونــه، فقال الناس لأبيه حج به معك واذهب به إلى الكعبة واطلــب منــه أن يتعلــق بأستارها ويسأل الله أن يكرهه فيها؛ فلما ذهب به أبوه وأمره بذلك، قال: اللهم زدني لليلى حباً وبها كلفاً ولا تُنْسني ذكرها أبداً؛ وأخذت حاله تسوء حتى فقد عقله وهام على وجهه في البرية مع الوحوش حتى ألفته ولم تعد تنفر منه؛ ويقــال إنه كان يذهب حتى يصل إلى حدود الشام فإذا رجع إليه رشده أخذ يسأل الناس

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١ ص١٦٨.

[2] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار جـ٤ ص٧٤.

عن نجد؟ فيقولون: أين أنت من نجد، فيقول: يمموا لي الطريق، فيعود أدراجه حتى يبلغ اليمن، فإذا أنكر أرضها وسأل عن جبل التوباد، قالوا: أين أنت وجبل التوباد؟ ذاك في نجد، فيقول: دلوني على الطريق، فيعود أدراجه، فما زالت هذه حاله حتى هلك[١]. وقد تركت قصة عشق المجنون أثراً عظيماً في العديد من الآداب العالمية وخاصة الأدبين الفارسي والتركي[٢]. وكان من شعره فيها:

فوالله ثم والله إني لدائب ... أفكر ما ذنبي إليها وأعجبُ

والله ما أدري علام قتلتني ... وأي أموري فيك يا ليل أركبُ

أأقطع حبل الوصل فالموت دونه ... أم أشرب رنقاً منكم ليس يشربُ

أم أهرب حتى لا أرى لي مجاوراً ... أم أصنع ماذا أو أبوح فأغلبُ

فأيهما يا ليل ما ترتضينه ... فإني لمظلوم وإني لمعتبُ[٣]

ثالثا- معاملة الرقيق:

يعتبر الرقيق من أهم ركائز الأسرة في المجتمع الجاهلي ومن خلال تتبعنا لمصدر هؤلاء الأرقاء نجد أنهم في الغالب يتشكلون من مصدرين، إما من السبي أثناء الحروب التي تقع بين القبائل العربية، أو بالشراء من بلاد فارس والروم، حيث يبيع كل من هؤلاء الأسارى الذين استولوا عليهم من الدولة الأخرى، وقد حظي معظم هؤلاء الأرقاء بمعاملة حسنة من قبل أسيادهم وخاصة الأرقاء البيض الذين يجلبون من بلاد فارس والروم؛ لما لديهم من إمكانات، فاستغلوها واعتمدوا عليهم بشكل كبير في إدارة أعمالهم سواء المترلية أو التجارية. وكان من عادة العرب أن تسمي أرقاءها بأحسن الأسماء، فقد سئل الدقيش الكلابي لماذا تسمون

---

[١] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١ ص١٦٤.

[٢] محمد حمود، أدباء وشعراء العرب. دار الفكر اللبناني. بيروت ٢٠٠١م. ص٨٠.

[٣] أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق جـ١ ص١٦٨.

أبناءكم بِشَرِّ الأسماء، كحرب وكلاب وثور، وتسمون أرقاءكم بأحسن الأسماء، كسهيل ومحبوب ونجاح؟ فقال: إنما نسمي أولادنا لأعدائنا وأرقاءنا لأنفسنا[١].

ولما جاء الإسلام أقر هذا الرق، مع العمل على تخفيف مصادره، التي كانت متعددة في الجاهلية، كالمقامرة، واسترقاق المدين، وخطف الأحرار وبيعهم، فقد ورد عنه ﷺ، في الحديث القدسي "قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً وأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره"[٢]، كما حث الإسلام المسلمين على إعتاق أرقائهم بغية المثوبة من الله، وأيضاً أمرهم بالاستجابة لرغباتهم في المكاتبة، وحثهم على إعانتهم قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ}[٣]. وقد جعل الإسلام عتق الرقيق وتحريره، كفارة عن كثير من الذنوب والأعمال قال تعالى: { وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}[٤]، وقال جل شأنه: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ }[٥]. كما اهتم الإسلام بالجانب النفسي لهولاء الأرقاء، فقد ثبت عن النبي ﷺ، أنه قال: "... ولايقل أحدكم عبدي أمتي، ولكن فتاي وفتاتي وغلامي"[٦]

---

[١] القلقشندي، نهاية الأرب ص٣١.

[٢] الزبيدي، مختصر صحيح البخاري جـ١ ص٢٢٥.

[٣] سورة النور، آية ٣٣.

[٤] سورة المجادلة، آية ٣.

[٥] سورة النساء، آية ٩٢.

[٦] الزبيدي، المصدر السابق جـ١ ص٢٥١.

رابعاً– معاملة الموالي:

ذكر أحد المؤرخين المحدثين[١] أن الحليف يعتبر من ضمن الموالي ولكن لا نرى ذلك صحيحاً، فالحليف وإن كان ولاؤه يعتبر للقبيلة التي انتسب إليها إلا أن مترلته تختلف عن مترلة المولى الذي أنعم عليه أسياده بالعتق، وقد رأينا أن الأخنس ابن شريق الثقفي، حليف بني زهرة، قد نال عندهم مترلة كبيرة لدرجة أنه أشار عليهم يوم بدر بالرجوع فأطاعوه، ولهذا السبب سمي بالأخنس لخنوسه بهم[٢].

وعلى أية حال فإن الموالي من وجهة نظرنا هم من منّ عليهم أسيادهم بالعتق لأسباب مختلفة إما خدمة قدموها، أو شجاعة أظهروها، فصاروا أحرارا ولكن ولاءهم بقي لأسيادهم الذين أعتقوهم، وقد شكل هؤلاء الموالي قوة لأسيادهم، ولاسيما إذا كان أسيادهم من أصحاب المراكز في الدولة الإسلامية، كما هو الحال لدى زياد بن أبيه وابنه عبيدالله، كما استغلهم بعض الثوار المغامرين واستخدمهم كقوة مساندة كالمختار الثقفي حيث كان من أهم أسباب نقمة أهل الكوفة عليه إيثاره للموالي واعتماده عليهم بشكل كبير [٣].

الإرث:

أما مايتعلق بالإرث فكانت معظم القبائل في الجاهلية تقصر الإرث على الأبناء ممن يستطيع ركوب الخيل ومباشرة القتال، ويحرمون عموم البنات وإخوانهم الصغار، فإذا توفي الرجل ولم يكن له أبناء ذكور يرثه إخوته أو أبناء عمومته وتحرم بناته من ميراثه[٤]. ولم يكن ذلك عامّاً في جميع القبائل؛ فقد ذكر

---

[١] توفيق برو، تاريخ العرب القديم ص٢٥٩.

[٢] ابن هشام، السيرة النبوية ص٢٩٦.

[٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٤٤.

[٤] ابن حبيب، المحبر ص٣٢٤.

بعض المؤرخين أن عامر بن جشم بن غنم، من بني يشكر، قد ورّث ماله لأولاده إناثاً وذكوراً فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين فشاع حكمه في الجاهلية[1]. ولم نجد في المصادر التي اطلعنا عليها ما يوضح موقف قبيلة هوازن من توريث البنات من عدمه.

وكان من العادات السيئة عند الجاهليين في الإرث أنه إذا مات الرجل ورث أكبر أبنائه زوجاته غير أمه، فإن كان له فيهن حاجة وإلا زوجهن أحد إخوته بمهر جديد، وكانوا يسمون من يخلف أباه على زوجاته: الضيزن، وكان من ضمن رجالات هوازن الذين خلفوا آباءهم على زوجاتهم الشاعر تميم بن مقبل[2]. ولكن عندما جاء الإسلام أبطل هذه العادات السيئة فحرم زوجات الأباء وجعل للبنات نصيباً من الميراث قال تعالى: {يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ}[3].

مدخل إلى القيم والأخلاق والعادات والصفات:

لقد اختلف الباحثون في النواحي الاجتماعية في تعريف هذه المصطلحات، وقد أخذوا في ذلك مذاهب شتى حيث ربطوا بعضها بالأقوال وبعضها الآخر بالأفعال. يقول محمد الخضري: إن الخلق هو الملكة التي يصدر الفعل عن صاحبها من غير مقاومة، وقد اصطلح الكتّاب على أن يقصروا لفظ الخلق على الملكات النفسية كالشجاعة والجبن والسخاء والبخل، وأن يطلقوا لفظ العادات على

(1) ابن حبيب، المحبر ص٣٢٤.

(2) المصدر نفسه ص٣٢٥– ٣٢٦.

(3) سورة النساء، آية ١١.

الملكات الأخرى كالمشي واللعب النظامي، ولا يحسب الخلق على الأمـــة إلا إذا كان منتشراً بين أفرادها ومألوفاً عندهم، فحينئذ يطلق عليه عادة أو عرف[1].

وعلى أية حال فسوف نتحدث عن بعض هذه القيم والعـــادات حســـب تقسيم أغلب الباحثين في النواحي الاجتماعية، مع قناعتنا أن بعض العادات يدخل ضمن الصفات كالكرم والشجاعة مثلاً، لأن المؤرخين عندما يتحـــدثون عـــن شخص ما، يقولون: وكان موصوفاً بالشجاعة، أما القيم فسوف نقوم بتعريفهـــا في المكان المخصص لها.

أولاً- العادات والتقاليد:

لقد مر بنا بعض العادات والتقاليد المتبعة في أمور الزواج، ومن الأفضل أن نستكمل الحديث هنا عن بعض الأمثلة من بعض العادات التي يتحلى بها أفـــراد هذه القبيلة.

١- الشجاعة والفروسية:

مما لاشك فيه أن لكل زمن رجاله، وقد احتل الفرسان والشجعان مكانـــة مرموقة في العصر الجاهلي نظراً لكثرة الحروب والصراعات بين القبائل والتي غالباً ما تكون بسبب التنافس على المراعي ومحاولة السيطرة على أكبر مساحة منهـــا، وكذلك طمع كل قبيلة في ممتلكات القبيلة الأخرى بسبب شح الموارد الاقتصادية لهذه القبائل في تلك الفترة، فهؤلاء الفرسان يعتبرون بمثابة الجنود الذين يحافظون على ممتلكات قبائلهم في ظل الانفلات الأمني الذي يعيشه مجتمعهم.

ولقد امتازت قبيلة هوازن بكثرة فرسانها الذين اشتهروا بالشجاعة، وأغلبهم من بني عامر، منهم على سبيل المثال لا الحصر، عامر بن الطفيل، فقد كان مـــن

---

[1] الخضري، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية). دار المعرفة.بيروت١٤١٩هـ. جـ١ ص٤٠.

فرسان العرب المعدودين، وكان متغطرساً لما ناله من مكانة في قومه، ويقال إن ذكره قد انتشر خارج جزيرة العرب حتى بلغ قيصر، فكان إذا وفد عليه رجل من العرب قال له: ما بينك وبين عامر بن الطفيل؟ حتى وفد عليه علقمة بن علاثة، فلما سأله وانتسب له قال: ابن عم عامر بن الطفيل، فغضب علقمة وقال: أصبحت لا أُعرف إلا بعامر، فرجع إلى قومه ونافره كما سيأتي لاحقاً. ولما توفي عامر بنى بنو عامر على قبره وجعلوا له حمى ميلاً في كل اتجاه بحيث لا يرعى فيه رعية ولا يعبر به سالك، تعظيماً له وتخليداً لذكراه[1]. وقد ذكر ابن نباتة أن العكاظيين اتفقوا على أن عامر بن الطفيل أحد فرسان العرب الثلاثة في الجاهلية، فعتيبة بن الحارث، فارس بني تميم، وبسطام بن قيس، فارس ربيعة، وعامر بن الطفيل، فارس قيس[2].

ومنهم عويمر بن عدي فارس بني عقيل الذي دعا عنترة للمبارزة وقال له: "أبرز إلي أيها العبد! فإن قتلتك فلأخيفن أصحابك بعدك! وإن قتلتني، رجعت بإبل قومي!". فلم يقدم عنترة على مبارزته[3]، ومالك ذو الرقيبة بن سلمة الخير الذي أسر حاجب بن زرارة يوم جبله كما مر معنا[4]. ولكن على الرغم من كثرة فرسان بني عامر وشجعاهم، إلا أن الهزائم قد حلت بهم في أغلب الأيام التي خاضوها في الجاهلية كما مرَّ معنا[5]. ولعل ذلك يرجع إلى سوء قيادتهم لغرورهم وتهورهم بدخولهم في عدة معارك غير متكافئة أو أن نتائج تلك الأيام قد تعرضت

---

(1) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٥ ص١٣٢.

(2) ابن نباتة، سرح العيون ص١٦٧.

(3) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٩٠– ٢٩١ .

(4) انظر الرسالة ص١٠٦.

(5) انظر العلاقات السياسية في العصر الجاهلي ص٨٤– ١٣٥.

للتبديل أو الإهمال من قبل الرواة الإخباريين بداعي العصبية القبلية، فذكروا ما عليهم وأهملوا بعض ما لهم، ولا سيما أن هناك بعض المؤشرات التي تدل على إهمالهم لبعض هذه الأيام، منها يوم النخيل الذي قتل فيه عقال بن خويلد العُقيلي دهراً الجعفري[1]، ومنها يوم الحاجر الذي قتل فيه كرز بن عامر الأدلع حصن بن حذيفة الفزاري (والد عيينة) زعيم بني ذبيان[2]، أما دريد بن الصمة، فارس بني جشم وزعيمها، فقد ذكر أغلب المؤرخين أنه قائد ميمون النقيبة (أي موفق في مغازيه)، وقد ذكر بعضهم أنه قاد مائة معركة لم يهزم في أي واحدة منها[3]. ومن أشهر شجعانهم في الإسلام زفر بن الحارث وابنه الهذيل وسعيد الحرشي كما مر معنا أثناء الرسالة[4].

٢- الأخذ بالثأر:

يعتبر الأخذ بالثأر من العادات المتأصلة في نفوس العرب قديماً وحديثاً، وكان لهم بعض العادات والتقاليد في هذا الشأن، من ذلك ما فعله دريد بن الصمة حين قُتل أخوه عبد الله، حيث حلف أن لا يكتحل ولا يدّهن ولا يمس طيباً ولا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يأخذ بثأر أخيه[5]. ومن أشهر الحروب التي كان منشؤها الأخذ بالثأر حرب الفجار الثاني التي قامت بين القيسيين بزعامة هوازن، وكنانة بزعامة قريش، وقد استمرت أربع سنوات وكانت فيها خمسة

---

[1] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٣٤. يوم النخيل من أيام العرب في الجاهلية، وهو بين بني عامر وتميم وحلفائها من بني أسد وذبيان، وفيه يقول لبيد بن ربيعة:

ولقد بكت يوم النخيل وقبله مران من أيامنا وحريم

منا حماة الشعب يوم تواعدت أسد وذبيان الصفا وتميم (ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص٢٧٨).

[2] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٣٤١.

[3] محمد حمود، أدباء وشعراء العرب ص ٣٩.

[4] انظر الرسالة ص٢٥٠، ٣٣٨.

[5] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ٩ ص٦.

أيام، وذلك بسبب الأخذ بثأر عروة الرحال، زعيم هوازن كما مرَّ معنا. ولكن عندما جاء الإسلام ساهمت تعاليمه في تخفيف آثار هذه العادة، وذلك بترغيب المسلمين في العفو، كما تكفلت الدولة بأخذ ثأر المعتدى عليه وفق تعاليم الشريعة الإسلامية[1].

٣- الكرم:

لا شك أن الكرم من أعظم الصفات الحميدة، وكان الرسول ﷺ أجود من الريح المرسلة. وقد اشتهر الهوازنيون بهذه الصفة حتى لا يكاد يجاريهم فيها أحد، فقد ذكر الألوسي نقلاً عن ابن الأعرابي أن مطاعيم الريح في الجاهلية أربعة، ثلاثة منهم من قبيلة هوازن وهم: أبو محجن الثقفي وكنانة بن عبد ياليل الثقفي ولبيد ابن ربيعة العامري، صاحب المعلقة المشهورة؛ وقد خلدت بنت لبيد بن ربيعة كرم والدها بهذين البيتين:

إذا هبت رياح بني عقيل   ذكرنا عند هبتها الوليدا
أشم الأنف أبيض عبشمياً   أعان على مرؤته لبيدا[2]

وكان لبيد قد نذر أن لا تهب الصبا إلا أطعم، فهبت في الإسلام وهو في الكوفة مملق لا يجد شيئاً، فعلم بذلك الوليد بن عقبة، والي الكوفة لعثمان بن عفان، فخطب الناس وقال قد علمتم نذر أبي عقيل فأعينوا أخاكم وبعث إليه بمائة ناقة، وبعث إليه الناس أيضاً، فأوفى بنذره[3].

---

[1] أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٢٦٥– ٢٦٨

[2] الألوسي، بلوغ الأرب جـ١ ص١٠٧.

[3] المبرد، الكامل جـ٢ ص٧١– ٧٢.

٤- الإجارة:

ومن أبرز العادات عند العرب الإجارة، وهي إذا أحس أحد الأشخاص بخوف من شخص ما بحث عمّن يجيره، وقد ورد ذكر الإجارة في القرآن الكريم، قال تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ}[1]، ولا يستطيع الإجارة غالباً إلا من يستطيع حماية مستجيره سواء بالتوسط عند من يطلبه أو بالقدرة على الدفاع عنه عند طلبه؛ وقد بلغ من قوة هوازن واعتدادها بنفسها أنها بنت بنياناً على قبر عامر بن الطفيل، وتعهدت بأن تجير من استجار به[2]، بل كانت تجير على الخلفاء؛ فمن ذلك أنه عندما ضاق الأمر بعبيد الله بن قيس الرقيات بعد مقتل مصعب بن الزبير، وطلبه عبد الملك بن مروان، لأنه كان من أعظم المناصرين لابن الزبير، وله فيه مدائح كثيرة وتعريض ببني أمية، منها قوله:

إنما مصعبٌ شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت ولا كبرياء

كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء[3]

فعندما طلبه عبد الملك ظل مختبئاً عند امرأة من أهل الكوفة سنة كاملة حتى سكن عنه الطلب ثم خرج متنكراً وقدم دمشق يطلب من يجيره، فلم يجرؤ أحد على إجارته خوفاً من عبد الملك، لأنه كان شديد التوجد عليه، فعندئذ لجأ إلى زفر بن الحارث الكلابي، وهو شيخ كبير، وقال: أتيتك مستجيراً، فقال زفر: قد أجرتك، قال: أنا ابن قيس الرقيات، فقال زفر: كن ابن من شئت، ثم ركب إلى

---

[1] سورة التوبة، آية: ٦.

[2] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٥ ص١٣٢.

[3] المصدر نفسه جـ٤ ص١٥٦- ١٥٧.

عبدالملك ودخل عليه معتمداً على ابنيه وقال: قد أجرت عليك، فقال عبد الملك: قبلنا إجارتك إلا أن يكون ابن قيس الرقيات، فقال زفر: ما أجرت إلا إياه، فقال عبدالملك: أتجير عليّ أبغض أعدائي؟ لا جيرة له عندي، فغضب زفر وقال: والله لو كنت تعلم أنّي أستطيع أن أستوي على ظهرها لما رفضت إجارتي، وهمَّ بالرجوع، فتبسم عبد الملك من قوله وقال: قبلنا إجارتك، فمره أن يدخل، ولما دخل ابن قيس الرقيات على عبد الملك مدحه بقصيدة كان قد أعدها، فلما بلغ قوله:

إن الهمام الذي أبوه أبو العا   صي عليه الوقار والحجب

يعتدل التاج فوق مفرقه   على جبين كأنه الذهب

انتهره عبد الملك وقال: أتمدحني بالتاج كأنني من ملوك العجم وتصف مصعب بأنه شهاب من الله، أمسك، لا أمّ لك، وطلب منه مغادرة دمشق وأن لا يقيم في بلد هو فيه[1].

٥- المنافرة:

ومن العادات السيئة التي كانت موجودة في الجاهلية المنافرة، ومنشأ المنافرة غالباً ما يكون من عدم اعتراف أحد طرفين بالفضل للآخر، سواء أكان أحد هذين الطرفين فرداً أو جماعة. ومن أشهر المنافرات التي حدثت في الجاهلية هي منافرة علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر لابن عمه عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر، وكان السبب في ذلك أن قيصراً عندما قال لعلقمة أنت ابن عم عامر بن الطفيل غضب وقال: أصبحت لا أُعرف إلا بعامر؛ فعندما

[1] نقلاً عن محمد زهير مشارقة، الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي. طلاس للدراسات والترجمة والنشر. دمشق ١٩٨٨م. ص٢١٠- ٢١١.

رجع إلى قومه قال لعامر –وكان قد استولى على الرئاسة بعد أن كبر عمه أبو براء–: إن الرئاسة كانت لجدي الأحوص، وإنما صارت إلى عمك أبي براء من أجله، وقد أسنَّ عمك، فأنا أحق بها منك، وإن شئت نافرتك؛ فقال عامر: أنا أنافرك عند من شئت، فاتفق أمرهما على ذلك؛ وجعلا مائة من الإبل يعطيها الحكم لمن يكون له الفضل على صاحبه، ووضعوا لها رهناً من أبنائهم على يدي رجل من بني الوحيد من بني كلاب[1].

وعندما عزما على الخروج للمنافرة، خرج علقمة في بني خالد بن جعفر والأحوص بن جعفر ومعهما القباب والجزر والقدور ينحرون ويطعمون، وخرج عامر في بني مالك بن جعفر وقال لعمه أبي براء: أعنّي، فقال له عمه: سبّني، قال: كيف أسبّك وأنت عمي؟ قال: وكيف تريد مني أن أسب الأحوص وهو عمي، ولم يخرج معه، فذهب علقمة وعامر إلى قريش لأن العرب غالباً ما تتحاكم عندها وترضى بحكمها، فأتيا إلى سفيان بن حرب بن أمية ليحكم بينهما فأبى، ثم ذهبا إلى أبي جهل بن هشام فأبى، وذلك مخافة أن يتسبب في إثارة الفتنة بين أبناء العمومة، ثم ذهبا إلى عدة رجال منهم عيينة بن حصن الفزاري وغيلان بن سلمة الثقفي وحرملة بن الأشعر المري فأبوا عليهما، ويقال إنهما ساقا الإبل معهما حتى شتت وربعت[2] ولم يجدا من يحكم بينهما حتى أتيا إلى هرم بن قطبة بن سنان الفزاري، فقال: نعم، أنا أحكم بينكما بشرط أن تعطياني موثقاً أن ترضيا بحكمي وتسلما بما قضيت به بينكما، فوافقاه على ذلك[3].

---

(1) الشريشي، شرح مقامات الحريري. جـ٣ ص٥٥. انظر أيضاً: أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٥ ص٥١.

(2) أي قضت فصل الشتاء والربيع.

(3) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ولما رأى هرم موافقتهما على حكمه تركهما أياماً لا يكلمهما، ثم استدعى عامراً سراً وقال له: قد كنت أحسب أن لك رأياً وأن فيك خيراً وما حبستك هذه المدة إلا لتنصرف عن صاحبك، أتنافر رجلاً لا تفخر أنت ولا قومك إلا بآبائه؟ فما هو الشيء الذي تفتخر به عليه؟ فقال عامر: سألتك الله والرحم ألا تفضله عليَّ، فوالله لئن فعلت ذلك لا أفلح بعدها أبداً، فهذه ناصيتي فأجزرها واحتكم في مالي ما شئت؛ فقال: انصرف وسوف أرى رأيي، فانصرف وهو لا يشك أن هرماً سوف يفضل علقمة عليه؛ ثم استدعى علقمة سراً وقال له: أتنافر رجلاً هو ابن عمك في النسب وهو مع ذلك أعظم منك غناء وأحمد لقاء، فما الذي أنت خير منه فيه؟ فقال: ناشدتك الله والرحم ألا تفضله عليَّ، فقال له: انصرف وسوف أرى رأيي[١].

ولما انتهى هرم من أمر علقمة قال لبنيه وبني أخيه: إنني سوف أحكم بينهما غداً، فإذا فرغت فلينحر بعضكم عشر جزائر عن علقمة، وبعضكم عشر جزائر عن عامر، وفرقوا بين الناس حتى لا يكون بينهم اجتماع، فلما أصبح الصباح وجلس الناس حول هرم ينتظرون الحكم نادى عامراً وعلقمة وأجلسهما بين يديه ثم قال: إنكما يا بني جعفر قد تحاكمتما عندي، وأنتما كركبتي البعير الأدم، تقعان على الأرض معاً وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه، وكلاكما سيد كريم، فلم يفضل أحدهما على الآخر مخافة أن يقع الشر بين الحيين، فرضيا بحكمه بعد أن كان كل واحد منهما يتوقع أنه سوف يفضل صاحبه عليه، فقام أبناؤه بنحر الجزر فانشغل الناس بها[٢]. وهكذا نرى كيف تجلت حكمة هرم،

---

[١] الشريشي، شرح مقامات الحريري جـ٣ ص٥٦. انظر أيضاً: أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٥ ص٥٣ – ٥٤.

[٢] المصدر نفسه جـ١٥ ص٥٤.

حيث أوهم كل واحد منهما أنه سيفضل صاحبه عليه، فلما سوّى بينهما رضـــيا جميعاً.

وقيل إن عمر بن الخطاب ﷺ، قال لهرم: لو كنت مفضلاً أحد الـــرجلين فمن كنت ستفضل؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لو قلت ذلك الآن لعادت جذعـــة، ولبلغت شعاف هجر؛ فقال عمر: نعم مستودع السر، وبمثل هـــذا اســـتحققت سيادة العشيرة، وإلى مثلك فليستبضع القوم أحكامهم[١].

ثانياً– القيم الاجتماعية:

القيمة في اللغة تعني الثمن، وقومت السلعة أي قدرت ثمنها[٢]. وبما أن ثروة الشخص تقيم بما يملكه من أموال فإن أخلاقه تقيم بما يملكه من معان سامية يحمل نفسه عليها بغية الأجر من الله أو الثناء من الناس أو كلاهما معاً، وقـــد يـــدفع الإنسان في كثير من الأحيان حياته ثمناً لهذه القيم التي يبحث عنهـــا، والمجتمـــع الجاهلي وإن كان يوجد فيه بعض القيم الاجتماعية السيئة كالغدر[٣] والخيانة، إلا أن هناك بعض القيم الأخلاقية النبيلة كالوفاء والنجدة والعفو والإيثار، وســـوف نعرض لكل منها باختصار مستشهدين ببعض الأمثلة التي تخص أبناء هذه القبيلة.

١– الوفاء:

الوفاء من القيم النبيلة التي كانت موجودة في المجتمـــع الجـــاهلي وجـــاء الإسلام فأقرها وحث عليها، قال تعالى: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ}[٤]، ومـــن أروع الأمثلة في الوفاء ما ضربه زفر بن الحارث الكلابي عندما تمت المصالحة بينه وبـــين

---

[١] الشريشي، شرح مقامات الحريري جـ٣ ص٥٦.

[٢] الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص١٤٨٧.

[٣] انظر بعض الأمثلة من الغدر لدى: ابن حبيب، المحبر ص٢٤٤.

[٤] سورة النحل، آية: ٩١.

الخليفة عبدالملك بن مروان حيث رفض المبايعة له حتى يتمكن من القضاء على ابن الزبير للبيعة التي في عنقه لابن الزبير[١]، وكذلكً ما فعله إسحاق بن مسلم العقيلي حيث رفض مصالحة أبي جعفر المنصور للسبب ذاته حتى تأكد له مقتل مروان بن محمد كما مر معنا[٢].

٢- النجدة:

ومن القيم النبيلة النجدة وهي إعانة من استنصر بـــك قـــال تعـــالى: "وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ"[٣]، وقال الرسول ﷺ: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"[٤]، ومن أبرز الأمثلة في النجدة ما قام به أبو الورد مجزأة بن الكوثر الكلابي حينمـــا استنجد به أبناء مسلمة بن عبد الملك ونساؤه عندما قام العباسيون باستئســـارهم فقام بقتل قائد العباسيين واستنقذهم منه، مما كان سبباً في مقتله مع خمسمائة من أهل بيته كما مرَّ معنا[٥].

٣- العفو:

العفو من أبرز القيم الاجتماعية وأجمل ما يكون العفو إذا كان عند المقدرة قال تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ}[٦]، ومن أمثلة العفو ما قام به عوف بن الأحوص يوم جبلة عندما تمكن من أسر معاوية بن الجون، ابن ملك كندة، فجزّ ناصيته وأعتقه

---

[١] انظر الرسالة ص٢٥١.

[٢] انظر الرسالة ص٢٩٩.

[٣] سورة الأنفال، آية ٧٢.

[٤] الزبيدي، مختصر صحيح البخاري جـ١ ص٢٤٤. وكان النبيﷺ يقصد بنصره ظالماً كفه عن ظلمه.

[٥] انظر الرسالة ص٢٩٧-٢٩٨.

[٦] سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

على الثواب[1]، وكذلك ما فعله دريد بن الصمة عندما عفا عن عياض الثعلبي بعدما أسره[2].

٤- الإيثار والتضحية:

الإيثار هو تفضيل الفرد حاجة الغير على حاجته، والتضحية هي بذل الإنسان روحه وماله دون الآخرين، وقد امتدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين بقوله: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[3]. ومن الأمثلة على الإيثار والتضحية ما قام به دثار بن حنيف من بني العجلان، حيث كان ابن بعض الملوك مع بني عقيل، فأصبح قتيلاً بين بني كعب بن ربيعة، فأقسم الملك أنه ليقتلنهم أو يأتونه بمن يكافئه من أشرافهم ليقتله به، فقرر دثار فداء قومه بأحد ابنيه فجاء إلى زوجته أميمة بنت عمرو بن يربوع الغنوي، وقال لها: تخيري في أحد ابنيك أدفعه إلى الملك ليقتله، فأبت فأخذهما وكان عبد قيس أحبهما إليه فلطخ وجهه بالتراب لكي يصرف نظر الملك عنه، ولكن الملك أخذه فنحره ورضي به عن ابنه، فقال تميم بن مقبل العجلاني مفتخراً بذلك على بني عقيل:

لعل عقيلاً تحسب الناس غيرها عبيداً ... وأن الدهر لا بد سرمد

نحرنا ابننا عنكم وأي نحيرة ... غلام حنيف جده والمقلد[4]

ثالثاً- الصفات الخُلُقِيَّة:

لقد امتاز عدد من رجال هوازن إلى جانب الشجاعة والفروسية بالبلاغة واللباقة؛ يظهر لنا ذلك من كثرة إيفاد القواد لهم لمفاوضة الأعداء كما مرَّ معنا من

---

[1] انظر الرسالة ص١٠٧.

[2] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ٩ص٩.

[3] سورة الحشر، آية: ٩.

[4] ابن الكلبي، جمهرة النسب .ص٣٥٩.

إيفاد قريش عروة بن مسعود الثقفي لمفاوضة النبي ﷺ أثناء صلح الحديبية[١]، ومن إرسال سعد بن أبي وقاص المغيرة بن شعبة لمفاوضة رستم[٢]، وكذلك إرسال قتيبة بن مسلم هبيرة بن المشمرج الكلابي لمفاوضة ملك الصين[٣]؛ وقد امتاز رجال ثقيف خاصة رغم قسوتهم باللباقة أو ما يعرف في عصرنا الحاضر بالمجاملة، لذا حظيوا بمكانة خاصة لدى الخلفاء الراشدين والأمويين، فتقلدوا الكثير من الولايات، وقد اشتهر المغيرة بن شعبة بهذه الصفة لدرجة أن بعض المستشرقين وصفه بالانتهازية والوصولية رغم اعترافه بعبقريته وطموحه[٤] التي عبر عنها قبيصة بن جابر بقوله: "صحبت المغيرة فلو أن مدينة بها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج المغيرة من أبوابها كلها"[٥].

ومن الثقفيين الذين اشتهروا باللباقة غيلان بن سلمة، فيذكر الأصبهاني أن قريش وثقيف عندما خرجوا بتجارتهم إلى العراق وساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان ابن حرب وقال لهم: إن قدومنا على هذا الملك الجبار يعتبر نوع من المخاطرة، لأننا دخلنا بلاده بغير إذنه، وليست لنا بسوقه تجارة، فأيكم يذهب بالعير فإن أصيب فنحن براء من دمه، وإن غنم فإن له نصف الربح، فقال غيلان بن سلمة: أنا أذهب بها[٦].

---

[١] انظر الرسالة ص١٦٣.

[٢] انظر الرسالة ص٣١٨.

[٣] انظر الرسالة ص٣٣٣.

[٤] فلهوزن، تاريخ الدولة العربية. ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٥٨م. ص١٠٩.

[٥] ابن حجر، الإصابة جـ٦ ص١٥٦– ١٥٧.

[٦] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٢ ص٤٦.

كان غيلان رجلاً طويلاً ضخماً، ذا هيئة جميلة، فلبس أحسن ملابسه ثم ذهب حتى أتى باب كسرى وأقام ببابه حتى أذن له وطلب من الترجمان أن يسأله لماذا دخل بلاده بغير إذنه؟ فقال له غيلان: لست من أهل عداوتك، ولا أتيت أتجسس عليك من قبل أعدائك، وإنما أتيت بتجارة فإن أردها فهي لك، وإن لم تردها وأذنت لي في بيعها لرعيتك بعتها، وإن لم تأذن لي في ذلك رددها. وبينما هو يتكلم إذ سمع صوت كسرى فسجد، فقال كسرى للترجمان: اسأله لماذا سجد، فلما سأله الترجمان: قال سمعت صوتاً عالياً فعرفت أنه صوت الملك فسجدت إعظاماً له، فاستحسن كسرى كلامه وأزال الحجاب الذي بينهما وسمح له بالدخول عليه وأعطاه مرفقه ليضعها تحته ويجلس عليها، وحينما رأى غيلان صورة الملك عليها وضعها فوق رأسه فاستجهله كسرى واستحمقه، وقال للترجمان: قل له إنما أعطيناك إياها لتجلس عليها، قال غيلان: أعرف ذلك ولكن عندما رأيت صورة الملك عليها كرهت أن أجلس عليها ووضعتها فوق رأسي تكريماً لها[1].

أُعجب كسرى بجواب غيلان فسأله: هل لك أولاد؟ قال: نعم، قال: أيهم أحب إليك؟ قال: الصغير حتى يكبر والمريض حتى يشفى والغائب حتى يعود، فقال له كسرى: ما أدخلك عليَّ إلا حظك، ففعلك وقولك من تصرفات الحكماء وأنت من قوم جفاة لا حكمة لهم، فما هو غذاؤك؟ قال غيلان: خبز البر، قال كسرى: هذا العقل من البر وليس من اللبن والتمر. فاشترى منه كسرى تجارته بأضعاف أثمانها، ثم كساه وأرسل معه من الفرس من يبني له أطماً بالطائف،

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٢ ص٤٦.

وكان أول أطم يبنى بها[1]. ومن ذلك أيضاً ما يروى عن الحجاج أنه كتب إلى الخليفة عبدالملك أن أمير المؤمنين عطس عطسة فشمته قوم عنده فقال لهم: يغفر الله لنا ولكم فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً[2].

العلاقات الاجتماعية:

لقد ارتبطت هوازن بعلاقات اجتماعية طيبة مع جيرانها وخاصة قبيلة قريش على الرغم مما يشوب هذه العلاقات من توتر وتنافس، ومما يدل على قوة هذه العلاقة كثرة المصاهرات التي تمت بين القبيلتين على أعلى المستويات؛ فقد تزوج الرسول ﷺ ثلاث نساء من هوازن دخل باثنتين منهما، هما أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية وميمونة بنت الحارث بن حزن من بني هلال أيضاً، وعمرة بنت يزيد بن عبيد من بني كلاب، وهي التي استعاذت من النبي ﷺ فطلقها ولم يدخل بها[3]، كما أن هوازن أخوال الكثير من مشاهير قريش، فأبو سفيان بن حرب أمه صفية بنت حزن الهلالية، وخالد بن الوليد أمه لبابة الكبرى، أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، وأختها لبابة الصغرى أم عبد الله وعبيد الله وقثم أبناء العباس بن عبدالمطلب وغيرهم كثير[4]. كما أن قريشاً أخوال الكثير من مشاهير ثقيف، فعروة بن مسعود أمه سبيعة بنت عبدشمس بن عبد مناف، وأبو محجن

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٢ ص٤٦. الأطم: هو البيت المبني من الحجارة (الفيروزآبادي، القاموس المحيط ص١٣٩٠).

[2] المبرد، الكامل جـ١ ص٤١٥.

[3] ابن هشام، السيرة النبوية ص٦٦٣.

[4] عمر رضا كحالة، معجم نساء العرب. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٣٧٩هـ/١٩٥٨م. جـ٤ ص٢٧١– ٢٧٢.

الثقفي أمه كنود بنت عبد أمية بن عبدشمس، وأمية بن أبي الصلت أمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف... وغيرهم[١].

التوطن الاجتماعي لهوازن الوبر:

إذا ما استثنينا قبيلة ثقيف الذين استوطنوا مدينة الطائف منذ وقت مبكــــر، فقد غلب على الحياة الاجتماعية لقبيلة هوازن طابع البداوة من الحل والترحــــال، وإن كان هناك بعض المناطق التي حاولوا الاستقرار بها، كمنطقة الفلج، حيــــث يذكر ياقوت أنه كانت بها مدينة لبني جعدة وبني قشير وبــــني الحــــريش، وأنهــــا تضاهي مدينة حجر اليمامة[٢]، إلا أن ما أحدثوه فيها لا يتعدى زراعة النخيل من باب التملك والاستهلاك الشخصي فقط، وكثيراً ما يغادرون هذه الأملاك عنــــد نزول الغيث ثم يعودون إليها في فصل الصيف الذي هو وقت نضوج الرطب[٣].

ومما يدل على تذمر قبيلة هوازن من الاشتغال بالفلاحة والاعتماد عليهــــا كمصدر رئيس لحياتهم المعيشية حتى عصور متأخرة ما ذكره البكري أن معروف ابن عبد الله الكلابي سأل أبا العباس السفاح أن يقطعه ضرية فأقطعه إياها، وكان من وجوه بني جعفر، ولديه نعم كثيرة ويغشاه الضيفان بكثرة، فجعل يجني لهــــم الرطب ويحلب لهم من اللبن، فأقام على ذلك شهرين وهو مسرور بما هو فيــــه، فلما ولى موسم الرطب وأتاه الضيفان لم يأت خادمه إلا بشيء يسير من الرطب فأنكر ذلك عليه وانتهره، فقال الخادم: لقد انتهى موسم الرطب، فقال: ثكلتــــك

---

[١] شكيب أرسلان، الإرتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف. تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة ٢٠٠٦م. ص١٨٩.

[٢] ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٢٧١. حجر اليمامة: نسبت إلى إقليم اليمامة لأنها أشهر مدنه وعاصمته، وهي لبني عبيد من بني حنيفة، ولكن يشاركهم فيها عدة قبائل، وهي كما ذكر ياقوت بمثابة البصرة أو الكوفة لكل قبيلة منهم حي (المصدر نفسه جـ٢ ص٢٢١).

[٣] المصدر نفسه جـ٤ ص٢٧١.

أمك، والله لشولي أعود على ضيفاني وعيالي من نخلكم هذا، قبحه الله من مـــال، فباعه على السري بن عبد الله الهاشمي وعاد إلى حياة البداوة[١].

وعندما ولى الخليفة هشام بن عبدالملك عبيد الله بن الحبحاب السلولي مصر سنة ثلاث عشرة ومائة من الهجرة /٧٣١م وقدمها؛ لم ير بها أحداً من قـــيس إلا أبياتاً قليلة من فهم، فكتب إلى الخليفة هشام بن عبدالملك يستأذنه في نقل بعـــض الأسر القيسية إليها فأذن له، فنقل إليها ثلاثة آلاف أسرة من البادية؛ منها مائـــة أسرة من بني نصر، ومائة أسرة من بني عامر، ومائة أسرة مـــن أفنـــاء هـــوازن، فأسكنهم في الخوف الشرقي، وحول ديوانهم إلى مصر[٢].

التوطن الاجتماعي لهوازن المدر:

أما قبيلة ثقيف فقد استوطنت وتحضرت في مدينـــة الطـــائف واشـــتغلت بالفلاحة منذ وقت مبكر، فعاشوا عيشة هنئه سيأتي تفصيلها فيما بعد أثناء حديثنا عن الأحوال الاقتصادية، ونستطيع أن نلمس أثر هذا الثراء مـــن كثـــرة تعـــدد الزوجات عند الثقفيين، حيث يذكر ابن حبيب أنه عندما جاء الإسلام كان هناك عدة رجال عندهم عشر نسوة كلهم من ثقيف، وهم مسعود بن معتب، وابنـــه عروة، ومسعود بن عمرو بن عمير، وسفيان بن عبدالله، ومسعود بن عامر بـــن معتب، وغيلان بن سلمة[٣]، ويقال إن المغيرة بن شعبة أحصن ثمـــانين امـــرأة في

---

[١] البكري، معجم ما استعجم جـ٣ ص١٣٩.

[٢] الكندي، ولاة مصر. تهذيب وتصحيح رفن كست. مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت ١٩٠٨م. ص٧٥– ٧٦.

[٣] ابن حبيب، المحبر ص٣٥٧.

الجاهلية والإسلام، منهن ثلاث من بنات أبي سفيان بن حرب[1]، وقيل أربع الرابعة بها عرج[2].

ومما يدل أيضاً على رغد عيش الثقفيين وحياة الاستقرار التي يعيشونها شدة ولعهم بشرب الخمور حتى كاد ذلك أن يصدهم عن الدخول في الإسلام كما سبق أن ذكرنا[3]، وقد استمر شربها عند بعضهم حتى بعد إسلامهم، حيث يذكر بعض المؤرخين أن سبب سجن سعد بن أبي وقاص لأبي محجن الثقفي أثناء معركة القادسية كان بسبب شربه للخمر[4].

ولما بدأت الفتوحات الإسلامية وأمر الخليفة عمر بن الخطاب ببناء البصرة كان الثقفيون هم أول من سكنها وساهم في تخطيطها، ويقال إن نافع بن الحارث ابن كلدة هو من اختط مسجدها، وقد كانت أغلب البيوت المحيطة بالمسجد من نصيب الثقفيين كنافع بن الحارث وعبيد الله بن أبي بكرة وعمرو بن وهب الثقفي والحجاج بن عبيد زوج أم جميل الهلالية... وغيرهم. وعندما تولى الخليفة العباسي المهدي قام بهدم جميع هذه الدور وأدخلها في المسجد[5].

---

(1) البلاذري، أنساب الأشراف جـ١٢ ص٣٢٢.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء جـ٣ ص٣٠.

(3) انظر الرسالة ص١٨٢.

(4) ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٤٧٠.

(5) البلاذري، فتوح البلدان ص٣١٩، ٣٢١.

ثانياً– الأنشطة الاقتصادية:

تختلف الموارد الاقتصادية لدى القبائل العربية من سكان البوادي عن القبائل المتحضرة من سكان المدن، وكما هو معروف فإن قبيلة هوازن تنقسم إلى قسمين، هوازن المدر، والذي يمثله فرع ثقيف، التي استقلت بمدينة الطائف وتحضرت فيها منذ وقت مبكر، وهوازن الوبر، المتمثل في الفروع الهوازنية الأخرى، وهذا مما يحتم علينا أن نتحدث عن كل قسم على حدة.

هوازن الوبر:

كانت قبيلة هوازن من القبائل العربية التي يغلب عليها طابع البداوة من حيث حياة الحل والترحال، لذا كانت حرفة الرعي هي الحرفة الرئيسة السائدة بين أبناء القبيلة والتي هي عماد الحياة الاقتصادية لديهم، لذا كانت حياتهم المعيشية مرتبطة بما تجود به السماء من خيرات بإذن ربها، فإذا نزل الغيث تحسنت أحوالهم، وإن شحَّت السماء شحّت أرزاقهم تبعاً لذلك، لذا نستطيع القول بأن حياتهم المعيشية غير مستقرة كما هو الحال لدى معظم القبائل التي تعيش في ظل هذه الظروف القاسية من شبه الجزيرة العربية وخاصة في منطقة نجد المعروفة بقلة أمطارها، وارتباطها بمواسم معينة من السنة.

مما تقدم نرى أن الموارد الاقتصادية لسكان البوادي تكاد تنحصر في ثلاثة أمور رئيسة سوف نعرض لها باختصار.

١– الرعي:

يعتمد سكان البوادي في حياتهم المعيشية في الغالب على ما تنتجه مواشيهم والتي غالباً ما تكون من الإبل والغنم بنوعيها الضأن والمعز، فيشربون من ألبانها

ويأكلون من لحومها وينسجون بيوتهم من أصوافها ويتخذون من جلودها أحذيتهم وأوعيتهم كالقرب والعكك[1]، وقد ورد في القرآن الكريم عدة آيات تبين ما تفضل الله به على عباده من بهيمة الأنعام منها قوله تعالى {وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}[2]، وقوله {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ}[3]. ومن البديهي أنهم سوف يؤمنون مستلزماتهم الأخرى من أثمانها، سواء عن طريق البيع أو المقايضة، ولكن هذا التصرف لا يدخل في مفهوم التجارة الحقيقي، كما هو الحال لدى سكان الحاضرة الذين يقومون بتربية المواشي بغرض المتاجرة فيها بالبيع والشراء.

٢- الغزو:

ومن أهم الموارد الاقتصادية لهذه القبيلة في العصر الجاهلي هو ما تحصل عليه من طرق الكسب غير المشروع والمتمثلة في الغزو والسلب والنهب، فهم لا يعتبرونها من اللصوصية بل يتفاخرون بها ويعتبرونها من طرق الكسب المشروعة، فرزقهم في ظلال رماحهم كما يقول ابن خلدون في "مقدمته". حيث كانت قبيلة هوازن من أقوى القبائل وأكثرها عدداً، لذلك كانت كثيرة الغزو لجيرانها، فزادت ثرواتها بما تحصل عليه من نِعم أو من فداء للأسارى الذين يقعون في أيديهم، وقد سبق أن رأينا مثل هذه الأمور خلال تطرقنا لعلاقاتها السياسية مع جيرانها[4]. ولكن عندما جاء الإسلام حرم هذا المورد، فجعل دم المسلم وماله حراماً على

---

[1] العكة: آنية يوضع فيها السمن، وهي أصغر من القربة (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص١١٢٥).

[2] سورة النحل، آية ٥.

[3] سورة النحل، آية٨٠.

[4] انظر مثلاً الرسالة ص١١٨.

أخيه، قال ﷺ: "كل المسلم على المسلم حرام، عرضه، وماله، ودمه"[1]. فالمسلم القوي المقتدر يكتسب بجهده والفقير الضعيف يُعطى من الزكاة وبهذا يكون الإسلام هو أول من وضع أُسس التكافل الاجتماعي.

٣- حماية القوافل:

ومن الموارد الاقتصادية لهذه القبيلة ما يحصلون عليه أيضاً نظير حمايتهم لبعض القوافل التجارية ولطائم الملوك، حيث كانت قبيلة هوازن شبه مسيطرة على الطريق التجاري بين العراق والحجاز، وهذا ما شجع عروة الرحال على التكفل بحماية لطيمة النعمان بن المنذر كما سبق أن ذكرنا[2]، وكذلك حماية قوافل الحجيج مقابل إتاوات يدفعونها لهم.

هذه من وجهة نظرنا أهم الموارد الاقتصادية لهوازن الوبر في العصر الجاهلي؛ أما هوازن المدر فهي تتمثل في قبيلة ثقيف وحاضرتها مدينة الطائف.

الموارد الاقتصادية لأهل الطائف:

كان وادي وج من مساكن قبيلة عدوان القيسية في الجاهلية، وقد استطاعت قبيلة بني عامر انتزاع هذه الأراضي منهم فسكنوا بها ونزل بالقرب منهم أبناء عمومتهم ثقيف. وبما أن بني عامر يغلب عليهم طابع البداوة، لم يهتموا باستصلاح هذه الأراضي وفلاحتها، فكانوا يشتون بأراضي نجد، وإذا جاء الصيف رجعوا إليها وصيّفوا بها لاعتدال مناخها، فعرض عليهم أبناء عمومتهم ثقيف أن يقوموا بفلاحتها، وكان من أمرهم معهم ما سبق أن ذكرنا[3].

---

[1] الألباتي، الجامع الصغير، جـ٢ ص١١٣٦.

[2] انظر الرسالة ص١٢٧.

[3] انظر الرسالة ص٧٦.

ولما استقلت ثقيف بهذه الأراضي وأحاطتها بالسور عرفت باسم الطائف، وقد جاء في هذه التسمية عدة أقوال، ولكن أقربها للصحة من وجهة نظرنا مـــن قال إن سبب التسمية هو إطافة هذا السور بها، وقد تعددت مصادر الدخل لأهل الطائف حيث شهدت رخاء اقتصادياً واضحاً، مما حدا ببعض المؤرخين المحدثين أن يطلق عليها مدينة الحجاز السعيدة[١]. وهذه أهم الحرف الـــتي اشـــتغل بهـــا الثقفيون في ذلك العصر:

أولاً– الفلاحة:

لقد ساهم ارتفاع مدينة الطائف واعتدال مناخها في جعلها بيئـــة صـــالحة لفلاحة الفواكه بمختلف أنواعها كالعنب والمـــوز والرمـــان والتـــين والخـــوخ والسفرجل والبطيخ[٢]. ويعتبر العنب من أهم الفواكه التي اشتهرت بهـــا مدينـــة الطائف وكوَّنت منها ثروات طائلة، وتذكر المصادر أن في الطائف من الكـــروم والأعناب المختلفة ما لا يوجد مثله في أي بلد من بلدان العالم[٣]. وقد اشتهرت مدينة الطائف بأسرار صناعة تجفيف العنب حتى صار يضرب بشـــهرة زبيبهـــا وجودته المثل[٤]، وقد ذكر الاصطخري أنه من أبرز ما تنتجه مدينة الطائف[٥].

ويذكر ياقوت الحموي أن الخليفة سليمان بن عبد الملك لما أدى فريضـــة الحج ومرَّ بمدينة الطائف ورأى بيادر الزبيب قال لمن معه: ما هذه الحرار؟ فقـــالوا له: ليست حراراً، وإنما هي بيادر الزبيب؛ وكانت هذه البيادر لولد عمرو بـــن

---

[١] نادية صقر، الطائف ص٣٩.

[٢] البلاذري، فتوح البلدان ص٥٧– ٥٩.

[٣] ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٩.

[٤] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[٥] الاصطخري، مسالك الممالك. مطبعة بريل. ليدن ١٩٢٧م. ص١٩.

العاص، حيث ذكر الهمداني أنهم يسكنون شرقي الطائف[1]. وكان لهم عــروش من الكروم والعنب مرفوعة على ألف ألف خشبة اشتروا كــل خشــبة منهــا بدرهم[2]. وكانت مكة من أشهر البلدان التي تستورد الزبيب من مدينة الطائف وخاصة في موسم الحج، حيث يقوم القرشيون المكلفون بسقاية الحــاج بعمــل أحواض[3] ضخمة ويملأونها بمياه زمزم ثم يضعون فيها الزبيب بقصــد تحليتهــا والتخفيف من ملوحتها، وقد كان سعر المد من الزبيب درهماً واحداً، وكان أول غنيمة غنمها المسلمون بعد الهجرة هو الاستيلاء على قافلة لقريش كانت قادمــة من الطائف تحمل زبيباً[4].

ومما يؤكد أن فلاحة الأعناب تمثل لدى الثقفيين أهمية اقتصادية كــبرى أن الرسول ﷺ عندما حاصرهم ورفضوا التسليم، أمر أصحابه بقطع أعنابهم كوسيلة من وسائل الضغط عليهم لفتح الحصن فلم يحتملوا ذلك وأطلوا عليه من فــوق الحصن وسألوه أن يأخذها أو يدعها لله والرحم، فأمر الرســول ﷺ أصــحابه بالكف عنها[5].

ولم يقتصر النشاط الفلاحي لأهل الطائف على زراعة الفواكه، بل اهتمــوا أيضاً بزراعة الحبوب، وتأتي الحنطة كأهم المزروعات التي اهتم بها أهالي الطائف، ومن أشهر أنواع الحنطة التي تنتجها مدينة الطائف اللقيمــي، نســبة إلى وادي

---

[1] الهمداني، صفة جزيرة العرب ص٢٣٣.

[2] ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص٣٨٦.

[3] كانت هذه الحياض تصنع من الجلد.

[4] السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى. ط ٤ . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار إحياء التراث العربي. بيروت ١٤٠٤هـ. جـ١ ص٢٧٥.

[5] الواقدي، المغازي ص٣١٨.

القيم[1]، وهو نوع من الحنطة حبته كبيرة، ولا يزال يعرف بهذا الاسم لدى أهل نجد حتى ولو لم يزرع في الطائف[2]. وبالإضافة إلى الحنطة هناك أنواع أخرى من الحبوب اهتم أهل الطائف بفلاحتها كالشعير وأصناف متعددة من البقوليات كالذرة والسلت والأرز والسمسم والعدس واللوبياء والحمص والدخن... وغيرها من الحبوب التي تكال وتدّخر[3]. ومن الزراعات التي نالت اهتمام أهل الطائف فلاحة النخيل، وقد نالت تمور الطائف شهرة واسعة لطراوتها وامتلائها بالمادة التي يتوحل فيها الضرس[4].

ثانياً– الصناعة:

لم تقتصر الموارد الاقتصادية لأهل الطائف على العائدات الزراعية التي غالباً ما تسوّق إلى أهل مكة نظراً لقرب المدينتين من بعضهما، بل اشتغلوا أيضاً بالصناعة، وفي الحقيقة أنه لاتوجد في ذلك العصر صناعات بمفهوم العصر الحديث وإنما توجد بعض الحِرف اليدوية والصناعات البسيطة التي تقوم في معظمها على المنتجات الفلاحية وبعض الخامات المتوفرة لديهم من الأخشاب ومخلفات الثروة الحيوانية من الجلود والصوف وما شابهها.

---

[1] وادي القيم: من أشهر أودية الطائف، وقد سكنه في الأزمنة المتأخرة قبيلة العصمة التي يقول بعض نسابيها: إنها ترجع في أصولها إلى قبيلة بني سعد بن بكر (الحضنة). (الشريف محمد بن منصور، قبائل الطائف وأشراف الحجاز. دار الحارث للطباعة والنشر. الطائف ١٤٠١هـ. ص١١٥).

[2] عبد الجبار منسي، الطائف ص٥٠.

[3] البلاذري، فتوح البلدان ص٥٨– ٥٩.

[4] عبد الجبار منسي، المصدر السابق ص٥١ . يتوحل فيها الضرس: أي يثقل فيه مثلما تثقل الرجل إذا انغمست في الوحل. (الفيروزآبادي، القاموس المحيط ص١٣٧٩).

وبما أن قبيلة ثقيف تعتبر من القبائل العربية التي تـأنف مـن العمـل في الصناعات[١]، ما عدا الصناعات التي تتعلق بالأمور الحربية حيث سبق أن رأينـا ذِهاب عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة إلى مدينـة جـرش لـتعلم صـناعة الدبابات[٢] والمنجنيقات، لذا فإنهم اعتمدوا على رقيقهم ومواليهم باستثمارهم في هذا المجال، وبما أن تربة الطائف رملية طينية يكثر فيها الكلس، فإن برودة الجـو فيها تساعد على نمو الأشجار والغابات الكثيفة وخاصة في المناطق الجبلية، لـذا كان قطع الأخشاب من أشهر الحرف التي يمارسها أهل الطائف ، فيذكر بعـض المؤرخين أن تصدير الأخشاب من أهم الموارد المالية لأهل الطـائف في العصـر الجاهلي المتأخر[٣].

ومن أشهر الصناعات التي قامت على الأعناب صناعة الخمور التي تعتبر من الكماليات الضرورية لأثرياء المجتمع الجاهلي، وتعتبر جزءاً من الحياة الاجتماعية لديهم، وقد تفننوا في استخراجها وتعليلها، وكانوا يطيبونها بالأفاويه ويعتقونهـا ويبردونها ويغلونها حتى يذهب نصفها أو ثلثاها؛ ومن أشـهر الخمـور عنـدهم الصهباء، وهي الخمر المعصورة من العنب الأبيض، وقد أطلقوا عليها اسم ابنـة الكرم أو ابنة العنب، وقد كان الحضر أكثر معاقرة للخمر من أهل البادية وخاصة أهل الطائف ومكة ويثرب[٤]، ولعل مرد ذلك إلى ثرائهم وفراغهم بعكس أهـل

---

[١] مازالت هذه الأنفة مستمرة إلى وقت قريب جداً لدى معظم القبائل العربية التي تعيش في شبه الجزيرة العربية، لأنهم يعتبرونها من المهن الحقيرة، ويسمون من يعملون بها صناعاً، فلا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم.

[٢] المقصود بالدبابات هنا: هي الدبابات المصنوعة من جلود البقر كما سبق أن ذكرنا (انظر الرسالة ص١٥٨.

[٣] عبد الجبار منسي، الطائف ص٥٢.

[٤] نادية صقر، الطائف ص٤٢– ٤٣.

البوادي المشغولين بالإشراف على مواشيهم وتحفزهم المستمر لصد هجمات أعدائهم المتوقعة بين الحين والأخر.

ومن أهم الصناعات التي عرفها أهل الطائف أيضاً دباغة الجلود، وقد عُرفت مدينة الطائف بأنها مدينة الدباغ، حيث تدبغ فيها الأهب الطائفية المعروكة[1]؛ وكانت المدابغ عادة تقام في المناطق المرتفعة حتى تتمكن مياهها من الانسياب في الأودية، وقد ذكر ياقوت أنه ينبعث منها روائح كريهة مؤذية[2].

كما اشتهرت الطائف بكثرة الزهور ذات الروائح الطيبة كالسوس والياسمين والنرجس والورود المتنوعة التي تضفي على المدينة طابع الانشراح لدى زائريها[3]، مما جعل أهلها يهتمون بصناعة العطور، وكان في أغلبه يصدّر إلى مكة بغرض تطييب الكعبة المشرفة، وكان ماء زمزم المخلوط بماء الورد هو المستخدم عادة في غسل الكعبة[4].

ثالثاً– تربية النحل:

يعتبر العسل من اهم مصادر الثروة لدى الثقفيين وذلك لشدة الطلب عليه لكونه من الأطعمة الشهية المفيدة للجسم لذا يعتبر من الأغذية شبه الضرورية آنذاك علاوة على أنه يعتبر من الأدوية التي حث عليها الشارع قال تعالى: {يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ}[5]. وقالﷺ:"إن كان في شيء من أدويتكم خير، ففي شرطة محجم أو شربة من عسل أو لذعة بنار"[6]

[1] الهمداني، صفة جزيرة العرب ص٢٣٣. انظر أيضاً: الحسيني، نزهة الجليس جـ٢ ص٢٤٦.

[2] ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٩.

[3] فيليب حتي، تاريخ العرب. ترجمة: جبرائيل جبور. ط٧. دار غندور. بيروت ١٩٨٦م. جـ١ ص١٤٣.

[4] الخربوطلي، الكعبة على مر العصور. دار المعارف. القاهرة ١٩٦٧م. ص١٢٤.

[5] سورة النحل، آية ٦٩.

[6] القرطبي، تلخيص صحيح مسلم جـ٢ ص٩٧٢.

وقد اهتم أهل الطائف بتربية النحل نظراً لما تحتوي عليه طبيعة مدينتهم من تضاريس تناسب تربية النحل بما يوجد فيها من جبال وكهوف وأشجار وخاصة في منطقة حداب بني شبابة[1]. قال تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ}[2] وتعتبر الطائف أكثر بلاد العرب عسلاً، علاوة على جودته لما تحويه أرض الطائف من أشجار الفواكة المختلفة، والورود المتنوعة، ويروي الأصمعي أن سليمان بن عبد الملك لما حجَّ وأتى الطائف وجد ريح الندغ، وهو من النباتات التي يتغذى عليها النحل ويعسل عليها، كتب إلى واليه على الطائف أن يرسل إليه عسلاً من عسل الندغ[3].

ومما يدل على كثرة إنتاج أهل الطائف للعسل أن أصحاب النحل كانوا يؤدون إلى الرسول ﷺ عن كل عشر قرب من العسل قربة (أي العشر)، فلما توفي الرسول ﷺ انقطعوا عن أدائه، فكتب أمير الطائف إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن أصحاب النحل لا يؤدون إلينا ما كانوا يؤدونه إلى الرسول ﷺ، وهم مع ذلك يسألوننا أن نحمي أوديتهم، فاكتب إليَّ برأيك فيما طلبوا؛ فكتب إليه عمر: "إن أدوا إليك ما كانوا يؤدون إلى النبي ﷺ فاحْم لهم أوديتهم، وإن لم يؤدوا إليك ما كانوا يؤدون إليه فلا تحْم لهم"[4].

---

[1] حداب بني شبابة: حِداب جمع حدب وهو الغِلَظ من الأرض في ارتفاع، وهي منازل بني شبابة بن فهم بن مالك من الأزد وليسوا شبابة فهم العدوانيين، وهذه الحداب من وراء شيحاط، وهي أكثر أرض العرب عسلاً (البكري، معجم ما استعجم جـ٢ ص٦٧).

[2] سورة النحل، آية ٦٨.

[3] نقلاً عن البكري، معجم ما استعجم جـ٢ ص٦٧.

[4] أبو يوسف، كتاب الخراج ص٢٥٢؛ البلاذري: فتوح البلدان ص٥٧.

رابعاً– التجارة:

أما التجارة فقد لعبت دوراً مهماً في حياة أهل الطائف الاقتصادية، فقد استثمر أهل الطائف ثرواتهم الطبيعية وجعلوها أساساً لتجارة واسعة، وقد ساعدهم في ذلك جدب معظم مناطق الحجاز وقحطها، لذا كانت سوقاً رائجاً لمنتجاتهم من الحبوب والفواكه وغيرها من الغلات الزراعية، وقد أصبحت مكة خاصة تعيش على الإنتاج الفلاحي لمدينة الطائف وتعتبره مخلافاً من مخاليفها[1]. أضف إلى ذلك أن مدينة الطائف من المراكز التجارية المهمة التي تتوسط مدن العراق والشام واليمن، وهي التي تلي مدينة مكة من حيث الأهمية وتكوين العلاقات التجارية[2]. ولكن على الرغم من ذلك لم يكن لها قوافل خاصة بها، بل كانت ترسل منتجاتها ضمن قوافل المكيين إلى العراق والشام، أما اليمن فقد كانت لهم بعض القوافل التجارية التي تذهب إلى هناك[3].

ومن أهم صادرات أهل الطائف العسل فقد تجاوز انتاجهم منه الاستهلاك المحلي، حيث كانوا يقومون بتصديره إلى مكة، وكان أهل مكة في الجاهلية يعتبرون العسل من أشهى الأطعمة فيتبادلونه كهدايا، ومما يدل على جودة عسل الطائف في الجاهلية أنه كان مطلوباً في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية[4].

وقد اعتمد أهل مكة في حاناتهم على الخمور المستوردة من الطائف رغم أن قوافلهم تجوب معظم أطراف الجزيرة، ويعزو فيليب حتي السبب في ذلك إلى أن

---

(1) ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٩؛ البلاذري، فتوح البلدان ص٥٧.

(2) وات، محمد في مكة. تعريب شعبان بركات. المكتبة العصرية. صيدا ١٩٥٢م. جـ١ ص١٩.

(3) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٢ ص٤٦.

(4) البكري، معجم ما استعجم جـ٢ ص٦٧. انظر أيضاً: سيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية حتى قيام الدولة الأموية. مؤسسة شباب الجامعة. الإسكندرية ١٩٨٨م. ص٣٧٧.

خمور الطائف أقل ثمناً من الخمور الأجنبية المستوردة[١]. وقد حظيت الخمر بالكثير من قصائد الشعراء سواء في وصفها أو وصف مجالسها وما يدور فيها من لهو وطرب.

ومن العوامل التي ساعدت الثقفيين على تصريف منتجاتهم هو قربهم من الأسواق المعروفة لدى الجاهليين، وهي سوق مجنة وعكاظ وذو مجاز، وجميع هذه الأسواق قريبة من مدينة الطائف، وكذلك وقوعها على طريق القوافل الممتد من جنوب بلاد العرب إلى شمالها، ومن العراق إلى اليمن، مما جعلها مركزاً مهماً من مراكز التبادل التجاري[٢]. وقد شكلت القبائل المحيطة بالطائف التي لم تحترف الفلاحة والصناعة سوقاً خصبة لأهل الطائف لتصريف منتجاتهم، مما أتاح لها ازدهاراً اقتصادياً تمثل في تدفق الأموال واستثمارها لصالح المدينة والقبيلة معاً[٣].

وكان يعيش في مدينة الطائف جالية من اليهود ولكنهم لم يحظوا باهتمام المؤرخين كما هو الحال لدى يهود يثرب، لأنهم لم يكن لهم أي تدخل في الحياة السياسية، وقد ساهم هؤلاء اليهود في تنشيط تجارة أهل الطائف بما يملكونه من رؤوس أموال استغلوها في المعاملات التجارية وفي الإقراض لأهل الطائف، حيث يعتبر أهل الطائف من أكثر الناس تعاملاً بالربا في العصر الجاهلي[٤]. ولعل ذلك بسبب حاجتهم لرؤوس الأموال لاستثمارها في استصلاح الأراضي الخصبة المتوفرة لديهم.

---

[١] فيليب حتي، تاريخ العرب ص١٥١.

[٢] محمد جمال الدين سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية. دار الفكر العربي. القاهرة ١٩٧٢م. ص٥٢.

[٣] عبد الجبار منسي، الطائف ص٥٦.

[٤] المصدر نفسه ص٥٨.

خامساً- عوائد الاصطياف:

لم تحظ مدينة من مدن شبه الجزيرة العربية بما حظيت به مدينة الطائف من إطراء، حيث تحدث عنها الكثير من المؤرخين والجغرافيين قديماً وحديثاً، فبينـــوا فضائلها وتغنوا بجمالها وطيب هوائها وكثرة فواكهها وطيب العيش فيها؛ يقـــول المقدسي: الطائف مدينة شامية الهواء باردة الماء كثيرة الفواكه إذا تأذى ملوك مكة بالحر خرجوا إليها، حيث كانت مصيفاً لهم[1]. ويذكر ياقوت أن أغبط النـــاس عيشاً أهل الطائف، وقد حسدهم العرب فقصدوهم وجدّوا في حربهم ولكنهم لم يظفروا منهم بطائل[2]. ويقول الحسيني: وليس في الحجاز أصح من هوائها (يقصد الطائف) ولا أعذب من مائها، وهي في الحقيقة دمياط الحجاز[3].

ويؤكد ما ذكره هؤلاء المؤرخون مجموعة من المستشرقين القـــدماء الـــذين زاروا مدينة الطائف؛ يقول سيديو، المستشرق الفرنسي الذي زار مدينة الطـــائف سنة ١٨١٤م: إن اعتدال مناخ الطائف وعذوبة مائها جعلها مصدراً من مصادر الثروة الاقتصادية، فقد كانت المصيف الأول لأهل مكة[4]. ويقول آرثر: رأيـــت في بساتين الطائف ما لم أره في سائر الجزيرة العربية، فقد شاهدت أشجار اللـــوز والخوخ تزدحم بالأزهار المتفتحة، وعجبت لجمال الربيع في هذه البقعـــة مـــن الجزيرة العربية المحرقة المجدبة حتى قلت لرفيقي إن ما يزعمه أهل مكـــة عـــن الطائف من أنها كانت من أراضي الشام حملتها الملائكة علـــى أجنحتهـــا حـــتى

---

[1] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ط٢. مطبعة بريل. ليدن ١٩٠٩م. ص٧٩.

[2] ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص١١.

[3] الحسيني، نزهة الجليس جـ٢ ص٢٤٦.

[4] سيديو، تاريخ العرب العام. ترجمة: عبدالله علي الشيخ. الأهلية للنشر والتوزيع. عمّان ٢٠٠٢م. ص١٧.

وضعتها في هذا الموقع حقيقة واقعة[١]؛ ويقول الرحالة بركهارت أيضاً عن الطائف: إنها أكثر مكان رآه جمالاً وبهجة وبهاء خلال رحلته من لبنان إلى الحجاز[٢].

هذا الإطراء الذي حصلت عليه مدينة الطائف من قبل هؤلاء المؤرخين يعكس لنا مدى أهميتها كمصيف لأهل مكة الذين تربطهم بأهل الطائف علاقات اجتماعية طيبة حيث يملك بعض أثريائها مساكن دائمة لهم بالطائف يخرجون إليها في فصل الصيف، مما يساعد على تنشيط الحركة التجارية فيها[٣]. ولا زالت الطائف إلى الآن من أشهر المصائف لسكان المملكة العربية السعودية بصفة خاصة ودول الخليج العربي بصفة عامة، وإن كان جوها قد تأثر في السنوات الأخيرة نظراً لازدياد النشاط العمراني فيها.

سادساً- التشييد والبناء:

لم تسعفنا المصادر التاريخية التي اطلعنا عليها بطبيعة مساكن الثقفيين قبل معرفتهم ببناء الأطم، وهي البيوت المبنية من الحجارة، ولكن يبدو أنها كانت من اللبن، أو من القصب، وهما النوعان الشائعان في تلك الحقبة الزمنية[٤]. ويذكر ياقوت أن مساكنهم توجد على ضفتي وادي وج، وهي بيوت ضيقة ومتلاصقة[٥].

---

(١) Rutter: Holy Cities of Arabia, p.331.

(٢) Burkhardt: Travels in Arabia, p.65.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ص ٥٧. انظر أيضاً: Lammens: La Cit*é* Arabe de Taif á la Veil de l´H*é*gire, p. 45.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٤٣؛ ابن الأثير، الكامل جـ٢ ص٥٢٨.

(٥) ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٩.

وعلى أية حال فقد برع الثقفيون في عملية التشييد والبناء بالأطم، وخير دليل على ذلك، ذلك السور الذي يطوف بمدينتهم والتي أخذت اسمها منه على قول أغلب المؤرخين، حيث كانت تسمى قديماً وجّ، ويقال إن الثقفيين تعلموا هذه الحرفة من رجل من الصدف يقال له الدمون بن عبد الملك، قتل ابن عم له بحضرموت وفر إلى ثقيف لاجئاً، وكان رجلاً موسراً، ذا تجارة، فترل على مسعود ابن معتب الثقفي وقال: أحالفكم على أن تزوجوني وأزوجكم وأبني لكم سوراً يطوف بمدينتكم فلا يستطيع أحد من العرب أن يصل إليكم، فوافقوه على ذلك، فبنى لهم هذا السور وعاش معهم، وكان من أحفاده قبيصة الذي كان على شرطة المغيرة بن شعبة أثناء ولايته على الكوفة[١].

ويعتبر هذا السور حدثاً فريداً لم تعرفه سائر المدن الحجازية، بحيث كان مضرباً للمثل في القوة والمنعة؛ وفي هذا الصدد يقول أبو طالب بن عبد المطلب:

منعنا أرضنا من كل حي   كما امتنعت بطائفها ثقيف[٢]

وبعد بناء هذا السور توالت عملية التشييد والبناء في مدينة الطائف، ولم يقتصر ذلك على أهل الطائف بل إن أثرياء أهل مكة اتخذوا لهم قصوراً بمدينة الطائف وكانوا يأتون إليها في فصل الصيف كما مر معنا آنفاً.

وعندما بُنيت مدينة البصرة وسكنها الثقفيون عمل بعضهم في مجال البناء بالأطم، فكان الحجاج بن عتيك الثقفي وابنه يعملان في مجال قطع الحجارة فأصابوا ثروة طائلة، فقال بعضهم: حبذا الإمارة ولو على الحجارة فذهبت مثلاً[٣]. والذي يظهر لنا من مفردات هذا المثل أن الحجاج وابنه كانا يشرفان

---

[١] ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٩.

[٢] المصدر نفسه جـ٤ ص١١.

[٣] البلاذري، فتوح البلدان ص٣٢٠.

على من يقومون بقطع الحجارة نظراً لخبرتهم في هذا المجال، وأنهم قد أصابوا هذه الأموال عن طريق الرشاوي؛ لأن البلاذري يذكر أن زياد بن أبيه قد طلب مقاسات معينة من الأحجار ذات ألوان معينة لكي يفرش بها المسجد، وأن هناك من حصل على بعض الرشاوي بسببها[1].

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان ص٣٢٠.

ثالثاً– النظم السياسية:

إذا اعتبرنا التنظيم السياسي بمثابة الدولة أو الحكومة التي تنبثق عن إرادة الشعب لكي تحقق مصالحه وفق مؤسسات تلتزم كل منها بالنظر في نوع معين من الاختصاص، فإننا لا نرى مثل ذلك التنظيم عند القبائل التي كانت تعيش في بوادي شبه الجزيرة العربية[1].

فالتنظيم السياسي القبلي عبارة عن وحدة اجتماعية قائمة على العصبية القبلية، تلعب الأعراف والتقاليد دوراً كبيراً في أنظمتها وتشريعاتها؛ ومن أهم الأعراف السائدة فيها آنذاك (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) بمعناها القبلي و(أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب)؛ أي أنه نظام قبلي قائم على وحدة الدم، فكلما تقاربت الجدود كانت النصرة في حكم الوجوب، ويلحق العار بمن يتخلف عن موقفه، وكلما تباعدت كان الأمر أيسر وفيه سعة، والعرف عندهم في ذلك فيمن يجتمعون في الجد الخامس ويسمون (مساكة الجنبية)[2]؛ فهؤلاء نصرتهم واجبة على أقاربهم.

والتنظيم السياسي القبلي في شبه الجزيرة العربية يكاد يكون موحداً، فلا تنفرد أي قبيلة عن القبائل الأخرى بأي تنظيم سياسي خاص بها، فرئيس القبيلة هو المرجع الرئيس للقبيلة في خلافاتها الداخلية، وهو من يتولى زعامتها في الحروب

---

[1] توفيق برو، تاريخ العرب القديم ص١٩٤.

[2] الجنبية: نوع من السكاكين معقوفة تشتهر بها بلاد اليمن، وهذا المصطلح كناية عن أصابع اليد التي تمسك السلاح، ويسمون (الخوامس).

الخارجية، ورؤساء العشائر هم بمثابة المستشارين[٣]. وسوف نحاول من خلال هذا المحور أن نستعرض أهم مواصفات هذا الرئيس وواجباته وكذلك ما لـــه مـــن حقوق على أفراد قبيلته، وأيضا أبرز الرؤساء الذين تولوا زعامة هذه القبيلـــة في العصر الجاهلي. ثم سنتطرق بعد ذلك لفرع ثقيف أو ما يطلق عليـــه "هـــوازن المدر"، لاختلاف التنظيمات السياسية فيها عن القبيلة الأم.

مواصفات رئيس القبيلة:

ومن أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها رئيس القبيلة الشجاعة، وهو ما يخلق نوعاً من الاعتزاز والثقة لدى أفراد القبيلة بقائدهم ويجعلهم يقدمون علـــى خوض المعارك خلف قائدهم الشجاع بغية تحقيق النصر[١]. ومن أهم الصـــفات أيضاً الحلم، فيجب على رئيس القبيلة أن يكون متأنياً لا يلجأ إلى استخدام القوة في التراعات القبلية التي قد تحدث أحياناً بسبب أشياء تافهة لا تستحق الدخول في معارك قد يذهب ضحيتها عدد كبير من فرسان قبيلته وشجعانها فيضعف شأنها. وقد رأينا بعض الآثار السيئة لمثل هذه الحروب كحرب البسوس الـــتي كـــادت تقضي على قبيلتي بكر وتغلب بسبب قتل ناقة، وحرب داحس والغـــبراء الـــتي كادت أن تفني قبيلتي عبس وذبيان من أجل سباق فرسين:

تداركتما عبس وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم[٢]

ومن أبرز الصفات أيضاً التي يجب أن تتوفر في الرئيس العدل، حيث إنـــه المرجع الأول لقبيلته فيما ينشأ بينهم من خلافات، فلا ينحـــاز إلى عشـــيرة دون

[٣] أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٨٤.

[١] توفيق برو، تاريخ العرب القديم ص١٩٦.

[٢] علي أبو زيد، زهير بن أبي سلمى شاعر الحكمة. دراسة أدبية لشعره وشرح ديوانه. مؤسسة عز الدين. بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. ص١٠٤.

أخرى، كما أن الكرم من أهم الأمور التي يجب أن تتوفر في الرئيس، وبه يستطيع أن يتألف أفراد قبيلته، لا سيما عندما ينفق عليهم في السنوات المجدبة، أمـــا إذا كان الرئيس من أهل الغنى، ومع ذلك يبخل على قومه فإنهم سوف يستغنون عنه، كما قال زهير بن أبي سلمى:

ومن يكن ذا فضل فيبخل بفضله   على قومه يستغن عنه ويذمم[1]

واجبات رئيس القبيلة:

وبما أن رئيس القبيلة يجب عليه أن يتحلى بهذه الصفات، فإن عليه أيضـــاً الكثير من الواجبات كالدفاع عن قبيلته والمحافظة على كرامتها وكرامة أفرادها، ويجب على رئيس القبيلة المحنك مراعاتهم والاستماع إلى آرائهم وطلب مشورتهم في الأمور المهمة واحترام وجهات نظرهم ونقدهم مهما يكن فيه مـــن حـــدة أو تطاول حتى لا يتسبب ذلك في تشتيت أمر القبيلة. فيجب على رئيس القبيلـــة أن يغض الطرف عن بعض الأمور، وأن يتغافل عنها، وكأنه لا يدرك المقصود منها؛ وفي هذا الصدد يقول شاعرهم:

ليس الغبي بسيد في قومـــه   ولكـــن سيد القوم المتغابي[2]

حقوق رئيس القبيلة:

ونظراً لأن رئيس القبيلة عليه الكثير من الواجبات فإن له مقابل ذلك حقوقاً أدبية ومعنوية ومادية[3]. فيجب على أفراد قبيلته أن يُجِلّوه ويحترموه، وأن يترلوا بتروله ويرحلوا برحيله، وإذا دعاهم للحرب لا يتأخروا عنه، وأن يرضوا بما يخص

---

[1] علي أبو زيد، زهير بن أبي سلمى ص١٢٦.

[2] الطائي، ديوان أبي تمام. تحقيق درويش الجويدي. المكتبة العصرية. بيروت ١٤٣٢هـ. جـ١ ص٤٨.

[3] توفيق برّو، تاريخ العرب القديم ص١٩٧.

به نفسه من حصص الغنيمة، فكان له المرباع والصفي والنشيطة والفضول، وقد جمعها أحد الشعراء في البيت التالي:

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول[1]

أشهر زعماء هوازن:

لم يكن لقبيلة هوازن زعيم يجمعهم ويرجعون إليه، حيث كانوا يتبعون لزهير بن جذيمة العبسي، سيد غطفان، ويعطونه الأتاوة، ولما كثر بنو عامر وانتشروا، تمكن خالد بن جعفر من قتل زهير بن جذيمة كما سبق أن ذكرنا[2] فاجتمعت عليه هوازن وأصبحت قبيلة مستقلة، لها كيانها ولها شخصيتها، وأصبح زعماؤها بنو جعفر بن كلاب من أعز بيوت العرب في الجاهلية، فيذكر أبو عبيدة أن عتيبة بن الحارث، فارس بني تميم، أسر بسطام بن قيس، سيد بني شيبان، فأراد قومه أن يقتلوه بثأر مليل وبجير ابني أبي مليل اللذين قتلهما بسطام يوم قشاوة[3]؛ ولكن عتيبة أبى عليهم ذلك وقال: أنا معيل وأريد اللبن[4].

ولما خشي بسطام على عتيبة أن يغلبه قومه على قتله قال: يا عتيبة، إن بني عبيد أكثر من بني جعفر[5] وأعز، ولبني عبيد عندي ثأر، وأخشى أن يأخذوني منك فلا تستطيع أن تمنعهم. فقال عتيبة: كلا والله، لأضعنك في أعز بيتين من

---

[1] الخضري، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ص٣٨. المرباع: (ربع الغنيمة)، الصفايا: (ما يصطفيه الرئيس لنفسه)، وحكمه (ما يحكم به لنفسه)، النشيطة: (ما أصابه الرئيس في طريقه قبل أن يصل إلى بيضة القوم)، الفضول: (ما فضل من القسمة بحيث لا يمكن قسمته على عدد الغزاة كالبعير والفرس ونحوها). (المرجع نفسه والصفحة نفسها).

[2] انظر الرسالة ص٨٩.

[3] يوم قشاوة: هو يوم لبني شيبان على بني يربوع. (أبو عبيدة، النقائض جـ١ ص٢٠– ٢١).

[4] المصدر نفسه جـ١ ص٢٢٨ . معيل وأريد اللبن: أي أنني أبو عيال وأرغب في الفداء، واللبن كناية عن الفداء الذي هو غالباً من الإبل.

[5] بنو عبيد وبنو جعفر (قوم عتيبة): فرعان من بني يربوع من بني تميم (المصدر نفسه والصفحة نفسها).

بيوت مضر في بني جعفر بن كلاب أو في بني عمرو بن جندب[٦]؛ فاختار بسطام بني جعفر بن كلاب[١]. وكان في بني جعفر بن كلاب كبر وتيه، فيذكر الثعالبي أن في بني مخزوم وبني أمية وبني جعفر بن كلاب تيهاً وكبراً، فلو سلموا منه مع سلامة قلوبهم وقوة حميتهم لكانوا في الفضل كبني هاشم[٢].

ونظراً لكثرة قبيلة هوازن وكثرة فروعها، حيث اعتبرها المؤرخون من أثافي[٣] العرب، كما أن بني عامر لوحدهم يعتبرون من الجماجم[٤]، فإنها لم تجتمع في الجاهلية إلا على أربعة نفر، وكلهم من بني جعفر، وهم:

١- **خالد بن جعفر**: وقد اجتمعت عليه هوازن كلها بعد قتله لزهير بن جذيمة، وقد ذكر الألوسي أنه من الفرسان الذين يضرب بشجاعتهم المثل[٥].

٢- **الأحوص بن جعفر**: وقد تولى زعامة هوازن بعد مقتل أخيه خالد بن جعفر على يد الحارث بن ظالم المري، وقد قاد معد كلها في حربها مع أهل اليمن يوم خزاز[٦]، وقيل كليب بن ربيعة وقيل أيضاً إن الأحوص بن جعفر كان على مضر وكليب على ربيعة[٧]، ويبدو أن مرد هذا الاختلاف -مثلما ذكر جواد علي- يرجع إلى دواعي العصبية حيث يريد كل من رواة ربيعة ومضر جعل

---

[٦] بنو عمرو بن جندب: فرع من بني العنبر من بني تميم. (المصدر نفسه والصفحة نفسها).

[١] أبو عبيدة، النقائض. جـ١ ص٢٢٨.

[٢] الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة ١٣٨٤ هـ. ص٦٥.

[٣] أثافي العرب: أي من دهاة القبائل التي يستند إليها الخائفون كما يستند القدر إلى الجبل عند نقص أحد أثافيه. (الفيروزآبادي، القاموس المحيط ص١٦٣٦).

[٤] ابن حبيب، المحبر ص٢٣٤. الجماجم: القبائل التي تنسب إليها البطون (الفيروزآبادي، المصدر السابق ص ١٤٠٨).

[٥] الألوسي، بلوغ الأرب جـ١ ص١٣٠– ١٣١ .

[٦] يوم خزاز: من أشهر الأيام التي وقعت بين العدنانيين والقحطانيين، وهو أول يوم انتصر فيه العدنانيون وتخلصوا من سيطرة القحطانيين عليهم (ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٥٢٠– ٥٢٢).

[٧] ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص٣٦٦.

شرف قيادة شعب معد له، ثم اتفقوا على رأي وسط وهو إسناد قيادة مضـــر إلى الأحوص وربيعة إلى كليب[1].

٣- **عروة (الرحال) بن عتبة بن جعفر:** عُرِف بهذا اللقـــب نظـــراً لكثـــرة رحلاته إلى الملوك، وهو من زعمائهم المشهورين، وبسبب قتله قامـــت حـــرب الفجار الثاني[2].

٤- **أبو براء عامر بن مالك بـن جعفـر** (ملاعب الأسنة): وقد اجتمعت عليه هوازن بعد مقتل عروة الرحال على يد البراض الكناني؛ ويقال إنه أخذ أربعـــين مرباعاً في الجاهلية، وفي ذلك دلالة على ما كان له من مترلة في قومه، وقيل إنـــه سُمي بملاعب الأسنّة لقول حجر بن أوس:

ولاعب أطراف الأسنة عامر   فراح له حظ الكتيبة أجمع[3]

أما في الإسلام فإن التنظيم القبلي قد تلاشت أكثر معالمه في ظـــل الدولـــة الإسلامية الجديدة، وإن كان هناك بعض التكتلات القبلية التي قد تظهر في فترات زمنية محددة، فقد اجتمعت قيس الجزيرة كلها بما فيها هوازن على زفر بن الحارث الكلابي من بني عامر ووقفت معه إلى جانب ابن الزبير في حربه ضد الأمويين[4].

هوازن المدر:

أما قبيلة ثقيف -أو ما يطلق عليه هوازن المدر- فقد اختلفت عـــن ســـائر قبائل شبه الجزيرة العربية وقبائل الحجاز، فقد أصبحت قبيلة حضرية بكـــل مـــا تحمله هذه الكلمة من مفاهيم وأبعاد، غير أنها على الرغم من تحضرها لم تصل إلى

---

(١) جواد علي، المفصل جـ٥ ص٣٤٨.

(٢) انظر الرسالة ص١٢٦.

(٣) ابن نباتة ،سرح العيون ص١٦٤. انظر أيضاً: الألوسي، بلوغ الأرب جـ٢ ص١٠٦.

(٤) ابن حبيب، المحبر ص٢٥٥.

التنظيم السياسي الذي وصلت إليه قبيلة قريش من عمل دار ندوة للتشـــاور، و لم تقم أيضاً بعقد معاهدات حسن جوار وتبادل تجاري مع الدول المحيطة بها كمـــا هو الحال لدى قريش التي قام زعماؤها بعقد معاهدات مع ملوك الروم والفـــرس والأحباش بحيث كانت قوافلهم تجوب أراضي تلك الدول في أمن وسلام[١].

ولعل السبب في انكماش قبيلة ثقيف رغم موقعها الاستراتيجي أنها لم تعرف الزعامة المطلقة كما عرفتها قريش أو القبائل الأخرى، بل كان فيها عدة زعمـــاء يعترف لهم أفراد القبيلة بسلطان أدبي[٢] كبني معتب، وبني عمرو بن عمير الـــذي عرض عليهم رسول الله ﷺ دعوته. ولعل السبب في عدم اجتماعهم على زعـــيم واحد هو التنافس والعداوة المستحكمة بين بني مالـــك والأحـــلاف، الفرعـــان المشهوران في ثقيف، حيث إنه قد حصل بينهم عدة وقعات منها يوم الطـــائف ويوم الأنان[٣] ويوم غمر ذي كندة ويوم كرونا الذي يقال إن عفيفاً النصـــري، حليف بني مالك، صاح في ذلك اليوم صيحة فألقت سبعين حبلى منهم مـــا في بطنها، وقد بلغت العداوة بينهما ذروتها بحيث أصبحت من أشهر العـــداوات في الجاهلية، وليس أدل على ذلك من ذهاب بني مالك يطلبون الحلـــف مـــن دوس وخثعم، وذهاب الأحلاف إلى المدينة يطلبون الحلف من الأوس على إخوتهم بني مالك[٤].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص٢٥٢.

(٢) نادية صقر، الطائف ص٢٦– ٢٨.

(٣) الأنان: هو شعب من وراء الطائف، قيل إنه من شعاب وادي نخب، كانت فيه وقعة بين الأحلاف وبني مالك. وسمي بهذا الاسم لكثرة أنين الجرحى بعد نهاية المعركة (البكري، معجم ما استعجم جـ١ ص١٨٢).

(٤) ابن الأثير، الكامل جـ١ ص٦٨٦.

ولكن عندما جاء الإسلام غيّر الكثير من المفاهيم لدى هذه القبائل، فنرى الثقفيين -رغم هذه العداوة المستحكمة- يرضون بكلمة واحدة من الرسول ﷺ عندما قال: أميركم عثمان بن أبي العاص رغم أنه أصغرهم سناً ومن فرع بني مالك الذي يرى منافسوه أنه الأضعف.

التحالفات القبلية:

ومن أبرز التنظيمات السياسية لدى القبائل في الجاهلية التحالف سواء أكان هذا التحالف وقتّياً لحدث معيّن أو مستمراً تقتضيه ظروف معينة، كأن تكون هذه القبيلة ضعيفة أو قليلة العدد فتدخل مع إحدى القبائل التي تدانيها في العصبية، وقد شجع كثرة قبيلة هوازن وقوتها عدداً من القبائل على الدخول معها سواء بالحلف أو الجوار، فقد دخلت فيها معظم فروع بجيلة حتى استخرجهم جرير بن عبد الله البجلي في عهد عمر بن الخطاب كما سبق أن ذكرنا[1]، كما دخلت معهم قبيلة باهلة وغني لكونهما من القبائل القيسية، وقد شاركوا معهم في يوم جبلة، ولجأت إليها أيضاً قبيلة بني عبس الغطفانية وتحالفت معهم ضد بني تميم وذبيان في يوم جبلة، وقد كان لرئيس بني عبس، قيس بن زهير، الفضل الأكبر في الهزيمة التي حلت ببني تميم لمشورته بتعطيش الإبل، وهو الرأي الذي كان له الأثر الأكبر في الهزيمة، وفي هذا يقول شاعر بني أسد رداً على لقيط بن زرارة الذي سخر من بني عامر عندما قاموا بتعقيل الإبل وتعطيشها:

زعمت أن العير لا تقاتل ... بلى إذا قعقع الرحائل[2]

---

[1] انظر الرسالة ص١٥٤، حاشية: ٢.

[2] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ١٠ ص٣٧.

وكان لعقد الحلف عند القبائل في الجاهلية طقوس معينة، فإما أن يتطيبوا من طيب واحد كما حصل في حلف المطيبين بين بني عبد مناف ضد بني عبد الدار، أو أن يغمسوا أيديهم في الدم ثم يمسحوا به جدران الكعبة إن كانوا من أهل مكة مثلما فعل بنو عبد الدار في حلفهم ضد بني عبد مناف، أو أن يأخذوا ماء من زمزم ويغسلوا به أركان الكعبة ثم يجمعوه في جفنة ويشرب منه الطرفان مثلما حصل في حلف الفضول بين قريش وزهرة وتيم، إلى غير ذلك من أشكال الطقوس المتعددة[١]. وقد كان عقد الحلف في الجاهلية لدى بني عامر في بني كعب ابن ربيعة والرئاسة في بني كلاب، وكان ربيعة بن شكل بن كعب بن الحريش بن كعب بن ربيعة هو الذي عقد الحلف بين بني عبس وبني عامر؛ وكانت القبيلة التي لا تحالف أحداً تسمى جمرة، فإذا حالفت غيرها انطفأت[٢].

---

[١] ابن هشام، السيرة النبوية ص٦٥– ٦٦.

[٢] انظر: الرسالة ص٧١.

رابعاً– اسهامات قبيلة هوازن في المجالات العلمية والإصلاحات والإدارية:

كانت الأمّة العربية قبل الإسلام في شبه الجزيرة أمّة أمية، ومصداق ذلـــك قول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ}[1]؛ وكانوا لا يعرفون القراءة والكتابة، وإن كان هناك بعض الأفراد القلائل في منطقة اليمن ممن يمتهن هذه الحرفة، وكان خطهم يسمى بالخط المسند، ومن اليمن انتقل إلى الحيرة والأنبار، ومن ثم نقلـــه حرب بن أمية إلى مكة، فتعلمه بعض رجال قريش[2]. ويبدو أنه انتقل من مكـــة إلى مدينة الطائف، حيث يذكر بعض المؤرخين أن غيلان بن سلمة الثقفي كــــان معلماً[3]. ومما يدل على أن الثقفيين قد برعوا في مجال الخط ما ذكره بعض الرواة أن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، عندما أراد كتابة القرآن قال: اجعلوا المملي من هذيل والكاتب من ثقيف[4].

وبما أن الأمّة العربية في العصر الجاهلي لها من مسمى عصرها نصيب لذا لم نجد لديها من الأمور المعرفية والفكرية ما يستحق الذكر سوى بعض الأمور التي هي من متطلبات العصر كالشِّعر والطب مثلاً؛ لذا سوف نقصر حـــديثنا علـــى هذين المجالين:

الشعر:

يعتبر الشعر عند العرب في الجاهلية من الأمور المهمة والضرورية، فهو يعدّ مصدراً مهماً من مصادر دراسة التاريخ الجاهلي، حيث أسهمت الحروب الدائرة في ذلك العصر في نبوغ العديد من الشعراء الذين أسهموا في تخليد أمجاد قبائلهم،

---

[1] سورة الجمعة، آية: ٢.

[2] الخضري، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية جـ١ ص٤٨.

[3] ابن حبيب، المحبر ص٤٧٥.

[4] الرازي، الصاحبي ص٦٢.

ولم تكن هذه الأشعار مدونة لديهم بل كان يتناقلها الرواة، وقد يتعرض بعضها للتحريف من قبل هؤلاء الرواة سواء بالزيادة أو النقصان أو التبديل لبعض المفردات، وقد يكون هذا التبديل متعمّداً أو حتميّاً نظراً لطول المدة الزمنية بين العصر الذي قيل فيه والعصر الذي تم فيه التدوين إلى حدوث بعض الاختلافات فيه، ومما زاد الطين بلة أن هناك الكثير من الرواة والإخباريين الذين أضافوا بعض الأشعار المصنوعة ونسبوها إلى شعراء معروفين، وذلك بهدف الاستدلال على أحداث معيّنة لم يكن لها أي وجود إلا في مخيلة واضعيها[١]. وعلى الرغم من هذه السلبيات التي أشرنا إليها إلا أنه يبقى للشعر الجاهلي أهمية كبيرة في دراسة هذه الحقبة التاريخية.

وكان للشاعر في المجتمع الجاهلي أهمية كبيرة ومكانة عظيمة، وبإمكان الشاعر أن يرفع الذليل وأن يضع الرفيع، لذا كان الزعماء يهابون الشعراء ويتجنبون الإساءة إليهم، وإذا مدحوهم أو وفدوا إليهم أتحفوهم بالهدايا مخافة هجائهم، ويعتبر مولد الشاعر في القبيلة حدثاً مهمّاً، حيث تقام الأفراح وتنحر الذبائح وتأتي الوفود لتهنئة القبيلة، وكان العرب لا يهنئون إلا بولد يولد أو بفرس ينتج أو شاعر ينبغ[٢].

وقد كانت قبيلة هوازن من أفصح العرب، فقد قال عنهم أبو زهد: قالت العرب أفصح العرب لساناً سافلة العالية وعالية السافلة، يعني عجز هوازن، ثم

---

[١] من ذلك مثلاً ما نسبوه من شعر إلى الشاعر أمية بن أبي الصلت يثبت فيه أن نسبه في إياد:

قومي إياد لو أنهم أمم   أو لو أقاموا فتهزل النعم   (ابن هشام، السيرة النبوية ص٢٦).

وأيضاً ما نسبوه إلى المخبل من أن صعصعة بن معاوية ابن لسعد بن زيد مناة:

كما قال سعد إذ يقود به ابنه   كبرت فجنبني الأرانب صعصعا   (أبو عبيدة، النقائض جـ٢ ص٣٥٧).

[٢] الألوسي، بلوغ الإرب جـ٣ ص٦٩.

عقَّب بقوله: ولست أقول قالت العرب إلا ما سمعته منهم[1]، وكذلك ما روي عن عمر بن الخطاب ﷺ، من قوله: لا يملينَّ في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف[2].

وقد ذكر الرازي أيضاً أن القرآن نزل على سبعة أحرف (لهجات)، منها خمس بلغة العجز من هوازن، وهم الذين يقال لهم عليا هوازن، وهي أربع قبائل أو خمس، منها سعد بن بكر وجشم بن معاوية ونصر بن معاوية وثقيف[3].

وقد حظيت قبيلة هوازن بنبوغ العديد من الشعراء فيها كدريد بن الصمة ولبيد بن ربيعة والنابغة الجعدي وأمية بن أبي الصلت... وغيرهم؛ وقد صنَّف الألوسي اثنين منهم من ضمن الأربعة عشر الذين صنفهم من شعراء الطبقة الأولى وهما لبيد بن ربيعة، صاحب إحدى المعلقات السبع، وأمية بن أبي الصلت، صاحب إحدى المجمهرات الست، كما صنَّف خمسة من شعرائهم في الجاهلية من شعراء الطبقة الثانية، وهم: دريد بن الصمة الجشمي، والنابغة الجعدي، وتميم بن أبي مقبل العامري، وخداش بن زهير العامري، والشماخ بن ضرار السعدي (بنو سعد بن بكر)[4].

وقد كان أكثر الشعراء من هوازن في رجال البوادي، وقد علل ابن سلام ذلك بقوله: وأما ثقيف لم يكثر فيها الشعراء؛ لأن الشعر يكثر بالحروب وقوم يغيرون ويغار عليهم[5].

---

(1) نقلاً عن الألوسي، بلوغ الإرب جـ٣ ص٧٣.

(2) الرازي، الصاحبي ص٦٢.

(3) المصدر نفسه ص٦١.

(4) الألوسي، المصدر السابق جـ١ ص٢٥– ٢٧.

(5) الجمحي، طبقات الشعراء. ص٦٥.

ومما يدل على أهمية الشعر وتأثر العرب به بصفة عامة والجاهليين بصفة خاصة ما حصل للمحلق الكلابي واسمه عبد العزى بن حنتم بن شداد من بني أبي بكر بن كلاب، وإنما سمي المحلق لأن حصانه قد عضه في وجنته فصارت مثل الحلقة، فقد كان المحلق يتيماً مملقاً مع أخواته الثلاث، لم يترك له والده إلا ناقة وبردين كان يحضر بهما المناسبات، ولم يرغب أحد في مصاهرته لفقره، فأقبل الأعشى من بعض أسفاره يريد منزله باليمامة فنزل على الماء الذي عليه المحلق، فقراه أهل الماء بما توفر لديهم، فأقبلت عمة المحلق وقالت: يا ابن أخي هذا الأعشى قد نزل على الماء وقد قراه أهل الماء والعرب تزعم أنه لم يمدح قوماً إلا رفعهم، ولم يَهْجُ قوماً إلا وضعهم، فاقترض زق خمر من أحد التجار ثم ابعث به مع الناقة وبردي أبيك إلى الأعشى، فوالله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفه ونظر إلى عطفيه في البردين ليقولن فيك شعراً يرفعك الله به، قال: ما أملك إلا هذه الناقة وأنا أنتظر نتاجها[1].

لقد تردد المحلق كثيراً فيما عرضته عليه عمته، فكلما دخل عليها حضته، وإذا خرج من عندها تذكر أن ليس له من مال إلا هذه الناقة، وما زال كذلك حتى رحل الأعشى فدخل على عمته وأخبرها برحيله، فقالت: الآن أحسن للقرى فأتبعه غلام أبيك فأين ما أدركه أخبره بأنك كنت غائباً عن الماء عند نزوله، وعندما حضرت وعلمت بقدومه أتبعته قراه، فما زالت به حتى اقترض زق خمر من أحد التجار وبعث به مع الناقة والبردين مع غلام أبيه، فخرج الغلام في أثره فلم يدركه إلا بعد أن وصل إلى منزله بمنفوحة[2]، فوجد عنده مجموعة من الفتيان

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ٩ ص٧٨.

[2] منفوحة الآن: حي من الأحياء القديمة بمدينة الرياض.

قد غداهم بغير لحم وسقاهم بعده فضيخاً[1]؛ فلما طرق الغلام الباب قال لهم: الأعشى انظروا من الطارق؟ فخرجوا إليه وأخبروه بخبر الطارق والهدف الذي جاء من اجله، فقال: ويحكم، هذا أعرابي لا قدر له ولا حاجة لي به، ووالله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفي لأقولن فيه شعراً لم أقل مثله قط؛ فأبوا عليه وقالوا: غبت عنا فأطلت الغيبة وعندما أتيناك أطعمتنا بغير لحم وأسقيتنا الفضيخ، فقال: ائذنوا له، ثم قال للغلام: أقر سيدك السلام وقل له سوف يأتيه ثناؤنا، ثم أمر الفتية بذبح الجزور فذبحوها فشووا من كبدها وسنامها وشربوا فأنشأ يقول:

أرقت وما هذا السهاد المؤرق	وما بي من سقم وما بي معشق
ولكن أراني لا أزال بحادث	أغادي بما لم يمس عندي وأطرق
لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ	إلى ضوء نارٍ باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها	وبات على النار الندى والمحلق
رضيعي لبان ثدي ثم تحالفا	بأسحم داج عوض لا نتفرق

فلما شاع شعره وانتشر في الناس لم تمض سنة حتى زوج المحلق أخواته الثلاث كل واحدة منهن بمائة ناقة فتحسنت أحواله وشرف ذكره[2].

والأمثلة أيضاً كثيرة على ما يسببه شعر الهجاء من إنزال قدر المهجوِّ كما سبق أن ذكرنا من هجاء جرير للراعي النميري وقومه، وكان السبب في ذلك أن هناك عدة نقائض بين جرير والفرزدق وكلاهما من تميم، فكان الراعي النميري يتحدث دائماً في مجالسه عن تفضيل الفرزدق على جرير، فشكا جرير ذلك إلى قومه بني نمير وقال: ألا تعجبون من هذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ

[1] الفضيخ: شراب يتخذ من بسر مفضوخ (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص٣٢٩).

[2] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ٩ ص٧٧– ٧٨.

ويفضله، وأنا أمدح قومه والفرزدق يهجوهم؛ فلما اشتد الأمر على جرير عــزم على المسير إلى الراعي ولكنه كره أن يعلم الناس بمسيره إليــه، وكــان للراعــي والفرزدق وأصحابهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها، فخــرج إلــيهم جرير ماشياً حتى لا يشعر أحد بخروجه[1].

وعندما انصرف الراعي من مجلسه على بغلته تلقفه جرير، فقال له: يا أبــا جندل، أنت سيد مضر وشاعرها، وإن كلامك لَيُسمع، وإنك تفضل الفــرزدق عليّ تفضيلاً قبيحاً وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمي، وليس منــك ولا عليك مسبة في أمري معه، وقد يكفيك إذا سُئلت أن تقول: كلاهما شــاعر كريم، يقول جرير: فبينما هو واقف عليَّ لا يردّ جواباً إذ أقبل ابنه جندل فضرب عجز دابته فقال: أراك واقفاً على كلب بني كليب كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً فزحمتني بغلته ودفعتني دفعة شديدة وقعت منها قلنسوتي، فوالله ما رجع ولا تأسف لي، ولو عاد لي واعتذر لقلت إن ابنه غلام سفيه ولعذرتــه، ولكنــه مضى في طريقه فأخذت قلنسوتي ومسحتها وأعدتها على رأسي وقــد تبــادر لي مطلع القصيدة: أجندل ما تقول بني نمير[2].

ولما عاد جرير إلى منزله قال لأهله: أسرجوا لي، ثم صعد في علية لــه فلــم يأت السحر إلا وقد أكملها ثمانين بيتاً، وكان عندما بلغ قوله:

فغض الطرف إنك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

كبَّر وقال: أخزيته والله ورب الكعبة، ولما أصبح جرير غدا على الناس وقد أخذوا مجالسهم بالمربد، فأنشدها، وعندما أتمها وثب الراعي وركب بغلته وقــال

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ٢٠ ص١٦٩.

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

لأصحابه: ركابكم ركابكم، فليس لكم هاهنا مقام، فقد فضحكم والله جريـــر؛ فقالوا له: هذا من شؤمك وشؤم ابنك، فسبّوه وسبّوا ابنه؛ يقول الأصبهاني: فما زالوا إلى الآن يتشاءمون منه ومن ذريته. ويقول بعض الرواة: إنه مات قبـــل أن تمضي سنة كمداً بسبب هذه القصيدة وقبل أن يستطيع الرد عليها[1].

وكان للشعر أيضاً تأثير على تصرفات الناس وخلق روح التنافس بينهم، من ذلك أن عبد الله بن جدعان كان يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن حتى سمـــع مدح أمية بن أبي الصلت لبني الديان:

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم فرأيت أكرمهم بني الديان

البر يلبك بالشهاد طعامهـــم لا ما يعللنا بنو جـــدعان

وكان سبب هذا المدح والإطراء أن أمية قدم على عبد المدان بن الديان من بني الحارث بن كعب بنجران فقدم له الفالوذج فأعجبه فمدحه، ولما سمـــع ابـــن جدعان مدحه لبني الديان والتعريض به أرسل إلى اليمن من يأتيه بشخص يـــتقن صناعة الفالوذج بالعسل، وأرسل إلى الشام ألفي بعير تحمل إليه الـــبر والشـــهد والسمن، وجعل له مناديين أحدهما بأسفل مكة والآخر بأعلاها يناديان: من أراد اللحم والشحم والفالوذج فليأت دار ابن جدعان، فكان أول من أطعم الفالوذج بمكة، فقال أمية في مدحه:

له داعٍ بمكـــة مشمعـــل وآخر فوق كعبتها ينادي

إلى ردح من الشيزى[2] ملاء لباب البر يلبك بالشهـــادِ[3]

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ٢٠ ص١٧٠– ١٧١.

[2] الشيزى: قصاع يوضع فيها الطعام تصنع من خشب الأبنوس أو خشب الجوز (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص٦٦١).

[3] جواد علي، المفصل جـ٤ ص٩٧.

الطب:

ومن العلوم المعرفية التي دعت الحاجة العرب إلى تعلمها الطب، وهناك فرق بين الطب القائم على البحث والمطالعة وطب البوادي أو ما يسمى بالطب الموروث، وهو الطب الذي تعلموه من تجارب آبائهم وأجدادهم دون تغيير أو تبديل، والأعراب عادة لا يثقون إلا بطب كبار السن نظراً للخبرات التي يمتلكونها، فنجدهم عندما يحسون بأعراض معينة يلجأون إليهم، ولتوجيهاتهم الأثر الكبير على المريض من الناحية النفسية؛ لأن طب البوادي لا يعتمد على البحث والمطالعة بل على التجارب السابقة والخبرة[١].

أما الطب القائم على البحث والمطالعة فلم يشتهر به إلا أفراد قلائل منهم الحارث بن كلدة الثقفي الذي يعتبره المؤرخون أشهر أطباء الجاهلية، ويقال إن سعد بن أبي وقاص مرض بمكة فعاده رسول الله ﷺ وقال له: "ادع الحارث فإنه يتطبب"، فأتاه الحارث فداواه فشفي بإذن الله. وقد رحل الحارث بن كلدة في طلب الطب إلى بلاد فارس واليمن[٢]. ويذكر جواد علي أنه درس الطب في مدرسة جنديسابور[٣] التي كان اعتمادها على الطب اليوناني وما خلفه مشاهير أطباء اليونان كأبقراط وجالينوس، وهذا يعني أن الحارث كان لديه إلمام بلغات أجنبية، فليس من الممكن أن تدرَّس هذه العلوم باللغة العربية في بلاد الفرس[٤].

---

[١] جواد علي، المفصل جـ٨ ص٣٨٩.

[٢] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ص١٦١.

[٣] جنديسابور: سبق التعريف بها وتعرف بعدة أسماء غير هذا الاسم، منها: سابورخواست ونيسابور كما سبق أن أسلفنا (انظر الرسالة ص٤١، حاشية: ٧).

[٤] جواد علي، المرجع السابق جـ٨ ص٣٢٠– ٣٢١.

ومن أشهر الأقوال المنسوبة للحارث قوله: "الطب الأزم"[1] "البطنة بيت الداء والحمية رأس الدواء، وعوِّدوا كل بدن ما اعتاد"، وقوله: الداء الدوي إدخال الطعام على الطعام، وهو الذي يهلك السباع في جوف البرية. ومن حكمه قوله: لا تنكحوا من النساء إلا الشابة، ولا تأكلوا من الحيوان إلا الفتي، ولا من الفاكهة إلا النضيج، ولا يتعالج أحدكم ما دام يحتمل الداء، ولا يشرب الدواء إلا من ضرورة فإنه لا يصلح شيئاً إلا أفسد مثله، ومن أراد البقاء ولا بقاء فليجود الغذاء وليأكل على نقاء وليشرب على ظماء وليُقِلّ من شرب الماء ويتمدد بعد الغداء ويتمشى بعد العشاء[2]. وقيل إنه أوصى ابنه بقوله: "يا بني، عوِّد نفسك الأثرة ومجاهدة الشهوة ولا تنهش نهش السباع... ولا تدمن الأكل إدمان النعاج ولا تلقم لقم الجمال، إن الله جعلك إنساناً فلا تجعل نفسك بهيمة"[3]. ويقول ابن أبي أصيبعة: إن للحارث كتاب المحاورة سجل فيه "المحاورة" التي جرت بينه وبين كسرى في الأمور الطبية[4].

وقد ذكر بعض الإخباريين أن الحارث بن كلدة قد عالج أبا الخير بن عمرو الكندي من ملوك كندة، وكان هذا الملك قد خرج إلى كسرى يستنجده على قومه فأعطاه جيشاً من الأساورة، ولما وصلوا إلى كاظمة سموه ثم عادوا وتركوه، فذهب إلى الحارث بن كلدة بالطائف فداواه فبرئ فأهداه الملك جاريته سمية[5].

---

[1] الأزم: يعني الحمية، وأزم عن الشيء أمسك عنه (الرازي، مختار الصحاح ص١٥.

[2] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ص١٦٣– ١٦٦.

[3] ابن ناقيا. الجمان في تشبيهات القرآن. تحقيق محمود حسن الشيباني. ١٤٠٦هـ. ص٢٠٠.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ص١٦٧.

[5] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٥ ص٢٣٨. انظر أيضاً: جواد علي، المفصل جـ٨ ص٣٨٣.

وكان النضر بن الحارث ممن تعلم الطب من والده ورحل معه لدراسته، وقد شكك الدكتور جواد علي في نسبه على أنه من بني عبد الدار من قريش، وجعل نسبه هكذا: النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار، بحجة أنه من أهل مكة ومن أشد الناس عداوة للرسول ﷺ، ولأنه معدود في قتلى قريش في معركة بدر حيث قتله الرسول ﷺ صبراً بالصفراء[1]. ولكن الذي تبين لنا من خلال دراسة أنساب القبيلة أنه ثقفي، وليس له أي علاقة ببني عبد الدار، أما الذي أشار إليه الدكتور جواد فهو شخص آخر وهو النضر بن الحارث بن علقمة ابن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار، وهذا الطبيب النضر بن الحارث بن كلدة ابن عمرو بن علاج الثقفي، هذا إذا ما سلمنا بصحة ما ذهب إليه ابن الكلبي[2]؛ أما إذا كان الاسمان لشخص واحد فالمترجح لدينا أنه ثقفي النسب ولكنه حليف في بني عبد الدار، حاله في ذلك حال الأخنس بن شريق، حليف بني زهرة، ولا سيما أن كلاهما من بني علاج، وهو ما أشار إليه ابن أبي أصيبعة حين قال: ولما كان الرسول ﷺ بالصفراء قتل النضر بن الحارث بن كلدة الثقفي، أحد بني عبدالدار[3]؛ يعني أنه معدودٌ في بني عبد الدار بالحلف، كما هو مترجح من استخدامه كلمة "أحد بني عبد الدار" ولم يقل من بني عبد الدار.

مشاركة أبناء قبيلة هوازن في النهضة الفكرية الإسلامية:

أما في عصر الإسلام، فقد أسهم الهوازنيون في النهضة الفكرية والثقافية التي صاحبت قيام الدعوة الإسلامية، فكان منهم المحدثون والفقهاء والشعراء والخطباء، منهم النزال بن سبرة الهلالي اُختلِف في صحبته، وذكره البخاري في

---

[1] جواد علي، المفصل جـ٨ ص٣٨٤.

[2] ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٨٩، ٦٧.

[3] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء جـ٢ص٢٢.

التابعين، ومن ضمن من روى عنه الضحاك بن مزاحم الهلالي، صاحب التفسير[1]. ومنهم نافع ونفيع ابنا أبي بكرة الثقفي، وعطاء بن يسار، مولى أم المؤمنين ميمونة الهلالية، وإخوته سليمان ومسلم وعبد الملك، وجميعهم من كبار التابعين بالمدينة[2]. وسفيان بن عيينة، مولى امرأة من بني هلال، ووكيع بن الجراح الرؤاسي، الفقيه المشهور محدث العراق في عصره، وزياد بن عبد الله البكاء، صاحب المغازي... وغيرهم[3]. وقد ذكر القيسراني أن هناك مجموعة كبيرة من الرواة من مختلف فروع بني عامر بن صعصعة[4].

ومن أبرز شعرائهم في تلك الفترة الراعي النميري وزفر بن الحارث الكلابي وحميد بن ثور ويزيد بن الطثرية وليلى الأخيلية... وغيرهم. ومن أشهر خطبائهم الحجاج بن يوسف الثقفي وزياد بن أبيه.

وكان لولاتهم مساهمات فعالة في بناء النهضة الفكرية والحضارية وتشجيع العلماء والأدباء، فقد كان الحجاج بن يوسف يعقد مجالس الأدب والسمر على نمط ما كان يفعله خلفاء بني أمية، وكان مجلسه يغص بالشعراء، وهو الذي أرسل جريراً إلى بلاط الخليفة عبد الملك بعد أن كان شاعره الخاص وكذلك ما قام به من الإيعاز إلى أبي الأسود الدؤلي بتنقيط أحرف القرآن الكريم والمضي في ذلك

---

(١) ابن حجر، الإصابة جـ٦ ص٣٨٩.

(٢) ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب. صححه نايف العباس. بيروت. بدون تاريخ. جـ١ ص٣١٣.

(٣) ابن الكلبي، جمهرة النسب ص٣٦٢.

(٤) ابن القيسراني، الأنساب المتفقة ص٤٧.

رغم كثرة المعارضين له واتهامه بتبديل كلام الله[١]. وقيل إن أول من قام بتنقيط القرآن الكريم نصر بن عاصم بأمر من الحجاج[٢].

الإصلاحات الإدارية والعمرانية:

لقد بعث الإسلام في المسلمين روحاً جديدة من التطلع إلى التنظيم والقيام ببعض الإصلاحات الإدارية والعمرانية، وقد كان للولاة الهوازنيين في العراق أثناء العهد الأموي جهود كبيرة في المجال الإداري والعمراني، فزياد بن أبيه هو أول من فرض حظر التجول في مدينتي البصرة والكوفة من بعد صلاة العشاء إلى الفجر، لما في ذلك من استتباب الأمن[٣]، وقد قام الحجاج ببناء مدينة واسط، كما قام باستصلاح الأراضي البور، وتخفيف المستنقعات واستثمار أراضيها في الفلاحة[٤]، وكذلك منع الهجرة من القرى إلى المدن حتى لاتتأثر الأنشطة الفلاحية التي تعتبر من أهم مصادر الدخل للدوله، ومن أهم الأعمال التي قام بها أيضاً نقل جميع الدواوين في العراق إلى اللغة العربية، كما وضع شروطاً للالتحاق بالجيش، وكان من أهم الشروط التي يشترطها صغر السن وسلامة الجسم من العاهات، كما أولى النظافة اهتماماً كبيراً فقام بقتل الكلاب الضالة، وعاقب على التبول في الشوارع بالسجن[٥].

---

[١] عمر فروخ، الحجاج بن يوسف الثقفي. مكتبة منيمنة. بيروت ١٣٦٠هـ. ص٢٠.

[٢] ابن خلكان، وفيات الأعيان جـ٢ ص٣٢. ومن أشهر علمائهم في العصور المتأخرة الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، صاحب "صحيح مسلم"، توفي سنة إحدى وستين ومائتين من الهجرة /٨٧٤م، وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية النميري توفي سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة من الهجرة /١٣٣٧م.

[٣] ابن الأثير، الكامل جـ٣ ص٤٥٠.

[٤] البلاذري، فتوح البلدان ص٢٦٨.

[٥] ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ ٥ ص٢٧٠. انظر أيضاً: عمر فروخ، الحجاج بن يوسف ص١٦– ١٧.

ويقال إن الحجاج هو أول من قام بتوحيد المكاييل والمـــوازين وأول مـــن ضرب الدراهم ونقش عليها (قل هو الله أحد) وقيل إن ذلك بأمر من عبدالملك، ثم تبعه في ذلك يوسف بن عمر الثقفي فضرب الدراهم اليوسفية وتشدد في وزنها حيث قال المؤرخون عنها: إنها تعتبر من أفضل الدراهم المضروبة(١).

---

(١) ابن الأثير، الكامل جـ٤ ص٤١٧.

خامساً– المعتقدات الدينية في العصر الجاهلي:

لقد كانت الوثنية هي الديانة الغالبة على حياة معظم القبائل العربية في الجاهلية وإن كان هناك بعض الأفراد أو الجماعات القليلة التي مازالت تتعلق ببعض تشريعات الديانات السماوية السابقة على الرغم مما شاب تعاليم بعضها من التحريف والتبديل والاندثار، وسوف نستعرض في هذا المحور أبرز تلك الديانات التي كانت موجودة آنذاك وتأثر أفراد القبيلة بكل منها.

عبادة الأصنام:

لقد أورد الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أسماء ثمانية أصنام من أصنام الجاهلية وهي: ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر. قال تعالى: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}[1]. وقد كان ودّ لقبيلة كلب بدومة الجندل، وسواع لهذيل بن مدركة في رهاط من أرض ينبع، ويغوث لمراد في أعلى أكمة باليمن، ويعوق لقبيلة خيوان في قرية يقال لها خيوان، على مسيرة ليلتين من صنعاء بتجاه مكة، ونسر لحمير بأرض يقال لها بلخع؛ أما الثلاثة المتبقية فقد وردت في قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى {*} وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}[2]، فأما اللات فهي صخرة مربعة بمدينة الطائف، وكان سدنتها بني عتاب بن مالك من ثقيف، وأما العزى فكانت شجرة وقيل ثلاث شجرات بوادي نخلة بين مكة والطائف، وكان سدنتها بني شيبان من سليم، وأما مناة فهي بقديد على ساحل البحر بين مكة والمدينة[3].

---

[1] سورة نوح، آية ٢٣.

[2] سورة النجم، الآيتان: ٢٠، ١٩.

[3] ابن الكلبي، الأصنام. تحقيق أحمد زكي. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٣٨٤ هـ. ص ١٣– ٢٥.

هذه الأصنام الثمانية هي أشهر أصنام العرب في الجاهلية، ولكن الأصنام الثلاثة الأخيرة هي الأكثر شهرة وتعظيماً في بلاد الحجاز، ووروداً في المصادر التاريخية، ومما يدل على شدة تعظيم الجاهليين لها أنهم نسبوا أسماء أبنائهم إليها، فسموا عبد مناة وعبد العزى وتيم اللات وزيد اللات، منهم تيم اللات بن رفيدة ابن ثور بن وبرة، وزيد اللات بن رفيدة، وتيم اللات بن النمر بن قاسط[١]. وقد وردت أيضاً في الكثير من أشعارهم وأقسموا بها في أيمانهم، وإن كان الحجازيون قد اتفقوا على تعظيم هذه الأصنام الثلاثة، إلا أن اللات والعزى هي الأكثر شهرة، كما أن الأوس والخزرج أكثر تعظيماً لمناة، وقريشاً أكثر تعظيماً للعزى، وثقيفاً أكثر تعظيماً للات لوقوعها في مدينتهم[٢]، وكانوا يسمونها الربة كما سبق أن ذكرنا.

ليست هذه هي الأصنام الوحيدة المعروفة عند الجاهليين، بل كانت هناك أصنام أخرى كثيرة، حيث يذكر المؤرخون أنه كان يوجد حول الكعبة عند دخول النبي ﷺ مكة فاتحاً ثلاثمائة وستون صنماً، بحيث كان لكل قبيلة وكل أهل دار صنم يعبدونه ويتمسحون به[٣]. وكان هُبَل هو أعظم الأصنام جميعاً وكان مصنوعاً من العقيق الأحمر على هيئة إنسان وموضوعاً على بئر في جوف الكعبة، وقد ذكر ابن الكلبي أن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر هو أول من وضعه، لذا يقال له هُبَل خزيمة[٤].

---

[١] ابن الكلبي، الأصنام ص١٨.

[٢] المصدر نفسه ص٢٧.

[٣] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص٥٩.

[٤] ابن الكلبي، المصدر السابق ص٢٨.

ولكن ما ذكره ابن الكلبي لا يتفق مع ما ذكره كثير من المؤرخين الـذين يقولون إنَّ أول من أدخل عبادة الأصنام هو عمرو بن لحي الخزاعي؛ ومن هؤلاء اليعقوبي حيث ذكر أن عمرو بن لحي سافر إلى بلاد الشام وكان بها قـوم مـن العماليق يعبدون الأصنام فقال لهم: ما هذه التماثيل التي تعبدونها، قـالوا: هـذه أصنام نعبدها نستنصر بها فتنصر، ونستسقي بها فتسقي؛ فقال: أعطوني منها صنماً أسير به إلى بلاد الحجاز، فأعطوه صنماً يقال له هُبَل، فوضعه عند الكعبة فكـان أول صنم وضع بمكة، ثم وضعوا أساف ونائلة، كل واحد منهما على ركن مـن أركان البيت، ثم نصبوا على الصفا صنماً يقال له مجاور الريح، وعلى المروة صنماً آخر يقال له مطعم الطير؛ فكانت العرب إذا حجت ورأت الأصنام سألوا قريشاً وخزاعة عنها، فقالوا: نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، فلما رأت العـرب ذلـك اتخذت لها أصناماً فجعلت كل قبيلة لها صنماً[١].

وكان من ضمن القبائل التي اتخذت لها أصناماً قبيلة هوازن، فأما هـوازن الوبر فقد اتخذوا صنماً يقال له جهار على سفح جبل أطحل بعكـاظ، وكـان سدنته بني عوف النصريين[٢]. أما الأزرقي فيذكر أن بني نصر وجشم وسعد بن بكر، وهم عجز هوازن، كانوا يعبدون العُزّى[٣]، وكان سدنة ذي الخلصة بـني هلال من بني عامر[٤]، ولكن القبائل البدوية بصفة عامة أقل تعلقاً بالأصنام مـن أهل الحضر، نظراً لكثرة تنقلاتهم وبعدهم عنها؛ وأما ثقيف أهل الطائف فكـان لهم صنم اللات، وكان أكثر الأصنام شهرة بعد العزى، وكانوا شديدي التعظيم

---

[١] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت ١٤٠٠ هـ. جـ١ ص٢٥٤.

[٢] ابن حبيب، المحبر ص٣١٥؛ ياقوت، معجم البلدان جـ٢ ص١٩٣.

[٣] الأزرقي، أخبار مكة. تحقيق علي عمر. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة ١٤٣٠ هـ. جـ١ ص٩٥.

[٤] ابن حبيب، المصدر السابق ص٣١٧.

له. ومما يدل على شهرته أن أبرهة الأشرم عندما غزا مكة يريد هدم الكعبة توجه إلى اللات يظن أنها الكعبة ففزع الثقفيون واستقبلوه معلنين السمع والطاعة وقالوا: إن بيتنا هذا ليس هو البيت الذي تريد، وإنما البيت الذي تريده بمكة ونحن نرسل معك من يدلك عليه، فأرسلوا معه أبا رغال فخرج معه حتى إذا ما وصل إلى المغمس[1] هلك هناك فصارت العرب ترجم قبره كلما مر بهم الطريق عليه[2].

وقد تعددت الروايات حول صنم اللات وسبب تسميته، ولكن أشهرها أن اللات صخرة مربعة كان رجلٌ صالحٌ من ثقيف يلت[3] عليها السويق للحجاج، ويظهر أنه كان يوزعه عليهم بدون مقابل وذلك بأمر من عمرو بن لحي الخزاعي الذي اشتهر بإطعامه للحجاج، حيث قالوا: إنه ينحر في الموسم عشرة آلاف بدنة ويكسو عشرة آلاف حلة، وكانت العرب لا تراه إلا ربّاً لها، فلما مات الرجل قال لهم عمرو بن لحي: إنه لم يمت، ولكنه دخل في هذه الصخرة، وأمرهم أن يبنوا عليها بنياناً ويسمونه اللات نسبة إلى الحرفة التي كان يمارسها هذا الرجل، ففعلوا ما أمرهم به[4]. ثم بعد فترة من الزمن قال لهم: إن ربكم قد دخل في هذه الصخرة فهو يشتو في العزى لحرارة تهامة ويُصيف باللات لبرودتها[5]. وكانت العرب جميعاً تعظّم اللات وتكثر من ذكرها والقسم بها في أشعارهم، من ذلك قول عمرو بن الجعيد:

فإني وتركي وصل كأسٍ لكالذي   تبرأ من لاتٍ وكان يدينها

---

[1] المغمس: موضع على بعد ثلثي فرسخ من مكة (ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص١٦١– ١٦٢).

[2] ابن هشام، السيرة النبوية ص٢٦– ٢٧؛ الأزرقي، أخبار مكة جـ١ ص١١١.

[3] يلت السويق: أي يخلطه بالسمن (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص ٢٠٤).

[4] ياقوت، المصدر السابق جـ٥ ص٤.

[5] الأزرقي، المصدر السابق جـ١ ص٩٥.

وقول المتلمس في هجائه لعمرو بن المنذر:

أطردتني حذر الهجاء ولا   واللات والأنصاب لا تئل[١]

وقد بلغ من شدة تعظيم العرب للات أن شهرها جاوزت حدود الجزيرة، فيذكر ابن هشام أن بحيرى عندما أراد أن يختبر نبوة محمد ﷺ قال له: يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال الرسول ﷺ: "لا تسألني باللات والعزى شيئاً، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما". فلما سمع بحيرى ذلك منه، وسأله بالله عن بعض الأمور عرف نبوته، فالتفت على عمه أبي طالب وقال له: احذر على ابن أخيك هذا من اليهود[٢].

وكثيراً ما اقترن اسم اللات بالعزى عند العرب في أشعارها وأيمانها مثلما هو الحال في الشريعة الإسلامية، حيث ورد ذكرهما معاً في القرآن الكريم كما أسلفنا، وكذلك في حديث ينسب إلى الرسول ﷺ: "لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى"[٣]؛ ومن ذلك قول عتيبة بن الحارث لبسطام بن قيس عندما أراد منه أن يطلقه بعد أسره: واللات والعزى لا أطلقك حتى تأتيني أمك بكل شيء ورثته عن أبيك[٤]. وقول أوس بن حجر:

وباللات والعزى ومن دان دينها   وبالله، إن الله منهن أكبر

وعلى الرغم من تغلغل عبادة الأصنام في نفوس العرب إلا أنهم كما هو واضح من قول أوس بن حجر يرون أن الله أعظم من هذه الأصنام، فهم يؤمنون بأن الله هو الخالق الذي خلقهم وخلق السماوات والأرض وأنه لا شريك له وأنه

---

[١] ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص٥.

[٢] ابن هشام، السيرة النبوية ص٦٨.

[٣] الألباني، الجامع الصغير جـ٢ ص١٢٧١.

[٤] أبو عبيدة، النقائض جـ١ ص٦١.

أكبر من هذه الأصنام كلها، ولكن لقصر عقولهم يعتقدون أن الله لا يسمعهم، لذلك اتخذوا هذه الأصنام كوسائط بينهم وبين الله يشفعون لهم عنده، وهذا يتبين لنا من تلبيتهم عند ممارستهم شعائر الحج: لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك، إلا شريك هو لك تملكه وما ملك[١]. وكانت العرب تطلق على اللات والعزى ومناة بنات الله، وكانوا يطوفون بالكعبة ويقولون:

واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى

فإنهن الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى[٢]

وقد بلغ من تعظيم ثقيف للات أن جعلوا لها حجبة وكسوة وجعلوا لها حرماً يضاهئون به حرم مكة، فلا يجوز أن يصاد في حماها حيوان أو يسفك فيه دم[٣]. وكان هناك موسم للحج إلى اللات تفد إليه العرب من كل فج وتعظمه كما تعظم الحج إلى الكعبة، فينحرون عندها القرابين ويقدمون لها الهدايا من الطيب والذهب والفضة، ويضعون ذلك كله في خزانة لها تسمى الغبغب[٤]. وكان تلبية ثقيف عندها: لبيك اللهم إن ثقيفاً قد أتوك وأخلفوا المال وقد رجوك[٥].

بنو عامر ودين الحمس:

أما بنو ربيعة بن عامر فكانوا حمساً، أي متشددون في دينهم، والتي حمستهم هي أمهم مجد بنت تيم بن غالب بن فهر، وقد أشار إليها لبيد في شعره:

---

[١] ابن هشام، السيرة النبوية ص٤٠.

[٢] ابن الكلبي، الأصنام ص١٩.

[٣] ابن حبيب، المحبر ص٣١٥.

[٤] الواقدي، المغازي ص٦٤٥. الغبغب: هو المنحر ومهراق الدماء (ابن هشام، السيرة النبوية ص٤٣). ويبدو أنهم كانوا ينحرون فيه هديهم قبل إقامة البنيان عليه.

[٥] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي جـ١ ص٢٥٥.

سقى قومي بنو مجد وأسقى نميراً والقبائل من هـــلال[1].

وقد تبعهم في ذلك جميع بني عامر؛ والحمس هو ديـــن ابتدعتـــه قـــريش وخلاصته أنهم اجتمعوا وقالوا: نحن بنو إبراهيم سكان مكة وولاة البيت المحرم، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل مترلتنا، فلا ينبغي لنا أن نعظم شيئاً من الحل كما نعظم الحرم، فإنا متى ما فعلنا ذلك استخفت بنا العرب وقـــالوا قـــد عظموا من الحل مثلما يعظمون من الحرم. أي أنهم قسموا الناس إلى قسمين: أهل الحرم وهم أهل مكة، وأهل الحل وهم من سواهم؛ فتركوا الوقوف بعرفـــة مـــع العلم أنهم يعرفون أنه من مشاعر الحج ودين إبراهيم[2].

كما أنهم قالوا: لا ينبغي للحمس أن يأتقطوا الإقط ولا يسلأوا الســـمن وهم حرم، ولا يستظلوا إلا في بيوت من الأدم، وحرموا الاستظلال ببيوت الشعر ودخول البيوت من أبوابها، ثم قالوا: لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعـــامهم الذي أتوا به معهم من الحل إذا كانوا حجاجاً أو معتمرين ولا يطوفوا في الثياب التي قدموا بها من الحل بل يأخذوا ثياباً من الحرم كراء أو عارية فـــإن لم يجـــدوا طافوا عراة أو طافوا في ثيابهم التي قدموا فيها فإذا انتهى الطواف ألقوها ويحـــرم عليهم أو من سواهم الاستفادة منها، فكانت العرب تسمي هذه الثياب اللقى، ثم ألزموا من وُلد من نسائهم في العرب سواء من أهل الحل أو الحرم بالحمس يحـــل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم، وحملوا العرب على ذلك فدانت لهم وكان من ضمن من حمسوهم بنو عامر بن صعصعة وكنانة وخزاعة[3].

---

[1] القزويني، قبائل العرب. مخطوط مصور من مكتبة جامعة الملك سعود رقم ١٤١٢. ورقة ١٦ وجه.

[2] ابن هشام، السيرة النبوية ص٩٤.

[3] المصدر نفسه ص٩٤– ٩٥. انظر أيضاً: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي جـ١ ص٢٥٦.

ولما جاء الإسلام نزل القرآن الكريم بتحريم هذه البدعة، قال تعالى: { وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا }[١]؛ وقوله تعالى: { ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ }[٢].

اليهودية:

أما اليهودية فعلى الرغم من وجود جالية كبيرة من أتباعها في مدينة الطائف منذ زمن مبكر حيث يذكر مارجوليوث أنهم نزحوا من فلسطين إلى شبه الجزيرة العربية في سنة ٧٠م بعد اضطهاد الروم لهم وتحطيم معابدهم في أورشليم[٣]، إلا أنه لم يكن لها أي تأثير على سكان الطائف؛ فلم نجد في المصادر التاريخية التي اطلعنا عليها أي ثقفي اعتنق الديانة اليهودية، ولعل مرد ذلك إلى عدة أسباب، منها: أن اليهود بطبيعتهم متعصبون لدينهم، فهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، لذا لم يهتموا بنشره بل وضعوا العراقيل لمن يريد الدخول فيه؛ ثم إن الديانة اليهودية على الرغم من أنها تبيح قتال الوثنيين إلا أنها لا تبيح الانتفاع بغنائمهم بل تحرقها، والعرب تعتبر الغنائم من أهم المكاسب لديها[٤]. أضف إلى ذلك أن هؤلاء اليهود كانوا مطرودين من اليمن ويثرب، لذلك آثروا الابتعاد عن الأمور الدينية والسياسية وركزوا جهودهم على النواحي الاقتصادية[٥].

---

[١] سورة البقرة، آية: ١٨٩.

[٢] سورة البقرة، آية: ١٩٩.

[٣] Margoliouth: The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam, p. 58-60.

[٤] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص٣١٠.انظر أيضاً: محمد الجارم، أديان العرب في الجاهلية. القاهرة ١٩٢٣م. ص٢٠١.

[٥] البلاذري، فتوح البلدان ص٥٧.

النصرانية:

وأما الديانة النصرانية، فلم نسمع أن أحداً من أهل الطائف اعتنقها، وكل ما ورد عنها من ذكر هو ما أشارت إليه المصادر التاريخية من أن النبي ﷺ عندما عرض دعوته على أهل الطائف ورفضوها وأغروا به سفهاءهم حتى ألجأوه إلى حائط عتبة وشيبة، ابني ربيعة القرشيين، كما سبق أن ذكرنا[1]، فعندما رأى عتبة وشيبة ما حل به من أهل الطائف تحركت فيهما الرحم فأمرا غلاماً لهما يقال له: عداس أن يأخذ قطفاً من العنب ويضعه في طبق ويذهب به إلى ذلك الرجل ففعل عداس ما أمراه به وذهب بالطبق حتى وضعه بين يدي النبي ﷺ فلما وضع النبي ﷺ يده في الطبق ليأكل قال: بسم الله، فنظر إليه عداس نظرة استغراب وقال: إن أهل هذه البلاد لا يقولون مثل هذا الكلام، فقال له النبي ﷺ: "ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ " قال أنا نصراني من أهل نينوى[2].

الحنيفية:

وعلى الرغم من غلبة الديانة الوثنية على أهل الطائف إلا أنه يبدو أن هناك رجالاً ما زالوا على دين إبراهيم، وهو الحنيفية، وكان أتباعها في الجاهلية يسمون الحنفاء، وهذا أمر طبيعي لالتصاق الحنيفية بأرض العرب، ولكنهم متفرقين في القبائل وليست هناك رابطة تجمعهم[3]. ولا شك أنهم يعلمون بأن إبراهيم وابنه إسماعيل هما اللذان بنيا الكعبة، وأن هذه الشعائر التي يؤدونها في موسم الحج ما هي إلا أسوة بأبيهم إبراهيم، ولكن المصادر التاريخية لم تمدنا بأسماء هؤلاء الحنفاء

---

(1) انظر الرسالة ص١٤٠.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية ص١٩٣– ١٩٤.

(3) Nicholson; A Lit. Hist. of the Arabs, p. 149.

ما عدا شخص واحد هو أمية بن عبد الله (أبي الصلت) بن ربيعة بن عوف بن عقدة، ويبدو أن شعره هو الذي خلَّد اسمه.

ويعتبر أمية بن أبي الصلت أشهر شاعر ديني في العصر الجاهلي، وتدور معظم أشعاره حول الدين والتدين، قال عنه الأصبهاني: "أنه قد نظر في الكتب وقرأها، ولبس المسوح تعبداً، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفية وحرَّم الخمر وشك في الأوثان وكان محققاً والتمس الدين وطمع في النبوة"[1].

وكان أمية قد وجد في الكتب التي قرأها خبر نبي يبعث من العرب وهذا أوانه، فلما بُعث النبي ﷺ حسده، ويقال إنه خرج مع رجال من قريش إلى الشام، فلما مرَّ بإحدى الكنائس قال لأصحابه: إن لي حاجة في هذه الكنيسة فانتظروني، فدخل وأبطأ، ثم خرج عليهم كاسف البال متغير اللون ولزم الفراش مريضاً فأقاموا عليه حتى خفَّ ممّا لحق به، ثم مضوا في طريقهم، وعندما رجعوا ووصلوا إلى الكنيسة قال: انتظروني، فدخلها فأبطأ ثم خرج عليهم على حال أسوأ من حاله الأول، فقال له أبو سفيان بن حرب: لقد شققت على رفقائك فما شأنك مع صاحب هذه الكنيسة؟ فقال: عندما دخلت عليه في المرة الأولى قال: إنه يكون بعد عيسى ست نبوات وقد ذهبت خمس وبقيت واحدة، وأنا أطمع في النبوة وأخاف أن تخطئني فأصابني ما رأيتم، فلما عدت إليه الآن أخبرني أن مواصفات النبي المنتظر لا تنطبق عليَّ فزاد همي وغمي[2].

وقال بعض المؤرخين: لولا مبعث النبي ﷺ لادعت ثقيف أن أمية نبي لأنه قد دارس النصارى وقرأ معهم ودارس اليهود وقرأ كتبهم، ويقال إنه أول من

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني جـ٣ ص١٨٠.

[2] المصدر نفسه جـ٣ ص١٨١.

ابتدع كلمة "باسمك اللهم"[1]. وكانت في شعر أمية نزعات دينية وفكرية، وقد تأثر باليهودية والنصرانية وإن لم يتبعهما بل بقي على ما هو عليه فلم يمت مسلماً ولا وثنياً بل مات رافضاً للديانتين[2].

وكان شعر أمية يعجب النبي ﷺ ولم ينه عن روايته إلا تلك القصيدة التي رثى بها مشركي بدر[3]. وقد ذكر البغدادي أنه قد ورد في صحيح مسلم عن الرشيد بن سويد قال: ردفت رسول الله ﷺ فقال: "هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟" قلت: نعم، قال: "هيه"، فأنشدته بيتاً، فقال: "هيه" حتى أنشدته مائة بيت، فقال: "كاد ليسلم"؛ وفي رواية: "كاد ليسلم في شعره"، وفي رواية: "آمن شعره وكفر قلبه"[4]. ومن الأبيات التي أعجبت الرسول ﷺ وصدقه فيها قوله:

زُحل وثور تحت رجل يمينه والنسر بالأخرى وليث مرصد

فعندما سمعها النبي ﷺ قال: "صدق، هكذا صفة حملة العرش"[5].

ومن خلال استعراضنا للمعتقدات الدينية لدى قبيلة هوازن في العصر الجاهلي نجد أن الديانة الوثنية هي الغالبة عليها وهم في ذلك على ثلاثة أقسام:

أولاً: قبيلة ثقيف أهل الطائف وهم شديدو التعلق بصنمهم اللات.

ثانياً: بنو عامر وهم قوم حمس، أي متشددون في دينهم، والذي حمسهم هم أخوالهم قريش.

---

[1] جواد علي، المفصل جـ٤ ص١٥٦، جـ٨ ص٣٠٥.

[2] المرجع نفسه جـ٦ ص١٣٢، ٤٧٨.

[3] البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. المطبعة الأميرية. بولاق. بدون تاريخ. جـ١ ص١٢٢.

[4] المصدر نفسه جـ١ ص١٢٠.

[5] ابن حجر، الإصابة جـ١ ص٣٨٥.

ثالثاً: بقية الفروع الهوازنية كبني نصر وبني جشم وبني سعد فهــؤلاء وإن كانت لهم أصنام إلا أنهم معتدلون في نظرتهم إليها.

ومن أهم الأمور التي لاحظناها أن الجاهليين بصفة عامة رغــم وثنيــتهم وتقديسهم الشديد لهذه الأصنام إلا أنهم يرون أن الله أكبر من هذه الأصنام كلها.

الخاتمة:

وبعد أن تطرقنا لأنساب هذه القبيلة ودورها السياسي والاجتماعي في العهدين الجاهلي وصدر الإسلام، نود أن نتطرق لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة وهي كالتالي :

الأولى: أن الصراعات السياسية والتنافس القبلي بين العرب في الجاهلية قد أسهم في تفتيت وحدتهم، وحرمهم من حياة الاستقرار والتقدم في مجال العلوم والمعارف، إذ كانت حياتهم أشبه بالهامشية التي ليس لها أيّ أثر إيجابي ينعكس مردوده عليهم في مقارعة القوى العظمى المحيطة بهم من الروم والفرس.

الثانية: أن قبيلة هوازن قبيلة قيسية مضرية عدنانية نشأت في حدود أوائل القرن الثالث الميلادي، وكانت في بداية أمرها تتبع لزهير بن جذيمة العبسي، زعيم قبيلة غطفان القيسية، حتى رأت تكبّره وتجبّره فقامت بالتخلص منه، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت قبيلة مستقلة لها شخصيتها وكيانها حيث كانت من أقوى القبائل في الجاهلية وأكثرها عدداً.

الثالثة: أن قبيلة هوازن كانت لها السيطرة المطلقة على أواسط إقليم نجد وعاليته وحتى الحدود الشرقية لمكة المكرمة.

الرابعة: أن معظم الفروع الهوازنية التي تطرقنا لها خلال فترة البحث قد اختفت تماما، فلو أتينا مثلا إلى فروع قبيلة ثقيف الحالية لوجدناها تختلف اختلافاً كليّاً عن الفروع التي أثبتناها خلال دراستنا، مما يدل على أن القبائل العربية تمر كل فترة زمنية بتشكيلات معيّنة، فتختفي مسميات بعض الفروع، وتظهر مسميات فروع جديدة، مما يصعب مهمة الباحثين في علم الأنساب الذين يريدون

ربط الفروع الحديثة بأصولها القديمة؛ ما لم تكن هناك مؤلفات متقاربة تهتم بالكتابة في علم الأنساب.

الخامسة: أن العصر الجاهلي لم يكن فيه الكثير من العلوم والمعارف والتدوين، بل كانت الروايات المتناقلة عبر الأجيال والشعر هي أهم مصادر تاريخه.

السادسة: أن التنظيمات السياسية في العصر الجاهلي قائمة على العصبية القبلية ووحدة الدم، فولاء الرجل العربي دائماً مصروف لقبيلته.

السابعة: أن العصبية القبلية كان لها دور كبير في انتصار الجيوش الإسلامية في بعض المعارك الحاسمة، مثلما حصل أثناء حرب مسيلمة.

الثامنة: أن العرب في الجاهلية رغم وثنيتهم وعبادتهم للأصنام يعترفون بوجود الله وأنه أكبر من هذه الأصنام كلها.

التاسعة: أن الإسلام قد حسم التنافس بين القرشيين والثقفيين على الزعامة الدينية لصالح المكيين وذلك بمبعث النبي ﷺ منهم.

العاشرة: أن موقف قبيلة هوازن من الدعوة الإسلامية، قد مرّ بعدة مراحل، فمن مرحلة الرفض ولزوم الحياد إلى مرحلة المواجهة الحقيقية التي حطمت قوتها في معركة حنين، مما أجبرها على التسليم والانقياد لهذا الدين الجديد، ومن ثم ثبتت عليه وأصبحت من أعظم المناصرين له والمساهمين في فتوحاته.

الحادية عشر: أن الإسلام قد غيّر الكثير من المفاهيم الموجودة لدى الجاهليين، فبدأ التحول من الولاء للقبيلة إلى الولاء لهذا الدين الجديد، وبدأت العصبية القبلية تتلاشى شيئاً فشيئاً وإن كانت تظهر بين الحين والآخر في فترات معينة.

الثانية عشر: أن بني عامر وإن كانوا هم الأبرز في تسجيل الأحـــداث في العصر الجاهلي إلا أن الثقفيين كانوا هم الأبرز في المجال السياســـي والإداري في عصر صدر الاسلام لكونهم معدودين من المجتمع المدني بمفهوم تلك الفترة.

الثالثة عشر: أن قبيلة ثقيف كانت من أبرز القبائل التي ثبتت على الإسلام أثناء حروب الردة على الرغم من كونهم آخر الفروع الهوازنية إسلاماً وتسليماً.

الرابعة عشر: أن قبيلة هوازن كانت من أفصح القبائل العربية، لذا نـــزل القرآن على سبعة أحرف منها خمسة بلسانهم.

الخامسة عشر: أن قبيلة هوازن كانت من أكثر القبائل التزاماً بالعهد ووفاء لمن يلتجىء إليها، وقد ظهرت هذه الخصلة في أكثر من موقف من خلال هـــذه الرسالة.

السادسة عشر: أن الدولة الأموية اعتمدت بشكل كبـــير علـــى الـــولاة الهوازنيين في ضبط أمور المشرق الإسلامي والقضاء على ثورات الشيعة والخوارج هناك، مما ساهم في استقرار الأمور فيه خلال ولايتهم له، نظراً ليقظتهم وشـــدة ولائهم للأمويين.

السابعة عشر: أن الولاة الهوازنين كان لهم الدور الأكبر في تشجيع معاوية على توريث الحكم لابنه يزيد، وكذلك القضاء على الحركات المناوئـــة للدولـــة الأموية، كالحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير.

الثامنة عشر: أن قبيلة هوازن كانت لها مساهمات فعالة في حركات الفتوح الإسلامية وخاصة في فتوح فارس.

التاسعة عشر: أن قبيلة هوازن كانت من أكثر القبائل وفاءً وثباتاً مع الأمويين في صراعهم على السلطة مع العباسيين.

العشرون: أن من أهم أسباب سقوط الدولة الأموية خلوّ المشرق من الولاة الهوازنيين العظام المشهورين بيقظتهم وشدة إخلاصهم للأمويين كزياد بن أبيه وابنه عبيدالله والحجاج بن يوسف.

الحادية والعشرون: من أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا المبحث أن المرأة في المجتمع الجاهلي لم تكن ممتهنة بالقدر الذي تصوره بعض المراجع الحديثة، بل كانت تتمتع بمكانة مرموقة ما عدا بعض السلبيات التي تتمثل غالباً في الوأد والحرمان من الميراث.

الملاحق

ملحق رقم (١)

تمهيد:

إن ربط القبائل الحديثة بأصولها القديمة من أكبر المشكلات التي تواجه الباحثين في علم الأنساب، وبما أن قبيلة عتيبة من أشهر القبائل التي ترجع إلى أصول هوازنية؛ لذا يعتبر الوصول إلى مسماها من أسمى الأمنيات التي يتمناها الباحثون في علم الأنساب، وعلى رأسهم شيخنا وعلامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر رحمه الله، الذي ظل يبحث حول مسماها مايقارب الخمسين عاماً، و لم يصل إلى نتيجة يطمئن إليها، وقد دفع حب شرف الوصول إلى هذا المسمى بعض الباحثين إلى التلاعب بالمصادر والتزوير في بعض الوثائق بغية نيل شرف هذا الإنجاز، وقد رددت على بعضهم سواء في مجلة العرب أو على الشبكة العنكبوتية مفنداً الأخطاء المنهجية التي تعمدوا ارتكابها.

وبما أنني أحد أبناء هذه القبيلة، وقد بدأ اهتمامي بالبحث عن مسماها منذ أكثر من ثلاثين عاما، لذا قمت بوضع خلاصة ماتوصلت إليه في مقال وكنت أنوي إلقاءه كمحاضرة في مزاين الهيلا الذي أقيم في عام ١٤٢٩هـ، ولكن بعض الأخوة نصحني بعدم قراءته لعدم مناسبة التوقيت، وقد قمت بتقديمه لإحدى المجلات المتخصصة، ووافقت على نشره كاملاً ماعدا الفقرة الحادية عشر من التنبيهات، بحجة إنه كلام إنشائي يفتقر إلى التوثيق، وهو ليس كذلك، ولعدم قناعتي بهذا المبرر رفضت نشره بدون هذه الفقرة، ومن ثم رأيت الاحتفاظ به حتى انتهي من رسالتي التي أنوي إعدادها عن قبيلة هوازن نسبها ودورها السياسي والاجتماعي حتى نهاية العصر الأموي، لعله أن يتضح لي نتائج جديدة

من خلال هذه الدراسة، وبما أنني قد انتهيت من إعداد هذه الرسالة و لم استطع إضافة أي معلومات جديدة؛ لذا رأيت أن أضعه من ضمن ملاحقها، لأن من ضمن الأهداف التي أرمي إليها من خلال هذه الدراسة، هو محاولة ربط القبائل الحديثة بأصولها القديمة حسب المصادر التاريخية. أما الربط بناءً على روايات العامة فهو ربط متناقض الروايات متشعب الأهواء، ولابأس أن تؤخذ هذه الروايات كقرائن يستأنس بها، ولكن ليست من منهج البحث العلمي في شيء، وخاصة مابعُد منها في توقيته الزمني، لأن من العرف السائد لدى المؤرخين أنه لايوثق بأي رواية تتجاوز سبعة أجيال، ولنتركم الآن مع هذا المقال.

خلاصة ثلاثين عاماً من البحث حول مسمى قبيلة عتيبة

لقد كثر في السنوات الأخيرة عدد الباحثين في مسمى قبيلة عتيبة سواء من أبناء القبيلة أو غيرها، وقد طرق هذا الجانب المتخصص وغير المتخصص وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، فمنهم من جعلها مجموعة قبائل قحطانية وعدنانية تحالفت تحت هذا المسمى، ومنهم من جعلها ترجع إلى جد واحد. ومن وجهة نظرنا الشخصية أن كلا الفريقين قد ارتكب شططاً. فأقول للذين جعلوها مجموعة قبائل متحالفة أين ومتى كان هذا التحالف؟، وما هي الأسباب التي دعت إليه؟، ولعل القسم الأكبر من هؤلاء قد اعتمدّ على كتاب إمتاع السامر الذي سبق أن نبهنا على خطئه في مقال سابق نشر في مجلة العرب[1]. وأما الذين يقولون بذلك بدليل أنه يوجد في قبيلة عتيبة الحالية فروع ذات أصول قحطانية، فأقول لهم : هل هذه الفروع التي تحتجون بها ــ على افتراض وجودها ــ انضمت إلى قبيلة عتيبة قبل أن تحمل هذا المسمى أو بعده ؟، أعتقد أنكم لن تستطيعوا إيضاح ذلك ، لعدم معرفتكم بتاريخ ظهور هذا المسمى، فكيف تصفونها بالمتحالفة. وأما الذين

يقولون بأن قبيلة عتيبة ترجع إلى جد واحد فعليهم أن يسلموا بأن جميع فــروع هذه القبيلة ترجع إلى بني سعد، لأن هناك فروع ثابتة النسب في عتيبــة وثابتــة النسب في بني سعد فهل الفرع من الأصل؟ أو الأصل من الفرع؟.

ولكن الذي تبيّن لي خلال ثلاثين عاماً من البحث في أنساب هذه القبيلة أن الأمر لا هذا ولا ذاك، ولكن قبل أن أدلي برأيي حول هذا الموضوع هناك عدة أمور أحب التنبيه عليها :

أولاً: أن دخول فرع أو فروع من قبيلة في قبيلة أخرى لا يعــد عيبــاً لأن القبائل لا تستقبل إلاّ من يكافئها في النسب، وهو أمر متعارف عليه بين القبائــل ولا تكاد تخلو قبيلة من ذلك، وعلى الرغم من معرفة المؤرخين القدامى بهــذا إلاّ أنهم لم يذكروا أن هناك قبائل متحالفة إلاّ غسان وتنوخ والعتــق[٢]. وأســباب تحالفهم معروفه لدى المتخصصين .

ثانياً: أن المؤرخ ابن فهد وهو من مؤرخي الجزيرة العربية العارفين بقبائلهــا قد تطرق لقبيلة عتيبة منذ وقت مبكر و لم يشر إلى أنها قبيلة متحالفة .

ثالثاً : أن المتعارف عليه بين أكثر الباحثين المتخصصين في الأنساب أن معظم قبيلة عتيبة يرجع في أصوله إلى هوازن، ودخول فرع أو فرعين أو أكثر من خارج هوازن أو حتى عدنان لا يجيز لأحد أن يطلق عليها مجموعة قبائل متحالفــة، ولا سيما إذا عرفنا أن هذه القبيلة من أشد القبائل ترابطاً وتلاحماً لدرجة يحسدها عليه الآخرون.

رابعاً: لم يثبت على حد علمي أن هناك قبيلة حديثة متحالفة إلاّ قبيلة القرينية حيث تحالفوا كما قال لي أحدهم على الإمساك بقرن بارود ومع ذلــك فهــم

محتفظون بأصولهم التي جاءوا منها ولا ضير عندهم في ذلك . وهذا ما لا يوجـــد في قبيلة عتيبة (أي الاحتفاظ بالأصول) على افتراض التحالف.

خامساً: أن هناك قبائل حديثة ترجع في أصولها إلى قبائل قديمة ما زالت تحمل مسماها القديم كقبيلة سليم وخثعم مثلاً، فلو أتيت بأدلة تاريخية ثابتة تُرجع هؤلاء إلى قبائلهم الأم، لما قبلوا ذلك في التخلي عن مسمى قبائلهم الحالية، مما يدل على أن القبائل كل فترة زمنية تمر بتشكيلات جديدة، فهناك قبائل تضمحل وتتلاشى، وأخرى تضعف فتدخل تحت مسمى أحد فروعها، وفروع تظهر فتعتد بنفســها وتنفصل عن قبائلها الأم، وفروع صغيرة تظهر وتبتلع القبيلة الأم. فلو أتينــا إلى قبيلة تميم أو ثقيف مثلاً لوجدنا أن مسمى فروعها الحالية يختلف اختلافا كلياً عن مسماها في الجاهلية، مما يدل على صحة ماذهبنا إليه.

سادساً: أنّ هناك بعض التعبيرات لدى المؤرخين القدامى بما يســمى عجــز هوازن ويقصدون بذلك بني سعد وبني نصر وبني جشم ربما لأنهــم لم يفــارقوا ديارهم[٣] وأعتقد أن هذا الحصر من باب الغالبية وليس التقييد، لأن هناك مــن يدخل ثقيف معهم.

ســابعاً: أن عتيبة اسم علم لشخص وليس موضع أو من أسماء الصفات ممــا يدل على أن القبيلة تنسب إلى شخص يسمى عتيبة أو نحوه.

ثامناً: أن قبيلة هوازن ليست حكراً على أحد رضي من رضي وسخط مــن سخط، فهي بمثابة الشعب الذي أنتج عشرات القبائل سواء داخــل الجزيــرة أو خارجها، ومنها قبائل في المملكة مازالت تحتفظ بمسماها القديم، كثقيف وبــني سلول، ومنها ما يحمل مسميات حديثة وترجع بأصولها إلى هذه القبيلة، ولكن لا أود التطرق لها، فعلى القارئ العادي (أي البعيد عن البحث في الأنساب) تفهــم

ذلك، أما من وضعت العرب نسبه في يوم من الأيام فلن يُرفع بغض النظر عن القبيلة التي ترجع أصوله إليها.

تاسعاً: هذه الفقرة خاصة لغير المتخصصين وهي أن قبيلة هوازن تحتوي على ثلاثة فروع رئسة هي: بنوسعد بن بكر بن هوازن وبنوقسي(ثقيف) بن منبه بن بكر وبنو معاوية بن بكر ومن أشهر فروع بني معاوية بنو نصر وبنوجشم وبنو صعصعة الذين منهم بنو مرة (بنو سلول) وبنو عامر ذات البطون الكثيرة الذين منهم بنو هلال وبنو نمير وبنو ربيعة الذين فيهم الفرعان المشهوران كعب وكلاب ومن أشهر فروع كعب بنو قشير وبنو جعده وبنو عقيل الذين منهم المنتفق.

عاشراً: هذه الفقرة خاصة بالباحثين في أنساب قبائلهم، إن ما تعمدتم تجاهله من نصوص لا يستطيع أحد أن يلومكم عليه ولكنه سوف يُعلم، وما بترتموه سوف يُقرأ، وما حاولتوا أن تصلوا إليه من قناعات حسب أهوائكم أو أهواء قبائلكم، فسوف يكثر فيه الهمز واللمز ولن يقتنع به إلاّ أنتم وإياهم. فإن لم تملكوا الشجاعة الأدبية في إظهار ما توصلتم إليه من نتائج وتحمل تبعاتها فأنصحكم بعدم التطرق لذلك.

حادي عشر: هذه الفقرة خاصة بالباحثين من أبناء القبيلة، إن جميع القبائل العربية الحديثة قد صنعت لنفسها تاريخاً وأمجاداً استغنت بهما عن التغني بأمجاد أسلافهم، فقبيلتكم بمسماها الحالي كسائر القبائل لها من الأمجاد والتاريخ المشرف بما فيها من الكرماء والفرسان والشعراء ومكارم الأخلاق من إكرام الضيف وحفظ حقوق الجار المقيم والصاحب بالسفر ما يغنيكم عن إقحامها في أحد فروع هوازن المشهورة. فإن كان بنو عامر يعدون من جمرات العرب مما جعل الخلفاء الراشدون والأمويون يستثمرون قوادهم في قيادة الجيوش الإسلامية(٤)، فإن

قبيلتكم كانت في يوم من الأيام من أهم القبائل التي تؤثر في الأحداث وهي واقعة بين ثلاثة حكام ، حكام الدولة السعودية الثانية في الريـــاض، وآل الرشـــيد في حائل، والأشراف في الحجاز، مما جعل بعض الحكام يتعاهدون على حربها[٥] فلما جاء الإمام الموحد وانحازت إليه عاد البقية يطلبون ودها[٦]، ولكنها ثبتت معه بعد أن نبذت ولاء العصبية وتوشحت بولاء الدين والدولة، فكان لها ولمشائخها مـــن البلاء باسم الوطن ما يعرفه الجميع[٧]. وأنتم كما قال شاعركم "حنا عتيبة مـــن سلالة هوازن" سواء أتيتم من فرع واحد أو عدة فروع فالأصل واحد والقبيلـــة واحدة، فماذا تعرفون منها وماذا تنكرون، فإن أتيتم إلى بني نصر فهذا مالك بن عوف النصري قائد هوازن يوم حنين، وإن ذهبتم إلى جشم فهذا دريد بن الصمه الذي يقال إنه قاد مائة معركة لم يُهزم في واحدة منها[٨]، وإن عرّجتم على بـــني سعد فهم أهل الفصاحة وآظار المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وأي شرف أعظم من هذا، وإن عانقتم بني عامر فهم من تعرفون.

أعود مرة أخرى وأوكد أن قبيلة عتيبة ليست قبيلة متحالفة، إنما هي عبارة عن بعض الفروع الهوازنية التي عندما شعرت بالضعف التفت حول فـــرع مـــن فروعها، حالها في ذلك حال بعض الفروع التي ضعفت قبائلها الأم، سواء بهجرة بعض أبنائها أو انفصال بعض فروعها واستقلاله، كما هو الحال لدى قبيلة بجيلة التي التفت حول فرع مالك[٩]، وخثعم التي التفت حول فرع شمران، وكـــذلك قبيلة شمر التي ابتلعت أكثر فروع طيء وورثت ديارها، وهذا ما ينطبق تماماً على قبيلة عتيبة التي ابتلعت معظم الفروع الهوازنية وورثت ديارها، بعـــد أن هـــاجر معظم أبنائها إلى أطراف الجزيرة كالشام والعراق ثم جاءت الطامة الكبرى مـــع بداية القرن الخامس الهجري بهجرة بني هلال الذين ملاءوا البلاد وأشغلوا العبـــاد

إلى المغرب العربي، وتعتبر هجرتهم ضربة قاصمة لقبيلة هوازن جعلت بواديها تعيد ترتيب أوراقها وتبحث عن فرع من فروعها لتلتف عليه .

إذاً من وجهة نظرنا أن قبيلة عتيبة الحالية هو ما كان يطلق عليه اصطلاحاً عجز هوازن أي الفروع الهوازنية التي لم تبارح ديارها أو تستقل بفروعها كثقيف مثلاً الذين هم محسوبون على المجتمع المدني، لأن هناك من المؤرخين من ينسب إليها كقبيلة قال السكري "وذؤيبة وحبيب حيان من عجز هوازن" فذؤيبة من بني سعد وحبيب من بني نصر[10] ولكن يا ترى ما هو هذا الفرع الذي التفت عليه هذه الفروع وأخذت منه الاسم؟.

وبالبحث في أنساب قبيلة هوازن لم أجد من يحمل اسم عتيبة سوى ثلاثة أشخاص، الأول: عتيبة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، ولكن هذا الرجل وإن كانت له ذرية فإني لم أجد من أبنائه من نُسب إليه حيث نرى الانتساب إلى غزية وعصيمة وجشم ونصر ... إلخ. أما الشخص الثاني: فهو عتيبة ابن الحارث بن مدرك بن حبيب بن وائلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر ابن هوازن، وقد كان مع المشركين في غزوة حنين حيث مدح مالك بن عوف النصري بقصيدة رائعة نقتطف منها عدة أبيات لعذوبتها:

واذكر مسيرهم للناس إذ جمعوا	ومالك فوقه الرايات تختفق
ومالك مالك ما فوقه أحد	وافى حنيناً عليه التاج يأتلق
وقيس عيلان طراً تحت رأيته	إن سار ساروا وإن لاقى بهم صدقوا
حتى لقوا الناس خير الناس يقدمهم	عليهم البيض والأبدان والدرق
ثم تنزل جبريل بنصرهم	من السماء فمهزومٌ ومعتنق
منا ولو غير جبريل يقاتلنا	لمنعتنا إذاً أسيافنا العتق[11]

ولكن هذا الرجل لم أعثر له على سلالة و لم أجد من أبنائه من نُسب إليـــه أما الشخص الثالث: فهو من بني سعد بن بكر وهو عتيبة والد زبينة أم عبدالرحمن ابن معاذ التيمي(١٢). وقد تمسكت فترة طويلة من الزمن بهذا الشخص وأكثـــرت البحث حوله، نظراً لإرتباط القبيلة الكبير ببني سعد، ولكن لم أجد مـــا يـــدعم انتساب القبيلة له، بل إن جميع المؤشرات تضعف انتماء القبيلة إليه أولاً: لعـــدم شهرته وثانياً:لأنني لم أجد من المؤرخين من ذكر أن هناك بطناً ينسب إليه، أمـــا ماورد من ذكر لاسم عتيبة في شعر أبي العلاء المعري في هذين البيتين:

وما عفت الحوادث عن شجاع　　فتعفو عن عتيبة أو دريد

أبقت أحاديث الرجال وأهلكت　　سلفي عتيبتها وآل ذؤابها

فالمقصود في البيت الأول: عتيبة بن الحارث (فارس بني تميم) ودريـــد بـــن الصمة (فارس بني جشم). والمقصود في البيت الثاني أيضاً عتيبـــة بـــن الحـــارث وذؤاب بن ربيعة الأسدي أحد الأشراف الجاهليين(١٣).

وفي ثنايا البحث استوقفني نصان متتاليان في كتاب لب اللباب في تحريـــر الأنساب وهما بالنص:

"العتيبي: لعتيب أبي حي من اليمن وجفرة عتيب بن عمرو محلة بالبصرة".

"العُتَبي: لبني عتيبة قبيلة من العرب مشهورة ... والعامة تقول في النســـبه إليها عُتيبي"(١٤).

إنّ نسب هذا المؤلف قبيلة عتيبة إلى العتبي يدل على درايته التامـــة بأنهـــا تنسب إلى شخص يسمى عتبة، وإلاّ كان بإمكانه إضافتها إلى النص الأول بقوله والعتيبي أيضاً لبني عتيبة قبيلة مشهورة. كما أن التعليل الذي أبداه يبدو منطقيـــاً فالتحريف في لهجة العامة أمر شائع معروف. أضف إلى ذلك أن النسبة الصحيحة

إلى عتبه العُتَبي بضم العين وفتح التاء وهو ما تستثقله العامة، بدليل مـــا ذكـــره الهجري بأن فصحاء الحجاز يقولون في عتبة وكل اسم على وزن فُعْلة فُعَلي غير زُنْمة وحُمْرة[١٥] حيث نفهم من قوله إن غير الفصحاء يصعب عليهم ذلك. إذاً فقبيلة عتيبة تنسب إلى شخص يسمى عتبة ولكن من عتبة هذا؟، فعتبة في القبائل كثير، فهناك بنو عتبة بن أبي لهب وبنو عتبة بن غزوان والعتبي من خفاف ســـليم والعتبي من فزارة من غطفان، أما قبيلة هوازن فلم أجد فيها من نسب إليه أبناؤه كبطن أو فخذ إلاّ عتبة بطن من رياح[١٦] وعتبة فخذ من جعفر بن كـــلاب[١٧]. وبتطبيق نظرية الإبعاد على الأسماء التي سبق أن حصرناها آنفاً، نجد أن الأسمـــاء الأربعة المتقدمة وما شابهها تخالف إجماع معظم المؤرخين على أن معظم أصـــول قبيلة عتيبة ترجع إلى هوازن كما سبق أن أسلفنا، وعتبة بني رياح قد هاجروا مع قومهم بني هلال فهم بنواحي باجة من إفريقية[١٨]، إذاً لم يتبق إلاّ الانتساب إلى فخذ عتبة من جعفر بن كلاب وهو ما أراه وأكاد أجزم به لعدة أسباب :-

أولهـــا:- أن هذا الفرع من بيوت الزعامة في هوازن والفروع غالباً لا تلتف إلاّ على بيت زعامة. أضف إلى ذلك أن الفروع الكلابية لم تهاجر بعيـــداً عـــن موطنها الأصلي.

ثانيهـــا: أن التفاف القبائل حول فرع من فروعها والدخول تحت مسماه أمر وارد، فهاهي بجيلة وخثعم التفت على أحد فروعها ودخلت تحت مسماه كمـــا سبق أن أشرنا.

ثالثهـــا: ما ذهب إليه الشيخ سلطان بن جهجاه بن حميد رحمه الله في المقابلة التي أجريت معه في جريدة الجزيرة[١٩] من أن عتيبة أبناء عتيبة الرحال، وأنهم أبناء رجل واحد ولنا على هذه المقولة ملاحظتان :-

الأولـــى: إن الشخص المعروف بالرحال اسمه عروة وليس عتيبة، فلعل الشيخ رحمه الله، كان يقصد عتبة والد عروة الرحال، ولا سيما أن هناك بعض المصادر تذكر إن اسمه (عتيبة)[٢٠] فالتبس عليه الأمر، أو وهم من نقل عنه.

الثانية: هو قوله أنهم أبناء رجل واحد مع علمه بأن هناك فروع من بني سعد ثابتة النسب في قبيلة عتيبة، ولكن بما أنه شيخ شمل فلمقولته ما يبررها، وقد ألمح رحمه الله إلى وجود هذه الفروع بطريقة ذكية عندما استشهد بقول الشاعر:

يا مرحبا يا السدارى خوال الملوك   في حلة عتيبة الهيلا خوال النبي

رابعها: أن هجرة بني هلال كانت خلال النصف الأول من القرن الخـــامس الهجري، ومن وجهة نظرنا أن التفاف بقية الفروع الهوازنية حول هذا الفرع كان في النصف الثاني من القرن الخامس أو بداية السادس وهو ما يتناسب في توقيتـــه الزمني مع الأحداث إلى حد كبير من ناحيتين:

الأولى: أن هذا الفرع قد مضى عليه أكثر من ستة قرون وهي فترة كافيـــة لأن ينفصل عن بقية الفروع الكلابية.

الثانية: أن التفاف بقية الفروع الهوازنية حول هذا الفرع يحتـــاج إلى فتـــرة زمنية كافية، لكي تعيد هذه القبيلة الفتية تشكيلها وتشكيل فروعهـــا، وتتأصـــل الروابط بينها، لكي تظهر كقبيلة مترابطة وأيضاً ليترسخ هذا الاسم وينتشر ليعرفه المؤرخون، وهذا ما يتناسب مع أول إشارة لظهورها في النصف الثاني من القـــرن التاسع الهجري كقبيلة شديدة المراس بإمكانها أن تنافس الحكام وتتمرد عليهم[٢١]. ولكن هذا لايعني أن الاسم غير موجود قبل ذلك.

أما ماذكره العجيمي نقلاً عن المرجاني المتوفى في أواســـط القـــرن الثـــامن الهجري أن "نخب عقبة في جبل وهو الآن قرية يسكنها جماعة من عتيبة يقال لهم

وقدان"[٢٢]. فكلمة وهو الآن، تدل على أن الإشارة إلى السكنى من كلام العجيمي وليس المرجاني.

خامسها: اختفاء مسميات بعض فروع هوازن القديمة التي أشار إليها الحمداني المتوفى سنة ٧٠٠هـ كالدهماني والنصري والجشمي وغزية وما أدراك ما غزية كانت قبيلة كبيرة ذات فروع كثيرة تعيش في برية الحجاز[٢٣]. حيث لم يذكرهم البلادي ضمن معجمه قبائل الحجاز. مما يدل على أن جميع هذه الفروع انصهرت تحت هذا المسمى.

سادسها: وهو من أوجه الأدلة وأقواها أن المؤرخين غالباً ما يذكرون بني سعد وعتيبة كقبيلتين منفصلتين كقولهم "وجاءت عتيبة وبنو سعد"[٢٤] كما هو الحال لدى المؤرخين السابقين عند ذكر ثقيف وهوازن مع العلم أن ثقيف من هوازن وقد عانى بنو سعد من ذلك الفصل كثيراً، قديماً وحديثاً فهذا شاعرهم يتذمر من ذلك بقوله في قصيدة نبطية يخاطب فيها شريف مكة:

يا سيدي حنا رجال عتيبة   والناس سمونا بني سعد

مما يدل على أن بقية هوازن التفت حول فرع من فروعها ولكن بني سعد لشهرتهم كحضنة للمصطفى عليه أفضل الصلاة و السلام صعب عليهم الاندماج تحت هذا المسمى. وفي هذه الفقرة أيضاً دليل على أن الفرع الذي أخذت مسماها منه ليس من بني سعد كما سبق أن ذكرنا.

بقي نقطة أخيرة وهي من هو عتبة الذي تنسب إليه الفخذ من جعفر بن كلاب، فهناك شخصان كلاهما عتبة الأول عتبة بن جعفر بن كلاب والثاني عتبة ابن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب ، أما فيما يخص عتبة بن جعفر فلا أجد مايدعمه سوى ماذهب إليه الشيخ ابن حميد رحمه الله ورأيه لا يستهان به لأنه من

العارفين بأنساب القبيلة، ولكن ما أراه وأميل إليه حسب التاريخ التسلسلي الذي تتبعته ومنهج البحث التاريخي الذي سلكته، هو عتبة بن سلمى، لأن هناك عـــدة أمور تضعف الرأي الذي ذهب إليه الشيخ، ولكنّي أوردته هناك لأن كلا الرجلين من جعفر بن كلاب، ولأن الشيخ ابن حميد رحمه الله كما يبدو لي اســـتقى مـــا ذهب إليه من الروايات المتواترة للعامة، والعامة أحياناً ما تروي أحداثاً قريبة من الواقع يستأنس بها. أما الأمور التي تضعف هذا الرأي وتدعم ما ذهبنا إليه فهي:-

أولاً: أن عتبة بن جعفر لا يوجد له حسب المصادر التي اطلعنا عليها سوى ابن واحد هو (عروة الرحال وابنته كبشة)[٢٥] فجميع سلالته تنســـب إلى هـــذا الابن و لم تشر المصادر المتقدمة أن من أبنائه من نُسب إليه.

ثانياً: أن الهجري ينقل عن منيع بن معضاد الجعفري من جعفر بن كـــلاب وهو من العارفين بأنساب بني عمه الجعافره حيث يقول حدثني منيع قـــال: بنـــو جعفر أربعة أبطن بنو مالك بن جعفر وبنو الأحوص بن جعفر (ربيعة) وبنو خالد بن جعفر وبنو عروة بن جعفر (عروة بن عتبة بن جعفر) ثم فصّل بطون مالك بن جعفر ثم فصّل بطون سلمى بن مالك بن جعفر فقال "بطون سلمى بن مالـــك: جبار والمغيرة والأخنس ونسيب وعتبة وعتاب"[٢٦]. وكما هو معلوم فإن سلالة عروة الرحال يعرفون بالعرويين (العروي).

ثالثاً: أن منيع عندما فصّل بطون جعفر قال بنو مالك وفيهم الثروة، ويليهم بنو الأحوص بن جعفر ثم يليهم وهم قليل بنو خالد بن جعفر ثم بنو عروة وهـــم قليل مثل بني خالد بن جعفر.[٢٧] فالفروع غالباً لا يستغنى بعضها عـــن بعـــض وتفترق إلاّ إذا كانت كثيرة.

ومما سبق يتضح لنا أن قبيلة عتيبة ليست قبيلة متحالفة، إنما هي فرع كلابي نشأ مع بداية البعثة المحمدية، وكان أبناؤه يعرفون بالعتبي، ولكن بعدما ضعفت قبيلة هوازن والتفت بعض فروعها من البادية عليه كانت العامية قد تفشت فيهم فاستثقلوه وقاموا بتحريفه إلى العتيي ليسهل عليهم نطقه، وكما هو معروف بأن العامية تفشت في الدولة الإسلامية مع بداية الدولة العباسية لاعتمادها على العنصر الفارسي ومن ثم التركي لذلك فإن اللغويين لا يحتجون بشعراء الدولة العباسية المتأخرين وعلى رأسهم المتنبي.

والسؤال الذي يطرح نفسه الأن، هل قبيلة عتيبة الحالية ترجع في أصولها إلى هذا الفرع الكلابي مع من ثبت دخوله معه من بني سعد؟، أو أن هذا الفرع ابتلع ما تبقى من فروع هوازن الأخرى وورث ديارها، هذا ما لا نستطيع الحكم عليه ولا نود إكثار التفاصيل فيه، وإن كنا نميل للرأي الثاني وليس على إطلاقه، لأنه يوجد في تلك الديار فروع هوازنية مازالت تحتفظ بمسماها القديم كثقيف وبني سلول، وهناك أيضاً قبائل نجدية حديثة يرى نسابوها أنهم يرجعون إلى أصول هوازنية وهو حق مشروع لهم وهم مأمونون على أنسابهم.

وخلاصة القول أن ما نراه ونميل إليه هو أن قبيلة عتيبة الحالية عبارة عن فروع وكتل هوازنية متداخلة وليست متحالفة ولا ضير في ذلك فالأصل واحد والقبيلة واحدة، ومن الأدلة التي جعلتنا نميل لهذا الرأي هي عزوة القبيلة المعروفة والمشهورة بين القبائل والتي أساء بعض الباحثين تفسيرها وجعلها في نطاق أوسع لعدم فهمهم لمدلولها، ولوجود بعض المؤشرات القوية التي تدل على أن فروع عتيبة الكبيرة جاءت من عدة فروع، فهناك من الشواهد والقرائن مايدل على أن هناك كتل كبيرة جاءت من جشم بدليل اختفاء مسماها ومسميات فروعها

الكثيرة وخاصة غزية التي كاتت منازلهم بالسروات من تهامة ونجد حسب ما أشار القلقشندي[٢٨]، كما أنه من المترجح لدينا أن برقا أخذت اسمها من الأبرق الحري القشيري وهو من سلالة مالك بن سلمة الخير بن قشير المعروف بذي الرقيبة وهو الذي أسر حاجب بن زرارة يوم جبلة[٢٩]، وأن شملة أخذت مسماها من شملة بن أبي سمرة الجعدي[٣٠]، رهط النابغة الجعدي وهم أخوة قشير، ولعل هذا هو السر في تقارب هذين الفرعين واضطراب نسابي القبيلة فيهما فمنهم من يجعلهما فرعاً واحداً ومنهم من يجعلهما فرعين مستقلين. ولكن الجزم بصحة ذلك يحتاج إلى مزيد من البحث والتمحيص. ومن الشواهد التي تدعم هذا الرأي بأنها فروع متداخلة أن هناك بعض الفروع الهوازنية انتابتها الحيرة فعندما شعرت بالضعف بادرت بالدخول في قبيلة ثقيف لقرابة النسب ولقوتها آنذاك فلما اشتد ساعد عتيبة نزعت إليها.

أما عن سبب تسميتها بالهيلا فهو من وجهة نظرنا لا يخرج عن احتمالين، **أولهما:** كثرة أعداد هذه القبيلة حيث يكاد يجمع المؤرخون على أنه لا يفوقها في العدد إلاّ قبيلة عترة لذلك سميت بالهيلا لتهايل إمداداتها عند نشوب المعارك مع الخصوم من كل ناحية كتهايل كثبان الرمال إذا جرفتها. **وثانيهما:** لشموخها وصلابتها كشموخ وصلابة جبل الهيلا الذي قال عنه عرام بن الأصبغ إنه من جبال مكة تقطع منه الأرحاء (رحي الطحن)[٣١]. ومما سبق يتضح أننا قد توصلنا من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج:

الأولى : أن قبيلة عتيبة الحالية ليست قبيلة متحالفة، وإنما هي فرع كلابي من هوازن التفت عليه بعض الفروع الهوازنية عندما ضعفت بهجرة معظم أبنائها فالمتتبع لتاريخ ابن خلدون يدرك مدى الهجرة التي تعرضت لها الفروع الهوازنية

الكبرى كبني سعد وبني جشم وبني نصر إضافة إلى بني هلال حتى يخيل للقـــارئ من عباراته بأنه لم يتبق منهم أحد فلم يسع البقية والحال كهذه إلاّ الالتفاف حول فرع من فروعهم ذات الزعامة.

الثانيــــة: أن معظم فروع قبيلة عتيبة الحالية ترجع إلى أصول سعدية وجشمية حسب الاستنتاجات والملاحظات التي خرجتا بها من خلال مطالعاتنا في المصادر التاريخية، وقد أشرنا إلى بعض منها.

الثالثة: أن مسمى برقا ربما يكون نسبة إلى الأبرق الحري القشيري، وهذا لا يعني أن جميع فروع برقا ترجع إليه، فلربما كانت فروع أو كتل هوازنية متداخلة تم إعادة تشكيلها.

الرابعة: أن مسمى شملة ربما يكون نسبة إلى شملة بن أبي سمرة الجعدي.

الخامســـة: أن قبيلة عتيبة أخذت مسماها من شخص يسمى عتبة وهو مـــا أكاد أجزم به إلى حد اليقين.

السادسة: أن هذا الشخص هو عتبة بن سلمى بناءً على ما أسعفتنا به المصادر التي اطلعنا عليها والاستنتاجات التي خرجنا بها من التحليلات التي قمنا بها، وهو رأي لا نتعصب له، ولا نسفه من خالفه بدليل يعتمد على سند تاريخي، وربمـــا نكون في يوم من الأيام من أبرز منتقديه إذا اتضح لنا خلافه، فإن كان صواباً فلله الحمد والمنة وإن كان غير ذلك فلعل أن يكون فيه إشارات وإضاءات لإخـــواني الباحثين من بعدي.

أما بقية نسبه فهو عتبة بن سلمى (نزال المضيق) بن مالك (الأخـــرم) بـــن جعفر بن كلاب بن ربيعه بن عامر بن صعصعه بن معاوية بن بكر بن هوازن بن

منصور بن عكرمة بن خصفه بن قيس بن الناس (عيلان) بن مضر بن نزار بـــن معد.

أما ما نراه عن نسب قبيلة العصمة فليس لدي إلاّ ما حفظته عن والـــدي الذي سلسل لي نسبي وكتبته قبل أربعة عقود، وهو أن جدي الرابع عشر عصيم ابن قاسم من الصريرات من ثبيت، وليس لدي أي تعليق على ذلك لأنني لســـت نسابة وإنما باحث وناقد، ولكن لفت نظري أثناء البحث الميداني الذي قمت بـــه أن جميع من طلبت منهم سلسلة نسبهم من أبناء هذه القبيلة بفروعهم المتعـــددة يدخلون في هذا الجد مابين الجد الثاني عشر والخامس عشر، مما يرجح أن عصيم ابن قاسم عاش في آواخر القرن العاشر أي قبل أربعمائة وسبعين سنة تقريبا، ولم يشذ عن هذا العدد سوى شخص واحد ذكر أن جده التاسع والعشرون عصيم ابن قاسم بن عروة.

الحواشي :

١ - مجلة العرب (ج ٥ و ٦ ذو القعدة والحجة ١٤٢١ هـ) ص٢٧٩ .
٢ - القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص٢٩ .
٣ - الأزرقي، أخبار مكة جـ١ ص٩٥. انظر أيضاً: الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها ص٦١.
٤ - الشمري، قبيلة هوازن ص٨٢ .
٥ - العبيد ، النجم اللامع للنوادر جامع مخطوط ورقة ٢٦٤ ، أنظر أيضاً: الزركلي، خير الدين : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز جـ٢ ص٤٦٨ .
٦ - العبيد ، المصدر السابق ص١٧١- ١٧٢ .
٧ - المصدر نفسه ص٢٠٦.
٨ - محمد محمود ، الموسوعات الأدبية أدباء وشعراء العرب (١) ص٣٩.
٩ - المغيري، المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب ص٤٩٨.
١٠ -أبو سعيد السكري، شرح أشعار الهذليين جـ٣ ص١٢٠٤.
١١ -الأمدي، المؤتلف والمختلف ص٢٠١.
١٢ -ابن سعد ، الطبقات الكبرى جـ ٥ ص١٨٧.
١٣ -أبو العلاء المعري، لزوم ما لايلزم جـ١ ص ٣١٦، ١٤١.
١٤ -السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب جـ٢ ص٣٧٣.
١٥ -الهجري، التعليقات والنوادر القسم الرابع ص١٨١٥.
١٦ -القلقشندي، المصدر السابق ص٣١٧.
١٧ -النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب جـ٢ ص٣٣٨.
١٨ -القلقشندي، المصدر السابق ص٣١٧.
١٩ - جريدة الجزيرة، العدد ١٠١٥٩ ت ١٤٢١/٤/٢٠ هـ .
٢٠ - الشمري، المصدر السابق ص٦٢.
٢١ - ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، جـ٤ ص٥٠٤.
٢٢ - العجيمي، إهداء اللطايف من أخبار الطائف ص٧٢.
٢٣ - القلقشندي، المصدر السابق ص٣٤٧، ١٠٤.
٢٤ - العصامي، سمط النجوم العوالي جـ٤ ص٥١٥.
٢٥ - ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٨٦.
٢٦ - الهجري، المصدر السابق القسم الرابع ص١٧٠٦.
٢٧ - المصدر نفسه والصفحة نفسها .
٢٨ - القلقشندي، المصدر السابق ص٣٤٧.
٢٩ - الهجري، المصدر السابق القسم الرابع ص١٧٢١. انظر أيضاً: حاشية الصفحة نفسها.
٣٠ - المصدر نفسه القسم الرابع ص١٧٩٩.

٣١ - عرام بن الأصبغ، أسماء جبال تهامة وسكانها (مخطوط) ورقة ١٤ وجه.

الأستاذ:

عباس بن غالب بجران العصيمي

باحث أكاديمي

الرياض

١٢/٩/ ١٤٢٩هـ

المصادر والمراجع

المصادر العربية (المخطوطة – والمطبوعة)

الآمدي (الآمـــدي أبو القاسم الحسن بن بشر، المتـــوفى سنة ٣٧٠هـــ) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شـــعرهم. صححه وعلق عليه ف.كرنكو. دار الجيل. بيروت ١٤١١هـــ/١٩٩١م.

ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، المتوفى سنة٦٣٠هـــ): الكامل في التاريخ. دار صادر. بيروت١٣٨٥هـــ/١٩٦٥م.ــــ اللبـــاب في تهذيب الأنساب. دار صادر. بيروت ١٤٠٠هـــ/١٩٨٠م.

ابن الأثير الجزري (مجد الدين أبو الســعادات المبـــارك بـــن محمـــد، المتـــوفى سنة ٦٠٦هـــ): النهاية في غريب الحديث والأثر. المطبعـــة العثمانيـــة. القاهرة ١٣٨٣هـــ.

الأزدي (محمد بن عبد الله، المتوفى في نحو سنة ١٦٥هـــ): تاريخ فتوح الشـــام. تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر. مؤسسة سجل العرب. القاهرة ١٩٧٠م.

الأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبد الله، المتوفى في نحو سنة ٢٥٠هـــ): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. تحقيق علي عمر. مكتبة الثقافة الدينية. القـــاهرة ١٤٣٠هـــ/٢٠٠٩م.

الأسدي (سيف بن عمر الضبي، المتوفى سنة ٢٠٠هـ): الفتنة ووقعة الجمل. ط٢. جمع وتصنيف أحمد راتب عرموش. دار النفائس. بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

الاصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، المتوفى سنة ٣٤٦هـ): مالك المالك. مطبعة بريل. ليدن ١٩٢٧م.

ابن أبي أصيبعه (أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم، المتوفى سنة ٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء. شرح وتحقيق نزار رضا. دار مكتبة الحياة. بيروت. بدون تاريخ.

ابن أعثم الكوفي (أبو محمد أحمد بن أعثم، المتوفى سنة ٣١٤هـ):الفتوح. تحقيق نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٢٠هـ.

الأندلسي (محمد بين يحيى، المتوفى سنة ٧٤١هـ): التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان. حققه محمد يوسف زايد. دار الثقافة. بيروت ١٩٦٤م.

البخاري (محمد بن إسماعيل، المتوفى سنة ٢٥٦هـ): التاريخ الأوسط. دراسة وتحقيق. تيسير بن سعد أبو حيمد. مكتبة الرشد. الرياض ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

ابن بشر (عثمان بن عبد الله، المتوفى سنة ١٢٩٠هـ): عنوان المجد في تاريخ نجد. حققه وعلق عليه عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ. ط٤. مطبوعات دارة الملك عبد العزيز. الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

البغدادي (عبد القادر بن عمر، المتوفى سنة ١٠٣٠هـ): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. المطبعة الأميرية. بولاق.بدون تاريخ.

البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، المتوفى سنة ٤٨٧هـ): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. حققه وقدم له ووضع فهارسه جمال طلبة. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر، المتوفى سنة ٢٧٩هـ): فتوح البلدان. حققه نجيب الماجدي ونشره بعنوان: البلدان وفتوحها وأحكامها. المكتبة العصرية. بيروت ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م. ــــ أنساب الأشراف. مكتبة المثنى. بغداد. بدون تاريخ.

ابن بلبان (علاء الدين علي، المتوفى سنة ٧٣٩هـ): الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد، المتوفى سنة ٤٢٩هـ): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة ١٣٨٤هـ.

الجمحي (محمد بن سلام، المتوفى سنة ٢١٣): طبقات الشعراء. إعداد اللجنة العلمية لنشر التراث العربي. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٩٦م.

ابن حبيب (أبو جعفر محمد، المتوفى سنة ٢٤٥هـ): مختلف القبائل ومؤتلفها. تحقيق. إبراهيم الأنباري. دار الكتاب المصري. القاهرة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. ــــ المحبر. اعتنى بتحقيقه. ايلزه يختن سنتيز. دار

الآفاق الجديدة. بيروت. بدون تاريخ. ـــ المنمق حققه وصححه وعلق عليه خورشيد أحمد فاروق. عالم الكتب. بيروت ١٤٠٥هـ.
ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ): الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ورفاقه. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
الحربي (إبراهيم بن إسحاق، المتوفى سنة ٢٨٥هـ): ط٢. المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة. تحقيق حمد الجاسر. منشورات دار اليمامة. الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، المتوفى سنة ٤٥٦هـ): جمهرة أنساب العرب. راجعه لجنة من العلماء بإشراف الناشر. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
الحسيني (العباس بن علي بن نور الدين): نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس. بدون تاريخ.
ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، المتوفى سنة ٨٠٨هـ): تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ضبط المتن ووضع الحواشي خليل شحادة وراجعه سهيل زكار. دار الفكر العربي. بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، المتوفى سنة ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس. دار صادر. بيروت ١٩٦٨م.
ابن دريد (أبوبكر محمد بن الحسن، المتوفى سنة ٣٢١هـ): الاشتقاق.ط٣. تحقيق

عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.
الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود، المتوفى سنة ٢٨٢هـ): الأخبار الطوال. تصحيح فلاديمير جرجاس. مطابع بريل. ليدن ١٨٨٨م.
الذهبي (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، المتوفى سنة٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء. تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
الرازي (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المتوفى سنة ٣٩٠هـ): الصاجي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. تحقيق عمر فاروق الطباع. مكتبة المعارف. بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، المتوفى سنة ٦٦٦هـ): مختار الصحاح. عني بترتيبه محمود خاطر. دار الحديث. القاهرة. بدون تاريخ.
ابن رسول (الملك الأشرف عمر بن يوسف، المتوفى سنة ٦٩٦هـ): طرفة الأصحاب في معرفة الانساب. تحقيق ك. و. سترستين. دار صادر. بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق، المتوفى سنة ٤٥٦هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. تحقيق عبد الحميد هنداوي. المكتبة العصرية. بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
الرقيق (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم، المتوفى سنة ٤٢٥هـ): تاريخ إفريقية والمغرب. تحقيق عبد الله الزيدان وعز الدين عمر موسى. دار الغرب الإسلامي. بيروت ١٩٩٠م.

الزبيدي (زين الدين أحمد بن عبد اللطيف، المتوفى سنة ٨٩٣هـ): مختصر صحيح البخاري المسمى (التجريد الصحيح). ط٤. تحقيق إبراهيم بركة ومراجعة أحمد راتب عرموش. دار النفائس. بيروت ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

الزبيدي (السيد محمد مرتضى، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق محمود محمد الطناحي. مطبعة حكومة الكويت. الكويت ١٣٦٩هـ/١٩٧٦م.

الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر، المتوفى سنة ٥٣٨هـ): الجبال والأمكنة والمياه. تحقيق أحمد عبد التواب عوض. دار الفضيلة. الدار البيضاء ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

الزهري (الإمام محمد بن مسلم، المتوفى سنة ١٢٤هـ): المغازي النبوية. حققه وقدم له سهيل زكار. دار الفكر. دمشق ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع، المتوفى نحو سنة ٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى. دار صادر. بيروت. بدون تاريخ.

السمعاني (أبو سعد عبد الكريم بن محمد، المتوفى سنة٥٦٢هـ): الأنساب (الجزء الخامس). تحقيق عبد الرحمن يحيى العلمي. الناشر محمد أمين دمج. بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م..

السمهودي (نور الدين علي بن أحمد، المتوفى سنة ٩١١هـ): وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار إحياء التراث العربي. بيروت ١٤٠٤هـ.

السويدي (محمد بن علي بن محمد، المتوفى سنة ١٢٤٦هـ): سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. تقديم وتحقيق سحر عنتر مرجان. دار الحرم للتراث. القاهرة ٢٠٠٩م.

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المتوفى سنة٩١١هـ): تاريخ الخلفاء. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. بدون تاريخ. ــــ المزهر في علوم اللغة وآدابها. شرحه وضبطه وصححه لجنة من العلماء. دار إحياء الكتب العربية. ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

الشريشي (أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن، المتوفى سنة ٦٢٠هـ): شرح مقامات الحريري. أشرف على نشره محمد عبد المنعم خفاجي. المكتبة الثقافية. بيروت. بدون تاريخ.

الطائي (حبيب بن أوس، المتوفى سنة ٢٣١هـ): ديوان أبي تمام. تحقيق درويش الجويدي. المكتبة العصرية. بيروت ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، المتوفى سنة٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك .ط٤. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله ، المتوفى سنة ٤٦٣هـ): الإنباه على قبائل الرواة. تحقيق إبراهيم الأبياري. دار الكتاب العربي. بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ــــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق علي محمد البجاوي. دار الجيل. بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، المتوفى سنة ٢٥٧هـ): فتوح مصر والمغرب. تحقيق علي محمد عمر. مكتبة الثقافة الدينية. ١٤١٥هـ.

ابن عبد ربه (أحمد بن محمد، المتوفى سنة ٣٢٨هـ): العقد الفريد. تحقيق محمد عبد القادر شاهين. المكتبة العصرية. بيروت ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

أبو عبيد (القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٤هـ): كتاب الأموال. تحقيق محمد عمارة. دار الشرق. القاهرة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

أبو عبيدة (معمر بن المثنى التيمي، المتوفى سنة ٢٠٩هـ): كتاب النقائض(نقائض جرير والفرزدق). ط٢. وضع حواشيه محمد أحمد عبد العزيز سالم. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

العجيمي (حسن بن علي بن يحيى، المتوفى سنة ١١١٣هـ): إهداء للطائف من أخبار الطائف. تحقيق علي محمد عمر. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

عرام السلمي (عرام بن الأصبغ، المتوفى أثناء القرن الثالث الهجري): أسماء جبال تهامة وسكانها. تحقيق عبد السلام هارون. مطبعة أحمد أمين. القاهرة ١٣٧٣هـ.

أبو علي القالي (إسماعيل بن القاسم، المتوفى سنة ٣٥٦هـ): الأمالي. دار الكتب العلمية. بيروت. بدون تاريخ.

الفاخري (محمد بن عمر، المتوفى سنة ١٢٧٧هـ): تاريخ الفاخري. ط٢. دراسة وتحقيق وتعليق عبد الله بن يوسف الشبل. الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة. الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٨٣٢هـ): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. تحقيق فؤاد سيد. مطبعة السنة المحمدية. القاهرة ١٣٨٥هـ.

أبو الفرج الأصبهاني (علي بن الحسين، المتوفى سنة٣٥٦ هـ): الأغاني.مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر. بدون تاريخ.

ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى، المتوفى سنة ٧٤٩هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (الجزء الرابع). تحقيق محمد عبد القادر خريسات ورفاقه. مركز زايد للتراث والتاريخ. العين ٢٠٠١م.

الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب، المتوفى سنة ٨١٧هـ): القاموس المحيط. تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة. مؤسسة الرسالة. بدون تاريخ.

ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم، المتوفى سنة ٢٧٦هـ): المعارف. ط٢. تحقيق ثروت عكاشة. دار المعارف المصرية. القاهرة ١٩٦٩م. ـــ الشعر والشعراء. عالم الكتب. بيروت. بدون تاريخ. ـ عيون الأخبار. دار الكتاب العربي. بدون تاريخ. ـــ تأويل مختلف الحديث. تصحيح محمد النجار. دار الجيل. بيروت ١٩٧٣م.

القرطبي (أبو العباس أحمد بن عمر، المتوفى سنة ٦٥٦هـ): تلخيص صحيح مسلم. تحقيق رفعت فوزي وأحمد الخولي. دار السلام. القاهرة ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

القرطبي (أحمد بن محمد بن إبراهيم، المتوفى نحو سنة ٦٠٠هـــ): التعريـــف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب. تحقيق وتعليق سعد عبـــد المقصـــود ظلام. دار المنار. القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

القرطبي (محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٣٣٨ أو ٣٣٩هـ): الجامـــع لأحكـــام القرآن (تفسير القرطبي). دار الكتاب العربي. القاهرة ١٩٦٧م.

القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد، المتوفى سنة ٨٢١هـــ): نهايـــة الأرب في مـــعـــرفة أنساب العـــرب. دار الكتب العلميـــة. بـــيروت. بدون تاريخ.

ابن القيسراني (أبو الفضل محمد طاهر، المتوفى سنة ٥٠٧هـ): الأنساب المتفقـــة. بدون تاريخ.

ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، المتوفى سنة ٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم. دار المعرفة. بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. ـــ البدايـــة والنهاية. ط٣. مكتبة المعارف. بيروت ١٩٧٩م.

الكلاعي (أبو الربيع سليمان بن موسى، المتوفى سنة ٦٣٤هـ): الاكتفـــاء بمـــا تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء. تحقيق محمـــد كمـــال الدين. عالم الكتب. بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

ابن الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، المتوفى سنة ٢٠٤هـ): جمهرة النسب. تحقيق ناجي حسن. عالم الكتب. بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

ـــ الأصنام. تحقيق أحمد زكي. الدار القومية للطباعة والنشر. القـــاهرة ١٣٨٤هـ.

الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف، المتوفى سنة ٣٥٠هـ): ولاة مصر. تهذيب وتصحيح رفن كست. مطبعة الآباء اليسوعبين. بيروت ١٩٠٨م.
مؤلف مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحدائق. مكتبة المثنى. بغداد. بدون تاريخ.
ابن ماكولا (أبو نصر سعد علي بن هبة الله بن علي، المتوفى سنة ٤٧٥هـ): الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب. صححه وعلق عليه نايف العباس. بيروت. بدون تاريخ.
الماوردي (أبو الحسن بن محمد بن حبيب، المتوفى سنة ٤٥٠هـ): الأحكام السلطانية. دار الباز للنشر والتوزيع. مكة المكرمة. بدون تاريخ.
المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد، المتوفى سنة ٢٨٥هـ): الكامل في اللغة والأدب. كتب هوامشه نعيم زرزور وتغاريد بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧. ـــ نسب عدنان وقحطان. تحقيق عبدالعزيز الميمني الراجكوتي. الدوحة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
ابن المجاور (جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب، المتوفى سنة ٦٩٠هـ): تاريخ المستبصر. بدون تاريخ.
المرزباني (أبو عبد الله محمد بن عمران، المتوفى سنة ٣٨٤هـ): معجم الشعراء. ط٢. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين، المتوفى سنة ٣٤٦هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر. بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

المقدسي (أبو عبد الله شمس الدين محمد أحمد، المتوفى سنة ٣٨٠هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ط٢. مطبعة بريل. ليدن ١٩٠٩م.

المقري (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد، المتوفى في أوائل القرن الثامن الهجري): المختار من نوادر الأخبار. تحقيق أنور أبو سويلم. مؤسسة الرسالة. دار عمار ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي، المتوفى سنة ٨٥٤هـ): إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأموال والحفدة والمتاع. تحقيق محمد عبد الحميد النميسي. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٢٠هـ.

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، المتوفى سنة ٧١١هـ): لسان العرب. ط٣. دار صادر. بيروت ٢٠٠٤م.

المنقري (نصر بن مزاحم، المتوفى سنة ٢١٢هـ): وقعة صفين. تحقيق وشرح عبدالسلام هارون. دار الجيل. بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد، المتوفى سنة ٥١٨هـ): مجمع الأمثال. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار المعرفة. بيروت. بدون تاريخ.

الميورقي (أحمد بن علي بن أبي بكر، المتوفى سنة ٦٧٨هـ): بهجة المهج في بعض فضائل الطائف. تحقيق إبراهيم الزيد. المأنوس. الطائف ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

ابن ناقيا (عبد ا لله بن الحسين، المتوفى سنة ٤٨٥هـ): الجمان في تشبيهات القرآن. تحقيق محمود حسن الشيباني. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ابن نباتة (جمال الدين محمد بن محمد، المتوفى سنة ٧٦٨هـ): سرح العيون (شرح رسالة ابن زيدون). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي. القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

النووي (الأمام أبو زكريا يحيى بن شرف، المتوفى سنة ٦٧٦هـ): رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. مؤسسة جمال. بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، المتوفى سنة ٧٣٣هـ): نهاية الإرب في فنون الأدب. الجزء الثاني والعشرون. مطابع كوستا توماس القاهرة. بدون تاريخ.

الهجري (أبو علي هارون بن زكريا، المتوفى في أوائل القرن الرابع الهجري): التعليقات والنوادر. ترتيب حمد الجاسر. منشورات دار اليمامة. الرياض ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام، المتوفى سنة ٢١٣-٢١٨هـ): السيرة النبوية. دار ابن حزم. بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

الهمداني (لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب، المتوفى سنة ٣٣٤هـ): صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد بن علي الأكوع. مكتبة الإرشاد. صنعاء ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

الواقدي (محمد بن عمر بن واقد، المتوفى سنة ٢٠٧هـ): كتاب المغازي. تحقيق مارسدن جونس. عالم الكتب. بيروت ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. ـــ فتوح الشام. دار الجيل للنشر والطباعة. بيروت. بدون تاريخ.

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، المتوفى سنة ٦٢٦هـ): معجم البلدان. دار صادر. بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، المتوفى سنة ٢٨٤هـ): تاريخ اليعقوبي. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم، المتوفى سنة ١٨٢هـ): كتاب الخراج. تحقيق محمد عبد الحفيظ المناصير. كنوز المعرفة. عمان ١٤٣٠هـ.

المراجع العربية والأجنبية المترجمة

إبراهيم الشريف:

مكة والمدينة في الجاهلية وعهد رسول الله ﷺ. دار الفكر العربي. القاهرة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

أ. أكرم:

سيف الله خالد بن الوليد. ترجمة صبحي الجابي. ط٤. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤٠٢هـ.

بشير بموت:

ديوان أمية بن أبي الصلت. المطبعة الوطنية. بيروت ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

توفيق برّو:

تاريخ العرب القديم. ط٦. دار الفكر. دمشق ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

جرجي زيدان:

العرب قبل الإسلام. دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦٦م.

جواد علي:

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٧٠م.

حسن إبراهيم حسن:

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. القاهرة ١٩٦٤م.

دائرة المعارف الإسلامية:

مركز الشارقة للإبداع الفكري. الشارقة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

سامي مكي العاني:

معجم ألقاب الشعراء. مكتبة الفلاح. دبي ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

سيد عبد العزيز سالم:

تاريخ العرب في عصر الجاهلية. مؤسسة شباب الجامعة. الإسكندرية ١٩٨٨م.

سيديو:

تاريخ العرب العام. ترجمة عبد الله علي الشيخ. الأهلية للنشر والتوزيع. عمان ٢٠٠٢م.

الشريف محمد بن منصور بن هاشم آل عبد الله:

قبائل الطائف وأشراف الحجاز. دار الحارث للطباعة والنشر. الطائف ١٤٠١هـ

شكيب رسلان:

الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف. تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة ٢٠٠٦م.

عبدالله الطرازي:

موسوعة التاريخ الإسلامي لبلاد السند والبنجاب (باكستان الحالية). تقديم العلامة أبو الحسن الندوي. عالم المعرفة. جدة ١٤٠٣هـ.
عبد الجبار منسي العبيدي:
الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية. ط٢. دار الرفاعي. الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

عبد الله محمد بن خمس:
تاريخ اليمامة معاني الديار ومالها من أخبار وآثار. الجزء الثالث. مطابع الفرزدق التجارية. الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
علي إبراهيم أبو زيد:
زهير ابن أبي سلمى شاعر الحكمة. دراسة أدبية لشعره وشرح ديوانه. مؤسسة عز الدين. بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
علي حسني الخربوطلي:
الكعبة على مر العصور. دار المعارف. القاهرة ١٩٦٧م.
عمر رضا كحالة:
معجم نساء العرب. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٣٧٩هـ/١٩٥٨م.
عمر فروخ:
الحجاج بن يوسف الثقفي. مكتبة منيمنة. بيروت ١٣٦٠هـ.
كي لسترنج:
بلدان الخلافة الشرقية. ط٢. ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

فؤاد حمزة:

قلب جزيرة العرب. ط٢. مكتبة النصر الحديثة. الرياض ١٣٨٨هـ/١٩٦٨.

فيليب حتي:

تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين. ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق ومراجعه جبرائيل جبور. دار الثقافة. بيروت ١٩٨٢هـ. ــــ تاريخ العرب. ترجمة جبرائيل جبور. دار غندور. بيروت ١٩٨٦م.

محمد أحمد باشميل:

حروب الإسلام في الشام في عهود الخلفاء الرشدين. دار الفكر. بيروت ١٤٠٠هـ.

محمد جمال الدين سرور:

قيام الدولة العربية الإسلامية. دار الفكر العربي. القاهرة ١٩٧٢م.

محمد حمود:

أدباء وشعراء العرب. دار الفكر اللبناني. بيروت ٢٠٠١م.

محمد الخضري:

محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية). دار المعرفة. بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

محمد زهير مشارقة:

الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي. طلاس للدراسات والترجمة والنشر. دمشق ١٩٨٨م.

محمد سعيد مولوي:

ديوان عنترة. المكتب الإسلامي. القاهرة ١٩٦٤م.

محمد ضيف الله بطاينة:

الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام. ط٢. دار الكندي للنشر والتوزيع. أربد ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

محمد ناصر الدين الألباني:

صحيح الجامع الصغير (وزيادته الفتح الكبير). ط٢. أشرف على طبعه زهير الشاويش. المكتب الإسلامي. بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

محمود شكري الألوسي:

بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. شرحه يوسف إبراهيم سلوم. المكتبة العصرية. بيروت ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

منتجومري وات:

محمد في مكة. تعريب شعبان بركات. المكتبة العصرية. صيدا ١٩٥٢م

نادية حسني صقر:

الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام. دار الشروق. جدة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

يوليوس فلهوزن:

تاريخ الدولة العربية. ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريـــدة. لجنـــة التـــأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٥م.

المراجع الأجنبية

A. Nicholson,1923. *A Literary History of the Arabs*. London

E. Rutter, 1949. *Holy Cities of Arabia*. London.

J. Burkhardt, 1819. *Travels in Arabia*. London..

H. Lammens, 1922. *La Cité Arabe de Taif á la veille de L 'Hégire*. Beyrouth.

Margoliouth, 1924. *The Relations Between Arabs and lsraelites Prior to The Rise of lslam*. London.

M. Henri,1930. *L 'lslam*. Paris.

.

قائمة المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**